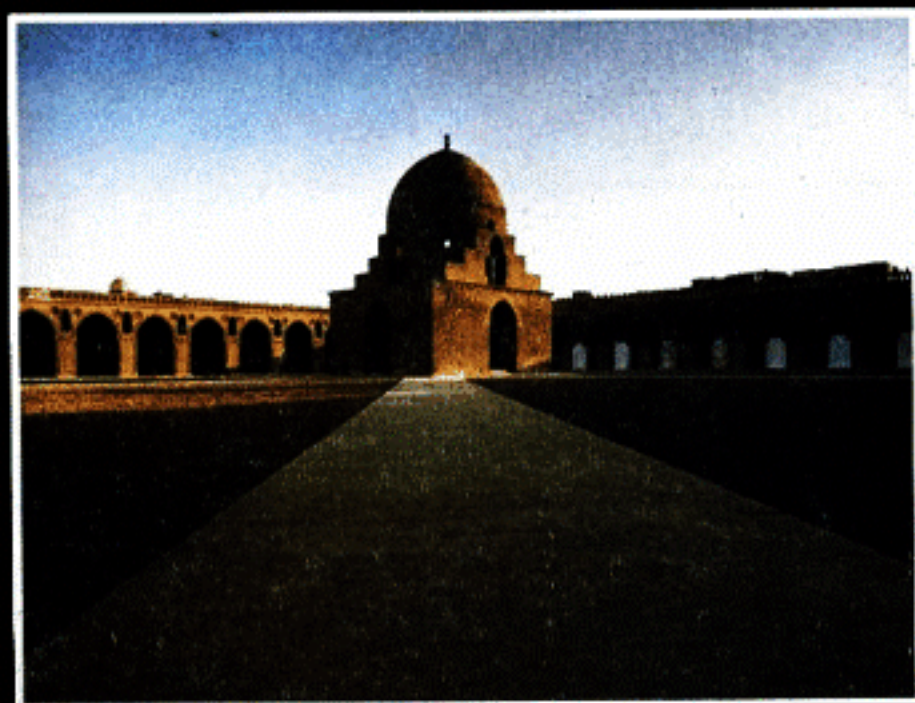


سيرة الحمدا بن طولون

تأليف

أبي محمد عبد الله بن محمد المديني البلوي



مكتبة الثقافة الدينية

حفظها وشرحها
محمد كرد علي

سيرة

أحمد بن طولون

تأليف

أبي محمد عبد الله بن محمد المديني البلوي

حققها وعلق عليها

محمد كرد علي

الناشر

مكتبة الثقافة الدينية

١٤ ميدان العتبة - ت ٩٢٢٦٢٠٠

حقوق الطبع والنشر محفوظة

للمنشر

مكتبة الثقافة العربية
لصاحبها محمد نسي عبد الحميد
١٤ شارع النخلة القاهرة
٩٢٢٦٢٠ ت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مدخل الكتاب

المؤلف وتأليفه

اكتفى من ترجوا لمؤلف سيرة ابن طولون بذكر اسمه وأسماء أجداده واسم قبيلته ، وأشاروا إلى ماغلب عليه من أصناف العلم والى بعض تأليفه ، والى مذهبه وما طُن عليه فيه . نظر أكثرهم إليه من ناحية دينه خاصة ، وأغفلوا نواحي مفيدة من دنياه ، كفعل معظم كتاب السير لا يحفلون بالبحث بأولية الرجل ودراسته ومشيجته وبيئته ، وما الى ذلك من العوامل التي لها الأثر الأول في سر نشأته ، وحصائل قريته .

وغاية ما عرفنا من نسب البلوي وعلمه ومذهبه أنه أبو محمد عبدالله بن محمد بن عمير بن محفوظ المديني البلوي ، من قبيلة بلي كعلي ورضي ، وهي فرع من قضاة بنتهي نسبها الى قحطان . وكانت بلي بالشام فنادى رجل منها : يال قضاة فبلغ ذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فكتب الى عامل الشام أن يسير تلك قضاة الى مصر ففرقت بلي بأرضها . ومنازل بلي اليوم في أرجاء الوجه من بلاد الحجاز ، وقد كان لهم يد بيضاء في فتوح مصر والشام ، وجاء

منهم على الدهر الصحابة والتابعون والعلماء والفصحاء ومنهم عبد الله هذا ، والأرجح أنه كان من بلي الحجاز ، بدليل اقتران لفظ المدني باسم بيته ، نزل أجداده وادي النيل فنشأ مصرياً يتناغى بحب مصر . عرفه ابن النديم في الفهرست بأنه من ألف الكتب للإسماعيلية ، فعرفنا أنه من أعلام الإسماعيلية أي السُّبعية ، ووصفه بأنه كان واعظاً فقيهاً عالماً ، وأن له من الكتب كتاب الأبواب (وفي رواية كتاب الأنوار) وكتاب المعرفة وكتاب الدين وفرائضه ، وهذا كل ما ذكره له من التأليف . وما زاد الطوسي في فهرسته على عبارة ابن النديم شيئاً ؛ وتقتض منها لفظ « عالم » . وفي ننتيج المقال « ولولا تضيغ النجاشي لاندريج في الحسان ، لعدم الشبهة في كونه إمامياً ، وكون ما في الفهرست مدحاً معتدّاً به له ، ولكن كلام النجاشي أسقطه بالكفاية » . والنجاشي هو صاحب كتاب الرجال عند الإمامية وهو ثقهم وعمدتهم . ولم ينص الطوسي على تعديل البلوي ولا على جرحه . وغلا الفضائري فقال فيه انه كذاب وضاع للحديث لا يلتفت الى حديثه ولا يُعبأ به .

ولعل السبب في حمل بعض الإمامية على البلوي ، وعدّه في الضعفاء واتهامه بالكذب والوضع ، ناشئ من إيراد أحاديث لتأييد الدعوة الإسماعيلية فوصموه بأوصموه ، على العادة في نطاق الفرق في الإسلام والنصرانية . والإمامية والإسماعيلية يختلفون في الإمامة ، فيوافق

الإسماعيلية الإمامية في سوق الإمامة من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب إلى جعفر الصادق ، ثم يعدلون بها عن موسى الكاظم الذي هو الإمام عند الإمامية ، إلى إسماعيل أكبر أولاد جعفر الصادق .
وعرض ابن حجر في لسان الميزان لذكر البلوي ونقل عن الدارقطني أنه يضع الحديث ، وأنه روى عنه أبو عوانة في صحيحه في الاستسقاء خبراً موضوعاً . قال وهو صاحب رحلة الشافعي طولها ونقها ، وغالب ما أورده فيها مختلق . وذكره الذهبي في ميزان الاعتدال في نقد الرجال بمثل ذلك وروى عبارة الدارقطني فيه .
وغاية ما أحصي للمؤلف في كتابه هذا ، وهو مما تجلب به مذهبه الديني أيضاً ، أنه لم يترض في المقدمة عن الصحابة على عادة أهل السنة والجماعة ، واكتفى بالترضي عن آل البيت الطاهرين ، وكان إذا ذكر عمر بن الخطاب ترحم عليه ، وإذا عرض لآل الرسول صلى وسأم عليهم أجمعين . وصيفة صلاته وسلامه على النبي الصيغة التي ألف استعمالها أهل السنة . وأكثر ما رواه من هذا اقبيل منقول عن غيره ، لم يعدل فيه شيئاً . وقد غمز الخوارج مرة لما أشار إلى صدق أحد رجالهم . وفي الجملة ما خالف أهل السنة في شيء مما قال وروى . فكان من هذا النظر إسماعيلياً لا يبعد كثيراً عن هدي الجماعة . ومسافة الخلف بين فرق الشيعة والسنة لم تكن في عصره منفرجة انفراجها في العصور الأخيرة .

ليس لدينا نص يعتمد عليه في السبب الذي حمل البلوي على وضع هذا التأليف . وقد قال في مقدمته انه طلب منه أن يكتب في سيرة آل طولون كتاباً « يكون أكبر شرحاً وأكثر وصفاً » من كتاب أحمد بن يوسف المعروف بابن الداية ، وأن الطالب قال له في كتاب ابن الداية في السيرة الطولونية : « ما هكذا أرخ الناس الأخبار ، ولا عليه نظم العلماء الآثار » . وليس قوله هذا فيما نرى السبب المهم في وضع كتابه .

قد يرد على الخاطر أن المؤلف شاهد تبديلاً في حال مصر بعد ابن طولون ، فحدثته نفسه أن يضع تأليفاً يتخلد فيه مآثره ، ليجعل من سيرته مهازاً مان يأتي بعده من الولاة والأمرء ، ولينفطنوا لسعة فضل ذلك الآخذ بمختر الممالك ، والدراكة بترويض الناس على الطاعة . وربما يخاطر على البال من جملة التعليلات أن ابن طولون كان يعطف على الإسماعيلية ، أو يستظهر بهم للانتفاع بقوتهم شأن كثير من رجال السياسة يحاولون استخدام كل قوة ، ويوهمون من يخالفونهم أنهم منهم ، إلا أنهم يكتمون إيمانهم ويتقنون لحكمة لا يذكرونها . فعطف البلوي على ابن طولون لعطف هذا على أهل مذهبه ، في زمن قتل فيه الحلاج شر قتلة في بغداد ، وهو صنوه وقربه في مذهبه ، وفي عصر كانت جمعيات الإسماعيلية منتشرة في هذه الأقطار ، يتحضر دعائها لإنشاء دولة إسماعيلية ، وكان

قيام بني عبيد القاطميين في إفريقية ثم في مصر آخر تلك الجهود .
لم نعرف السنة التي وضع فيها البلوي كتابه في آل طولون ،
والثابت أنه ألفه بعد موت أحمد بن طولون (٥٢٧٠ هـ) وبعد انقراض
الدولة الطولونية (٢٩٢) وبعد سنة ٣١٢ وفيها وافى مصر الوزير علي
ابن عيسى بن الجراح ، وقد جرى له ذكر في هذا الكتاب كما
ذُكر فيه الخليفة المقتدر ، والمقتدر قُتل سنة عشرين وثلاثمائة .
واستتجنا من رواية المؤلف عن أناس رووا عن ابن الدابة أن
البلوي ألف كتابه في الثلث الثاني من القرن الرابع في أرجح
الظن ، لأن ابن الدابة هلك ، على أقرب الروايات الى الصحة ،
بعد نيّف وثلاثين وثلاثمائة ، فالكتاب ألف إذاً بعد أكثر من
ستين سنة مضت على وفاة ابن طولون .

إن ابن الدابة روى عن سعد القرظاني وابن عبد كان ونسيم
الحادم وطاهر الكبير الحادم وأبي جعفر المروزي وموسى بن طولون
ونعت أم ولد أحمد بن طولون وشعيب بن صالح وبراقة الحاسب
وهارون بن ملول وأحمد بن أبي أوفى وأحمد بن أعين وأحمد بن
محمد الواسطي وأحمد بن خاقان وأحمد بن دعيم وإبراهيم بن كامل
وأحمد بن القاسم وعلي بن مهاجر والفارسي والحسن بن واقع ويعقوب
ابن صالح ومحمد بن عبيد الله الخراساني وعن عمه إسحق بن إبراهيم
وغيرهم وكلهم من قواد ابن طولون ومن غلمانه أي من رجاله .

وابن الداية أيضاً كتب لآل طولون وعدّ من غلمانهم ، وكانت له بهم خلطة وأُنسَة ، وكان لأصالة بيته ، ونُبِلَ محتمده ، فتفتح له أبواب القصور ، فيطلع على سرّ القوم وجهرهم ، وعلى عجرهم ويجرّم . فتاريخ ابن الداية بهذا الاعتبار ، لو ظفر الباحثون بالأصل السليم منه ، أمتع من تاريخ البلوي ، لأنه كتب عن عيان ومشاهدة ، ونقل عن ثقات عارفين ، وتألّفه نسج يده ، وزبده تحقيقه . ووضع تاريخ البلوي في عهد خلافه من الموثرات السياسية في الجملة ، بتغير الزمان وانقراض الدولة ، وانتفاء ما يخشى على المؤرخ فيه من مصانعة من يعاصره أقرب الى السداد والسلامة . وكتابة البلوي سيرة ابن طولون بهذا التطويل المفيد أدنى الى الإحاطة بحال مترجمه ، والدولة الطولونية منقطعة ، وصلة الكاتب بها معدومة ، ومذهب المؤرخ غير مذهب من أرّخ له . وللمذاهب تأثير غير قليل في معظم ما كُتب من التواريخ في تلك الأيام .

أكثر البلوي الاعتذار عن ابن طولون في كل ما صدر عنه من شدة ، وما استطاع في بعض الأخبار التاية عن حد العقل أن يذبلها برايه فسارع في روايتها ، لثلا يسأله سائل عن رأيه فيها ، كقصة الجماعة الذين ذكروا ابن طولون في دعوة لهم بما يسوّه ، فألقام كلهم في اليمّ ، في الليلة التي أخذ فيها رقعتين بما قاله فيه ، واستولى على نعمتهم ، ونقض الدار التي اجتمعوا فيها

من أساسها ، وما طلع النهار إلا وهي رحبة مكنوسة مرشوشة !
وكقصه ابن عمار أتى به من سجنه فنصح له أنفع نصيحة في
بقاء سلطانه ، فرده الى السجن وقال إنه نصحه في دنياه وغشه في
دينه ، وأنه يخاف دهاه . وعقله اذا هو أطلق سبيله ، فمات من
غمه في السجن . وما تقد البلوي ابن طولون حتى في تسرعه بإهلاك
الناس ، يقتل من يقتل بوشاية يرفعها اليه أحد أصحاب أخباره ،
فيفرق في النيل من يفضب عليهم ، أو يلقمهم في حفرة يطمها
عليهم وهم أحياء ، يجعل أبدأ في إنفاذ عقوبته ، لا يرجئها الى
غد يومه ، لينظر إن كان ما اتهم به المتهمون ليس فيه شيء من
الأسباب الخفيفة فيحقن الدماء .

ولم يقل لنا البلوي رأيه في حنق ابن طولون على بكار بن
قتيبة ، قاضي مصر ومن أكبر قتها عصره ومحدثيه ، يوم امتنع عن
القول بجلع الموفق ، وخالف القضاة في فتوام ، وابن طولون يحاول
أن يفتيه قاضيه بما يرضيه ويرضي سياسته . فلما توقف بكار
عن متابعة القضاة في فتوام سجنه مدة طويلة وعامله أسوأ معاملة ،
أهانته وسلط عليه الرعاع ، ونسي أو تناسى أنه شيخ كبير وإمام
جليل ، لا ذنب له إلا أنه لم يقل بما قال به قضائه الرسيون ،
ومن هؤلاء من لا يتوقف عن إغضاب الحق لإرضاء أرباب الدولة
وما ذكر لنا المؤلف قسوة ابن طولون على طيبيسه ، وادعاءه

عليهما أنهما قصرا في علاجه ، فطاف بالأول على جبل ناسبا اليه الحياة ، وضربه مقارع أوردته حتفه ، وهدد الثاني تهديداً أتى على نفسه بعد يوم . وربما يقول البلوي ، هذا صدر عنه وهو في حالة غير متزنة ، كان مريضاً وليس على المريض حرج . فيقال له عندئذ إن كان ابن طولون متديناً تديننا باطنه كظاهره فسيب له غير هذا ، والدينيون يعتقدون أن الموت والحياة بيد الله لا بيد الطبيب ، ولا يعقل أن يقصر طبيباه في طبه ، والذنب ذنبه لأنه أبي أن يخضع لما أشارا عليه به من الترتيب .

طريقة البلوي في تاريخه إيراد الحوادث ، وقد يجلها ويعلمها أو يصرح برأيه وشعوره أحياناً ، ويروي الأخبار بأسانيدھا على النحو الذي كان يعمد اليه الرواة وأرباب السير في القرون الأولى . والبلوي بليغ يحسن الوصف ، ويؤثر السلاسة ويكتب بلا تعمل ، وعبارته خالية من السجع في الجملة ، وفيها ازدواج ولها رنة . وكان اذا أراد أخذ بعض ماورد في كتاب مطول طرح الأسجاع أولاً ، ثم أتى على المكررات حتى يأتي تأليفه نسقاً واحداً ، لا يبدو فرق كبير بين ما يكتبه ويكتبه غيره .

اقتبس البلوي نحو خمسين قصة من قصص ابن طولون عن ابن الدابة ذكرها هذا في كتابه سيرة ابن طولون والمكافأة ، وزاد من عنده نحو أربعين قصة أخرى . وما ندرى إن كانت زياداته هذه

نُقلت أيضاً في المطول من كتاب ابن الداية ، أو تُلَقَّطها البلوي من أماكن أخرى ، ويترجع من نسقها وعبارتها الطلية أنها من بضاعة ابن الداية ، ومعظم الحكايات عن ابن طولون تشهدا في رواية البلوي مفصلة مزيدة زيادات مهمة ، وينقل أول الحكاية من كلام ابن الداية باللفظ والمعنى . وضم المؤلف الى كتابه رسائل ووثائق عديدة لا أثر لها عند ابن الداية وعني بالتوسع في الحكاية فأولى سفره إمتاعاً وإبداعاً . وقد وردت في كتاب البلوي تفاصيل نشأة ابن طولون ، وأخبار حروبه في الثغور ، وأخبار ابنه العباس وغلामه لؤلؤ ، وأخبار مرضه وخلعه الموفق ، على صورة أجمع وأبرع ، ومنها ما خلا منه كتاب ابن الداية كأخبار مرضه ووفاته وجنازته ووصيته وثورته وغير ذلك .

وصدق البلوي فيما ادعاه من محاولته وضع تأليف مطول ، وحقق أمنية من طلب اليه كتاباً أوسع من كتاب ابن الداية ، وساعده على الذهاب بهذا الفضل تأخره في العصر ، وانفعاه بكتب من تقدمه ، وزاد أنه نفوق بتنسيقه وترتيبه ، وامتاز ببسطه وشرحه . ولعل للبلوي عذراً على سلخ أخبار ابن الداية بمعناها ومبناها ، وزيادته عليها زيادات حبيبتها الى من ينظر فيها ، وتبدت مهارته في التأليف حتى ليخالها قارئها أنها نسج يد واحدة . فالواقع أن تلك الحكايات كانت من البلوي على طرف الثمام ، ولم ير موجبا

لنسخها نسخاً ثانياً ، وحوك ابن الداية من أجل ما حاك بلغاء العربية .
هذا وأمثاله مما يعذر عليه ، ولكن من الصعب أن يلتبس له
عذر في نقله ما ينقل دون أن يصرح بابن الداية ، فيقول قال
ابن الداية وأخذت عن ابن الداية ، وهذا ما كان يرجي من عالم
فقيه واعظ من عياره . ولو فعل لأتى بما يزيد تاريخه وثوقاً ، ولصير
لكلامه موقفاً أحسن من نفوس العارفين ، بنسبته الفضل لصاحبه .
ومن بركة الكلام أن يعزى لقائله

وعجيب أن تجازي الطبيعة من يستحق جزاءها إذا خرج
على قانونها . فقد رأينا البلوي في القرن الرابع استحل نقل أخبار
برمتها عن ابن الداية ، سيد كتاب مصر في الدهر الغابر ، دون
أن يشير الى أبي عُذرها ، فاقترنت الطبيعة لابن الداية منه بعد
أربعة قرون ، سلطت على البلوي المقرزي ، فغزاه في خططه
وسلخ من كلامه صفحات طويلة في سيرة ابن طولون ، وما أقامه
من أعمال العبران ، فكانت واحدة بواحدة : غزا البلوي ابن
الداية ، فسطا المقرزي على البلوي ، وسلط على من جاوز سرقة
من تقدمه ، من يسرقه بعد زمن ولا يرجحه

أصل المخطوط

أصل هذا الكتاب من مخطوطات دار الكتب الظاهرية بدمشق، مسجل في قسم التاريخ تحت رقم ٢٤٢، وكان مدشوتاً بجمع وجلد في أوائل هذا القرن - وهو مما وقفه محمد بن علي بن أحمد بن طولون الصالح الحلي الدمشقي المؤرخ المشهور المتوفى سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة، على خزانة المدرسة العمرية بصالحية دمشق، وكتب عليه بخطه أنه ابتاعه بتسعة قروش

ورد اسم الكتاب في أول صفحة هكذا: « كتاب سيرة آل طولون » وجاء الكتاب في سيرة أحمد بن طولون فقط، وكتب في آخره بخط يخالف خط ناسخه « تمت سيرة احمد بن طولون » والغالب أن الكتاب كان في سيرة آل طولون فضاعت كراريس من آخره، أو أن المؤلف لم يكمل كتابه كما وعد في المقدمة، عند إشارته الى تفضيل كتابه على كتاب ابن الداية، فقال إن هذا « لم يأت بجميع أخباره ولا أخبار أبي الجيش ابنه، وما كان من جميل أفعاله وحسن آثاره، ولا أخبار سائر إخوته بعده ». وكتاب البلوي لم يستوف هذه الأخبار كلها، وكان كلامه مقصوراً على سيرة أحمد بن طولون، وما جاء من أخبار أولاده جاء بالعرض، ولأمر كان لها علاقة بأبيهم لا بهم.

وقع هذا المخطوط في ٢٥٣ صفحة منصفة القطع، وكتب على ورق غليظ بخط أهل القرن الرابع، عارياً من النقط ومن تاريخ

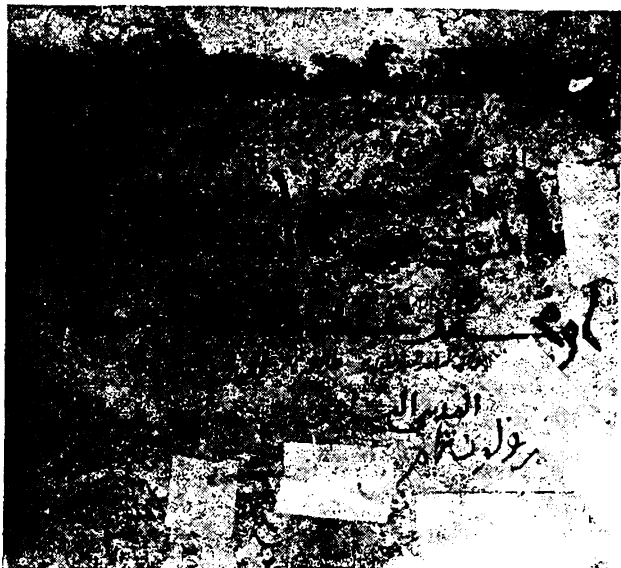
النسخ ، وقد بطلت ناسخه في النحو والتصريف والإملاء ، وينقل ما لا يفهم ويكرر كلمة سبق له كتابتها فيعيد رسمها في الجملة الواحدة . وقد أصاب المخطوطة بلل طُمست به بعض الكلمات في أول الكتاب ووسطه وآخره ، وأكلت الأرضة رؤوس بعض الصفحات الأخيرة ، ولما رُفع ما ألصق عليها من ورق رُدَّ بعض المطموس الى الصحة ، ورُجع في تقويم بعضها الى أصول نقل عنها المؤلف أو نقل غيره عنه . ومنها ما وضعت له كلمات يقتضيه السياق ، وذلك بشيء من الظن والقرض ، وجملت الزيادات بين قوسين في السطور المحوّة ، فإذا كان المطموس نحو كلمتين جُمِلَ بدلها تقطتان ، وإذا كان ثلاثاً وضعت ثلاث وهكذا . أما الشعر فقد هزّعه الناسخ كثيراً فإممكن رده كله الى الصحة . خصوصاً ما قبل منه في حادثة خاصة بحلية ، ونيسر إرجاع الشعر المعروفة دواوينه الى نصابه من الصحة .

ولم نر مندوحة من التعليق على الكتاب ، إلا أننا أقلنا منه ما أمكن بمجتزئين بما لا غنى عنه ، وصححنا الأغلط النحوية وغيرها دون أن نشير الى كل غلطة وقعت ، وإذا كان هناك نص نقل عنه المؤلف نصلح به ما تيسر إصلاحه من نص مولفنا ، وقد لا نشير الى ذلك ، وحللنا بعض الألفاظ اللغوية والأعلام الجغرافية وأضفنا الى التعليقات ما ظفرنا به مفرقاً في الكتب مما نتم به ترجمة

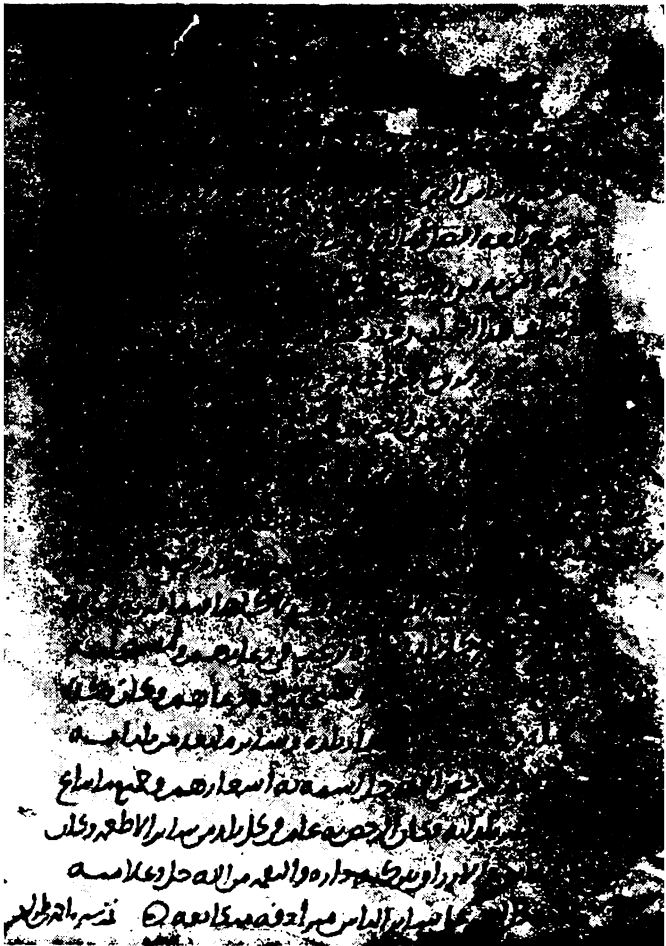
أحمد بن طولون، وكان مما فات المؤلف التعرض له .
وقد اغتبطنا ، وحالة مخطوط البلوي على ما ذكرنا، أن
حسبنا ما سلت عليه الأيام من كلامه جزءاً ضئيلاً ، لا يحول
دون الانتفاع بتأليفه الذي ظل ينتقل في الخزائن ألف سنة حتى
كُتِبَ لابن هذا الجيل أن يخرج للناس مطبوعاً ، وقد أشرف
على البلي ، فحبي بذلك اسم مؤلفه وكاد ينسى لنهاب بقية تأليفه .
لا جرم أن في نشر كتاب البلوي إحياء مادة جديدة في
تاريخ مصر والشام ، ولوناً طريفاً من أدب عصره الجميل فيه حلوة
وطلاوة ، وألفاظاً فصيحة ومعربة في شؤون الحياة كانت مألفة
في زمن المؤلف ونحن في حاجة إليها اليوم . دع ما هناك من قصص
واقعية على مثال قصص الصوفي والقاضي التنوخي ، تدل على كياسة
ابن طولون وسياسته ، ونفيد القارئ من حكمته وحسبته ، فيها
متعة للنفس وسلوى ، وصورة صادقة من صور ذلك المجتمع .
وقد حافظنا على متن الكتاب ، وترجمنا في الهامش لكل فصل
ولكل قصة ، وختمناه بفهرس للأعلام والبلدان ، ويجريده بأسماء
المصادر التي رجعنا إليها في التصحيح ، وقد راعينا فيه الأمانة
ما وسعتنا المراجعة

وحاولنا العثور على نسخة ثانية من هذا التأليف لتعارض عليها
هذه النسخة الوحيدة ، وسألنا بعض أصحابنا المستعربين من

علماء المشرقيات في الشرق والغرب ، فكتب الينا صديقنا العلامة كرنكو Krenkow يقول إنه لم يعرف في الدنيا نسخة ثانية له ولا شيئاً من أخباره سوى ما في الكتب التي ذكرناها له . وهذا عذرنا في إبقاء بعض ما توقعنا فيه من عبارات المؤلف بحاله من السقم والنقص ، وعسى أن ينكشف للباحثين وجه الصواب فيما لم يظهر لنا بعد بذل الجهد .



راموز طرة الأصل المخطوط



أحمد بن طولون بنصره البلوي

صوّر البلوي أحمد بن طولون صورة جميلة ، وخلع عليه من الثناء ثوباً فضفاضاً . صوّر ذكاه وقوة ملاحظته ، ورسم فراسته وسياسته ، وعدله ورحمته ، وصدقائه ومكارمه ، معجباً بكل ما أتاه ، عاذراً له على ما قدمت يدها ، لم يتفده في شيء مما قص من أخباره . ونسب كل ما وقع له من موت عدو ، وتبديل في مجرى أحوال الدولة ، أو غير ذلك من المصادفات ، الى الإقبال الذي عرف به طالعه ، والحظ الذي « حسن قبيحه وأصلح رديته » . والبلوي يعتقد بالإقبال كثيراً ، يقيم للطلوع والنجوم والنامات والكرامات وزناً على ما كان أهل عصره .

والمعقول أن ليس هناك إقبال ولا ينجت ، والعامل في توفيق ابن طولون تربية صالحة ، كانت من أرقى ما عرف في دهره ، وذكاه نادر تفرد به دون أبناء جنسه . نشأ في أشرف عصور بغداد جندياً مطبوعاً على أجل صفات الجندي الشريف ، ولقّن في بيته وهو طفل أموراً أفادته في حياته . وحفظ القرآن وجوّد ، وقصّح بالعربية فهدّ من فصحاء رجال السياسة بلسانه وقلبه ، وأخذ عن المحدثين قطعة صالحة من العلم ، ورزق صوتاً جميلاً وأنقن الموسيقى ، ونظم الشعر بالتركية لغة أبيه وأمه .

وتأفف في عنفوان شبابه من الظلم الذي باتيه الأتراك في

عاصمة الخلافة فأثر الهجرة إلى طرسوس من مدن الثغور، وكانت يومئذ مقيلاً القراء والعلماء والزهاد، فتخرج بهم وتؤادب بأدابهم، وانصرف إلى العبادة حتى كان يخشى أن لا تصادف أعمال السلطان موقفاً من قلبه لانصرافه إلى أمور الدين. ولما عهد إليه منصب الولاية في مصر نيابة عن باكباك من وزراء العباسيين تجلبى نبوغه بأجلى مظاهره، وثبت غرامه بحسن التدبير والنظام، واستبان طموحه وبقته بنفسه. ومن حسن حظه أن كانت ولايته على مصر، ومصر من طبيعتها أن تغري من ينزلها بالتوطن فيها، وأن تدمج فيها غيرها ولا تندمج. ومن العسير على بغداد أن تحكم مصر مباشرة للبعد الباعد، ومصر وسط رمالها يتمذر الوصول إليها من البر ومن البحر. وطبيعة القطرين متخالفة، وبلاد الرافدين يومئذ مشغولة بفتنة عظيمة كادت تودي ببني العباس، وهي فتنة الزنج في البصرة. ومما ساعد ابن طولون على التوفيق في حكم مصر أن كان في طباع أهلها من الاتقياء من يعتقدون فيه الإخلاص لهم، والحرص على إسعادهم، ما ظهر أثره في الدول السالفة والخالفة. وفي هوا مصر وتربتها خصائص تطلق عليها اليوم اسم «الإقليمية والقبلية». ومصر إلى هذا تعتقد بالأمر الواقع إذا كانت حسنة راعياً أكثر من سيئاته ارتضته وتبنته، وسائرته في السبيل التي يُزجها فيها.

أول ما فكر فيه أحمد بن طولون لما هبط مصر أن يبعد القوضى

عن أحكامها وترتيبها ، فوضع لها قواعد فرض عليها العمل بها ، فأطلق في ولايته ، وارتاحت رعيته . نظر إلى خصب تربتها وسهولة العيش فيها ، وإلى تدني خراجها ، بعد أن كان يوفرته مضرب الأمثال عند العرب ، فأصلح ، برأيه المسدّد ، الريّ والصرف والجسور والطرق والترع ، وأسقط ضريبة الماؤون وغيرها من الضرائب ، واكتفى بالخراج والمكوس ، فبلغت عبدة خراجها أربعة آلاف ألف دينار وثلاثمائة ألف دينار ، عدا المكوس التي تجبي في المواقي والحدود ، ذلك بعد أن انحط خراجها إلى ثمانمائة الف دينار ، وما كانت تجبي إلا بشيء من العسف .

هذا هو سر نجاح ابن طولون في حكم مصر ، لم يعرض له البلوي وأشار إليه المؤرخون . وهناك سرٌّ آخر له صلة بهذا ، وهو عنايته بتحسين حال الفلاح ، ونشر العدل بين الرعية ، لافرق بين مسلم وقبطي ورومي ويهودي

قام في نفس ابن طولون أن ينشئ في مصر دولة فأمر بإنشاء القطائع ، وبنى قصره « الميدان » على مثال قصور الخلفاء في الجلالة ، وعمر رجاله وغلزانه الدور والقصور ، وتبذروا في التعمير . وما خلت بلاد الأقاليم أيضاً من استيفاء حظها من العمران ، فأضت عاصمة الديار المصرية في أعوام قليلة كأعظم مدينة من مدن الشام . زعموا أن ابن طولون عثر على كنوز عمر منها جامعها العظيم ومستشفاه

والعين والحصن ، والحقيقة أنه كانت تفتح له كل عام كنوز من أرض مصر و ثروتها الطبيعية .

صرف جهوداً عظيمة لتثبيت قدمه بالديار المصرية كما يصرف في العادة كل من يفتح فتحاً جديداً ، ويجاوب أن يصفو له إلى الأبد . وجروء على نزع يده من قيود بني العباس ، وكان من اشتغالم بأنفسهم أن سار حراً طليقاً لا يخضع لسفاس سلطان لا يرضيه شيء ، ولا الخليفة يُبلي كل يوم إرادته عليه . وحركته لم تخف على أهل البصر من أصحاب الدولة ، ومن عيهم بقاؤها عباسية .

عرف ابن طولون من أين توء كل الكتف ، فاختار من المصريين ومن غيرهم طبقة من الوكلاء والماسرة والزبانية والمدّاحين ، وأغدق عليهم إداراته ، فبدأوا له الطريق إلى المجد ، واستماتوا في حبسه ، وأخلصوا له القصد في الخدمة . وهو بما فطر عليه من بسطة اليد كان يرضي الخليفة بما كان يرسله إليه مسانحة من المال ، ويرضي ولي العهد ، وإن كانا في الظاهر متشاكسين ، ويرضي خزانة الدولة وخزائنه الخاصة ، ويرضي أصحاب السلطان وطبقات العلماء والقراء والفقراء في بغداد ، ويرضي أهل الثغور والمواصم والحرمين ، بما كان يحمل إليهم من المون والمعدات والثياب والأموال ، ويرضي أهل الشام والجزيرة وبرقة بما كان يوليهم من عطفه ولطفه ، ويرضي كل من تحدّثه نفسه أن يخلفه في نقلد عمل مصر ، ويرضي قواده

وكتابه وغلمازه وجميع من يمتُّ إليه بصلة . وبعبش مع هذا هو
وأله عبش الملوك ، لا عبش أبناء الأجناد من الولاة والمتصرفين ،
وخلف في خزائنه من الناض ما لم يخلف مثله قبله أحد من
الولاة ، خلف على ما قيل عشرة آلاف ألف دينار أو خمسة ملايين
جنيه ذهبي ، عدا عشرات الألوف من العبيد والماليك والجواري
والخيول والبغال والعدد والآلات ، وعشرات من أسفاط الجواهر
والخلي ، وبلغ ربيع إقطاعاته خمسين ومائتي ألف دينار في السنة ، وأقام في
مصر من المصانع ما كانت حضرة بني العباس عاجزة عن محاكاته .
كان لشدة انتباهه إذا رأى منفذاً يتسرب إليه منه ضرر يسعى
إلى ردمه ، وإذا شاهد خشياً يخاف أن يستحيل جرحاً تفاراً يبادر
إلى معالجته لساعته بضروب من الوقاية . وكان يتفنن في أخذ
الأخبار إلى ما لم تصل إلى أكثر منه أعظم الدول مهارة في الجاسوسية
اليوم ، وإلى ما لم يتسام إليه رجل من عظماء التاريخ في الدول
الإسلامية . ولو تساهل في هذه السبيل ما صفا له ملك مصر
والشام وما إليهما هذه الجعبة . ووفق لأن يشهد مصرع أعدائه
واحداً بعد واحد ، ونال من بعض من عاونوه على قيام دولته ، لما
أعتقد أنهم مخالفوه في بعض الطرق ، لم تأخذه بهم شفقة ، ولا
شفت بهم لديه سابقة من خدمة ، أو بدُّ سلفت من إخلاص ،
فصفا له بذلك جوُّ مصر وجوُّ بغداد .

كان ابن طولون عجيباً في سيرته ، إن احتملت نفسه كل مخالف
فلا تحمل من بناذره في رأيه ، وبمعرض على عمله ولو في سره ،
بتطال إلى توحيد كلمة الناس في اتفني بجمده ، ومن خرج في
نظره عن الحدود الرسومة عوقب بالقتل . منح الناس حرياتهم في
الناطق الذي ارتآه ، فإذا اصطدم بما يريد على ، وأدرك من
طرف خفي أنهم من المعارضين ، أو من يفاوضون أعداءه ، أو يفاوضهم
أعداؤه على غير علم منهم ، فهناك الإفراط في تطبيق مفصل
قانونه ، لا يسمع حواراً ولا مناقشة ، ولا يسير إلا مع حظ نفسه
ينتم لها .

وقد يهلك رجلاً لا يستحق جرمه أكثر من مؤاخذه ، أو
يكتفي في تعزيره حبسه أو تشريده ، وقد يفضي عن كبير الجرم
لأنه رقيق له ، أو كانت له به صلة ، أو جاء في حالة سرور ،
كما فعل مع ابنه العباس عصى عليه فضربه مقارع يسيرة واعتقله ،
وقضى ، على أقطع صورة من التمثيل ، على من راقوه إلى
برقة وطرابلس .

ما عرف ابن طولون الوفاء ولا الولاء : كان إذا غضب أساء
إلى أقرب الناس إليه ، ولا يزال يسيئ الظن بالخلص له إساءته
بالخائن ، لا يثق حتى بين صدقوه ، وكانوا من أكبر العوامل
في إنشاء دولته ، مثل أحمد بن محمد الواسطي الذي رافقه منذ ظهوره

في واسط إلى آخر أيامه . وما كان يهدأ له بال إلا إذا اطلع على ما تنطوي عليه قلوب عماله ، ولهذا كان يُغني من يقبله أمر البريد ، وإلى البريد يومئذ تُرَدُّ مراقبة العمال وغيرهم . وبغني من نديهم او افاته بالأخبار في بلاده وخارجها .

كان يُدرُّ الرواتب على عماله وقواده وغلمايه وجنوده يقبضونها مشاهرات ، ويجزل لهم الهبات والصلوات ، ليعتمدوا عن ظلم الناس ، آمنين على رزقهم ورزق عيالهم ، ويجري على المستورين والمستورات ، ويمسح إلى الفقراء بإطعامهم وكسوتهم ، ويحمل من ترضيه سيرتهم على دوابه ، ويجري الجرايات على المحاويج والمعوزين ، وجريدة صدقانه طويلة ، ومن قَدَّر له الوصول إليه ساعة رضاه يسعد . وكان يُفْضِلُ على الدُّسَّاكِ والفقراء والفقهاء والمحدثين والمتطيين والمهندسين يجري عليهم ما يكفيهم ، ولا يُعْنَى كثيراً بالمتجمين والشعراء على ما يظهر ، لبعده عن الاعتقاد بتأثيرات النجوم على أهل الأرض ، ولا تهمة كثيراً لمصانعات الشعراء . وقد مدحه أبعثري ثم هجاه ، ونوْفَرُ محمد بن داود على هجومه عند كل سانحة .

ظهر أن ابن طولون كان من المحافظين المأخوذين بعبادات لم موروثه ، يحافظ على صلواته ، ولا يخلو يوماً من التوسل والتضرع والسجود في الملا . وظهر أنه كان معتدلاً في عشرة النساء ، لا يُفْرَطُ

في التسري واقتناء الجواري ، وهم أبدأ حفظ نعمته ، وصيانة دولته . عهدناه بحب المتأدبة والطرب ، وبعقد مجالس الأُنس أحياناً ، ويتناول ما استحل تناوله من الشراب ، وكان حتى في مجالسه الخاصة ، يوتر الرقار ويصطنع التقوى ، وهو يحسن الجمع بين اللذات المحللة ، ويمتنع على ما يظهر عن المحرمات . فهو ذو شخصية خاضت كل عباب ، وطرقت كل باب .

أحسن ابن طولون الاضطلاع بأعباء الحكم ، وتمرس بالسياسة ، وقدّر التبعات التي أُلقيت على عاتقه ، فكان يهون عليه إمتاع نفسه لتسريح رعيته ، ويسهر عليهم ليناموا مطمئنين ، وبفضل بقلته ما نجم ناجم يجاذبه حبل السلطة إلا قضى عليه ، ولاقاومه عامل أراد خدمة بغداد على حسابه إلا قهره ؛ ومظم أهل هذه الطبقة قضوا في سجنه ، أو تحت سياط جلاديه ، وجرؤوا بأرجلهم جراً من حضرته ، على مكانتهم في أنفسهم .

حسب ابن طولون حساب كل طارئ ، وما كان يدور في خلدّه أن يفترس ابنه البكر المسمى بالعباس فرصة تغيب والده عن مصر فيجيش وهو نائبه عليها جيشاً ، ويستتبع أناساً من رجال أبيه ، ويحمل أموالاً وآلات كثيرة ، ويرحل إلى رَقة يرفع لواء العصيان على أبيه فيرمضه ويؤله . وكان من لؤلؤ ، وهو غلامه وغذي نعمته ، أن نار عليه في آخر عهده ، وفي أوقات حكمه

فأخذ أموال الجباية من الشام والجزيرة ، ولحق بالموثق عدو ابن طولون اللدود في دار السلام ، فباع ابن طولون حرمه وولده في سوق الرقيق .

كان ابن طولون في الظاهر لئب الممس لمز في بغداد ، وهو في باطنه شديد الوطأة عليهم ، لا ينزل لهم عن أقل حق من حقوقه ، هو بتقيهم لا يثقانهم ، لا يُرضيهم سيره بحال ، وكيف يرضون عنه وهم يتوجسون خيفة من انبساط يظل حاكمه ، ولا يفتأون يذكرون ويذكروهم الذاكرون أنهم دونه علماً وعقلاً وعدلاً ، وأنه يخشى أن يسكيد بعد حين لبني العباس

وكان من جملة وصاياه لقواده ولأبي الجليش ابنه وخليفته ألا يفتروا بخاريق أهل العراق ، وألا يندوا ما في نفوسهم عليهم ، وأن يذكروا أبداً أن من في مصر شجعاً في حلوق من في بغداد ، وتقدم إليهم ألا يضعوا أيديهم في أيديهم ، وقال لهم إني أعرف ذنبي لم . وكل هذا يدعو إلى التفكير في إخلاصه للعباسيين ، ويُلقي الشك في تزيده بإظهار إخلاصه لهم ، وأن دعواه أنه لا أرب له في نشوزه على ولي العهد إلا دفع عدوانه على أخيه مسألة فيما انظر ، وهو يعلم علم اليقين بأن الموثق يعمل ليله ونهاره في دفع صائل الأعداء عن دولتهم ، وإن اعتمد لا يستجيب لغير صوت شواته . ويلمح من يقرأ ما في القلوب أن الحرص على الاحتفاظ بمقوق المعتد ليس

كله من أجل يعة له في عنقه كما كان يزعم ، ولا كان انتصاره له
بعامل ديني قوي في نفسه ، بل كان هناك أمور يكتنّها صدره ،
ولا يعرف غيره سرّها ، ربما كانت تظهر لو لم تعاجله المنية .

ولولا حرب علوي البصرة ما تبسر لابن طولون أن يحكم هذه
الأعوام الطويلة في وادي النيل ، ولولا أنه أصهر إلى يارجوخ
من قوآد الترك في بغداد ما صارت إليه مصر مرة ثانية نيابة عن
حبه أيضاً ، كما كانت له على عهد بأكباك ، ولولا أن ملأ قلوب
رجال الدولة وصدورهم بهداياه ورشاواه لتقدم بعض الأقوياء من
أصحاب السلطان فاستولى على مصر قبل أن ترسخ قدمه فيها .
وما كان بعد ولايته عن الحضرة ، ولا صعوبة الوصول إليها ،
ولا المئة ألف عنان من جيشه لتنفعه لولا أن جاء في غفلة الدهر ،
وبنو العباس محكومون فعلاً للأتراك لا يعملون إلا ما يرضيهم ،
ومن عادة العباسيين إذا استبسلوا اقترسوا وإذا ضعفوا استكانوا وذلوا
وأياً كان فأحمد بن طولون وحيد عصره في إدارة الملك ،
رزق صفات تعذر اجتماع مثلها فيمن عاصروه ، وحسناته على التحقيق
أوفر من سيئاته . ومهما قيل في مواخذه فهو إلى الاعتدال أقرب
من معظم أمراء تلك الأيام . رأيناه لما حاول الموفق أن يقصبه عن
ولاية مصر كيف يعدد إلى استدعاء الخليفة المعتمد إلى مصر ليقم
فيها الخلافة المناسبة ، فلما تعذر نفوذ الخليفة إليه قام يخلم الموفق

في مدينة دمشق، ذا كراً في وثيقة خلعه أسباباً معقولة تنم عن جريرة
ودهاء، على حين رأينا الموفق يتقوّل عليه، ويشتمه على منابر
بلاده، ويرميه بالروق من الدين، ويتهمة بإخراّب ثغور المسلمين،
وبقتال المجاهدين بأهل الفسق الملعدين، وبإستباحة الحرم وسفك
الدماء، وكل هذا لم يحصل منه شيء، وكانت سياسة ابن طولون
عكس ذلك، كان يفضّ عن مساوي أصحاب الثغور، ويونهم
ويقوّمهم ليكونوا في حرز حرّيز من مطامع الروم. وعهد السلطان
إلى غير واحد أن يحموا حمى الثغور فأخفقوا، وما أمّن عليها إلا لما
عهدت حمايتها إلى كفاة ابن طولون.

وبعد فإن أنكر منكر شيئاً على ابن طولون فأكثر ما ينكر
عليه إسرائفه في سفك الدماء، قتل فيما قيل في سجنه ثمانية عشر
ألف إنسان. والمنكر اليوم يتكلم بعقلية ابن هذا القرن الناشئ على
حب الحرية، المتشبع بحقوق الإنسانية. ولا مريبة بأن الدماء كانت
رخيصة في الأزمان الماضية، وكان ابن طولون يحاول مع هذا أن يظهر
بظهر الشفقة، وما ندرى هل كان ذلك منه عن تدين ورحمة؟
إن معظم رجال السياسة كرجال المال قساة القلوب، غلاظ شداد،
لا يحنّون ولا يعطفون، وهم وإن حاولوا الظهور بما يقضي به الدين
أشدّ الخلق تحملاً من جوهره في باطنهم.

إن ست عشرة سنة قضاها ابن طولون في تأسيس دولته قد يقضي

الطفاة في الحكم مثلها ورضعها ، ولا يقوم لم عمل ، ولا يتم لم مشروع ،
أما هو قضى في آخر العقد الخامس من عمره محققاً الآمال بإصلاحات
كثيرة ابتدعها فعدت من بنات أفكاره ، ككتابه بوضع الأضابير
والجزازات والتقايد ، فكان حيث انقلب يصحبه كاتب يدون
كل ما يقوله وما يقال في حضرته ، فإذا كان الليل خلا بكاتبه ،
وأصلح له ما كتب ، ليحفظ ما دار من الكلام على حقيقته ويرجع
إليه عند الاقتضاء .

كان الراضون عن حكم ابن طولون ، المنتبطون بأيامه أكثر من
الناقين ، استراح الناس إلى أحكامه ، على أنه صورة من رجل
الاستبداد يخالط سيرته تدين وتصفون ، في عصر فسد بعض أوضاعه ،
وفي دولة قامت باسم الدين وهدفها الدنيا ، يترخص الصالح والطالح
من أصحاب ولاياتها إهراق الدماء ، وهل كان ابن طولون إلا واحداً
منهم ؟ نتقف في تلك المدرسة ، وجرى على تلك الطريقة ، استحل
احتجان الأموال كما كانوا يجتنبون ، وجرى على من لا تسمع أصواتهم ،
وهو إلى هذا يطعم الفقراء ، ويصطنع الرحمة ، ويمجد على من ينفعه
أو يتوقع نفعه ، ويقيم الشمائر الدينية ، ولا يصل إلا ما فيه فتنه
العامة ، بيد أنه كان ممن يأخذ ويغطي ، ويخزن وينفق ، ويمدل ويظلم ،
ويجمع بين المصلحة العامة والمصلحة الخاصة . يعرف ما يريد وما يؤرد ،
وما يجب وما لا يجب ، وهدفه الأنسى استقلاله بالديار المصرية ، وتركها

إرثاً شرعياً لأولاده من بعده ، سعى لذلك ضرروب السبي ، وما تعفف
بلوغ غرضه عن ارتكاب كل عظيمة .

لأحمد بن طولون مشابه من الحجاج بن يوسف الثقفي ، يتشابهان
في إحسان السياسة ، والتجديد في طرق العمل ، وبقوة العزيمة وشدة
البطش . الحجاج مثال العربي الحازم في القرن الأول ، وابن طولون
مثال التركي الحازم في القرن الثالث ، جاهد الحجاج لتكوين كلمة دولته
هي العليا ، وجاهد ابن طولون فكان جهاده لنفسه ولييته . ذلك لم يخلف
من حطام الدنيا شيئاً يُعتدُّ به ، وهذا خلف من الخزائن والكنوز
ما لم يخلف أعظم أمراء تلك العصور مثله .

محمد كرد علي



الحمد لله

الحمد لله وبه أستعين ، الحمد لله خالق السموات والأرض وما بينهما ،
من الآيات الدالات على حكمته ، الشهادات على قدرته ، المنبئات على
وحدانيته ، حسن نظم فطرته ، « لَوْ كَانَ فِيهَا إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا »
فسبحانه من ملك قدير ، وإله خير . وصلى الله على محمد رسوله
الأمين ، وخيرته من العالمين ، المبشر بالجنة عباده المؤمنين ، وبالنار
أعداءه الكافرين ، وعلى من تقدمه من النبيين ، وعلى آله الطاهرين .

فهمتُ ما ذكرت ، جعلني الله فداك ، في سيرة آل طولون ،
وأنت قرأت كتاب أحمد بن يوسف في ذلك ، فلم يكن موقعه منك
العرض الذي إليه ذهبت ، ولا المعنى الذي له نعمت ، وأنت تريد
ما هو أكبر منه شرحاً ، وأكل وصفاً . وأن أحمد بن يوسف كان
يمرُّ في شرح قصة ثم يرجع إلى ما هو قبلها ، وأنه كان يخلط
أخباره ^(١) ، يأتي بقصة من قصصه التي تدلُّ على ذكاء عقله وفضته ،

(١) كان الأولى أن تكون عبارة مكلفاً : اخبار أحمد بن طولون . أو يأتي قصة من قصص
أحمد بن طولون فإن الضمير في الباريين أيهم الكلام مع بد الفاعل وسير بالفارسي . في هذا
الكتاب أمثلة كثيرة من هذا القبيل بد فيها الضمير عن الفاعل الرجوع إليه مكافئ للضمير
إلى غرض .

ولطيف حسه ، ثم يأتي بضدها ، وأنه لم يأت بجميع أخباره ، ولا أخبار أبي الجبش ابنه ، وما كان من جميل أفعاله ، وحسن آثاره ، ولا أخبار سائر إخوته بعده .

طريقة المؤلف ل
تأليفه

وقلت ما هكذا أرّخ الناس الأخبار ، ولا عليه نظم العلماء الآثار ، وأردت أن يكون ذلك مستقصى جميعه ، وعلى ترتيب في شرحه ، ولا يذكر آخرًا قبل أول ، ولا يقدم سالفًا على آتف ، وقد امتثلت أمرك فيما أردت ، وسلكت فيه الذي اخترت . ولم أدع من أخبار جماعتهم شيئًا مثله يوزخ وبه يتأدب وله يستحسن إلا ذكرته ، وجعلت ذلك أبوابًا [ولم أذكر في] الباب ما ليس من شكله ، ولا خلطت به ماخرج [عن أصله ، وإن] ابن آدم لا يخلو من نقص ونقصير ، ولم يعرّ من ذلك العلماء الواصفون لشرائط الدين ، والمبلغون سنن المرسلين ، وكيف ما إن قصر عنه مقصر لم يوزر ، وإن بالغ فيه مجتهد لم يوثجر .

لغة العباسين
بالأثر

فأول ذلك ، أعزك الله ، أن المعتصم بالله ، لما اختص الأتراك ووضع من العرب ، فجعل الأتراك أنصار دولته ، وأعلام دعوته ، وبذلك احتج عليهم العلوي البصري فقال :
واستفتحوا بالترك أمرهم لم يستفتحوا بالأوس ولا بالخرزرج

(١) كذا في الأصل ويمكن أن يستقيم مناه هكذا

واستفتحوا بالترك أمرهم ما استفتحوا بالأوس والخرزرج

فكان من عَظمتِ عندهم منزلته، وحدث طريقته، أزموه خدمتهم،
وجعلوه الذَّابَّ عن بيضتهم، وقُلْد الأعمالِ الجليلةِ الخارجةِ عن
الحضرة^(١)، واستخلفوا له عليها الخلفاء، وحُمِلَ إليه مالها، ودُعِيَ
له على منابرها .

مصر على عهد
العباسين

فكانت سبيل مصر عندهم أن يُجَيَّبَ بها من صحت فيه هذه
الصفة التي قدمنا ذكرها، كما فعل هارون الرشيد بعبد الملك بن صالح،
والمأمون بطاهر بن الحسين، والمعتمد بأشناس، والواثق بإيثاخ،
والمتوكل نبغاً ووصيف، واليهدي ييارجوخ، وكما قدم نبغاً وأتلمش
وغيرهما قتلت مصر باكبك، والتدس له خليفة فوجه به إليها .

اصل طولون
والد احد

وكان أحمد بن طولون قدمات أبوه في سنة أربعين ومائتين،
ولأحمد عشرون سنة، من جارية كانت لأبيه تعرف بقاسم، ولدت
أحمد في سنة عشرين ومائتين، وولدت بعده أخاه موسى وحسية
وسمانة . وكان طولون من طفرغر، حمله نوح بن أسد حامل بخاري
وخراسان إلى المأمون، فيما كان موظفاً عليه من المال والرقيق والبراذين
وغير ذلك في كل سنة، وذلك في سنة مائتين .

وسألت أبا العباس أحمد بن محمد الكوفي^(٢)، وكان خبيراً بأمر

(١) ينون بالحضرة حضرة أبي العباس أو حاسة خلاصهم وكانت بخداد أولاً ثم سر من رأى
أو سمرًا (٢) رواية ابن الداية : وقت : (أي ابن الداية) لأبي العباس بن خنات
والسؤال هو نفس سؤال البلوي فسكو والجواب مثله والعبارة تكاد تكون واحدة .

الأتراك ، عارفاً بأحوالهم ، عن أحمد بن طولون وقلت له : إن الناس في أمره فريقان أحدهما يقول إنه أحمد بن طولون وإن يلبخاً كان زوج أمه قاسم ، والآخر يقول إنه أحمد بن طولون وإن يلبخاً ابن قاسم جارية طولون ، فأكذب ذلك وضحك منه وقال لي : بليخ هذا تركي سبي مع طولون ، وكان خفيف الروح يُغني بالتركية ، مستحلي الكلام ، فلما مات طولون أئزمه الوفاء له القيام بأمر ولده ، والمحافظة عليه ، فكان يركب معه حتى يوصله إلى المواضع التي لم يكن أحمد يصل إليها الحدائنة سنة ، وصغيره عن ذلك ، وكان كل من يراه معه يقول له : هذا ابنك ؟ فيقول : نعم ، هو ابني وابن سيدي رحمه الله . وتوفي بليخ بعد وفاة طولون بعشر سنين ، ولم يخلف إلا طفلة ، فكان أحمد بن طولون يُجري على أمها وعليها ما يسمها من الرزق حتى ماتتا .

وقال لي : وبما يدل على صحة ذلك أن الموفق لما لعن أحمد بن طولون أسنده إلى طولون ولم يُسنده إلى بليخ ، ولو كان ابن بليخ لما زوج به يارجوخ ابنته ، لأن يلبخاً كان عندهم مقيماً ، وطولون معروف بالستر والصيانة .

فنشأ أحمد بن طولون نشوياً جميلاً غير نشوء أولاد العجم ، من بعد الهمة ، وحسن الدين ، والذهاب بنفسه عما كانت تُسَفُّ إليه

أولية أحمد بن
طولون

طبقته، وطلب الحديث وأحب العزوة^(١)، وخرج إلى طرسوس مرات، ولقي شيوخ المحدثين، وسمع منهم، وكتب العلم. وحصل له من ذلك قطعة كبيرة

وألف بطرسوس جماعة من الزهاد، وأهل الدين والورع، فأدبوه بأدابهم، فحسنت طريقته، وظهر فضله، فتمسك له في قلوب الأولياء ما ارتفع به على طبقته، وبان فضله على وجوه الأتراك، وصار محله عندهم محلّ من يوثق به على الأموال والأسرار والفروج، ومثل هذا عند العجم محله عظيم في نفوسهم، لو تصنع به متصنع، فكيف من مبتدئ غير متصنع. فخطب إلى يار جوخ ابنته فزوجه، وكانت أمّ ابنه العباس [وابنته] فاطمة

فلما كان في نفسه من محبة الخير ورغبته فيه، سأل الوزير^(٢)

(١) كذا ويحتمل أن يكون الرب

(٢) في القطعة الأخرى من كتاب أحمد بن يوسف الكلاب في سيرة ابن طولون أن أحمد بن طولون مع قاتله وجماله في قوس الأتراك كان شديد الإهراء عليهم، يستعجز حقولهم وآدابهم، ويذكر أنهم قد تسبوا من المراتب ما لا يستحقون، وأن حرمة الدين بهم هتوكه، وفرائضه مسطلة. قال لأحمد بن محمد بن خاتان يوماً: إلى كم بالخي تم على هنا الأثم؟ لا نطأ. موطأ الأكتب علينا خطيخ. والصواب أن نسأل الوزير عبيد الله بن يحيى إن يكتب لنا بأرزاقنا إلى التفر تم به في تواب قائم، وجهاد متصل. قال: فركنت إلى هذا، ورفنا إلى عبيد الله صفة مكتب ارزاقنا في التفر. فلما اتينا إلى طرسوس، ورأى ما التاب عليه من الأسر بالمروف وبجانب السكر، أنست نفسه وزال استيغاشه، وتبع المحدثين، ولم يكن يدخل إلى منزله من التفاضل بهم إلا ليلاً. قال: فكننت إذا رأيته بهذه الحال أبيت من أن يصرف في شيء من أعمال السلطان.

أن يكتب له برزقه إلى الثغر^(١)، وعرفه رغبته في المقام به، فأجابه الوزير عبيد الله بن يحيى إلى ذلك وكتب له به، وخرج فأقام بطرسوس مدة، وشق على أمه مفارقتها لها، فكتبت به بما أقلقته. فلما قتل الناس إلى سر^(٢) من رأى^(٣)، قفل معهم بسبب أمه، وكان جملة القائلين نحواً من خمسمائة رجل، والخليفة يومئذ المستعين بالله.

هوام الخليفة
بالطراف الرومية

وكان قد انفق أن المستعين بالله استحسناً شيئاً يعمل ببلاد الروم، من بز يون^(١) وكراسي حديد منقوشة بأحسن نقش، يجري فيها الذهب، وأشياء يضمن بها الملك أن تخرج إلى أرض العرب، فأنفذ خادماً من خدمه يتكلم بالرومية إلى ملك الروم، برسالة جعلها سبباً لما يريد، وأمر الخادم أن يتلطف في ابتياع ما تهيأ له مما قدمنا ذكره وقد رعى عليه، وخرج الخادم ووصل إلى ملك الروم وأدى الرسالة، وأنزل في دار فرشت له، وبلغ في إكرامه كل مبلغ، وجعل يلمس شراء كل ما يمكنه بضعف ثمنه المبيع منه، فاشترى ما حصل له منه وقر بقل، لم يمكنه أكثر منه.

(١) الثغر (الفتح ثم الكون وواو): كل موضع قريب من أرض العدو سمي ثغراً وانه ثمر الشام وجه تنور ومن مدن التنور تياس، الاسكندرونة، المصيصة، أذنة، طرسوس، ومن تنور الجزيرة مرعش وانطاكية وبراس، قال البكري: واخذل الرشيد التنور من الجزيرة وقرنين وسها الواسم.

(٢) سر من رأى ويقال لها سامرا، بلدة كانت بين بغداد وتكريت شرقي دجلة على ثلاثين فرسخاً من بغداد وهي من المدن التي أحدثها الباسيون.

(٣) ضرب من نسج البز أو من رقيق الدياج.

فأجاب ملك الروم المستعِين عن رسالته ، وحمل إليه هدايا حسناً ،
وخلص الخادم ذلك البغل المحمل ذلك المتاع بالحيلة ، على محله من أمير
المؤمنين في حمله ما حمل معه ، وخرج حتى حصل بطرسوس^(١) ، وخرج
مع القافلين ، وفيهم أحمد بن طولون .

ظهر أحمد بن
طولون بالشجاعة
والنجدة

ومن رسم الغزاة أن يسيروا متفرقين مثل العقبان ، فنظرت
الأعراب شيئاً من سوادهم^(٢) في بعض المواضع فأخذوه ، ووقعت
الصيحة ، وجاء النذير إلى الطائفة التي فيها أحمد بن طولون .
فكان أول من انتدب ، وحض على القتال ، والذهب خلف
الأعراب إلى حيث قصدوا ، وسار يريدهم ، فلما رآه الباقون اتبعوه ،
فكان أول من لحق بالأعراب ، ووضع فيهم السيف ، ورمى بنفسه
عليهم ، وحذفهم بالثياب ، وكان حسن الرمي لا يُخطئ شيئاً ، فحلى
الأعراب عن جميع ما أخذوه ، ونجوا بأنفسهم على خيولهم

(١) طرسوس: بلدة بالننور التابعة على ثلاثين كيلومتراً من مرسين كانت الى القرن الرابع من
الهجرة . مقر الزهاد والعلماء . واستولى عليها الروم ثم الصليبيون ثم فتحها المماليك التركان أصحاب مصر
ودخلت في القرن العاشر في حوزة الدولة العثمانية وهي اليوم من كورة كيليكيا وتمتد من ولاية
أذنة ولها قبر أمير المؤمنين المأمون الباسي رضي الله عنه . وشبابها البكري لي سبهم ما استجهم
بضم الأول واسكان الثاني وقال لها مروعة من التنور الجزرية قال أبو حاتم هكذا يقول الأصمعي
وغيره . يقول طرسوس بفتح أوله وتانيه قال ولا يجوز فتح الطاء . واسكان الزا .

(٢) السواد : المال الكثير

وكان فيما أخذه الأعراب البقلُ المحمّلُ ذلك المتاع الذي لم
يُوصل إليه إلا بالحيلة ، وكانت نفس الخادم قد كادت أن تخرج لذلك ،
خوفاً على قوت ما أمّله من جائزة أمير المؤمنين ، وبإسألته من
التعب والمخاطرة قبل أن وصل إليه ، ولما سلم سكن رُوعه ، ورجع
إليه عقله ، بعد أن كاد يزول .

وعظّم أحمد بن طولون في عينه وقلبه ، وصار له كالعبد ، وكبر في
قلوب أهل القافلة ، فلما وصلوا إلى العراق أحضر الخادم ذلك المتاع
إلى المستعين ، فاستحسنه وسرّ به كل السرور ، فذكر له الخادم
ما عاناه في أمره قبل الوصول إليه ، وقال له : وأعظم ما جرى
يا مولاي أنه لما حصل وسلم إلى طرسوس ، وقلت مع الناس ، خرج
علينا الأعراب فأخذوه ، فلولا أن الله جلّ اسمه منّ عليّ بفلام من
غلمان مولاي أمير المؤمنين يُعرف بأحمد بن طولون ، فإنه أول من
انتدب وخرج إليهم ، وحصله وجميع ما أخذوه ، لقتلت نفسي
أسقاً على فواته .

فازداد به المستعين سروراً ، وأمر في الوقت لأحمد بن طولون
يألف دينار ، وقال للخادم : إمض أنت بها إليه سرّاً ، وأقرئه مني
السلام ، وقل له عني : لولاخوفي من أن يُعلم محله من قلبي فيحسد ويقتل
لبغّفته أفضل مراتب أمثاله ، وإذا هو دخل إليّ في المسلمين أربيه .

حبة الخليفة لأحمد
ابن طولون

فأوصل إليه الخادم المال ، وعرفه الرسالة ، فحمد الله عز وجل على ذلك .
فلما كان يوم السلام ، ودخل مع الأولياء ، غمز الخادم المستعين
عليه حتى رآه ، فأشار إليه المستعين بالسلام . ولم يزل يفعل ذلك ،
كلما دخل إليه في المسلمين ، ويوجه إليه بالصلاة الوافرة في كل وقت ،
دفعه بعد دفعة ، حتى حسنت حاله بذلك ، وهب له جارية اسمها
مياس فولدت له أبا الجيش في النصف من المحرم سنة خمسين ومائتين .

خلع المستعين
وتسلمه لابن
طولون

وإسا كان من أمر المستعين ما كان من تنكّر الأتراك عليه ،
واستقر الأمر بعد ذلك على أن يصير المعتز على الخلافة ، وينق
المستعين إلى واسط^(١) ، مع رجل يختار له ، يوثق بدينه وأمانته ،
وترضى به الأتراك ، ويأمنه على نفسه ، وقع اختيارهم على أحمد بن
طولون ، فسلم إليه ومضى به إلى واسط ، وأحسن عشرة المستعين
وشكر له ذلك الجميل في أمره ، فأطلق له التزهد والصيد . وكره
أحمد بن طولون أن يلحقه منه احتشام ، فآزره أحمد بن محمد الواسطي
كاتبه ، وكان يومئذ غلاماً جريئاً ، حسن الشاهد ، حاضر النادرة ،
فأنس به المستعين غاية الأُنس ، وشكر لأحمد بن طولون ما يأتيه
في أمره ، ولم يألُ أحمد بن طولون حرصاً في خدمة المستعين وتوفيقه حقه .

(١) بلدة في الرمان قائمة إلى الآن استعملها المهجاج بن يوسف التقي في سنتين ويقال لها واسط
التصب أو هو قصر كان قد بناه هو أولاً قبل أن يبنى البلد

امتاع ابن
طولون من قتل
المستعين

فلما تمت البيعة للمعتز ، وخلع المستعين ، أنفذ إليه أهله وولده ،
فأقام بواسط مدة ، واجتمع غلمان المتوكل ، وقالوا نخاف من كيد
بلحق المعتز من المستعين ، فصاروا إلى قبيحة أمه ، فعرفوها ذلك
وخوفوها منه ، وقوي الخوف في نفسها فاضطربت له ، فعزمت على
قتله ، فحضر الأولياء ونشاوروا في ذلك فأشاروا به ، فكتبت قبيحة
أم المعتز إلى أحمد بن طولون : « إذا قرأت كتابي فجثني برأس
المستعين ، وقد قلدتك واسط » . فلما وصل الكتاب إليه اغتم غمًا
عظيمًا ، وكتب إليها يقول : « والله لا يراي الله عز وجل أقتل خليفة
له في رقبتي بيعة وأيمان منلظة أبدًا » .

فلما ورد كتابه بذلك زاد به في قلوب الأتراك محلاً كبيراً ،
ووسموه بحسن التوقف وجميل المذهب ، وأحسن أحمد بن طولون في
ذلك وأجل رحمه الله . كما أمر الحجاج بن يوسف رجلاً من التابعين
بقتل رجلٍ اتهم بما أراد قتله بسببه فامتنع وقال :

واست بقائلٍ رجلاً يُصلي على سلطانٍ آخر من قریش
له سلطانه وعليّ إثمي معاذ الله من جهلٍ وطيش
إذا طأوعته وعصبت ربي فما فضلي هناك على قُبش
وكان قُبش هذا رجلاً خليماً ماجناً ماردًا .

ووجهوا إلى أحمد بن طولون لما امتنع من قتله بسعيد الحاجب ،
وكتبوا إليه ليسلم المستعين إليه ، وبنصرف عن واسط إلى سر من رأى ،
ف فعل ذلك وأحمد الناس كلهم فعل أحمد بن طولون ، وشكره عليه
الخاص والعام .

حدث أحمد بن محمد الواسطي قال : وكنت مع المستعين بالله على
الرسم ، فرأينا غيرة خيل قد أقبلت ، فأنفذ غلاماً له يركض ليعرف
له خبرها ، فماد وقال : هو سعيد الحاجب ، فاصفر لونه ووجيم^(١) ،
فقال لي : يا أبا عبد الله أنا استودعك الله ، هذا جزار بني هاشم قد
جاءني ، فحررت وجزعت ، وعدنا جميعاً .

ووافي سعيد في أثرنا ، فأوصل إلى أحمد بن طولون الكتاب ،
فأحضر قاضي واسط والشهود ، فأشهدهم على تسليمه إياه سليماً ، فسلمه
وأخرجه من وقته إلى الصحراء ، وضرب له خيمة فأدخله إليها ، فأقام
سويعة وخرج ، وألقى الخيمة عليه ، وركب من وقته دابته ،
وسار راجعاً .

فلما بعد آتينا الخيمة فرفعناها ، وأحمد بن طولون معي ، فإذا
بيضة المستعين مطروحة على الأرض ، وقد صرعه وأخذ رأسه ومضى .
فأقبل أحمد بن طولون يبكي وينتحب عليه ، كما تبكي الثكلى ، وأنا معه
كذلك ، لما ورد على قلبه منه ، ولم يزل قائماً على رجله حتى غسل
وكفن وصلينا عليه وواريناه ، ورحل إلى سر من رأى

(١) وسيم وجماً ووجوماً : سكت على غيظ والنهي . كرهه .

مبدأ سعادة ابن
طولون بتولية
مصر

ووافق دخوله سر من رأي تقليد باكبك مصر ، وانتماسه من يخلفه
عليها ، فقيل له أحمد بن طولون : الثقة الأمين ، الخبر ، الدين ، الخير ،
فقلده خلافته وضم إليه الجيش .

ورحل إلى مصر فدخلها يوم الأربعاء لسبع بقين من شهر رمضان
سنة أربع وخمسين ومائتين ، مقلداً للقبصة دون غيرها ، من الأعمال
الخارجة عنها مثل الإسكندرية وغيرها ، ودخل معه أحمد بن محمد
الواسطي ، وكان خليطاً به جداً ، وأبو يوسف يعقوب بن إسحق ،
كان الوزير قد قرّنه به .

فحدثني شيخ من شيوخنا قال : جلست في بعض الدكاكين
الشارعة^(١) مع الناس ، لانتظر دخول أحمد بن طولون البلد وترتيبه ،
وكان معي في الدكان رجل مكفوف يعرف بأبي قبيل^(٢) صاحب
الملاحم ، فسأله رجل كان معنا عما يجده في كتبهم ، فقال : هذا رجل
نجد صفته كذا وكذا ، ويتقلد البلد هو وولده قريباً من أربعين سنة .
فما تم كلامه حتى أقبل أحمد بن طولون ، فكانت صفته كما وصف في
صورته وشماله ، لم يغادر منها شيئاً . وكانت مدة الطولونية ثمانين
وثلاثين سنة .

(١) شارع المنزل مار على طريق نافذ وهي دار شارعة وتزل شارع .

(٢) زعيم التنطلي صاحب طبقات الحكماء . هذا المكفوف قال : المكفوف الملاحمي
المصري ، هذا رجل كان يهر ، وكان مكفوفاً يسب إلى قبيل الملاحمي يشكم في علم الهدى ثمان
ويصيب في الأكثر . وذكر قصة دخول أحمد بن طولون القسطنطينية وما قاله بنحو من هذه
البارة إلا أنه استدها للحسن بن واقع الكاتب .

ودخل أحمد بن طولون مصر، وكان على خراجها أحمد بن محمد بن مديبر^١ وكان من دهاة الناس، وشياطين الكتاب والعمال الأجلاد، فحبسك أنه ابتدع بمصر بدعا صارت سنناً إلى اليوم لا تنتقض. ولقد حرص أبو الحسن علي بن عيسى بن الجراح عند دخوله مصر أن يتنقض شيئاً منها فماتت له، علي صناعته ودهاته بين الوزراء الذين كان هو باركهم^(١) فما ابتدعه بمصر: النظر، وكان مباحاً لجميع الناس بمصر، فصير لهم ديواناً مفرداً، وعاملاً جلدًا، يحظر على الناس أن يبيعوه أو يشتروه إلا من جهته. والمرامع، وهي الكلا المباح المطلق التي أنبتا الله عز وجل لعباده ترعاها بهائمهم. والمصايد، وهي ما أطعم الله جل اسمه من صيد البحر.

فلما احتشم ابن مديبر من ذكر المصايد، وشناعة القول فيها، أمر بأن يكتب في الديوان: خراج مضارب الأوتاد، ومفارش الشباك وغير ذلك بمصر. وله بالشامات^(٢) أمثال هذا.

فحين دخل أحمد بن طولون أهدي إليه ابن مديبر هدايا حسنة، قيمتها عشرة آلاف دينار. وكان ابن مديبر خرج لتلقيه عند دخوله، ومعه شقير الخادم^(٣) وكان صاحب البريد^(٤) يومئذ بمصر، وهو

(١) هكذا في الاصل - (٢) الشامات: بلاد الشام.

(٣) قال اليعقوبي: وتلامي أحمد بن طولون واحد بن المديبر وهو حامل الخراج بمصر وانسد بينهما شقير الخادم المعروف بأبي صعبة (في رواية ضعية) فكان شقير يتولى البريد وضياعاً من ضياح الاقطاع وما يستعمل للسلطان من المتاع واليه يسب الديقي الذقيري وكتب كل واحد منهما في صاحبه قصر ما كساك أحمد بن طولون. وكان ما كساك الطالب على امر الخليفة واعانه الحسن بن محمد بن الجراح وأبو جوح عيسى بن ابراهيم بن سوح فسكتب جزل ابن المديبر وتولية رجل من اهل مصر يقال له محمد بن هلال فتولى الخراج وقضى ابن طولون على ابن المديبر قتله والبسه جبة صوف ووقفه في الشمس فأقام بهذه الحال ثلاثة أشهر (٤) صاحب البريد

دهاء ابن طولون
وما عمله لظهوره
بمظهر العظمة

غلام قبيحة أم المعتز المعروف بأبي صعبة ، فلما تلقياه وسلما عليه بش^١
بهما وأحسن مخاطبتهما
ونظر بين يدي أحمد بن مدبر مئة غلام من موآدي الغور^(١) ،
قد انتخبهم ، وجعلهم عدوةً وجمالاً ، وكان لهم خلق حسن ، وطول
أجسام ، وبأس يعرفون به شديد ، وعليهم الحفائين^(٢) والأقبية والمناطق
الثقال العراض ، وبأيديهم مقارع تامة غلاظ ، على كل طرف من
أطرافها فضة مقمعة بها ، وكانوا يقفون في حافتي مجلس ابن مدبر إذا
جلس ، وإذا ركب كانوا بين يديه ، فكانت له بهم هيبة عظيمة في
صدور الناس إذا رأوهم .

فلما أهدى إلى أحمد بن طولون الهدية التي قدمنا ذكرها ردّها ولم
يقبلها ، فقال ابن مدبر^(٣) : إن هذه لهمة عظيمة ، ومن كانت هذه همته

— كان إليه الأخبار وقد اثار الامام ابو يوسف في رسالة الخراج التي بت بها الى الرشيد الى
اختلال امور هذا الديوان في عهده قال : بلغني عن ولائك على البريد والاخبار في التواصي
تخليط كثير وعناية فيها يحتاج الى معرفته من امور الولاة والتواريخ ، واتهم رجاء مالوا مع المال واستروا
اخبارهم وسوء سامتهم لتاس وربما كتبوا في الولاة والمال بالم يخلوا اذا لم يرضوهم وهذا ما ينبغي
ان يتفكره وتأمر باختيار الثقات المدول من اهل كل بلد ومصر فتوليم البريد والاخبار . قال :
ومن لم يكن اصحاب البرد والاخبار في التواصي ثقات عدولاً فلا ينبغي ان يقبل لهم خبر في قاص
ولا وال فاذا لم يكن صاحب البريد عدلاً فلا يجمل استمال خبره ولا يقوله .

(١) النور (بضم اوله وسكون ثانيه) جبال وولاية بين هراة وغزنة وهي بلاد واسعة موحدة
هنا مائة ياقوت والثالب ان هؤلاء النطان من تلك البلاد لأن النور (بفتح التين) والسلكون
في الاغوار في العادة سر البصرة .

(٢) الحفائين واحدهم حفان ضرب من الثياب ومنها التنظان بضم الفاء وفتحها .

(٣) في المسكافة : ما ينبغي ان يتق السلطان بمن لم يكن لشرة آلاف دينار في عينه قدر
على طرف من اطراف مملكته . وهو اقرب الى صحة المعنى .

فقير مأمون على طرف من الأطراف ، وكان في ابن مدبر دهاً عظيماً ،
ورباً كبيراً ، فخافه ^(١) وكره مقامه معه في البلد ، فاجتمع مع شقير
صاحب البريد ، على أن يكتب فيه إلى أمير المؤمنين بما يقدران
به إزالته .

فلما كان بعد أيام كتب أحمد بن طولون إلى ابن مدبر : « قد كنت
أعزك الله ، أهديت لنا هدية وقع الاستغناء عنها ، فلم نجز نغتم ^(٢) مالك ،
كثرة الله ، فرددناها توفيراً عليك ، وأحب أن تجعل العوض منها
الظلمان الذين رأيتهم بين يديك ، فأنا إليهم أحوج منك . » فقال ابن
مدبر : هذه أخرى أعظم مما تقدم قد ظهرت من هذا الرجل ،
كيف آمنه إذا كان يراد الأعراس والأموال ، ويستهدى الرجال ويستأثر
عليهم ، ولم يجد ابن مدبر بداً من أن يبعثهم إليه ، فتحولت هيئته
إليه ، وتقصت هيئته هو بمفارقتهم مجلسه ، وزال جاملهم له بين يديه
في ركوبه ، وكتب يخبره إلى الحضرة . ونفى الخبر إلى أحمد بن طولون
فأمره في نفسه ولم يبد ، فأقام أحمد بن طولون أيام المعتز ، فلأمات
وجلس المهدي بالله ، كان في نفسه على بابك ما بعثه على قتله إياه ،
ورد جميع ما كان له وفي يده إلى يار جوخ التركي . وكان بين يار جوخ
وبين أحمد بن طولون أجل مما كان بينه وبين صاحبه بابك ، لما
قدمنا ذكره من تزويجه ابنته من زوجته التي كان المتوكل أزوجه

(١) أي خاف أحمد بن طولون (٢) تنه عنه عدة خيبة

إياها، وكانت من جواريه، وكان لها محل وجلالة خطر، فكان
بارجوخ من أكبر عدد أحمد بن طولون

تليت ابن طولون
في إمارة مصر

فلما حصلت مصر لبارجوخ، في جملة ما حصل له من أمور بابك،
كتب إلى أحمد بن طولون يعرفه ما جرى ويقول: تسلّم من نفسك
لنفسك. وزاده جميع الأعمال الخارجة كانت عن مصر. وكتب إلى
إسحق بن دينار^(١)، وهو متقلد الإسكندرية بتسليمها إلى أحمد بن
طولون، وعظمت منزلته، وورد على ابن مدبر ما زاد في قلقه وغمه،
ودعته الضرورة والخوف منه إلى ملاطفته، والتقرب من قلبه.

كان موسى أخو أحمد بن طولون رجلاً فيه خير، فلما حصلت
الإسكندرية لأخيه، وهي بلد ثغر، أحب المقام بها، فسأل يعقوب
أبا يوسف الكاتب، الذي كان ضمه الوزير إلى أحمد بن طولون عند
رحيله إلى مصر أن يسأل أخاه في تقليده إياها، وكانت بينه وبينه
مودة، فقال له: ابتدئ أنت بالقول، وأنا أكفيك إذا خلوت به،
فخطب أخاه على مضض منه، لأنه كان لما قدما البلد أمر فيه ونهى،

طلب موسى بن
طولون ولاية
الإسكندرية

(١) في المختصر من ابن الداية ان بارجوخ ردّ الى احمد بن طولون الأشغال الخارجة
من معونة مصر الى يده قسّم من اسحق بن دينار الاسكندرية ومن احمد بن عيسى
الصعيد وبرة.

كما^(١) يفعل الأخ الشقيق [مع الشقيق] فنقل ذلك على أخيه ، حتى إنه قصد قوماً كان أخوه يعنى بهم بالأذية .

وأمسك موسى عما كان يعمله ويحمل مسأله ، فيخرج من البلد ولا يكون معه فيه لما بينته . فلما سأله ردّ عليه ردّاً ضعيفاً فأغضبه ذلك ، فقال له : تالله لقد أيست منك ومن مرتبة أنا لها بك في الدنيا ، وإنما طلبت هذا البلد لأنه ثمر من الثغور ، اخترت المقام فيه والتعبد ، فوعده بتقليده إياه .

وكان أحمد بن طولون يتوقع من يار جوخ إنفاذه إليه الكتيب بولاية الثغور الشامية ، وقد رشح أخاه موسى لتقليده إياه طرسوس ، فإنها أجل مما طلب منه ، وأسر ذلك إلى أن ترد الكتيب به عليه ، وأراد أحمد بن طولون بولاية أخيه طرسوس إحباط ذكره بالثغر لأنه كان أغلب البلدان على قلبه محبةً ، وآثرها عنده .

وعزم أحمد بن طولون على الخروج إلى الإسكندرية لمشاهدتها وتسلمها ، فسأل موسى أبا يوسف الكاتب معاودة أخيه في أمرهاله ، حسب ما وعده ، فضاطبه في ذلك فوعده أيضاً . وخرج أحمد بن طولون إليها مرابطاً ، فراح بما حصل له منها ، لمحبتته الثغور لا غير ، وكان ذلك في سنة ست وخسين ومائتين

(١) قال أحمد بن يوسف : قلت لأبي جعفر محمد بن موسى بن طولون ، وكان لي صديقاً وفي حياً ، وقد رحل إلى مصر بعد قتل أبي الجيش : لم تغل مدة أبي عمران موسى مع الأمير أبي العباس أحمد بن طولون بصر ، واحب ان اتق على السبب في ذلك ، وما الذي فرق بينهما ؟ قال : لما دخل والدي الى هذا البلد امره فيه ونهى كما يفعل الشقيق مع الشقيق فنقل ذلك على أحمد بن طولون قصد بالأذية من قدم والدي الثابة به ، فأمسك عن الأمر وانتهى .

الغباط ابن
طولون بولاية
مصر

فحدث الواصل بن أحمد بن محمد كاتبه عنه أنه قال لما وردت عليه
الكتب برد الأعمال الخارجة إليه : الحمد لله كثيراً ، وقال : تركنا
لله عز وجل شيئاً واحداً ، عوضنا منه أشياء أعظم منه وأجود وأحد
عاقبة . كانت نهاية ما وعدنا به على قتل المستعين بالله تقليد واسط ،
نخفنا الله عز وجل في قتله فلم نقتله ، فعوضنا جل اسمه مصر وغيرها .
فلما قرب من الإسكندرية تلقاه إسحق بن دينار ، وقد كان وقف
على ما جرى ، وتوقع صرفه عنها فخرج إليه حتى بقيه بأبعد المواضع ،
فلما رآه ترجل له ، وأعطاه بحق الرياسة عليه ، فأحشم^(١) ذلك منه
أحمد بن طولون وكان حياً ، رقيق الوجه ، فاستحيا منه أن يصرفه
عن البلد فأقره عليه .

مطالبة موسى بن
طولون بوعد
أخيه وضربه
مقارع به أحمد

وجعل موسى يتربص من أخيه إنجاز وعده له ، فلما طال ذلك سأل
أبا يوسف أيضاً المسألة ، وقال له أبو يوسف : أيد الله الأمير ، أخوك
منتظر لوعدك ، فقال له : ويحك قد كان ما وعدت به ، وتألفه إلي
لأمل له ما هو أجل منه ، وقد ترى ما صنعه هذا الرجل معنا من
الجليل ، على محله أيضاً في نفسه ، ولا والله ما يحملني وجهي أصرفه عن
عمله ، فتلطف لي في أن تصرف رأي أخي عن هذا الأمر ، وقل له إن
أخاك يرشحك إلى ما هو أجل من هذه المدينة ، واحذر أن تطلعه على
شيء مما ذكرته لك من أمر ابن دينار . فلما سأله موسى عن الجواب

(١) احشم به وجهه وحشاه واحشمه اخبطه .

عرفه أن أخاه يرشحه لما هو أجل مما طلبه ، فلم يئنه ذلك وقال :
ما أريد سوى هذه المدينة ، وهي أحب إلي من كل ناحية جلييلة ، فلما
رآه أبو يوسف لا ينتهي عنها كشف له الخبر ، لما كان بينه وبينه من
المودة ، ولأنهما كانا يجتمعان على التعجب من مصادر أمور أحمد بن
طولون ومواردها ، وأن الحظ قد عمل له ما لم يقدره ، حتى إنه قد
حسن قيحه ، وأصلح رديته .

فاغتاظ موسى مما حكا له أبو يوسف ، وصار إلى أخيه وقال له :
بجئت علي بما لا مشقة عليك فيه ، وخاطبه بدالة الأخوة ، بكلام فيه
غلظ ، بحضرة الناس ، إلى أن قال له : ما أحسبك تخرج من الدنيا
سالماً ، لتقطعك لرحمك ، وسوء نيتك ، وتفضيلك ظلماتك ، ومن تختاره
بسوء رأيك على أقرب الناس منك ، فلن الله جوارك وأراخي منه ،
فأمر به فبطح وضربه يده مقارع يسيرة . فعاتب الناس موسى على
ما خاطب به أخاه وقالوا له : ليس أخوك اليوم هو الذي تعده وتعرفه ،
فوفه حق الرياسة ، واطرح دالة الأخوة ، فلم يقبل ، وكان فيه لجاج
وكبر نفس ، فراسله في أن يكتب له جوازاً ليخرج عن البلد ، فتغنم
ذلك أحمد بن طولون منه ليريح قلبه منه ، ومن دالة عليه ، فكتب
له الجواز وأمر له بال كثير فلم يقبله ، وخرج غضبان إلى طرسوس ،
فقبض أحمد بن طولون على أبي يوسف وقال له : أظهرت لأخي ما أمرتك

بستره عنه ، فأوحشت بذلك ما بيني وبينه ، وأنفذه من الإسكندرية
إلى المطبق^(١) بمصر .

وكان أحمد بن عيسى بن شيخ الشيباني يتقلد جندي فلسطين
والأردن فلما مات نوب ابن شيخ عليهما ، وقال : هي من عملي .
وحمل أحمد بن مدير مالا إلى السلطان من مصر ، مبلغه سبعمائة وخمسون
ألف دينار ، قبض أيضاً عليه ابن شيخ وقال : إننا نحتاج إليه للرجال ،
ففرقه في أصحابه . وبلغه اضطراب الأمور بالحضرة فقويت شوكته ،
فجمع الجوع ، وقوي طمعه في التغلب على الشامات بأسرها ، وشيخ
الناس ، لا رأوا من قوة أمره ، أنه على أن يتغلب أيضاً على مصر ، وأنه
مجدد في ذلك .

نوب ابن شيخ
على فلسطين
والأردن

فأنفذ المهدي بالله حسين الخادم المعروف بمرق الموت^(٢) ومعه
الكرزي وأبو نصر المروزي^(٣) الفقيهان ، ومعهما عهد على أنه إن رد
ابن شيخ المال الذي أخذه ، وحمل ما واجب عليه عما كان يتقلده ،
وانصرف عن الشامات ، سلمنا العهد إليه وانصرف عنه ، فإن لم يفعل لم
يسلمنا العهد إليه ، وكاتبنا بخبره ، ليدبر أمره بما يجب

(١) المطبق كحسن : سجن تحت الأرض .

(٢) قال الصافي في المضاف والقدوب : مرق الموت يضرب مثلاً لأنه الشدة ، وكان حسين
الخادم خادم المتعهد المكتفي الذي كان يتولى البريد لقب مرق الموت ، وقيل إن المكتفي لقبه بذلك .

(٣) الكرزي هو عمه بن عبيد الله الكرزي القاضي . وأبو نصر هو اسم أبي مدهاه الروزي
المروف بأبي نصر (ابن جرير الطبري) .

فلما وردا عليه وخاطباه في ذلك ، احتج في المال بأنه قد استهلك على الرجال ، ثم لم يجيبها إلى شيء مما يجوبونه . وورد الخبر بقتل المهدي وجلس المعتد فلم يدع له ابن شيخ ، ولا أخذه بيعة على أصحابه ، وأراد أن يوهما بذلك منه ، فبلغ منها فعله ، واستعمل حسين الخادم مداراته بأن دفع إليه عهده على إرمينية حتى أقام الدعوة للمعتد وأخذله البيعة ، وعمل ابن شيخ على أن يستخلف على إرمينية ولا ينصرف عن أعماله ، وتخلص حسين الخادم والكرزي والروزي منه بما فعلوه ، وعادوا إلى بغداد ، فمرفقوا المعتد ما كان من ابن شيخ

وكتب إلى أحمد بن طولون بأمره بأن يتأهب للخروج إلى ابن شيخ وأمره أن يزيد في عدته ، وكتب إلى ابن مدثر أن يطلق له من المال ما أراد لذلك ، فتبعها أحمد بن طولون فعرض الرجال ، وأثبت من يصلح إثباته ، واشترى العبيد روماً وسوداناً ، وجدد آتته وكل ما يحتاج إليه ، وخرج وراسل ابن شيخ بقيس بن حفص كاتب بكار بن قتيبة وبأحمد بن يحيى السراج ، وجعلها معذرة بينه وبينهم قبل إيقاع الحرب ، [وأوعز] إليهما بأن يدعوا إلى طاعة السلطان ورد ما أخذه من ماله المحمول كان من مصر ، فأجابه بجواب قبيح ، فلقياه بالجواب وقد نزل بالعباسة ^(١) فورد الخبر عليه بأن المعتد قد أفتد أيضاً إلى ابن

مبدأ قوة ابن طولون بالانكار من الجند

(١) قرية كانت بين بليس والصلالية في مديرية الشرقية على خمسة عشر فرسخاً من القاهرة ويقول القرزي أنها كانت متحماً للوك مصر وبها ولد الباسر بن أحمد بن طولون فهما لذلك الباسر .

شيخ بسلام من غلانه يعرف بماجور الأفرنجي^(١). وأقام أحمد بن طولون بوضعه إلى أن يعلم ما يكون من ماجور مع ابن شيخ. فلما قرب ماجور من دمشق أفند [عيسى بن شيخ] إلى ماجور ابنه منصور، وكان من الشجعان الفرسان، وبخليفته وبجباة من فرسان عسكره، فوافياه في جيش كثيف وأمرهما أن يمتعا دخوله دمشق وأن يحاربا، فالتقى العسكران فأول من قتل منصور بن شيخ وجماعة من وجوه أصحابه، وأسر خليفته، فضرب ماجور عنقه وصلبه مع منصور، وانهمزم سائر عسكرهم، ولم ينج منهم إلا ذو فرس جواد عتيق.

ودخل ماجور دمشق عزيزاً مظفراً. فلما اتصل الخبر بابن شيخ وقتل ولده وخليفته وصناديد عسكره، انخزل وفّت ذلك في عضده^(٢)، وانكسرت نفسه، وضافت به الشامات، فرحل عنها على طريق الساحل يريد إرمينية، وبلغ خبره ماجور فوجه بن قبض على أعماله كلها، واستخلف عليها خلفاء من قبله، ونقل أعمال الشامات كلها، وذلك في سنة سبع وخمسين ومائتين.

وعاد أحمد بن طولون إلى مصر، وقد استكثر من العبيد والرجال^(٣) والآلات، فضافت به داره، وكان هو والأمرء من قبله يسكنون

بناء القطائع
والقصور
والأسواق
وامداد العمران

(١) المشهور أماجور التركي (٢) فت في عضده إذا كسر قومه وفرق عنه أعوانه.

(٣) في نظم المصادر أن جيش ابن طولون بلغ مئة ألف وفي ناموس الأعلام لنسب الدين سامي أنه بلغ مئة ألف وإن بلاده أصبحت أشبه بدولة مستقلة.

في الدار التي تعرف إلى اليوم ببلد الإمارة التي لها بابان ، أحدهما بالحجارة المعروفة بمحوض أبي قديرة ، والمعروف إلى اليوم بباب الحاصية وبابها الآخر الملاصق للشرطة الفوقانية ، وكان باب الشرطة أيضاً أحد أبوابها ، وكانت كلها داراً واحدة ولها باب إلى المسجد الملاصق للشرطة ، وكان يجمع فيه الجمعة ، وفيه منبره ومقصورته إلى اليوم ، وإنما فرقت هذه الدار حُجراً بعد دخول محمد بن سليمان البلد ، وبعد انحلال أمر آل طولون ، وكانت في أيام هارون بن خمارويه قد صيرت ديواناً للخراج .

فركب أحمد بن طولون إلى سفح الجبل ، فاخط في قصره ، وأمر أصحابه وغلماؤه وتباعه أن يخطوا لأنفسهم حوله وما قرب منه ، فاخط الناس وبنوا ، حتى اتصل البناء بجارة البلد ، وهي هذه الدور الشارعة من حد قيسارية بدر إلى سوق الدواب .

واتصل البناء والعمارة من الجانب الآخر إلى أن جاوز المدينة ، ثم قطعت القطائع ، وسميت كل قطعة باسم من يسكنها ، فكانت للنوبة قطعة مفردة تعرف بهم ، وللروم قطعة أخرى ، وللفراشين قطعة مفردة ، ولغيرهم من كل صنف من الظلمان ، وبنى القواد مواضع متعددة ، فصمرت عمارة حسنة ، نفرقت فيها السلك والأزقة ، وبنيت فيها المساجد الحسان والطواحين والحمامات والأفران ، وسميت أسواقها ، فسُمي منها سوق العيارين^(١) يجمع فيه البزازين والطارقين ،

(١) الباز الكبير الجمي . والذباب وله يضد الكثيرين من المساومة في التراء . والبيع .

وسوق القاميين^(١) [يجمع] فيه الجزارين والبقالين والشواتين ، وكان في دكاكين القاميين جميع ما في دكاكين نظرائهم في المدينة وأكثر وأحسن ، وسوق الطباخين [يجمع] فيه الصيارفة والحجازين وأصحاب الحلوى ، ثم لكل صنف من جميع الصنائع أفرد له سوقاً حسناً عامراً نبيلاً صينياً .

فكانت هذه المدينة أعمر من مدينة كبيرة من مدن الشام وأكبر وأحسن

قصر ابن طولون

وبنى قصره ووسعه وحسنه ، وبنى فيه ميداناً حسناً يضرب فيه بالصوالجة^(٢) ، فسمي القصر كله الميدان من أجل الميدان . فكان كل من أراد الخروج من صغير أو كبير سُئل عن ذهابه فيقول إلى الميدان ، وعمل له أبواباً وسمي كل باب منها باسم ، فمنها باب الميدان ، ومنه كان يدخل ويخرج معظم الجيش ، وسمي باب الصوالجة ، وباب الخاصة لا يدخل منه إلا خاصته ، و [ما] كان مما يلي المقطم سمي باب الجبل ، وباب للحرم ولا يدخل منه إلا خادم أو حرمة ، وباب سمي باسم حاجب كان يجلس عليه يقال له الدرّمون^(٣) لأنه كان رجلاً أسود

(١) القامي: بائع التوم أي التوم والمنخطة والحس والمغز وبتائر الحبوب التي تنبز .

(٢) الصوالجان : الصجين ج صوالجة . (٣) في رواية الدرغوث وفي أخرى الدرّمون .

عظيم الخلق ، وقُلِّد النظر في جنابات العلمان السودان ، والرجالة خاصة ،
فسمي باب الدرmon ، وباب آخر سمي باسم حاجب كان عليه يقال
له دعناع ، وباب عمل من خشب الساج سمي باب الساج ، وباب في
الشارع الأَظَم ، كان يخرج منه إلى الجامع الذي بناه فسمي باب
الصلاة ، وصوِّر عليه سبعين من جنس . وهذا الباب قائم بمجاله إلى
اليوم ، وهو يُعرف بباب السباع أيضاً في أول سوق الدواب . وكان
الطريق الذي يعرج منه الفاصل إلى قصره طريقاً واسعاً ، ولم يكن
يكتفه باب واحد ولا بابان ، فقطعه بمخاط ، وعمل فيه ثلاثة أبواب
كأكبر ما يكون من الأبواب [وكانت] الدُّروب متصلة كلها واحد
إلى جانب واحد ، يفرق بين الناس الركن الذي ينصفق إليه الدرب .
فكان إذا ركب أحمد بن طولون لعيد أو لغيره يخرج عسكره
منه ، متكائف الخروج ، على حسن ترتيب بغير زحمة ، ويخرج هو من
الباب الأوسط منها ، لا يختلط به أحد ، فتلك السكة إلى اليوم تسمى
ثلاثة أبواب . ومن هذه الأبواب واحد قائم إلى اليوم ، ودخل البابان
الآخران بعدهما في بناء الناس لما انقضت أيامهم وخربت اتطامع .
وكانت أبواب قصره ، التي سمينا قبل هذا ، تنفتح بعد عرض
الجيش أو يوم صدقة ، وسائر الأيام تنفتح على ترتيب في وقت ،
وتنلق في وقت ، وكان له في قصره مجلس يشرف منه يوم المرض ،
ويوم المساكين ، فينفذ منه من يدخل إلى جنب الحارج ، فكانوا

يردون من باب الصوالجة ويصدرون من باب السباع .
وبنى على باب السباع مجلساً يشرف منه ليلة العيد على القطائع ، فبرى
اضطراب الفلمان في نأهيم ، وتصرفهم في حوائجهم ، على مقدار كل
واحد منهم ، فإذا شاهد من واحد منهم يسيراً من الاختلال ، أمر له
في الوقت بما يتسع به ، ويزيد في جماله . وكان يشرف منه أيضاً على
البحر ، وعلى باب المدينة وما والاها ، وكان متنزهاً حسناً .
وكان يصلي الجمعة في المسجد اتقدم الملاصق للشرطة ، فلما ضاق عنه
بنى الجامع الجديد ، بما أفاء الله عليه من المال الذي وجده فوق الجبل ،
في الموضع المعروف بتنور فرعون ، ومنه بنى العين المعروفة بعين أبي ابن
خليفة . وتولى بناء العين والجامع رجل نصراني حاذق بالهندسة . ونحن
نأتي بخبره إن شاء الله .

الوشايات باين
طولون إلى بغداد

وانسعت أحواله بعد فراغه من بناء الجامع ، وكثرت اضطباته
لكثرة كراعه ، وعظم صوته ، فلما بلغ ماجور خبره خافه وهابه ،
وكتب إلى الحضرة يقول : « أما بعد فإنه قد اجتمع لأحمد بن طولون
أكثر مما كان يجتمع لأحمد بن عيسى بن شيخ ، والخوف منه أكثر ،
إذ كان فيه من التفضل ما ليس في أحمد بن شيخ » وكتب أيضاً أحمد
ابن مديبر وشقير الخادم صاحب البريد بمثل ذلك ، فكتب [الخليفة]
إلى أحمد بن طولون : « أما بعد فإننا رأينا أن نرد إليك أمر دارنا
بالحضرة ، وتديبر مملكتنا ، فإذا قرأت كتابنا هذا فاستخلف على

فصرك^(١) من أحببت ، والبلد لك وباسمك ، واشخص إلينا لما ندينك
إليه ، ورأيناك أهلاً له ، والسلام . »

إرساله الهدايا !
أرهاب المكانة ،
الحضرة

فلما قرأ أحمد بن طولون الكتاب علم بما فيه من الدهاء والذكاء ،
والعقل وحزم الرأي ، أنها حيلة تُوقَع عليه ، فأفخذ كاتبه أحمد بن محمد
الواسطي إلى الحضرة ، وحمل معه مالاً كثيراً إلى الوزير ، وكان
يومئذ الحسن بن مخلد ، وحمل إليه مع المال كل شيء أحسن غريب ،
من دِقِّ^(٢) تينيس ودمياط ، ومن الخيل والبغال وغير ذلك ما يجوز
الوصف حسناً ومقداراً ، وسأله أن تشمله عنايته في أن يطلق له ولده
وحرّمه ، وكتب إلى يارجوخ صاحبه بما كتب به إليه ، وعرفه ما كتب
به الوزير ، وسأله مسألته في أمره ، وحمل أيضاً إلى يارجوخ مالاً
ومتاعاً ، فلما وصل كتابه إلى الوزير وما حمله معه ، قال لكاتبه : « لَنْ
نُزججه عن عمله ، ولا يقبل فيقول ساعٍ سعى فيه » وركب إليه يارجوخ
فسأله فأجابته إلى إنفاذ ولده وحرّمه ، وأقر ولده في عمله ، وركبا إلى

(١) لها مصرك .

(٢) في الأصل دق وهو الكتان وإذا قرئت ديق فإن ديق على ما قال القرظي في
الخطط قرية من قرى دمياط تسبب اليها التيابلثة والهائم التراب المونة والديقي العلم المذهب وكانت الهائم
التراب المذهب تصل بها ، ويكون طول كل عمارة نهامة ذراع وفيها رقات منسوجة بالذهب تبلغ الهامة
من الذهب خمسمائة دينار سوى الحرير والنزل . وفي كنوز الخاطبين ان التياب الديقية نسبة
الى ديق وقد كانت في الصور الوسطى بلدة من أعمال دمياط وربما كان موتها الآن على
مقربة من قرية ديبج الواقعة جنوبي السبلاوين واشتهرت ديق بصناعة المسوجات الموشاة
بخيوط الحرير والذهب ولم يبت اسم الألية الكتانية للنسوجة فيها (الديقي) أن أصبح طاماً
على نوع من السيج كان يسن فيها وفي غيرها من البلاد كأسيوط .

أمير المؤمنين فأحسننا القول فيه، وصرفنا ما كتب به ماجور وابن مدبر
وصاحب البريد، فأمر بتثبيت يده في عمله، فكتب إليه الوزير
وبار جوخ بذلك، وأطلق له حرمة وولده فحملها كاتبه إليه، ووافاه
وقد بلغ له ما يحبه .

فلما ورد كتاب الوزير بذلك عليه، سره غاية السرور، وتصدق
من وقته بصدقات جليظة كثيرة، وحمل إليه الوزير أيضاً هدايا حسناً،
ومالاً كثيراً، وكتب إليه يشكر ما كان من تطوُّله عليه، واستدعى
منه أن ينفذ إليه كُتُبَ من يكتب فيه من العمال بمصر وأهل البلد،
فلما ملك به قلب الوزير وملاً به عينه، بعثه على أن أنفذ إليه
ما استدعاه، فأنفذ إليه كتاب شقير صاحب البريد بمصر يقول له :
« إن أحمد بن طولون على التظلب على مصر والمصيان بها » ثم أنفذ إليه
كتاباً من ابن مدبر بمثل ذلك .

فأحضر أحمد بن طولون شقيراً الخادم راجلاً من داره، وتقدم
بأن يُتَمَتَّع^(١)، ويكفَّ في عدوِّه، من داره بمصر إلى الميدان، وكان
شقير الخادم مبدئاً مرْفَهًا، وقصد أحمد بن طولون، لعلمه بذلك منه،
أن يقتله التعب، فلم يصل إليه إلا وقد كادت نفسه تخرج . فلما
مثل بين يديه أمر بأن تحضر السياط والعقابان^(٢) فأحضر وأمر بشده

إمهاله ابن
طولون لأحد
أعدائه بالحر
والجور

(١) تمتع : قتله وحركه جف أو أكرهه في الأمر حتى تفر .

(٢) العقابان : خشبتان يشح الرجل بينهما الجلد .

في العقابين وغفل عنه ، فاستغاث ساعة ، وسقطت قوته ووقع ، وتبين فيه الموت فلم يُضرب ، وأمر برده إلى داره راكباً ، فلما حصل فيها مات آخر نهار يومه .

وأنفذ أحمد بن طولون إليه العدول حتى شاهدوه عرياناً وأنه مات من غير ضرب ولا سبب غير فناء أجله . فكان علم أحمد بن طولون بأن ما عمله يبلغ به ما يجب من أمره من غير مكروه ضرب ولا غيره حسناً .

وكان ابن هلال قد تقرب من قلب أحمد بن طولون وتعبَّد له ، وكان له بمصر محل ونبل ، فسأله أن يكتب إلى الخضره يطلب له الخراج ، فلموضعه منه ولما في نفسه من ابن مدير سارع إلى ذلك ، وأكدا القول فيه إلى يار جوخ وإلى الوزير ، فوردت عليه الكتب بتقليد ابن هلال عمل ابن مدير ، فقويت يد أحمد بن طولون على الاستخفاف بابن مدير ، والسعي فيه ، وقبض عليه وحبسه في داره ، بحال سيئة .

وولي المعتمد فردَّ الخراج ، باضطراب أخيه في أمره ببغداد ، إلى ابن مدير ، ووردت الكتب بذلك على أحمد بن طولون ، فأطلقه وتسلم الخراج ، ولم يمكنه الإساءة لابن هلال ، لموضعه من أحمد بن طولون ، وانحرافه عنه هو ، لما في نفسه منه ، فتأمل ابن مدير أمره ، فإذا به يخاف من أحمد بن طولون خوفاً لا يأمنه أن يأتي عليه ، فكتب إلى

(١) تهب فلا تأخذ عداً كعبيده ، وتعبد له : تذل .

حسن حمله و
ارضاء حكوماً
ببغداد .

أخيه يقول: تطف لي في التخلص من أحمد بن طولون والخروج عنه، فأورد أخوه عليه الكتاب بتقليده جندَي فلسطين والأردن ودمشق، وقُد أبو تراب أحمد بن شجاع^(١) ابن أخت الوزير الخراج بمصر، وذلك في سنة ثمان وخمسين ومائتين.

فاستعمل أحمد بن مدثر مع أحمد بن طولون التطف والحيلة في الخلاص منه، وهب له ضياعاً كان يملكها بمصر جليلة المقدار، وعقد نكاحاً بين أبي الجيش ابنه وبين ابنته فعلة^(٢)، وخرج فخرج أحمد ابن طولون معه مشيعاً له.

واستمال أحمد بن طولون معمرَ الجوهري، وكان له محل جليل بمصر وبيغداد، وأخذ كتبه إلى أخيه بيغداد وإلى حدري وجباب^(٣) الجوهريين، وكانا أجل أهل سر من رأي، وإلى جماعة من وجوه التجار بها، بأن يدفعوا إلى خليفته بالحضرة كل ما أحب من المال، وإن احتاج إلى ضمانهم عنه في شيء يحتاج إليه من المصانعة ضمنوا وكتبوا له بذلك، ليأخذ العوض منه بمصر.

فكان خليفة أحمد بن طولون بالحضرة طيفور التركي، وكان جلدأ شهماً ثقة، فكان كلما بلغه عن واحد من القواد أنه قد طلب

حسن حلة وكيله
ل دار السلام

(١) في ابن الداية: أحمد بن محمد بن أخت . (٢) في ابن الداية: وبين طفلة من ولده.

(٣) في الظاهر لا يروني أن من أشهر الجوهريين في الأيام الروائية والبابية ابن جباب وذكر أيضاً رجلاً اسمه تناب الجوهري في عهد ابن طولون وقيله اما حدري ظم نبت إليه ولم تصحح اسمه.

عمل مصر وندب لها ، لأن الموفق كان إذا تعذر عليه الرجال ، أو أكدوه^(١) ، قال : مصر خزانة السلطان وفيها أمواله فليخرج إليها أحدكم . فمن هم بذلك من القواد ، أخذ طيفور خليفته من التجار ما يريد من المال ، على قدر يحمل الرجل ، وركب إليه وقال له : أخوك أبو العباس أحمد بن طولون كتب إلي يقرأ عليك السلام ، ويشكو شوقه إليك ، ووحشته منك ، ويقول لك : يا أخي وسيدي ، بعد الطريق ، وخوف العوائق ، امتنعت أن أحمل إليك من هدايا مصر ، فتطوّل ببسط عندي في ذلك ، واصرف هذه الدنانير فيما تحتاج إليه ولا تخلي من مكاتبتك وأخبارك وأحوالك وحوائبك فإني أسر بذلك . ويدفع إليه المال من ثلاثة آلاف دينار إلى ألفي دينار ، إلى ألف دينار على مقدار الرجل ، فيلحق الرجل من ذلك احتشام ويمتنع من أخذه ، حتى يسأله طيفور ويخاطبه عليه بما يزيل احتشامه فيأخذه ، وقد كبر أحمد بن طولون في قلبه ، وعظم في صدره ، وملكه جميل فعله ، وإذا ذُكرت له مصر استبعد طريقها ، وثناقل عن قبول نقلها ، وإن كان هو الخاطب لها أضرب عن ذكرها . ولا يتخلو أيضاً من أن يكون بينه وبين انتجار الذين قد كاتبهم معمر في أمر أحمد بن طولون معاملة فيصيرون إليه ويطالبونه بما لم عليه من المال ، ويقولون له : أنت قد عزمت على الخروج إلى مصر وهو بلد لا ترجى

(١) أكداه : الخ عليه في السأله .

فيه سلامة من يخرج إليه ، لأن من قصده إنما يقصده مائة ألف
عنان . فمن سمع هذا ولو لم يكن حصل له مال ، ينجب قلبه ^(١) ويقوى
امتناعه ، فكيف وقد انضاف إلى ذلك ما صار إليه ، فإذا حلف لم
أنه لا يخرج ، قيل له : جوزيت ليس تحصل إلا على فساد ما بينك
وبين أحمد بن طولون ، وقتل أصحابك وزهاب مالك ، إن سلمت
نفسك ، فيزداد بذلك امتناعاً ، ولما فعل في أمره خوفاً واحتماماً ،
فكانت هذه الأحوال تقوي أمره ، ويرول عنه ما يتخوفه ، لأنه
علم أن بلده مذموم مظلوم .

ولما دخلت سنة خمس وخمسين ومائتين خرج رجل علوي لقب
نفسه ببغا الكبير وذكر أنه أحمد بن محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن
طباطبا ، بين برقة والإسكندرية بوضع يعرف بالدرين (?) ، ثم
صار إلى صعيد مصر ، فوجه إليه أحمد بن طولون قائداً يعرف بهم بن
الحسين ، فكانت بينهما وقعة قتل العلوي في معركتها ، فأخذ رأسه
وانهزم أصحابه وتمزقوا .

خارج على ابن
طولون بين برقة
والإسكندرية

ثم خرج بعده في سنة ست وخمسين ومائتين رجل ذكر أنه ^(٢) إبراهيم
ابن محمد بن يحيى بن عبد الله بن علي بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب ،
صلوات الله عليهم أجمعين ، وكان يعرف بابن الصوفي أيضاً . وجاءت

خارج آخره
الصعيد

(١) يفتق (٢) في تاريخ اليعقوبي أن الوائب رجل من الطالبيين يقال له إبراهيم بن محمد
من ولد عمر بن علي ويعرف بالصوفي .

الأخبار أنه دخل إسنا^(١) فنهبا ، وعاث وأفسد في نواحيها^(٢) ، فوجه إليه أحمد بن طولون بقائد من قواده يعرف بابن يزداد فظفر به العلوي فقطع يده ورجله وصلبه ، فبلغ ذلك أحمد بن طولون فأنفذ إليه بهم بن الحسين ، فالتقى بنواحي إخميم^(٣) ، فهزم العلوي ونهب سواده ، وقتل خلقا كثيرا من رجاله وانقل أمره^(٤) . وعاد بهم بن الحسين إلى أحمد ابن طولون فمرقه بما جرى من أمرهم ، فخلع عليه خلعا حسنا وطوقه بطوق ثقيل من ذهب صامت ، وأجازه وقاد بين يديه خيلا حسنا ، فكان بهم إذ ركب في الأعياد يركب بذلك الطوق .

ودخل ابن الصوفي^(٥) إلى نواحي الواحات^(٦) وأقام مدة ، ثم ظهر

- (١) اسنى بالكرس وفتح : بلد بصعيد مصر ورسونها بردنا هكذا « اسنا » وهي اليوم من عمل مديرية قنا . (٢) ذكر المؤرخون أنه ظهر في سنة ٢٧٠ هـ علوي اسمه احمد بن عبداقة بن ابراهيم بصعيد مصر فتحته ابن طولون على باب أسوان وحمل رأسه الى القند .
- (٣) إخميم : بلد بالصعيد على شاطئ النيل وهو اليوم مركز من المراكز في مديرية جرجا قال البركري وهو الموضع الذي فيه المبراني بصعيد مصر . (٤) هـ وظه ثلثه فتقتل واحتل واقتل .
- (٥) قال اليعقوبي : في هذه السنة (٢٥٧) أخرج أحمد بن طولون الطالبين من مصر الى المدينة ووجه سهم من بندهم ، وكان خروجهم في جنادى الآخرة وتختف رجل من ولد الفباس ابن علي وأراد أن يتوجه الى الغرب فأخذته أحمد بن طولون وضربه مائة وخمسين سوطا واطاعه بالسلطان وكتب اليه السلامه كرتكو يقول ان زمان احمد بن طولون كان عهد افراط دهاة الشبهة في أكثر أقطار الاسلام وكانت في مصر قسما تورات عدة وأنهم من ذلك أنه كان وراء هذا كله ثورة الزنادقة المانوية على الاسلام وكانوا يسترون تصدم بالدهاء لآل بيت النبي (عليه الصلاة والسلام) ورؤى أن أسنا أحمد بن طولون واريده موسى بن طولون وكان بطرسوس لما غضب عليه أحمد أمر بلبس اليأس وهو اعلان ميله الى الشبهة (ولاية مصر لكسندى من ١٦٢ س ١٠٧)
- (٦) الواحات : وأحد واح قال باقوت : انزلها قطيعة وهي ثلاث كور في غربي مصر ثم غربي الصعيد والواح الأول مقابل اليوم تمتد الى اسوان وهي أكبر الواحات وراية كورة أخرى يقال لها واح الثاني وخطها جبل تمتد كاستمداد الذي قبله وراية كورة أخرى يقال لها واح الثالث وهي دون الأولين في الهارة ومدينة الواح الثالث يقال لها سنترية .

في نواحي الأشمونين^(١) ، فأنفذ إليه قائداً يعرف بابن أبي المغيث^(٢) ، فوجده قد صاعد إلى الصعيد ، لقتال رجل ظهر بالصعيد ، زعم أنه عبد الحميد بن عبد الله بن عبد العزيز بن عبيد الله بن عمر بن الخطاب رحمه الله يكتنأ أباً عبد الرحمن^(٣)

لائق آخر في بلاد
البيجة

وكان السبب في خروجه أن البيجة^(٤) أقبلت في يوم عيد بقدمهم رجل أعور مارد ، كلهم ركبان على النجب ، حتى كبسوا الناس في مصلاهم ، وقتلوا فيهم ونهبوا ورجعوا من حيث جاءوا سالمين ، وكان لهم قبل ذلك مقدمات كذلك ، فخرج هذا العمري غضباً لله عز وجل وللمسلمين ، فكن لهم في طريقهم حتى أقبلوا كعادتهم فكبسهم ، وقتل رئيسهم الأعور ومن معه ، ولهذا السبب كانت الطولونية وغيرهم من الأمراء وإلى اليوم يوقفون من سفح الجبل مما يلي الموضع المعروف بالحلبش جيشاً كثيفاً ، مراعيًا للناس حتى ينصرفوا من عيدهم في كل عيد .

(١) يقول ياقوت : أشمون واهل مصر يقولون الأشمونين من بلاد الصعيد مدينة تدعى أزيلية وهي اليوم طاسرة ومن عمل أسبوط . (٢) في رواية : النيث بدل النيث .

(٣) ورد اسمه في البخاري هكذا : عبد الله بن عبد الحميد بن عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب . وفي خطط التتري هكذا : أبو عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحميد السري .

(٤) يقول التتري في المخطط أن أول بلد البيجة من قرية تحرف بالحزبة (لها الحزبة) بمدن الزرد في صحراء قوم وبين هذا الموضع وبين قوم نحو من ثلاث مراحل وآخر بلاد البيجة أول بلاد المبتنة وهم في بطن هذه الجزيرة أعني جزيرة مصر إلى سيف البحر المالح مما يلي جزائر سواكن وباطن ودهلك وهم بادية (وقد قلنا فضلاً بها في تاريخهم فطرايع) .

ثم دخل هذا العمري إلى بلاد البجة فقتل فيهم مقتلة عظيمة ،
وضيق عليهم بلادهم ، وصار شجياً في حلوهم ، حتى أدوا إليه الجزية
استكفافاً له ، وما أدوها لأحد قبله ، فكان لا يعرض لأحد من الناس
بأذية لا ذي ولا ملي ، وكان مسالماً للتوبة ، للمهد الذي لم حتى بداله
التوبي الأول الذي بالموضع المعروف بمريس " فطُف عليه العمري ،
وأحلاه عن دياره ، وحرقت مدائنه ، وسبى منهم سبياً كثيراً ، حتى إنه
كان الرجل من أصحابه يشتري الحاجة من اليباع أو من البقال .
بنو بني أو بنوية ، لكثرتهم كانوا في أيدي أصحابه .

فلما التقى هو والعلوي كنت بينهما وقعة انهزم فيها العلوي ، وصار
إلى ناحية أسوان " ، فعاتب بها وأفسد ، وكتب يخبره إلى أحمد بن
طولون فكتب إلى بهم بن الحسين يأمره بأن يصاعد في طلبه حيث قصد .
فلما اتصل الخبر بالعلوي مضى هارباً إلى عيذاب " وركب
البحر إلى مكة وتفرق عنه أصحابه ، فلما حصل بمكة بلغ خبره
صاحب مكة فقبض عليه وحبسه عنده ، ثم حمله إلى أحمد بن طولون ،

(١) كنا ولها الرينة جزيرة في بلاد التوبة كبيرة كما في مسجم البلدان وسمنية قرية بمصر
وولاية من ناحية الصعيد يسب إليها بشر بن غياث المريسي العلامة المعتزلي المشهور
(٢) أسوان بالنسب : بلد صعيد مصر وعمله اليوم واسع وهو آخر ولايات مصر من الصعيد ومدرياتها .
(٣) في مسجم البلدان أنها بلدة على منفة بحر القلزم أي الأحمر وهي مرسى المراكب التي تسم
من صد إلى الصعيد . كانت ملتقى الحاج ودنرت في القرن الثامن وهي على البحر الأحمر جنوبي
رأس أبو غاظة على خط عرض ٢٢ : درجة و ٢٠ دقيقة يقابلها من الغرب على النيل قرية أبو سنبل
من مركز الدر الواقعة شمال بلدة حلقا على بعد ٩٦ كيلو متراً (من تليفات التجم الزاهرة)

فلما وصل إلى مصر طيفَ به وشهر للناس على جل، واعتقله عنده مدة، ثم أظهر توبة، فأطلقه وأحسن إليه، وخرج إلى المدينة ومات فيها .
ولما وقف أحمد بن طولون على خبر العمري، وشدة شوكره على البجة وغيرهم، خاف من سوء العاقبة في أمره إن أغضبه فأنفذ جيشاً عليه قائد من قواده يعرف بشعبة بن خركام البابكي، فلما قرب منه خرج إليه العمري وقال لأصحابه: لا تمجلوا فإن هذا رجل أعجمي، وأنا أخاطبه بنفسي وأنظر ما عنده .

فخرج من عسكره، وقال لمن قرب من عسكر شعبة: إني أريد أخاطب الأمير قبل وقوع الحرب بيننا، فعرف شعبة ذلك فخرج إليه، فلما قرب منه خرج إليه العمري بحيث يسمع بعضهم كلام بعض، فقال له العمري: إن الأمير أحمد بن طولون لم يبلغه خبري على حقيقته، وقد موّه عليه في أمري، إني لم أخرج أبني فساداً، وبدلك على ذلك أني لم أؤذ مسلماً [ولا] معاهدأ، وإنما خرجت في طلب أعداء المسلمين حتى كفانا الله أمرهم، فاكشف يدك عن القتال حتى أكتب إلى الأمير، أعزه الله، وأكشف له خبري، وتكتب أنت أيضاً، فإن قبل عذري ولم تثقل عليه وطأتي وأمن جانبي، كتب إليك بالكف والانصراف عني، فانصرفت معذوراً مشكوراً، وإن أمرك غير ذلك امتثلت أمره غير ملوم، فقال له شعبة: لست أنا فيجأاً^(١) لك أحمل كتابك، ما بيني وبينك إلا

(١) العيج: المارس أو رسول السلطان الذي يمس بين يديه والجمع عوج

السيف . فقال له العمري : ما أنت بحمد الله شعبة الرجال ، بل أنت بلعبة النساء أشبه ، وما هذا الفعل السيء والخلق القبيح إلا لمن هو كذلك .
 ورجع إلى أصحابه وقال : هذا رجل جاهل أحق فدونكم ، فظفوا به وحملوا عليه ، فانهمز أقبح هزيمة ، وعاد [شعبة] إلى أحمد بن طولون فمرفقه ما كان فقال : أخطأت وأسأت ، كنت قد أمهلتك ، وكتبت إلينا بنجبره على صحته ، لئري فيه رأينا ، لكنك بغيت عليه فنصر عليك وأهمل أحمد بن طولون أمره مدة ، فلما كان بعد شهر يسيرة وافي إلى أحمد بن طولون غلامان ^(١) زعما أنهما من غلمان العمري وأنهما أتياه برأسه ، فأستحضرهما الرأس فأحضراه ، فدعا بجماعة من أهل الصعيد ممن يعرف العمري فأراهم الرأس ، فعرفوه وشهدوا أنه رأس العمري لا يشكون فيه ، فقال للغلامين : كان صاحبكما مسيئاً إليكما ؟
 قالا : لا ، قال : فكان ينمكما رزقكما ؟ قالا : لا ، قال : فزكب بحضرتكما إنما استحلتما به قتله ؟ قالا لا . قال : فلم قتلتما ؟ قالا : لأننا أردنا بذلك الخطوة عند الأمير واقرب منه ، فقال : ذلك والله أبعد لكما مني ومن الله عز وجل ، وأمر بضرب عنقهما فضربت وصلبت جثثهما ، وأمر برأس العمري فغسل وكفن وطيب ودفن .

خارجي في
الصعيد

ثم ورد عليه الخبر بخروج رجل في الصعيد أيضاً يكنى أبا روح
 واسمه سكن من بوادي بحيرة الاسكندرية ذكر له أنه من بقايا

(١) في المسكافة : صار إليه جماعة منهم ياربون الشره

أصحاب ابن الصوفي، والتفت به طائفة كبيرة، قطع الطريق وأخلف السبيل، فوجه إليه قائداً من قواده يعرف يلبق الطرسوسي، وكان جل أصحاب طرسوسيين. وكان أبو رونغ هذا غلاماً عياراً قد ربي بالريف، وعرف طرفاتها والحرب فيها، فلما اجتمعا للقتال أوقف أصحابه في أرض كثيرة الشقوق، حصيدة قح، قد بقي من تبنه ما يستر شقوقه، وأهل الريف قد ألقوا المشي في هذه الأماكن، ولا عهد لأهل طرسوس بها، فلما التقوا تطارد أصحاب أبي رونغ لهم، وطلبهم خيل يلبق وفرسانه، فوقعت حوافر الخيل في تلك الشقوق فكبت بفرسانها، وسقط بعضهم على بعض، فترجع أصحاب أبي رونغ عليهم فقتل كل من سقط، وانهزم من سلم أقبج هزيمة، فعاد يلبق إلى مصر، فكان الذي لقي هو وأصحابه من غوغاء البلد وعطمتهم^(١) أعظم مما لقوه من الهزيمة وأهمل أحمد بن طولون أمره هنيئة إلى أن وافاه خبره من نواحي القيوم، فأنفذ إليه قائداً من قواده يعرف بابن جينغويه، وأمره أن يأخذ على طريق الواحات من ناحية الصحراء، ليملك عليه فم البرية من هناك ففعل. ثم أمر شعبة بن خركام بالخروج إليه فخرج. وظن أصحاب أبي رونغ أن هذا كالأول فلم يهربوا منهم، وصافوه^(٢) بالابليز^(٣) الكثير الشقوق، فأقبل أصحاب شعبة ينادون: خذوا

(١) الطلحة: حكاية صوت الجراد إذا غلوا عيط عيط وذلك إذا غلوا توماً

(٢) صافاً: التوم القوم في القتال صافاً: وتقا مصطنين

(٣) الابليز وطن الابليز طين مصر وهو ما يتبعه النيل بد ذهابه من وجه الأرض

حذركم من الشقوق فحذروها وهم عليها ، وأخذوا عليهم نواحي طرفهم ،
فلما علموا أنهم قد فطنوا لهم ، وأن مكيدتهم قد بطلت وكوا منهزمين ،
فلم يذهب منهم أحد إلا أخذه الذئباب قتل منهم خلق ، ومن استسلم
أسر ، وانهمز أبو روح ووئى يريد طريق الواح ، ولا ملجأ له غيره .
فلما أشرف على ابن جيفوبه ، ورآه قد ملك فم البرية والطريق ، وقف
وراسله في الأمان ، فظن ابن جيفوبه أن شعبة لم يلقه ، وأنه وافاه
قاصداً يطلب الأمان راغباً فيه ، فأمنه

ولما بلغ أحمد بن طولون ذلك اغتاض على ابن جيفوبه غيظاً عظيماً ،
ومنعه من الرجوع إلى البلد ، وألزمه سكنى الريف شهوراً كثيرة ،
عقوبة له على إعطائه الأمان ، وكان قد تم له هلاك العدو بأخذه الطريق .
وبعث شعبة بالأسارى وفيهم رجل منزوي ، وكان فيما زعموا
سيئ المقدرة ردي الظفر ، فضربه أحمد بن طولون بالسوط ، وحمله على
جل ، فمات في الطريق ، فكث زماناً مطروحاً على رأس الجسر . وكان
فيهم رجل يهودي منجم ، فقال له أحمد بن طولون : أ رأيت هذا في
نجومك ^(١) ؟ فقال : نعم قد رأيت ، ونصحت له فلم يقبل نصيحتي ،

(١) قال السيوطي في حسن المحاضرة : وفي أيام أحمد بن طولون تناظرت النجوم فراهه ذلك
فقال اللؤلؤ والنجمين من ذلك ثنا الجابري يتي . فدخل عليه الجبل الشاعر وم في الحديث فأنشد في الحال

قالوا تناظرت النجوم	م لحادث ظن صبر
فأجبت عند مقالهم	بجواب عنك خير
هذي النجوم التناظرا	ت نجوم أهدوا الأبر

فأمر به فقطعت بداه ورجلاه وُصَلب حياً ، مقابلاً للمخزومي حتى مات

هاج أهل بركة

ثم هاج بعد أبي روح أهل بركة، ووثبوا بأمرهم محمد بن فروخ^(١)
الفرغاني، وأخرجوه عن البلد، فأنفذ إليهم أحمد بن طولون أبا الأسود
القطريف ويزبك الفرغاني، وكان من حجابيه، وهو صاحب الرحبة
الجاورة لدور الماذرائين السماة به، في جيش عظيم، وبعث إليهم
أيضاً مراكب مشحونة رجالاً وسلاحاً وبمجنيق، وأنبعهم بجيش آخر
عليه لؤلؤ غلامه. فلما فصل لؤلؤ أتبعه أيضاً جيشاً آخر عليه شعبة بن
خركام، وأمر رئيس كل جيش منهم بالتوقف والتساذق وبذل السلامة
والأمان، إن قبيل، وتقديم المذخرة وترك العجلة، فإن أجابوه
وإلا السيف.

ولبرقة حصن منيع، فترك القطريف يربك على أحد أبوابه،
وترك لؤلؤ أعلى باب آخر، واستعملوا الرفق كما أمروا، فأمنوا بذلك،
وأطعمهم^(٢) اللين، ففتحوا الباب الذي عليه القطريف ليلاً وأوقعوا
بمسكره. فلما وقعت الصيحة تسرع القطريف، وقائد معه يعرف
بدعباش وابن نفروخ يعرف بإسرائيل، قتلوا جميعاً في المعركة،
وأصبح عسكر أبي الأسود بلا رئيس، فانضم أهله إلى عسكر
لؤلؤ، فكان تسرع القطريف تسرع باسل لزمه فرض وطمع في

(١) في رواية، فرج بدل فروخ

(٢) اطعم أهل الحصن

الظفر وعجل ، ولو ثبت وكان في أجله تأخير لم يقتل . كما روي عن هشام بن عبد الملك أنه قال لأخيه مسلمة : أذهلك ذعر قط لحرب أو عدو ؟ فقال : ما سلمت في ذلك من ذعر بيته على حيلة تكون معها السلامة ، وما غشيني قط فيها ذعر سبني رأيي . فقال له هشام :
هذه المقالة

وروي أن عمر بن الخطاب أمر الأحنف بن قيس على جيش وجه به نحو خراسان ، فلما قربوا منهم فرقوا جيشهم ثلاث فرق ، وأقبلوا تدلم طبولهم على السبيل ، ففرغ الناس ، فأول من ركب الأحنف ففرج وهو يقول :

إِن عَلَى كُلِّ رَيْسٍ حَقًّا أَنْ يَخْضِبَ الصَّعْدَةَ أَوْ تَدَقًّا
وحمل على صاحب الطبل قتله ، فلما قد أصحابه ضرب الطبل ولوا منهزمين ، وفعل في الفريقين كفعله في الأول ، فتكامل ركوب الناس ، وقد فرغ لهم الأحنف مما أرادوا فتبعوهم ، فكانوا بين قتلى وأسرى .

وأراد التطريف أن يصنع هكذا ، فخاناه المة دار ، ولكل مينة سبب . فقال أصحاب التطريف : ما ننتظر ؟ إن لم نناهضهم وإلا عملوا كل ليلة مثل هذا .

فكتب لولوا إلى مولاه بجملته الخبر ، وما يعمل وما فعلوه ، فكتب إليه بأمرهم بتالم ويقول : قد أحسنتم في توفقكم ، وأنتم الآن

تُتصرون بشيئة الله وعونه ، فباكرهم لؤلؤ طالباً لثأر صاحبه كما
قال الشاعر :

إذا ما وُترنا^(١) لم نَمَّ عن تراتنا^(٢) ولم نك أوغالا^(٣) تقيم البواكيا
ولكننا نُرْجِي الجياد شوأزبا^(٤) ففرحي بها نحو الترات المراميا
وعباً عسكريه ، ونصب منجنيقاته ، وزحف إلى الحصن ، فلما جد
بهم القتال وأخذتهم الحجارة والنشاب ، صاح بعضهم : طلب الأمان ،
وفتحوا له الباب ، ودخلوا عليهم ، وقبضوا على جماعة من رؤسائهم
فصرهم بالسوط ، وقطع أيدي جماعة منهم ، وصلب منهم طائفة ،
وكتب إلى مولاه بالفتح .

ووصل شعبة إلى لؤلؤ بعد الفتح ، فاستخلفه لؤلؤ على البلد ، ودخل
إلى القسطنطينية ، وحمل معه جماعة من الأسرى ليرى مولاه فيهم رأيه ،
فلما وصل إلى الجزيرة بعث إليه مولاه بالخلع وبطوقين حسنين ثقيلين ،
فلبس الخلع والبطوقين ، وحمل الأسرى بين يديه ، وطاف بهم البلد ،
فسكنت رهبة أحمد بن طولون في صدور الناس ، حتى كان
يُفرع الصبيان [و] الأطفال .

ومن إقباله أن المعتمد لما أنفذ أبا أيوب على الحراج ، وكتب
إلى أحمد بن طولون في استحثائه على حمل الأموال ، وإدراار الخلع

تقلد ابن طولون
الحراج والمعونة
بمصر والقصور

(١) وترت الرجل : قتلت حبيه فأردته منه وطلب وزره وترته وهو طالب الأوتار والترات

(٢) الوغل : الضيف النذل الساطع المتصرف في الأشياء . (٣) ترجي : نسوق . الشواذب : الضوارب .

إليه ، أجاز المعتد بقول : إنه لا يستر ما أحمله من الأموال عن الأولياء ، ولا ينحى عن الموالي والمطالبين به ، وفيه تأخير كبير من أرزاقهم ، ولا ينهياً أيضاً إدارار الحمل والمتابعة به والحراجُ إلى غيرهم . فأنفذ المعتد نفساً الخادم إليه ، بتقليده الحراج مع المعونة بمصر والثغور الشامية ، ووجه مع نفيس بإصالح بن أحمد [بن خنبل] ^(١) ، وكان على قضاء الثغور ، وبمحمد بن محمد الجذوعي ^(٢) ، وكان على قضاء واسط ، على أن يحمل ماجرى الرسم بحمله من المال والطراز وغير ذلك .

فأخرج أحمد بن طولون شيوخ مصر ووجهها إلى العراق ، يشكرون سيرته فيهم ، وضبطه لبلدهم ، وأنفذ معهم أصحاب أخبار من حيث لا يعلمون بهم ، يحصون عليهم ما يكون من واحد واحد ، ويُهنونه إليه عند عودتهم ، فعادوا ولم يعرف سيء منهم ، فشكر لهم ذلك وأحسن برهم ، وزادت محبته لهم .

وأقرَّ أحمد بن طولون أبا أيوب على الحراج من قبله ، وجعل عبد الله بن دشومة أميناً عليه ، وجعل نعيماً المعروف بأبي الذؤيب عيناً عليها ، وقلد الأملاك لسليمان بن ثابت المعروف بأبي ريشة ، وكان عبد الله بن دشومة منهم ، واسع الحيلة ، بخيل الكف ، لم يكن يعيه

(١) ترجمه في طبقات الخليفة لاس القراء (٢) ترجمته في الوالي بالوفيات لقصدي .

(٣) الطراز بكر الطائفة : الثياب الجديدة .

تدبره الحراج
واسقاطه المعاون

غير بخله وزهده في شكر الشاكرين ، ويرى بجهله وما حرمه الله عز وجل من اصطناع الجليل ، أن الثناء حيلة من حيل القاصد على المقصود ، ولا يهش إلى شيء من أعمال البر ، فمقته الناس على ذلك و أكثر به الدعاء عليه ، وكان فيه مع هذا الشر سعاية .

وكان أحمد بن طولون رقيقاً على نفسه بتصدق في أثر الإساءة ، إذ اجرت منه إلى إنسان ، بالصدقات الجزيلة ، ويتضرع إلى الله جل اسمه في تمحيص ما جناه ، فكان بذلك يوقى ويكفي وينصر ^(١) .

ولما ورد عليه كتاب المعتمد ، بما استدعاه من ردّ الخراج بمصر إليه ، وزاده المعتمد مع ما طلب خراج الثغور الشامية ، رغب بنفسه عن أدناس معاون ومراقفها ، فرفضها وأمر بتوكها ، وكتب بإسقاطها في سائر الأعمال ، ومنع المتقبلين ^(٢) من الفسخ على المزارعين ، وحظر الارتفاق ^(٣) على العمال .

وكان قبل إسقاط المرافق بمصر قد شاور عبد الله بن دشومة في ذلك ، فقال له : إن أمتي الأمير تكلمت بما عندي . فقال له : قد أمنتك الله عز وجل مني قتل ، فقال : أيها الأمير إن الدنيا والآخرة ضرّتان ، فالحازم من لم يخلط إحداهما مع الأخرى ، والمفترط من خلط بينهما ،

(١) روى ابن تيمري بردي في النجوم الزاهرة أن جميع خصال ابن طولون كانت محمودة ، إلا أنه كان حاد الخلق والمزاج . فانه لا ولي مصر والشام ظلم كثيراً وعسف ، وسلك كثيراً من الدماء . يقال انه مات في حبسه نائحة عشر ألفاً . (٢) قبل العامل العمل تقيلاً : التزمه بقدر (٣) الانتفاع والاكتساب

فيتلف أعماله ويبطل سعيه . وأفعال الأمير أيده الله أفعال الحيرة ،
وتوكله توكل الزهاد ، وليس مثله ركب خُطّة لم يُحكّمها ، ولو
كنا نتق بالنصر دائماً طول العمر ، لما كان شيء آثر عندنا من التضيق
على أنفسنا في العاجل بمارة الآجل ، ولكن الإنسان قصير العمر ،
كثير المصائب ، مدفوع إلى الآفات ^(١) فترك الإنسان ما قد
أمكنه وحصل في يده تضييع . ولعل الذي حماه نفسه يكون
سعادة لمن يأتي بعده ، فيفوز ذلك بما قد حرمه هو .

ويجتمع للأمير أيده الله مما قد عزم على إسقاطه من المرافق في السنة
بمصر دون غيرها مائة ألف دينار ، وإن فسخ ضياع الأسراء والتقبلين
في هذه السنة ، لأنها سنة ظلم وتوجب الفسخ ، وألّزمت القصة ^(٢) الاثني
زاد مال البلد وتوفر توفراً عظيماً ينضاف إلى مال المرافق ، فقبض به
الأمير أيده الله أمر دنياه ، وهذه طريقة خدمة الدنيا ، وإحكام أمور
الرياسة والسياسة فيها ، وكل ما عدل إليه الأمير أيده الله من غير هذا
فهو مفسد لدنياه ، وهذا رأيي والأمير أيده الله أعلى عيناً وما يراه ^(٣) .
فقال له : فنظر في هذا إن شاء الله ، وشغل قلبه كلامه ، فبات في
تلك الليلة بعد أن مضى أكثر الليل يفكر في كلام ابن دشومة ،
ف رأى في منامه رجلاً من إخوانه الزهاد بطرسوس ، وهو يقول له :
ليس ما أشار به عليك من استشرته في أمر الارنفاق والفسخ برأيي

(١) في ابن العديم : سري بأغلظ الآفات . (٢) قصة السلطنة : حاضرنا الكبير

(٣) في ابن العديم : على وأي فيها يراه وفي القرظي : على ما صاه يراه

محمد عاقبته فلا تقبله ، ومن ترك شيئاً لله عز وجل عوضه الله عنه ،
فأمض ما كنت عزمت عليه .

ولما أصبح ابن طولون أنفذ الكتب إلى الأعمال بذلك ، وتقدم
به في سائر الدواوين ، وأمضاه ودعا بدين دسومة فعرفه ذلك فقال له :
قد أشار عليك رجلان أحدهما في اليقظة ، والآخر ميت في النوم ،
وأنت للحَيِّ [أوجد] ، وبضمانه أوثق ، فقال : دعنا من هذا فلست
أقبل منك ، وركب في غد ذلك اليوم إلى الصيد .

فلما أمعن في الصحراء ساخت في الأرض يد فرس بعض غلمانها ،
وهو رمل ، فسقط انفلام ، لتزول يد الفرس كلها في الرمل ، فوقف
عليه أحمد بن طولون وأخرجت يد الفرس ، فنظر فإذا بفتق
ففتح ، وأصاب فيه من المال ، [ما] كان مقداره ألف ألف دينار ، وهو
المطلب ^(١) الذي شاع خبره ، وكتب به إلى العراق ، وكتب أحمد
ابن طولون بخبره إلى المعتمد ، يستأذنه فيما يصرفه فيه من وجوه البر
أو غيرها مما يأمره به . فكتب إليه المعتمد يأمره بأن يصرفه في وجوه
البر ، فبنى منه بیمارستان . ثم أصاب بعده في الجبل مالا عظيماً فبنى
منه الجامع ، وأوقف جميع ما بنى من المال في الصدقات ، فكانت
صدقاته ومعروفه لا تحصى كثرة ، بنية قوية ، وشهوة شديدة .

مهور ابن طولون
على كثر

(١) في خطط التريزي: الكثر بدل المطلب .

ولما انصرف أحمد بن طولون من الصحراء وحمل المال أحضر ابن
دشومة وأراه المال وقال له : بشي صاحب والمستشار أنت ، هذا
أول بركة مشورة الميت في النوم ، ولولا أنني أمتك لضربت عنقك .
وتغير عليه أحمد بن طولون وسقط بحمله عنده ، ورفق إليه بعد ذلك
أنه قد أجهف بالناس ، وألزمهم أشياء ضجروا منها ، فقبض عليه وأخذ
ماله وحبسه فمات في حبسه .

انقسام الدولة
العباسية شطرين

ومن أفضاله خبره مع موسى بن بغا ، وذلك أنه لما زاد أمر صاحب
البحرة واستفحل ، وكان ابتداء خروجه في سنة أربع وخمسين
ومائتين ، أنفذ المعتد رسولا في حمل أخيه المسمى بالموفق من مكة
إليه ، وكان المهدي قد نفاه إليها ، فلما وصل إليه عقد العهد بعده
لابنه المفوض وله من بعده ، ولقبه بالموفق ، وقسم المملكة بينه وبين
ابنه المفوض ، كما فعل الرشيد في أمر ابنه ، فجعل غرب المملكة لابنه
المفوض ، وشرقها لأخيه الموفق . وكتب بينهما بذلك كتاباً ارتعن
فيه أيمانها بالوفاء ، بما وقعت عليه الشروط على كل واحد منهما وله ،
وضمن ذلك العهد الثابت في الشرط كل ما يخاف من مثله في العاقبة .
والمعتد ما يعلم [ما] في طوية الموفق ولا في سره ، وكان يحسد أخاه على
الحلافة فلا يراه أهلاً لها ، ويطعن عليه ، ويتقص من أمره جداً .

ضعف الخليفة
وتشاغله بلذاته

ولما جعل العهد لابنه ، ولقبه المفوض ، وجعله هو بعده ، اشدت ذلك عليه ^(١) ، وقوي بغضه لابنه ، وزاد حقه على أخيه المعتمد ، واعتقد فيه ، متى ظفر بالأمر ، التشنج منه ، وبلوغ كل مكروره به ، وكان ، لعمرى ، المعتمد بالله منحلّ الأمر جدّاً ، لأنه كان رجلاً متشاغلاً بما لذ نفسه ، وطية عيشه بالصيد واللعب ، والتفرد مع الجوارى ، فكانت الأمور ضائعة ، والتدبير فاسداً ، وكل متقلد لعمل قد فاز بما يتقلده ، فعمل [الرشيد] بابنيه المأمون ومحمد بن زُيدة ، احتياطاً وإشفاقاً عليهما ، ولم يعلم أن ذلك كان منه لثقته بابنيه على نفسه وحاله ، فقدّر ذلك في أخيه وولده ، ولم يعلم ما في ضميره له ، وأنه يخرج عن طاعته ، ولا يشكر جميله عنده .

استطرد في فضل
المأمون على
الأمين

وإنما وقع الخلاف بين محمد بن زُيدة وبين المأمون لنقص محمد عن محل المأمون في نفسه وشجاعته وفضله في كل فن من سائر العلوم . ولقد عاتبت زُيدة الرشيد على تفضيله المأمون على ابنها فقال لها : الساعة أبين لك فضل كل واحد ، فوجه إلى ابنها ، وقد مضى من الليل وقت ، يدعو إليه ، فوافاه وعليه ثياب المنادمة مبخرًا مطيباً فقال له : اشتقت إلى رؤيتك فسقاه يده قدحاً ، ووهب له من جوهر كان بين يديه جوهرة واحدة حسنة وصرفه . ووجه إلى المأمون يدعو فابطأ ، ثم سمع بعد ذلك للدار ضجة عظيمة ، وجلبة هائلة ، ثم

(١) أي على الوتر .

دخل إليه وعليه 'صدرة السلاح بمجوشته وخوذته' وآلة الحرب ،
وعرف الرشيد بأن الجيش قيام له في السلاح فقال له : ما هذا ؟ فقال :
خفت أن يكون قد حدث حادث احتاج أمير المؤمنين إلى إنفاذي
فيه فجئت مستعداً فقال له : بارك الله عليك ، إنما اشتقت إليك
انصرف مصاحباً ، وذهب له جميع الجوهر . وقال لها : كيف رأيت ؟
فأمسكت عن المأمون .

ارباك الموفق
وإضافته

وكان في الشرط الذي كتبه المعتمد بين الموفق وابنه أنه ما حدث
في عمل كل واحد منهما من حدث ، كانت النفقة عليه من مال خراج
قسه ، واستخلف القموض على قسه موسى بن بغاء ، فاستكتب موسى
عبيد الله بن سليمان بن وهب ، وانفرد الموفق بقسه ، وتقدم إلى كل
واحد منهما ألا ينظر في عمل صاحبه ، وخلد كتاب الشرط للكعبة ،
وأفرد الموفق لمহারبة العلوي البصري ، وأخرجه إليه وقواه ، وضم
إليه الجيوش ، فلما كبر عليهم أمر العلوي البصري ، وطالت مجاربتة ،
انقطعت مواد خراج الشرق عن أبي أحمد الموفق ، وثقاعد الناس عن
حمل المال الذي كان يحمل ، واحتجوا في ذلك بأشياء ، منها خروج
العلوي ومالهم منه ، وأخذه من أموالهم ، ومنها خوفهم من أن يؤخذ
ما يحملونه في الطريق ، لكثرة أصحاب العلوي وانتشارهم في الطرق ،
ومنهم من يتربص بالحمل لينظر كيف تكون الأمور ، وإن يصح الأمر .
فدعت أبا أحمد الموفق الضرورة إلى أن كتب إلى أحمد بن طولون

في حمل ما يستعين به على أمره ، وليثبت من صدق عمله ، إلا أنه شكاً في كتابه شدة حاجته إلى المال لا هو بسبيله ، وأنفذ إليه حمل المال فحرياً خادم المتوكل ، وورد في عقب الكتاب إليه كتاب من المعتمد ، يأمره بحمل المال إليه على رهنه ، مع ما جرى الرسم بحمله مع المال في كل سنة من الطراز والرقيق والخيل والشمع والخيش وغير ذلك .

وكتب إليه [المعتمد] سرّاً أن الموفق إنما أنفذ فحرياً الخادم إليك عيناً عليك ، ومستقصباً على أخبارك ، وأراه أنه قد كاتب بعض أصحابك فاحترس منه ، واحمل المال إلينا معه ، لئلا تقوى بد الموفق به ، وعجل إنفاذه من حضرتك .

رسول الموفق إلى
ابن طولون
ومحمد بن محمد بن
المعتمد له

ولما وافى فحرياً أنزله أحمد بن طولون في دار معه في الميدان ، ومنعه من الركوب إلى موضع من المواضع ، ولم يمكنه الخروج من الدار التي أنزله فيها ، إلى أن أخرجه من البلد ، وتلطف في الكتب التي كانت معه فأخذها ، وحمل معه ألف ومائتي ألف دينار^(١) ،

(١) في السند التريدي لابن طلحة الوزير : وكان ابن طولون من محبة العدل وإقامته وتأييده الحق وسلوك طريقته ، يميل إلى كل من كان ذلك من صفته ، ويقرب إليه من علم التحقيق من خليته ، حتى أنه في بعض الأيام أراد أن يحمل ما اجتمع من المال إلى حضرة الخليفة فأحضر القاضي وسه السعول بحيث يشهدون على القاضي ، فكاتب الشهود خطوطهم ، وقد تباينوا المال ، وكان مبلغه ألف ألف دينار ومائتي ألف دينار ، فلما بلغ الكتاب إلى سليم وهو بعض الشهود اتقاء إلى الخادم من يده وقال : أيها الأمير لست أشهد حتى يوزن المال بمحضرتي ، فتناظر ذلك منه ، لتأخر الاتخاذ ، ثم قال للوزارين : زنوه ، فلما فرغوا من وزنه قالوا : أشهد قال : فخي لي التند ، فضا بالفتاد فتمه ، وسليم جالس معهم حتى فرغ وختت الأكياس ، وتسلها حاملها ، فكاتب شهادته وانصرف . قال ابن طولون : مثل هذا ينبغي أن يتد عليه ويمال إليه قال من لا دين له لا أمانة له ، ومن لا أمانة به جدير بالاجاد ، وألا يولى شيئاً من أمور المسلمين . وكانت هذه الحالة سبباً لتحريره سليم واضعاده عليه وتعيين أمورهم إليه .

وجمل جميع ما جرى الرسم بحملة ، وخرج بنفسه ، وأخرج معه
المدول ، حتى شيعه إلى العريش ، ووجه إلى صاحب ماجور بالعريش
فأحضره وسلمه والمال إليه ، وأشهد طيه بذلك المدول ، وعاد إلى
مصر ينظر في الكتب ، فإذا هي إلى جماعة من قواده ، يضرّ بهم
عليه ، ويستميل قلوبهم إليه ، لما كان في نفسه عليه من قوة موالاته
للمعتمد ، وصحة طاعته له .

وكانت قد قويت شوكة الموفق بن ضمه إليه المعتمد من الجيوش
والعدّة لناواة العلوي البصري^(١) . فمن كان كتابه إليه جواباً
عن كتابه كان إليه بدر الحبيبي ، وهو صاحب اقيسارية الوفاية التي
تعرف بقيسارية بدر ، وإليه كانت ضياع أي أحمد بن المتوكل والطراز
والخميم وصانعتها ، وكان من وجوه ظلمانه و كبارهم ، فضرّ به بالسوط
حتى مات . ومنهم أحمد بن عيسى الصفدي ، وكان من أجلاء أصحابه ،
فضرّ به أيضاً بالسوط ، وحلق رأسه ولحيته ، وطاف به البلد ، وحبسه
في المطبق ، وكان إحسانه إليه وعليه فما شكر ذلك وكفره .

كتاب أحمد بن
طولون إلى الموفق
بيده ويترعده

ولما وصل المال كتب أبو أحمد الموفق إلى أحمد بن طولون
كتاباً يستصغر فيه المال ، ويقول : إن الحساب بوجب أضعافه ،

(١) قال التصامي : ان المتمد على الله جل ابنه جنراً ولي عهده وقيه المروض الى الله ،
وجبل اليه المغرب ، وقلب الموفق على الأمر وقام به أحسن قيام ، ومال الناس اليه ، وكان
مشتولاً يمتل علي بن عبد صاحب الزنج المروف بلوي البصرة .

وبسط لسانه فيه ، والتبس من أصحابه من يخرج متقلداً عمله ، فأعوزه ذلك ، لما كنا قد ذكرناه من ملاطفة أحمد بن طولون لوجوه أهل الدولة الذين يندب أحدهم لثله . وكتب بذلك إلى أحمد بن طولون أصحاب أخباره ، فلما قرأ أحمد بن طولون كتاب الموفق قال : وأي حساب بيني وبينه ، أو حال توجب مكاتبتني بمثل هذا وغيره ؟ وأجابه جواباً نسخته ^(١) :

بسم الله الرحمن الرحيم . وصل كتاب الأمير أبيده الله وفهمته ، وكان أسعده الله حقيقاً بحسن التخبر له في اختياره مثلي ، وتصويره إياي عمدة التي يعتمد عليها ، وسيفه الذي يصول به ، ولسانه الذي يتقي الأعداء بمجده ، لأنني دأبت في ذلك ، وجعلته وكدي ، فاحتملت الكلف العظيم ، والمؤن الثقال ، باجتلاب كل موصوف بشجاعة ، واستدعاء كل ممنوعت بغناء وكفاية ، بالتوسعة طليهم ، وتواصل الصلوات والمعاون لهم ، صيانة لهذه الدولة ، وذباً عنها ، وحسماً لأطباع الشائنين لها ، والمنحرفين عنها . وكان من هذه سبيله في الموالاة ، ومحلها في المناصحة ، حربياً أن يُعرف له حقه ، ويوفر من الإِعظام قدره ^(٢) ،

(١) ورد هذا الكتاب في كتاب ابن الداية الطول مما جاء في نسخة الأصل هذه ، ورأينا فيه اسجاءً وافاضة لانسكاد تؤثر في نبي . مما صدر عن ديوان ابن طولون ولذلك اضدنا على نسخة كتابنا وأشرنا هنا الى جنس ما عساه يبيد من التطويل هناك وصحنا لنا على ذلك المن عند الاتضاه . الشديد .

(٢) في كتاب ابن الداية وردت هذه العبارة هكذا : ويوفر من الاعظام والاكرام نصيه ، ويطلب من التديم والإيثار نسطه ، ولا يحمل حظه فيما يثاب به الأولياء ، ويحازي به الصعاب ، -

ومن كل حال جليلة حظه ومنزلته ، فعملت بضد ذلك من المطالبة
بجمل المال مرة ، والجفاء في المخاطبة أخرى ، بغير حال توجب ذلك .
ثم أكلف على الطاعة 'جملًا' ، وألزم للمناصحة ثمنًا ، وعهدي بن
استدعى ما استدعاه الأمير من طاعته يستدعي ذلك بالبدل والإعطاء ،
والإرضاب^(١) والإرضاء والإكرام ، لا أن يكلف ويحمل من
أطاعه مؤونة وثقلًا ، على أني لا أعرف السبب الذي ينتج الوحشة ،
ويوقعها بيني وبين الأمير أبده الله ، ولا ثمّ معاملة توقع مشاجرة ،
أو تحدث منافرة ، لأن العمل الذي أنا بسبيله لغيره ، والمكاتبه في أموره
إلى سواه ، [ونقليدي لبس من قبله ولا ولايته]^(٢) ، فإنه والأمير
جعفر المفوض أيدهما الله قد اقتسما الأعمال ، وصار لكل واحد منهما
قسم قد انفرد به دون صاحبه ، وأخذت عليه البيعة فيه ، أن من
تقض عهده ، أو خفر ذمته ، ولم يف لصاحبه بما أكد على نفسه ،
فالامة بريئة من بيعته ، وفي حل وسعة من خلعه . والذي عاملني به
الأمير من محاولة صرفي مرة ، وإسقاط رسي أخرى ، وما يأتيه
ويسومني ، ناقض لشرطه ، مفسد لعهد . وقد انتس أوليائي ،

— من أموال تحمل الهم ، وصلات واضطاعات تخرج لهم ، مما جعل الأمير أموره الله حلي من
شويه ، وضحي من يره وتكرته ، مما لا يزال الأمير أيده الله يصدني به من المكروه ،
ويؤله علي وعلى عملي من التدبير ، ويتسه من حل المال والمعاون ، حتى كاني اكاف على
الطاعة جملًا ، وألزم المناصحة ثمنًا .

(١) رغبه فيه وأغره : جله يرغب وارغب الله قدرك وسه واجد خطوه .

(٢) هذه الجملة وردت في الاصل وفي القريري (ولا امان قبله) .

وأكثروا على الطلب ، في اسقاط اسمه ، وإزالة رسمه ^(١) ، فأثرت
الاجباء ، وإن لم يوتره ، واستعملت الأناة إذ لم تستعمل معي ،
ورأيت الاحتمال والكظم ، أشبه بدوي المعرفة وانهم ، وأدنى إلى
الظفر والنصر ، فصبرت نفسي على أحر من الجمر ، وأمر من الصبر ،
وما لا يتسع له الصدر . والأمر أيده الله أولى من أعانني على
ما أوتره من لزوم عهده ، وأتوخاه من تأكيد عقده ، بحسن العشرة
والإنصاف ، وكشف الأذى والمضرة ، ولا يضطرنني إلى ما يعلم
الله عز وجل كرهني له ، وإلى أن أجعل ما قد أعدته لحياطة
الدولة من الجيوش المتكاثفة ، والعساكر المتضاعفة ، التي قد ضرت
رجالها من الحروب ، وجرت عليهم من الخطوب ، مصروفاً إلى تقضها ،
فعدنا وفي حيزنا من يرى أنه أحق بهذا الأمر وأولى من الأمير .
ولو آمنوني على أنفسهم فضلاً عن أن يرجعوا مني إلى ميل لم ، أو قيام
بنصرتهم ، لاشتدت شوكتهم ، ولصعب على السلطان معاركتهم ،
والأمير يعلم أن باؤزائه منهم واحداً قد أبر عليه ، وفض كل جيش
أنهض إليه ، على أنه لا ناصر له إلا لفيف البصرة ^(٢) وأواباش

(١) في اس الداية زيادة هذه الجملة : عند مصر الحارثيين من العراق ، الى حيث صاروا

اليه من نواحي عملي ، ومحاولتهم البيت والافساد فيه .

(٢) الباب ان الاشارة الى ان صاحب الزنج وان كان حيثه من رطاع البصرة وس ماتهم

فهو يطلب ما يرسل اليه من الجيوش ، بخلاف احمدس طولون وما دني من جيوش يشد عليها .

عامتها ، فكيف بن يجد ركنًا منيعًا ، وناصرًا مطيعًا ، وممثل الأمير في أصالة رأيه فصد المائة ألف عنان 'عدة' له فجعلها 'عدة' عليه ^(١) بغير ما سبب أوجب ذلك . فإن يكن من الأمير إعتاب أو رجوع إلى ما هو أشبه به ^(٢) وأولى ، وإلا رجوت من الله عز وجل كفاية أمره ، وحسم مادة شره ، وإجراءنا في الحياطة على أجل عاداته عندنا ، والسلام .

إرسال المرفق
العمال للضرب
على أيدي ابن
طولون واستعداد
هذا وتحصنه

فلما وصل الكتاب إلى الموفق آتلقه ، وبلغ منه مبلغًا عظيمًا ، وأغاضه 'غيطًا شديدًا' ، فأحضر موسى بن بُغا ، وكان موسى هذا عِوَل الدولة ، وأشد أهلها بأسًا وإقدامًا ، فتقدم إليه في صرف أحمد بن طولون عن مصر وتقليدها ماجورًا فامثل ذلك ، وكتب الجور كتاب التقليد وأنفذه إليه ، فلما وصل إليه الكتاب توقف عن إيصاله إلى أحمد بن طولون ، لعجزه عن مناهضته .

وخرج موسى بن بُغا عن الحضرة مقدرًا أنه بدوس عمل القموض الذي فيه تقض الشرط ، لما قويت به يد الموفق ، باستيلائه على الأمر ، وطاعة الجيوش بأسرها له ، فلم يكن له مخالف غير أحمد بن طولون ، وقصد بمشارفته الأعمال ، حمل الأموال منها ، وكتب إلى ماجور

(١) البارة في ابن الداية هكذا : فجعلها عدة عليه من غير أن يجتم لها تملًا ، ويحتل بسببها مؤونة وغرمًا .

(٢) في ابن الداية : أشبه بفضله .

وإلى أحمد بن طولون ، لما علم توقف ماجور عنه ، في حمل مال أعمالهما ،
وعزم على أن يقصد مصر ، لما علمه من قصور حال ماجور عنها ،
ليتسلها ويستخلف ماجور عليها ، ويعود إلى الحضرة ، وخرج حتى
بلغ الرقة ، واتصل ذلك بأحمد بن طولون فأقلعه ونعمه وبلغ منه ،
لا لأنه يقصر عن موسى ، لكن لتحمله هتك الدولة ، وأن
بأقي ما يكون سبيله فيه سبيل من قاوم السلطان وكسر جيشه ،
فعمل على محاربة موسى ، وتأمل البلد فلم أنه لا يفتح إلا من جهة
نيله ، فأراد لكبر همته و [كثرة] فكره في العواقب ، أن يبني
حصناً^(١) على الجزيرة التي بين القسطاط والجزيرة ، ليكون مغللاً
لحرمه لكثرتهم كانوا ولدخاثره ، ويستعمل بعد ذلك للحرب
من يأتيه وقد زال فكره فيما سواه مما يشغل قلبه ، وأمر ببناء

(١) قال القضاة انه بناء سنة ثلاث وستين ومائتين ليعرّض فيه حريمه وماله وان اتخذ مائة
مركب حربية سوى ما يضاف اليها من الساريات وغيرها وذكر اياتاً لمحمد بن داود قال بها من
أحمد بن طولون وهي :

لما نوى ابنُ بنا بالرقين ملا	ساقية ذرقاً الى الكمين والخب
بني الجزيرة حصناً يستجر به	بالسف والقرب والصناع في تب
ووائب الجزيرة القصى فخذتها	وكاد يعض من خوف ومن رعب
له سرايب فوق النيل راكدة	فاسوى اثمار القطار والحشب
زى عليها لباس الذل مذ بيت	بالنط جموعة من عزة الطالب
فا بناها لنزو الروم محسباً	لكن بناها غداة الروع فهرب

قلنا: ويظهر ان محمد بن داود هذا كان من الثمراء الذي توفروا على هجو ابن طولون، فان
له مقطوعات غير هذه في هجوه ذكر بعضها الكندي صاحب تاريخ مصر وولاتها .

الحصن على الجزيرة، واتخذ مائة مركب عربية كباراً ومائتة مركب
حرية سوى ما يضاف إليها من العليات والحائم والعشاريات
والسناديل وقوارب الخدمة، وعمل على سد وجه البحر الكبير و[أن]
يمنع ما يجي إليه من مركب طرسوس وغيرها بنقض مركبه،
ويكون ما فيها يذب عن هذه الجزيرة، وعمل على أن ينفذ إلى
الصعيد وأسفل الأرض^(١) فيسنع من حمل الغلات إلى البلد، لينسنع
من يأتي من البر بالميرة .

فأقام موسى بن بُنفا بالرقّة عشرة أشهر، فاضطرب عليه أمر
الأتراك، وطلبوا بأرزاقهم مظالبة عظيمة، استتر منها كاتبه عبيد الله
ابن سليمان، لتعذر المال عليه، وخوفه على نفسه منهم . فلما تبين
موسى بن بُنفا عظيم ما جرى ويجرى دعتة الضرورة إلى الرجوع إلى
الحضرة، فرجع وأقام بها شهرين واعتلّ ومات في صفر سنة أربع
وستين ومائتين . ومات عبيد الله بن خاقان في هذه السنة .

وكان أحمد بن طولون مجداً في بناء الحصن على الجزيرة، وقد أزم
قواده وثقائه أمره، وفرّقه قطعاً، وألزم كلاً منهم قطعة يكفّ نفسه
بالفراغ منها، ويتعاهد هم هو بنفسه في كل يوم يشرف عليهم، ولا يعلم
أن الله عز وجل قد كفاه وأغناه عما يعانيه، وما يشك أحد أن كل
طوبه بُنيت فيه تقوم على أحمد بن طولون بدرهم صحيح .

(١) يريد أسفل الأرض ما تطلق عليه اليوم الوج البحري وكانوا يطلقون أعلى الأرض

على ما نعرفه لهدنا باسم الصعيد .

ولما تابعت الأخبار بموت موسى بن بقا كف عن البناء وصدق
بمال كثير لما وهبه الله جل اسمه له من صيافته عما تقبح فيه عنه
الأحدوث ، وما رأى الناس شيئاً كان أعجب من ذلك الجذ العظيم في
البناء ، ومباكرة الصناعات في السحر ، حين يخرجون من منازلهم في كل
يوم ، حتى انتقطع ذلك فلم ير أحد من الصناعات أحداً يطلبه ، فكان
كأنه نار صب عليه ماء ، فخدم من وقته ^(١) ، ووهب للصناعات كل
ما كان سلفاً عليهم .

لعلاء ابن طولون
على أعدائه

وقبض أحمد بن طولون من وقته على أحمد ^(٢) المدائني صاحب موسى
ابن بقا ، وكان بمصر بتقليد ضياع صاحبه بها التي أقطعه السلطان إياها ،
وكان رجلاً ترفاً غذي نعمة ، وكان مبدئاً ^(٣) ، فشى رجلاً إليه ،
كما مشى شقيراً صاحب البريد ، وكان يوم شديد الحر ، وكان أحمد
ابن طولون يحقد عليه خلافاً كان له كبيراً فيما كان يجاوله ، ولأنه كان
صاحب موسى بن بقا ، وكان لثقتيه بصاحبه وعظم منزلته ، يبسط
لسانه في أحمد بن طولون بأشياء تبغفه عنه ، فيغيظه عليه ويحقد له ،
فلما أحضر أحضر له السياط والعقابين فاستجاب إلى ما طالبه به من المال ،
وبادر بكتب خطه به خوفاً من مكروه يلحقه ، إلا أنه لحقه من
التمتعة والمشي ما كان أغظ عليه من الضرب أو مثله ، فلما أخذ خطه

(١) كذا في الأصل والدار مؤتة وتذكر (٢) في أر الداية : حفر

(٣) البدن كسظم : الجسيم

بالمال رده إلى داره فمات في تلك الجمعة . فاحتاز أحمد بن طولون
الضياح بما كان كتب به خطه ، وقبض على جميع نعمته ، وقبض على
اندونة كاتبه ، فأخذ منه خمسون ألف دينار .

اخفاني من عنتهم
بهداد حفظ
الثور الشامية

ولما مات موسى بن بغا كتب الموفق إلى المعتمد يقول إن الثغور
الشامية ضائعة ، وأنها تحتاج إلى من يقيم فيها وينزوي بأهلها ، وأن
أحمد بن طولون مهمل لأمرها ، وإنما يبعث إليها من لا يستقل بها ،
فاستقر الأمر على أن ينفذ إليها محمد بن هارون التغلبي ، وكان يتولى
الموصل ، فكتب إليه في الحضور لينفذ إلى الثغور ، فركب في دجلة ،
لعله نالته منعته عن ركوب الظهر^(١) ، وهاجت ريح شديدة فألته إلى
موضع من الشط فيه قوم من أصحاب مساور الشاري^(٢) قتلوه ،
وأخذوا كل ما كان معه ، وبلغ ذلك الموفق فبقي متحيراً في أمر أحمد
ابن طولون ، وما يأتيه به الإقبال ، ووقع اختياره على إنقاذ محمد بن
علي بن يحيى^(٣) الأرمي إليها ، فأنفذه متقلداً لها ولا نطاً كية ، وحاول
سيما الطويل دخول أنطاكية ، فمنعه محمد بن علي بن يحيى منها ومن
الثغر ، فكتب إلى أهل طرسوس فآلبهم ووثبهم عليه ، وخوفهم منه
فقبضوا يده ، ووقعت بينه وبينهم حال غليظ ، وقتل في داره ودفن فيها .
وبلغ ذلك الموفق ، فاشتد غيظه أيضاً وحنقه وتمعجه ، وقلد

(١) طريق البر (٥) الشاري : الخارجي والفرانج هم الحوارج قولهم : انا شرينا انا
في طاعة الله فقبوا بذلك (٣) كداني الاصل : خبر قطولي ابن الداية : يحيى

الثغور أرخوز بن بولغ بن طرخان التركي ، وأمره أن يقبض على
سيما الطويل ، فلما وصل إلى الثغور تشاغل بالأكل والشرب ، وأخذ
كل ما لاح له ، واستولى على كل ما كان للمرتين بلوثة^(١) ، مما كان
يحمل إليهم من الميرة ، فضجوا من تأخر ذلك عنهم ، وكتبوا إلى
أهل طرسوس يعرفونهم أنهم إن لم ينفذوا إليهم بما يحتاجون إليه على
رسمهم ، سلموا القلعة إلى الروم ، فأعظم أهل طرسوس ذلك وخافوه ،
وجمعوا لهم من البلد خمسة عشر ألف دينار ، وعملوا على حملها إليهم ،
فقال لهم أرخوز : أنا أحمل إليهم المال من قبلي لنصلح بينهم ، فأجابوه
إلى ذلك فكتب إليهم واعتذر من تأخير ما أخره ، فلأنه أميرهم
وصاحب الثغور ، قبلوا عذره ورجعوا استصلاحه ، ولما سلم المسال
شرفت نفسه إليه ، وقال : متى يجتمع لي مثل هذا ؟ فاستولى
عليه وعرفهم أنه قد أنفذه . فلما تأخر عن انقום المال انصرفوا عن
لوثة وسلموها ، فاضطرب أهل الثغور بأسرهم من ذلك غاية
الاضطراب ، وضجوا في الطرقات .

(١) لؤلؤة : قلعة قرب طرسوس وذكر صاحب الكامل في حوادث سنة ثلاث وستين ومائتين
أن فيها سلت الصغالية « لؤلؤة » إلى الروم ، وكان سبب ذلك أن أحد طولون قد أدمن الفزو
بطرسوس ، قيل أن يلي مصر ، فلما ولي مصر كان يؤثر أن يلي طرسوس لينزو منها أميراً فكتب
إلى أبي أحمد الموفق يطلب ولايتها فلم يجبه إلى ذلك . قال : وكانت لؤلؤة شجراً في سلق العدو ،
ولم يكن يخرج الروم في بر أو بحر إلا رأوه وأنذروا به .

تقليد الثغور لابن
طولون

وبلغ المتمدّد ذلك فأكره فدعت الضرورة إلى أن كتب إلى
أحمد بن طولون في تدبير أمر الثغور، وضبطها كما يرى . فلم يكن للموفق
بعد ذلك حيلة في منعه منها ، وكتب أحمد بن طولون إلى أخيه موسى
وكان مقبلاً بطرسوس منذ وقعت بينهما تلك الوحشة بتقليده إياه لها
فأبى ذلك ، لا كان في نفسه منه . فكتب إلى إبراهيم بن عبد الوهاب ،
وكان أيضاً مقبلاً بها ، فامتنع تصاوناً ، فأنفذ إليها طخشي بن بلبرد^(١)
ووصاه بحسن العشرة لهم ، وجعل السيرة فيهم ، واحتمال هفواتهم ففعل ،
وحسنت سيرته بطرسوس ، فأقام بها إلى أن مات ، فاغتم عليه أهل
طرسوس وسائر الثغور .

هلاك أعداء ابن
طولون

ومن إقبال أحمد بن طولون أيضاً موت ماجور ، وكان أحمد
من يعرب^(٢) عليه ، ويسمى في أذنته فلا تمكته . فلما بلغه موته حمد الله
عز وجل على ذلك ، واستخلف ابنه العباس على مصر وخرج من وقته ،
وأيد ابنه بكتابه أحمد بن محمد الواسطي ، ووصى العباس بالافتداء
برأيه ، والامتنال لأمره . وألا يجاوز شيئاً يرسمه ، أو يشير به ، وسار
في شوال من سنة أربع وستين ومائتين ، وقد خلا قلبه من عيب الله
ابن خاقان وموسى بن بُغا وماجور أعدائه الذين كانوا يعملون الخليل
في أمره . وطلب هلاكه . وجدّ في السير ، واستكتب أبا الضحاك

(١) في رواية: بين وفي أخرى بلبرد

(٢) يرتب عليه: يرد عليه بالانكار

محبوب بن رجا ، وقدم كتابه إلى ابن ماجور يعزبه بأبيه ، وكان صيياً إلا أن أصحاب آيه قد أقاموه مقام آيه في الرياسة ، وتولى الأمر وتدييره أحمد بن دعباش^(١) التركي ، وجّه أصحاب ماجور والمقدم فيهم ، وكان رجلاً شهماً جلدًا عاقلاً ، سمحاً بالمال ، سخياً على الطعام ، حسن الخلق ، حازم التدبير .

استباحه امراء
الشام

ويذكر أحمد بن طولون في كتابه إليه أن أمير المؤمنين قد قلده الشام كله ، مضافاً إلى الثغور الشامية ، وأنه في^(٢) أثر كتابه ، ويقول فيه : وينبغي أن نتقدم فيما نحتاج إليه من الميرة والعلف للعساكر وما نحتاج إليه ، فأجابه ابن ماجور أحسن جواب ، فلما قرب من الرملة تلقاه خليفة آيه كان بها ، وهو محمد بن رافع بالميرة والعلف ، وكان قد أقام له الدعوة ، لما بلغه خبر رحيله إلى الشام ، فلما وقعت عينه عليه ترجل له ، وتقدم إليه فباس يده ، فلقبه أحمد بن طولون بجميل ، وبشبهه وساء له عن حاله ، فقال له : سلامة ما أبقى لنا الأمير أيده الله ، فعزاه بصاحبه وأظهر له غمماً به ، وشكر ذلك منه ، فأقره أحمد بن طولون على عمله ولم يصرفه ، وشخص إلى دمشق فتلقاه علي بن ماجور وأحمد بن دعباش^(٣) وجميع قواد ماجور وأصحابه ، فوقفوه حتى الرياسة ، وقد أعدوا له الميرة والعلف وكل ما يحتاج

(١) في الأصل : دعباس . وفي الكندي : دوغباش

(٢) في الأصل : قد (٣) في الأصل : دعياج وكذلك هو بد سطرين .

إليه بها" . واستخلف على دمشق أحمد بن دعباش وأقره عليها .
وكان أحمد بن وصيف مقياً بدمشق على سبيل النبي ، فساه
إليها المهتدي ، وهو وصيف الكبير التركي الذي يقول فيه الشاعر
وفي بقا أبي موسى الذي مضى لنا ذكره فيما تقدم .

خليفة في قفص بين وصيف وبقا
يقول ما قال له كما تقول البيضا

والخليفة الذي قيل هذا فيه هو المستمين بالله ، لأنه كان يؤثرهما
جداً ويقدمهما ويفضلها ويقول برأيها

فلما دخل أحمد بن طولون دمشق انضم إليه ابن وصيف هو وجماعة
قواد ماجور . ولما صار أحمد بن طولون إلى حمص تلقاه عيسى
الكرخي ، وكان يتقلدها ، وترجل له وعمل على أن يقره أيضاً على
عمله ، فضج أهل حمص منه وشكوا سوء سيرته فيهم ، فصرفه عنهم
وولاهما بين التركي .

(١) لا دخل أحمد بن طولون دمشق وقع بها حريق عند كنيسة مريم ، فركب ابن طولون
إليه ، ومسه أبو زرعة البصري وأبو عبد الله أحمد بن محمد الواسطي كاتبه ، قال ابن طولون
لأبي زرعة : ما يسى هذا الموضوع ؟ قال كنيسة مريم ، قال أبو عبد الله : أكان لمريم كنيسة ؟
قال : ماهي من بناء مريم وإنما بنوها على اسمها . قال ابن طولون : مالك والاعتراض على الشيخ
ثم امر بسجين الف دينار من ماله ، وألحط لكل من احترق له عي . وقبل قوله ولا يصحف ،
فأعطوا لمن ذهب ماله . وفضل من المال أربعة عشر الف دينار ، ثم امر بال عظيم أيضاً حرق
في قرا . أهل دمشق والنوطة ، وأقل ما أصاب الواحد من المستورين دينار (عن النجوم الزاهرة
لابن ترمي يودي) .

مفاوضته سيما
الطويل وطبيعة
ابن طولون

وكتب سيما الطويل ، وكان بأنطاكية على جهة التغلب وعصيان
السلطان ، يدعو إلى الطاعة للسلطان والسلم ، ويقول في كتابه
إليه : لست أسومك شيئاً غير إقامتك الدعوة ، وأنصرف عنك ،
ويكون البلد لك ، ندمه كما ترى ، فامتنع سيما من ذلك ، ولم فيه
لأسباب المنية ، وكان قد تحصن بأنطاكية ، لأن حصنها ما فتح عنوة
قط ، فسار إليه أحمد بن طولون وعاوده المكاتبة ، وراجعه القول
الأول ، ولطف به ، وراسله برسل معهم عقل ورأي وتلطف ،
فأقام على رأيه ، وهذا الفعل منه ، على ما كان بينه وبين أحمد بن
طولون من المحبة والمصادقة والمواقفة ، فلم يثنه ذلك ولا راعاه ،
فركب إليه أحمد بن طولون ليخاطبه بنفسه ، ووجه إليه : قد جئتك
لتسمع خطابي مشافهة ، فأشرف عليه سيما من برج من أبراج الحصن
فجرت بينهما مخاطبات ^(١) كثيرة ، بعضها بالتركية وبعضها بالعربية ،
ولأطفه بكل لطف وكل حيلة ، وحلف له بكل يمين ، فلم يجبه إلى
مادعاه إليه ، وكان آخر قول سيما له : امض واعمل ما شئت ،
فلأن يلعب الصبيان برأسي فأحمد ، آثر عندي وأحب إلى قلبي
من أن تلعب أنت بروحي . وأخطأ سيما الطويل في هذا القول
وجهل فيه ، لأن أحمد بن طولون كان من طبعه أن من لا يشه
واستسلم إليه ، رأى منه كل ما يجبه ، وبلغ منه كل ما يريد ،

ومن خاشننه أو قارومه لم يُطقه وكأفاه بما يستحق ، كما قال الشاعر :
وكالسيف إن لابنته لأن متته وحداه إن خاشننه خيشنان
وكما وصف دِعِيل بن علي الخزاعي رئيساً كان في زمنه فقال :
وإذا جالسته صدرته وتنحيت له [في] الخاشبه
وإذا سائرته قدمته وتأخرت مع المتأنيه
وإذا لابنته صادفته سلس الخلق سليم الناحيه
وإذا خاشننه ألفتته شرس الرأي أيبأ داهيه
فاحمد الله على صحبته وسلِّ الرحمن منه العافيه
وكانت هذه الأفعال كلها في أحمد بن طولون ، قد تبيينها الناس في
علي بن إسحق وعلي بن ماجور وغيرهما .

فانصرف أحمد بن طولون عن سبها ، لما سمع ذلك القول منه من
مقتل سبها الطويل
وقته ، وكان عسكره فيما يلي الباب المعروف بباب فارس ،
فأقام بقية يومه ، وباكره من غد فنصب المنجنيقات ، ورمى
الحصن بالحجارة وبالنفط ، وكان سبها قد أساء الشره لأهل
أنطاكية ، فكرهوه وبفضوه ، فلما حاصرهم أحمد بن طولون ورمى
بصنهم بما لا يأمنون منه المكروه ، وعللوا أنهم لا يقاومونه ،
شوا إليه فدلوه على الموضع الذي منه المدخل إليهم ، فلما كان
الليل دخل أحمد بن طولون وأصحابه الحصن منه ، ونصب أعلامه .

عليه ، وركب سبياً الطويل فأحرق باب فارس ليشغلهم بالنار ،
فتمكنه النجاة بنفسه ، وسقط الباب الحديد ودخل منه إليه بقية
أصحاب أحمد بن طولون ، وهو لا يعلم ذلك ، وطلبه أحمد بن طولون
وأصحابه والتقوا ، فحارب بنفسه ساعة حرباً ^(١) شديداً بانث
فيه رُجلته وجزأته . وقد تقدم أحمد بن طولون إلى جميع من
معه ألا يُقتل ، وإن أمكن قتله ، ولا يُرمى وإن أخذ أخذ
سليماً ، فلبغض أهل أنطاكية له رمي بالطوب والحجارة من المنازل
والمواضع فتحير ولحقه سهم فصرعه ، فقتل في المعركة ولم يُعلم به ،
وبقي مطروحاً واستأمن أصحابه وغلماه ، وأحمد بن طولون يسأل
عنه ويبحث عن خبره ، فماوقف عليه حتى اجتاز به آخر النهار
وصيف اللاني مولى التصيصيين ^(٢) فعرفه ، فنزل وأخذ رأسه ،
وأتى به إلى أحمد بن طولون ، فنصبه على رمح ، فلما رآه من كان بقي
من أصحابه منهم من هرب ، ومنهم من استأمن .

ولما رأى أحمد بن طولون رأس سبياً قال : قد علم الله جل اسمه أنني
كنت أحب لك غير هذا فأبيت ، فأنا بريء من دمك ، والله
ما أمرت بقتلك ، ولقد نهيت عنه ، فأحبَّ الله جل ذكره فيك
ما أحب فأمضاه . وكان ذلك في المحرم سنة خمس وستين ومائتين ،

(١) في الاصل : حارب معه ساعة حوفاً شديداً (٢) كذا والنائب ان التصيص كان
من اهل المرة مرة الهان . قال البيهقي : ووثب بالمرء المروف بالتصيص وهو يوسف بن ابراهيم
التوخى فجمع جوماً من توخ وصار الى مدينة قسرين فتصن بها .

وقبض أحمد بن طولون على جميع ما كان لسيما من مال وُعدة وكرّاع وغير ذلك ، وكلّ شيّ عظيم جليل خطير .

دخول ابن
طولون طرسوس
ورجوعه عنها
لأسباب سياسية

ودخل إلى طرسوس في جمع عظيم ، وعزّ منيع ، فضاقت السّعر بها ، وضاقّت بأصحابه وسواده طرقاتها ، فاضطرب أهلها وتأذوا بأصحابه فصاروا إليه ، وفهم غلظة أهل الثغر ، ونسوا أنهم في وجه عدو عظيم قد فاموه فقالوا : عافاك الله قد ضاق بأصحابك بلدنا ، وتعدرت بك معبثتنا ، وتقصّ سعرتنا ، فما أقت في عدة يسيرة تحملها بلدنا ، وإلا رحلت عنا . وكان كلامهم له كالشّنب ، فقال لهم برفق وتأنّ نرحل عنكم ، حفظكم الله ، وركب من وقته .

وأطلقوا السنّتهم في أصحابه ، فقال لهم أحمد بن طولون : احذروا أن تناذبوهم فقالوا له : قد حملوا السلاح يريدوننا . فقال لهم : انهزموا عنهم ، وأظهروا الخوف منهم ، واخرجوا عن بلادهم ، فقد ضيقناه عليهم ، فشقّ على أصحابه ما أمرهم به من انهزامهم عنهم ، وقالوا له : أيها الأمير نكسرنا عنهم ، وليس عدتهم كعدتنا ، ولا حالهم كحالنا ، ولا هم وغيرهم من يقاومنا ، وخاطبه وجوه قواده ببثل هذا ، وقالوا له : علينا في هذا مكسرة ، ووضعنا عندهم وعند غيرهم ، فقال : ونجّكم كل ما تقولونه أنا أعلمه ، ولي فيه ما قد علمه الله جل اسمه ، وأنا أتحمّل فيه وأحملكم كل مكروه ومشقة مما ذكرتموه ، تقرّباً إلى الله عز وجل ،

فقالوا له : فيعرفنا الأمير لنسكن إليه . فقال : إنه لم يخفَ عن ممتلك
الروم العِدَّة التي دخلت هذا البلد ، والعدة وما نحن عليه من القوة
والنجدة ، فأحببت أن يستقر في قلبه ، وعنده وعند عساكره
وجنوده ، أنا على ما نحن عليه قد ضعفنا عن أهل طرسوس ، ولم يمكننا
مقاومتهم ، فانهزمتنا عنهم ، وعزيم فهو الله عز وجل ، وعزكم فهو لي
والله جل اسمه أولى أن يُؤثر ، فقالوا : صدق الأمير ، الآن طابت
نفوسنا ، وضرب مضاربه خارجها ، حتى فرغ مما احتاج إليه ، ومنع
أن يدخل إليها أحد من أصحابه حتى رحل عنها .

وركب يوم الجمعة ، وقبل رحيله ، دخل إلى الجامع ليصلي
راجلاً برداء ونعل ، ومعه ثلاثة غلمان . فصلى الجمعة وجلس في الجامع
ففضى حوائج أهل البلد ، في كل ما سألوه فيه وأرادوه ، وبلغ لم
كل ما أحبوه ، وتصدق بجملة من المال ، وكثر الدعاء له والضحج
بذلك في الجامع والطرقات ، وخرج إلى مضربه ، وخرج أهل البلد
كلهم معه يشيعونه ويدعون له ، ورحل عنهم . فبلغ ذلك ممتلك الروم ،
وما كان من أهل طرسوس معه ، فغطت هيبة الثغر في قلبه .

احسانه لأهل
طرسوس
واجتماعه ببعض
النسك

حدث أبو العباس [الطرسوسي] المتولي كان لغسل أحمد بن طولون
عند وفاته ، وكان رجلاً خيراً فاضلاً زاهداً ، بتقوت من المباح ،
قال : كان بطرسوس رجل من خشن الصوفية خيراً فاضل ، قد خرج من
طعة جليظة ، ونعمة حسنة ، إلى الله عز وجل ، بتقوت من عمل الخوص ،

وكان لا يقطع الخروج إلى الثغور راجلاً، وكان أحمد بن طولون، بمقامه في ابتداء أمره بطرسوس، مواصلاً له [وتمجبا من حسن ألفاظه] فحدث قال : لما أراد أحمد بن طولون الانصراف عن طرسوس أحضرني فجبته فساء لني عن حالي ، فشكرت الله جل اسمه عليها ، فقال : قد سررت بنظري إليك ، وأنا أريد أن تتقدمني مع العشاء إلى منزل فلان صديقنا ، يريد الرجل الذي قدمت ذكره ، فتجلس عنده ولا تعرفه مصيري إليه ، فإن سألك عني فلا تریه في كلامك هية لي ، وكن في جوابك له مستكينا خاضعا لذكري وأقرته مني السلام ، وعرفه أني استدعيت مجيئك لتعرف خبره ، وذكرت لك شدة شوقي إليه ، وقل له آخر كلامك : وأحسبه يصير إليك ليسلم عليك قبل رحيله ، وودعه وأخرج ، فلتقاني وتعرفني ما جرى بينكما . وكانت قد حصلت بيني وبين أحمد بن طولون ، بطول مقامه بالثغر ، مودة وعشرة وصحة على الخير ، وكان يطوي أياما وبجبي الليل بالصلاة إلى الصبح ، فأحبه قلبي ، وقلب كل من شاهد ذلك منه ، فلم أحب مخالفته ، ومضيت فصلت كما رسم لي ، فقال لي بانكسار منه وكثرة حياء : بجبي متى شاء . وانصرفت عنه ، فلقيت أحمد بن طولون في الطريق ، وهو يريد المهدي راجلاً ، ولبس معه إلا غلام واحد كان خصيصاً به ، فأخبرته بما جرى فردي معه إليه ، فلما دخلت إليه قلت له : لقيني فردني إليك ، فلما قرب منه أحمد قام

إليه وقال: هذا ما توجه الطاعة لأولي الأمر، وقار كهُ يخطئ، فبكي
أحمد بن طولون، فقال له لما استقر به المجلس: يا أخي ما الذي
أذكرته من ربك حتى شردت عنه، وأنت مع نباعدك عنه لا تخرج
من قبضته، فارحم نفسك من تحميلها ما لا تتحمل، واعلم أن
جِدَّهُ يَمِصُّ هزلك، وطاعته تزيل اجترامك، ولا تستكثر من
الدنيا ما لا يخفُّ مَمَك حمله، ولا ينفعك إذا دعا بك ربك، وتيقن
أنك مردود إليه بملك وحده، وما سواه متخلف عنك. وأحمد بن
طولون لا يزيد على البكاء الكثير شيئاً.

قال أبو العباس: فالتفت إليّ الشيخ وقال: يا أخي ما ترى الناس
كيف يَظَرُونَ تحت الأقدار، ثم رفع رأسه إلى السماء وقال: اللهم
بَصْرَهُ رشده، وارحمه من سخطك عليه، ثم قال له: انصرف في
حفظ الله [فإني أخاف أن تُمدِّيني بحب الدنيا وطاعة الاثتار]،
ولست أنسك عند ذكري إن شاء الله.

قيل لأبي العباس: كيف حفظت هذا الكلام؟ قال: كان
الغلام الذي كان مع أحمد بن طولون هو الذي كان كاتب السر،
الذي كان يكتب كل ما يجري من أحمد بن طولون مع من يخاطبه،
وما يجري من مخاطبه له، ولا يسقط من ذلك شيئاً. فإذا خلا
عرض الغلام عليه بجملاً^١ بما يجري يوماً وليلة ليله، فكتب

ترجمته في حيط
المجلس ونقل
الكلام

الغلام جميع ذلك على الرسم ، فلما انصرفت مشياً له إلى مضره سأله أن يأمر الغلام أن يطلق لي نسخة فأمره بذلك فسخته .
قال مؤلف هذا الكتاب : وكذا كان أحمد بن طولون إذا أنفذ رسولا في حاجة برسالة ، قال له : أعد علي ما قلت ، فإن أعاده ولم يخزم منه حرقاً أنفذه ، وإن قصر عن ذلك استبدل به وأمر بحبسه .

مثال من حزمه
والظفر بينه وبين
غيره

قال : وكان أحمد بن طولون قد عمل على أن يغزو قبل أن ينصرف من الثغر ، حتى ورد عليه الخبر بخلاف ابنه العباس عليه ، وأخذته كل ما تهيأ له من المال والكرأع والسلاح ، وذهابه إلى الثغر ، وحمله معه أحمد بن محمد الواسطي كاتب أبيه مكرهاً ، وأمين الأسود مقيدين ، فانكفأ راجعاً إلى مصر قد حيره ما داهاه من مأنة .
فمن دهائه وجودة رأيه وحزمه ، أنه لما عمل على المبادرة إلى مصر ، لم يكن الرأي عنده أن يترك أطراف عمله منتشرة ، غير مضبوطة ولا محروسة ، فتوقف ، وفي قلبه أحره من الجمر ، حتى بعث بأحمد بن جينغويه في جيش كثيف إلى حران^(١) وما والاها ، وبعث بلوتو غلامه في مثل ذلك إلى فواحي الرقة^(٢)

(١) حران فتح الحاء وتشديد الراء : بلدة بمجزيرة ابن عمر ومن جهة ديار بكر .
(٢) الرقة تشديد الراء والتفاف : بلدة على الفرات كانت عامرة جداً اتخذها بعض ملوك بني العباس مصطفاً لهم وهي اليوم مركز ضاحكها بضعة ألوف . وبعدها الكركي من مدن العراق وقال : وكل أرض إلى جانب واد ينسط عليها الماء أيام الدم يحمر غنها تكون مكرمة لنبات فهي رقة وبذلك سميت للدينة .

والمدارس " ليضبط ذلك . وهو آخر عمله مما يلي الشرق .
قال مؤلف هذا الكتاب : ومثل هذا بعينه رأيتاه مع مؤنس
الخدّام الذي كان يعرف بالأستاذ ، أما وجهه " به المقدر لقتال
عبد الرحمن صاحب القرب ، وقد حصل عبد الرحمن هذا بالقيوم ،
وملك أكثر أعمال مصر فأقام مؤنس الخدّام بالجيزة حتى استتم
ما أراد من العدة ، وسار إلى القيوم في جيش لم يُرَ مثله قط .
أخذ أول عرضه الجبل والأهرام ، وأخذ آخر عرضه شط النيل ،
وأخرج في البحر مراكب حرية والعلايات والعشاريات والسناديل
المهالة والقوارب وكل صنف من السفن مما لا يحصى كثرة ، مملوءة

(١) مكنا في الأصل بلا قط ولا تحرف بلدة بهذا الرسم هناك
(٢) لم تكن وفاة مؤنس الخدّام مع عبد الرحمن صاحب القرب كما جاء في الأصل بل كانت
مع جيش المهدي الفاطمي وكان سير جيشاً في سنة احدى وثلاثين مع ابنة أبي التماس الى الديار
المصرية فاستولى على بركة وملك الاسكندرية والقيوم وسار في يده أكثر البلاد فسير اليها القندر
بأقمة مؤنس الخدّام في جيش كثيف فصار بهم وأجلام عن مصر فادوا الى القرب شهزمين على
على ما روى ابن الأثير في الكامل . وذكر صاحب تاريخ مصر وولانها أن جاسة بن يوسف
سار في جيوشه من بركة قاصداً للاسكندرية في مائة الف أو زيادة عليها فدخل الاسكندرية
يوم السبت لثلاث خلون من الحرم سنة ائتين وثلاثين وقدمت الميوش من الشرق وخرج تكين
بجيوشه الى الجيزة فسكر بها وسار جاسة من الاسكندرية فسكر بمشول فتودي بالقرب في
النسطاط واتفق الميشتان وقتلت رجالة جاسة كلهم ونهزم جماعة ومنع أهل مصر أكتانهم ومضوا
على وجوههم حارين . ومشتول المذكورة أختاً كانت على الأغلب قرب الجيزة وكان في الشرقية
قريتان باسم مشنول يقال للأولى مشنول الطواحين ولثانية مشنول القاضي . ومشنول القاضي
ما زالت حاضرة : وهي من عمل الرنازيق أما مشنول السوق فهي اليوم قرية من مركز بلبيس
من مديرية الشرقية في الجنوب الغربي بانناس على ماني الخطط التوفيقية . ومشنول الطواحين
هي مروفة .

رجالاً وسلاحاً وعلوفةً وزاداً ، حتى كأن البحر كله قد فرش سفتاً ، وكانت تسير في البحر مسير الجيش في البر . فلما اتصل خبره بعبد الرحمن ولي هارياً راجعاً من حيث جاء ، ولحق 'مرعان' مقدمة موئس أطراف أصحاب عبد الرحمن ، فأسروهم وقتلوا منهم خلقاً عظيماً ، فلما اتصل بموئس خبر عبد الرحمن وهربه ، أتاح له الفكر واليقظ أن يكون أظهر ذلك ، لما صح عنده خلو البلد من الجيش فخالف إليه ليملك القصة عليهم ، وأمر تكين " الحاصه " وكان أمير مصر يومئذ ، أن يلحق الجيزة ويضرب مضاربه بها ومصافه ، فأقبل تكين ركضاً من القيوم حتى ضرب مضاربه بالجيزة ، حيث كانت قبل الرحيل . فسأت ظنون الناس لذلك ، ولم يعلموا ما السبب فيه حتى انكشف لهم . وهذا من اليقظ في سياسة المساكين ومن حزم الرأي وجودة التحفظ ، وإنما استدرك موئس الرأي بعد . ولا أحد بين طولون فضل السبق ، لأنه استقبل أمره بحسن التدبير ، وضبط الأعمال ، قبل دخول آفة عليها وعليه فيها ، فكان هذا من إقباله .

القبض على موئس
ابن الأمامش و
ل صميم جيش

ولما وصل ابن جيفويه إلى حرّان وجد فيها محمد بن أنامش^(١) فطرده عنها ، وهزمه أقبج هزيمة ، فالصل خبره بأخيه موسى بن أنامش ،

(١) تكين : هو ابن منصور الخزري مولى المعتد بالله ولي الشام ومصر مرات وولي مصر من قبل المعتد غير مرة احداهن في شوال سنة سبع وتسعين ومائتين وعزل عنها سنة اثنين وثلاثمائة على ما في تاريخ دمشق لابن عساكر
(٢) في الكامل لابن الأثير : محمد بن أنامش وموسى بن أنامش . ولي الأصل محمد بن أمس

وكان موسى بن أتامش هذا من الفرسان المدودين ، والشجعان المذكورين ، فأناظه ذلك ، وخرج تعصباً لأخيه وطالبا له ولثأره ، يريد ابن جيفويه . فلما اتصل خبره بأبن جيفويه 'سقط' في يده ، وخاف أن يضعف عنه ، ووقع بين شرين ، كما قال الشاعر :

[فقال] غدرٌ ونكلٌ أنتَ بينهما فاختَرَّ وما فيها حظٌّ لمختار
مقارعة موسى بن أتامش وليس هو من أنداده ، ثم التكوص عنه والرجوع إلى أحمد بن طولون فيلقى منه التلف والبوار . فأحزنه ذلك وحيره ، فتأمل بعض أصحابه من الأعراب المضمومين إليه بكفى أبا الأغر ، وليس بصاحب ابن الخليج ، فقال له : أعا الأمير مالي أراك مقطبا مضموماً ساهماً مفكراً منذ أيام فما الخبر ؟ فقال له : لخبير موسى بن أتامش فقال له : فما هذا وزن ابن أتامش ولا مقداره أن يبلغ منك مبلغه هذا المبلغ العظيم ؟ والله إنه لطياش قلقي ، ولو شاء الأمير أن أمضي فآتي به إليه أسيراً لفعلت ، فبقي ابن جيفويه متعجباً من قوله ، وقد أناظه منه ذلك ، فلنظفه قال له : نعم قد شئت أن تأتيني به أسيراً ، ولك السابق الوافر ، فقال له : فضمُّ إليَّ عشرة^(١) رجال اختارهم ، قال : أفعل . فاختار عشرة كما أحب ، وأمرهم ابن جيفويه بالسمع والطاعة له .

وخرج فكمن أربعة منهم بموضع ، وثلاثة في موضع آخر ، وجعل

(١) دم وحمى (٢) في الكامل : فاضم إليَّ عشرين رجلاً اختارهم

بينه وبين الثلاثة علامة وشعاراً ، وسار في الثلاثة الباقية معه في زبي
الأعراب ، حتى خالطوا عسكر موسى بن تماش ليلاً ، فقصدهم ضربه ،
فلما قرب منه تعائر بأري^(١) فيه خيل مربوطة قريبة من المضرب ،
فخلع الأري^(٢) فنفرت الخيل ، وصيح بها فرت نافرة تعدو بين المضارب ،
وصاح هو ومن معه : الأعراب الأعراب ، وأصحاب موسى متفرقون ،
منهم من قدم مضى يلتمس علفاً لدوابه ، وآخرون في حوائجهم ، ومن في
الحميم ، فمنهم من يشرب ، ومنهم من يضرب بطن بوره ويفني نفسه ، ومنهم
من قد سكر ونام . قد أمنوا أنهم لا يقدم عليهم أعراب ولا غيرهم .
فأول من خرج لما سمع الصوت موسى بن تماش وحده ، ثقة
منه بنفسه وشجاعته وإقدامه ، وقد كان كذلك ، وما كان يبنيه
غير عجلة الإقدام ، وهي التي تنسب إلى الطيش . فلما رآه أبو الأغر
مرّ منزهماً بين يديه ، قصده موسى وأقبل أبو الأغر يطعمه في
نفسه ويريه أنه قد خافه وهابه ، وهو بين يديه يتطارد ، ولجّ موسى
في طلبه حتى قرب من موضع الكُنا فناداهم بالعلامة بينهم ،
فخرجوا إليه من هاهنا ومن هاهنا ، فمطّف هو ومن اجتمع معه على
موسى بن تماش فأخذوه أسيراً ، وأقبلوا به بقودونه قوداً إلى ابن
جيفويه ، فورد عليه وعلى الناس من ذلك ما تعجبوا منه وتميروا له
وقالوا : ليس هذا بتدبير الأعرابي ولا برُجلة^(٣) ابن جيفويه ، ولكنه

(١) في الأصل : بدوى ولله بأري أي بأخية وهو حبل تشد به الدابة في حبسها

(٢) في الأصل : الروى . (٣) والرجولة والرجولية بمعنى واحد

بإقبال أحمد بن طولون تهماً أخذ مثل هذا الأسد مالم يُطعم في مثله ،
فحيره إقباله حتى خرج بنفسه مبادراً ولم يعلم به أحد من غلمان
ولا طلبه ولا استدعاه . وكان لما أن ركب موسى وعلم به بعض غلمانه
وأصحابه ركبوا خلفه ، فلم يدروا كيف ذهب ، وكانت ليلة
ظلاماً ففترقوا ميمناً وشمالاً ، ولم يُقدَّر لواحد منهم أن يسلك طريقه
التي قصدتها ، ليم القضاء المقدر لأحمد بن طولون ، فلما وصل إليه
اعتقله في حجرة فرشها له في داره ، وفك قيده ، وخلع عليه ،
وبلغ في إكرامه ما يستحق مثله ، وخلع على أبي الأغر وأجازة ،
وزاد في رزقه ونوّه باسمه ، وقد كان ابن جيفويه أجازة أيضاً ،
وحمله وخلع عليه ، قبل إنفاذه موسى بن أتمش إلى أحمد بن طولون .

قال : وعدنا إلى أخباره المشهورة في دهائه وعقله وحزمه ،
وجعلنا نخب ابنه العباس باباً مفرداً كما شرطنا . فمن ذلك أنه لما
وجه بالواسطي إلى العراق كما ذكرنا في أول أخباره ، واستكتب
جعفر بن عبد الغفار ، اضطرب بما حمّله من الأمر ولم يكمل له ،
فقال له حمدان ^(١) بن خاقان : الأمير أبده الله يحتاج إلى كاتب أوفى
وزناً من هذا الكاتب . فقال له : أنا احتمله وأقنع به لأنه مصري .
فقال له : والأمير أبده الله يرى أن الكاتب المصري أكتب من
العراقي وأنهض بما يتولاه ؟ قال له : اعلم أن أصلح الأشياء إن ملك

تفضيله المصريين
في الاستخدام
على العراقيين

بلداً أن يكون كاتبه منه ، فإنه يجمع بذلك أشياء تحمد عاقبتها .
منها أن عيال الكاتب وشمله ، وكل ما يملكه معه في بلده . ومنها أن
جميع ما يكسبه فيه ، وإن كان ممن يرغب في تجارة كانت تجارته
فيه ، أو في شراء عقار أو بناء كان فيه . ومنها أن جميع ما يتجمل
به ولده وعياله ويقتصده لم من قليل وكثير فني بلده ، وما يعتقده^(١)
من ضيعة أو ربيع^(٢) أو ماشية فكله عمارة لبلده ، وضمنه الجناية إن
كانت منه أو جناية أحد من جهته ، [هو] مع هذا وأهله ظاهرون
لي ، متصرفون في خدمتي .

والكاتب الغريب ليس كذلك لأنه يعتقد المستغلات في البلد
النائي عني ، وكده عمارة بلده بتخريب بلدي ، وهو كذلك في كل
حال متطلع إلى بلده ، فإن اجتمع علي^١ منه أن يكون رئيس بلده
من أميرها أو وزيرها عولي (؟) وهو أحد أهله التمسين معه في بلده
خلطة أو خدمة فاختصار الجبه (؟) أمن الاشتغال عليه . فهذا الذي
زهدي في كتاب العراق ، مع علمي بما فيهم من الصناعة وتقدمهم في
الكتابة ، فقال له : قد أصاب الأمير الرأي وفقه الله .

وكيل ابن طولون
في بغداد وحلته
في الانساع
بالعدو

ومن ذلك أن طيفور خليفته بالحضرة كتب إليه أن رجلاً من
الموالي قد أشجاني وضيع علي^١ ، وشغل قلبي ، مما لا يجري ذكرك أيها

(١) الشدة بالنم : الولاية على البلد كمرود والنعمة والنعارة الذي اعتده صاحبه ملكاً

(٢) الربح : الدار بينها ، ويميز الربح وهو النقة .

الأمير بمحضته في مجلس الموقف أو غيره إلا بسط لسانه فيك ،
وحرّض عليك ، فكتب إليه يقول : قد وجهت إليك كتاباً يصل
من يدك إليه ، فأوصله سرّاً عن جميع الناس ، مع ما قد حملته إليك
لتوصله إليه أيضاً ليلاً ، فلا يقف عليه أحد بوجه ولا سبب .
قال : وكان الكتاب يصف فيه شوقه إليه ، وتطلّعه إلى معرفة
خبره ، وأنه قد كان منذ مدة طويلة ، يطلب رجلاً يعتمد عليه
بالحضرة لمهاتنه ، ففسر ذلك عليه ، خوفاً أن ينكشف أمره ، فيتعذر
عليه ما يحتاج إلى معرفته من جهته ، فلما بلغني مقالاتك في ، وبسط
لسانك بذكري ، بما يسر العدو ، ونعم الصديق ، علمت أن بهذه
الحال يتم لي بها منك ما أحبه ، وتيقنت أن بمودتك برجوعك إليّ
يحصل لي ما استميل به قلبك ، وأرغب فيه من موآخاتك ومسالتك ،
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تهادوا تحابوا . وقال أمير المؤمنين
عليّ عليه السلام : الهدية عطفة القلوب . وقد وجهت إليك بما جعلته
هدية إليك التي دينار تصرفها في بعض مهاتك ، ولن أقطع مواصلتك
بحسب ما أقف عليه من خلوص طوبتك ، وصحة نيتك ، فلا تخلي
يا أخي ، أعزك الله من ذكر أحوالك ، حسنها الله ، وتكاتبني بجميع
ما أحتاج إلى علمه فإن الذي تأتيه من ذلك بغير ويستتر عن
الخلق كلهم ، لما يعرفونك به من الانحراف عني ، ولا تقطع ذكري بما
جرى رسمك بذكرك ، بل فزدني ثلبي والطنن عليّ ، فإنك تبلغ لي

بذلك ما نحب لي ، وترني فيما تأتيه في ذلك إن شاء الله .
فلا وصل الكتاب إلى طيفور ركب به كما أمره ، وأوصله إليه
والمال ، فدعا له وشكره ، ووعد طيفورا بأنه يبلغ له في ذلك فوق
ما يجبه ، وصار من أخص أصحاب أحمد بن طولون على الأخبار ،
فكان بكتابه بجميع ماجري في دار الموفق ودار المعتمد وسائر البلد ،
مما يحتاج إلى علمه ، واستقر أمره مدة طويلة عن أصحاب أخبار
الموفق ، ثم انكشف أمره للموفق ، فأحضره وضربه بالسوط ، ورماه
[في] المطبق ، وأقام فيه أياماً ومات . فانتفع به أحمد بن طولون مدة
على الضرورة ، ثم استراح منه دفعة واحدة بأهون سعي ، وذلك الذي
قصده فيه .

ملك الروم يطلب
الهدنة

ومنه مارواه أبو جعفر بن عبد كان أنه ورد عليه كتاب
تملك الروم^(١) يسأله الهدنة ، فأجابه إلى ذلك وقال له : اكتب إلى
طخشي بطرسوس أن تملك الروم سألنا الهدنة مدة كذا وكذا ،
وقد أجبناه إلى ذلك ، على علم منا أنه لم يدعه إلى ما سأل ، إشتاق
من سفك الدماء ، ولا تحوز لطلب السلامة ، بل أظن ، وهو كذلك ،
أنه قد خربت له قصور أو استرمت^(٢) ، أو لحقه من بعض أعدائه

(١) يقول ابن الأثير في الكامل في حوادث سنة ٤٦٥ أن فيها بث ملك الروم إلى أحمد بن طولون جيشاً من رشيد بن كلوس وهدية أسرى وأخذ منهم مصاحف من هدية إليه . نقلها : ولعل صاحب الروم جعل عمله هذا وسيلة إلى عقد الهدنة مع ابن طولون في تلك السنة .
(٢) استرمت : دعا إلى إصلاحه وكان له أن يرمم

اضطراب اضطره إني الهدنة هذه المدة، ومن الحسران المبين أن يكون
بما التمس من ذلك أسعد منا، وإذا قرأت كتابي تعاهد جميع الحصون
التي بقربك، فرم منها ما استرمت، وأعمر منها ما خرب، ووجد منها
ما أخلق، وأنفق على ذلك من مالي الذي في أيدي وكلائي في ضياعي
التي تقرب منك، وفرق في صعاليك أهل الثغر من نصرته به هذه
الهدنة ما يقيم أودهم ويكفهم، وأوسع عليهم في ذلك، وطالعي بما
يكون منك فيه فأني أراعيه إن شاء الله .

قال ابن عبد كان: وكان مضطلماً بالكتابة: فوالله العظيم ما حضرني
لهذا الكتاب أحسن من معاني ألفاظه كلها فلم أتجاوزها، وأنفذ
الكتاب وعمل به .

ومن ذلك ما حدثت به تعت^(١) أم ولده قالت: كان عندي له
جوار أهدين إلى مولاي، ما رأيت أحسن منهن ولا أجمل، فأقمن
عندي مدة لم يطلبهن، فشوقته إليهن، بحسن الصفة لمن، فذكر
لي شغل قلبه عن ذلك، ثم دخل إلي بعد ليال، فتبينت منه انشراح
صدر، وطيبة نفس، فذكرتهن له فقال لي: اعرضين علي واحدة
واحدة، ففعلت، فنظر إلى الأولة وقال: حسنة والله، ثم أحضر
بعض الخدم ودفعا إليه وقال له: امض بها إلى غلامي فلان، وقل

عزوف ابن
طولون عن
النساء

(١) في كتاب ابن الداية: وحدثني بنت، أي ان ابن الداية هو الراوي عنها لا مؤلفنا
وقد روى عنها ابن الداية عدة أخبار ذلك على عدة أنحاء مالم يثبت العالوني

له : بجياني عليك اطلب من هذه الولد [مرك الله وكثرك] ، ثم لم يزل يفعل ذلك بواحدة واحدة حتى استوفى عدتهن مني .
فتبين النبط في^١ ، فضحك وقال : أراك مغيظة ؟ قلت : يا مولاي ، آثرت مثل هؤلاء المتعذر مثلين ، غلانتك على نفسك ، فقال لي : يا ويحك قد ارتفعت رغبتني في النكاح وما ناسبه ، وإنما رغبتني الآن وغرضي وأري في حراسة دولتي ، وضبط نعمتي ، ومن اضطر إلى من يضافره على أمره سلك هذا المسلك ، وآثر هذا الايثار ، وهؤلاء الثلمان فهم عدتي ، وينتسبون إليّ انتساب الأبناء إلى الآباء ، وشهواتهم مقصورة على الأكل والشرب والنكاح ، فأنا أوترهم بما يحبون وأرتفع أنا عنه ، كما أنهم يوتروني في أوقات التضايق على نفوسهم ، فيبدلون في^٢ مهجهم دون مهجتي ، قلت : وفق الله الأمير ، فقال لي : اعلمي أنني أجد في فهم الرجل عني وإفهامه إياي من الالتذاذ أكثر مما يجده مجامع الحسان من لذة جماعها ، وحسبك ، فدعوت له .

بعض أطلاق ابن
طولون وعادته
في إدارته

وحدث نسيم الخادم قال : جرى ذكر أخلاق قوم بين يدي مولاي فقال : أما أنا فأرى أن أدفع بمالي عن رجالي ، وبرجالي عن نفسي ، ومافي الأرض عندي أبغض إلي من رجل يزيد ماله على فعاله وحالته على كفايته .

واستكتب كاتباً فقال له : إني جعلتك صاحب خبز على ألقاظي ،

فانظر كل ما يجري بيني وبين من يخاطبني ، من كان من الناس من صغير
وكبير ، فاكتب خطابه وجوابي ، وخطابي إياه وجوابه لي ، واعرضه
عليّ بالعشيّ ، فكان يراعي هذا أشد مراعاة
وحدث عنه ابن عبد كان قال : كنا ننشئ الكُتُب إلى السلطان
وغيره من أصحاب أعماله ، فيرد في الأجوبة غير ما صدرت به الكُتُب
إليهم ، فذكرت له ذلك لما كُتِبَ ، فضحك فقال : هذه أجوبة عن
أشياء أضمتها أنا الكُتُب لا أطلعكم عليها .

لديقه في
الرسائل الصادرة
عنه

ومن ذلك أن كتابه^(١) لم يكونوا يختصمون كتاباً ولا يجررون
نسخته حتى يعرضوه عليه ، فإن استصابه^(٢) أمضاه وإلا غيره . وكان
لما استكتب في خرجته إلى الشام أبا الضحاك محبوب بن رجاء ، ولم
يكن بالكامل ، إلا أنه كان حاضر الذهن ، حلوا الألفاظ ، فعرض
عليه يوماً كتاباً فلم يقل فيه شيئاً ، فأنقذه محبوب فسأله عنه أحمد بن
طولون بعد أيام فقال له : قد أنقذته ، فحرد واغتاض ، وقال له :
وبلك ، حق الكُتُب أن تراجع فيها الأفكار ، وقد كان ينبغي أن
تؤخر إنفاذه وتراجعني فيه . فكانت كتبه بعد ذلك تؤخر لمراجعة
النظر ، والتصصح بعد الإنشاء ، وجعل لها ديواناً .

(١) قال ابن تيري بردي في النجوم الزاهرة : وكانت الديار المصرية من حين الفتح الاسلامي
والى الدولة الطولونية امانة ، ولم يكن لديوان الانشاء فيها كبير أمر . فلما استولى أحمد بن طولون
عظمت مملكها وقوي امرها فكتب عنه أبو حنيفة محمد بن أحمد بن مودود .

(٢) استصاب استصابه واستصوب استصوماً قوله وظهر ورأى : رأى صواباً

فقال له يوماً في كتاب قد كان عرضه عليه : أظن ذلك الكتاب قد شارف دمشق ، فقال له محبوب : لا والله ، أيها الأمير ، هو موخر في ديوان التصفح^(١) ، فقال له : ويل لك ، أنتك في رأيي حتى تطلب مراجعة بعد مراجعة ؟ وإنما قصدنا مراجعة مرة لا مرتين ، كأنك تراني بعين من لا يوثق بخاطره ونظره فكيف مراجعة مرة . فحمل محبوب بن رجاء الفيظ والد الآلة عليه إلى أن قال له : أيها الأمير ، ما أدري أي شيء أنت . إن قد منقلت : أخروا ، فإن أخرنا قلت لنا : قدموا . فأمر به فبطح وضربه خمس مقارع ، فكنت المقارع تأخذه وهو يقول : اقتلني وقل لي أي شيء أنت ؟ فضحك منه وأطلقه

وهذا كله فإنما كان منه دهاء ، ولم يكن في كتابه أحد أعرف بخدته ، ولا أصبر عليها من أحمد بن محمد الواسطي . لقد عتب عليه يوماً فضربه بيده ضرباً لا يحتمله الملوك . ومن حس أفعاله أنه كان لا يضرب أحداً من كتابه إلا هو بيده ، كما كان يضرب من يخطف من ولده بيده .

ولما ضرب الواسطي ضرباً بلغ منه ، أمره بالانصراف عنه ، فلما خرج من بين يديه ، طرح نفسه في دهليز من دهاليزه ، فأقام فيه ثلاثة أيام ، ينام على حصير الدهليز ، ودواته تحت رأسه ، صائماً نهاره ،

(١) في الأصل : في ديوان مساسة التصفح

فإذاً صليت العشاء أظفر على خبز وملح لا غير ذلك ، ولم يتبها لأحد من حاشيته [أن] يفعل في أمره ما يستحقه ويلزمهم له خوفاً منه ، وأخباره تنقل إلى أحمد بن طولون في كل ساعة .

ولما مضت له ثلاثة أيام ، أحضره وخلع عليه ، وأجازه وعاتبه على ما كان منه ، حتى أخرجه إلى ما جرى إليه ، وأنه جعل ذلك تأديباً له كما يوزب أحد ولده ، فشكر ودعا وزادت حاله عنده .

وحدث الواسطي هذا قال : انصرفت ليلة إلى داري ، وكان عندي من آس به ، وأنفرج إليه ، وأتق بمودته ، بمن يصحبي ، قد خالطني ^(١) بنفسي ، لأن الإنسان الكامل يتفرج إلى صاحبه بما لا يتفرج به إلى أخيه ولا ولده ولا خاصته وإن كانت حظية عنده .

وكنت قد ألزمته المبيت عندي ، وكان انصرافي ، وقد مضى هزيع من الليل ، فدخلت ، وأنا مقطب مشغول القلب ، فتأمل ذلك مني ، وقال لي : أطلت عند الأمير الليلة جداً ، وأراك قد جئت وعلى قلبك هم ، فما الخبر ؟ فلم يكن بي فضل للجوابه ، وبقيت بثيابي وخفي جالساً فقال لي : استخر الله يا سيدي ، وادخل إلى الحرم ، واخلع ثيابك ، ونم تهدأ أعضائك بما تعطيه نفسك من الراحة . فقلت له : دعني من هذا فقد حيرني أمر هذا الرجل الذي أخدمه وأدهشني ، وما أشبه موارد أموره ومصادرها إلا بالآخرة ، فلي والله في الفكر

لوفر ابن طولون
على كشف أسرار
صحايقه

فيها ما يشغلني عن الراحة والمطعم والمشرب التي لا بد منها
فقال لي : قد استعجلت أنا الساعة الحيرة فخبيري ما السبب ؟
قلت له : كنت بين يدي الأمير واقفاً ، أعرض عليه الأعمال ، فلم
أزل كذلك إلى أن جاء نصف الليل ، فرأيتُه وقد تشاغل عني بشيء
آثر الانفراد به ، فتأخرت وملت تبعاً إلى طرف الزقاق ، فطرحت
نفسي اغتتم استراحة ، وكان موضعاً مظلماً لا يبين من فيه لكثرة
ضوء الشمع ، فرأيت غلابي فلاناً ، وهو كما نعلم أكبرهم وأوثقهم
عندي ، وهو عدتي وعليه معوّلي ، وقد وقف بإزائه لما لم يرني ، وظن
الأمير أنني قد خرجت من الدار ، فاستدناه فدنا منه ، فلم يزل في سرار
متصل أكثر من ساعة ، ثم خرج من عنده متبسماً ، أسأله به من
محبوبه ، فما ظنك بمن أيرث ظلمانه عنده صاحب خبر عليه ؟ أي عيش
يعطيه له ؟ أو أي راحة تنفعه ؟

ومن ذلك ما حدث به أحمد بن أمين قال : قال لي أحمد بن طولون
يوماً : اطلب لي رجلاً زكي الروح ، صادق اللهجة ، صحيح التمييز ،
اهمّ لي أريده ، فوعدهته بذلك ، وقد كان في جواري فتي من أولاد
الكتاب ، فيه ما وصفه لي ، فعرضت عليه ما ذكره لي الأمير قبله ،
فأدخلته إليه ، وقلت له : هذا الرجل الذي طلبه مني الأمير ، فتأمله ثم
استدناه فدنا منه ، وأسّر إليه ما لم أقف عليه ، فدعا بالسياط والمعاقين ،

هرام ابن طولون
بالتجسس على
الناس

فشق عن الفتى وُضرب عشرين سوطاً ، وأمر به للطبّيق ، فلم استجز
أسأله عن أمره ، فانصرفت مهموماً مغموماً ، وسألني بعض أسبابه ^(١)
عن حاله فقلت : أنفذه الأمير في مهمّ له من وقته ، وأمر له بصلة ،
وقد أنفذ إليكم هذا منها ، ودفعت إليهم من عندي خمسين ديناراً ،
واستتر عني خبره شهراً ، فلما انقضى رأيته يوماً قد دخل وأناين بديه ،
وقد اتسخت ثيابه ، وطال شعره ، فاستبشرت لرويته ، وعجبت من حاله .
قدنا من الأمير فخطبه ساعة ، ثم استدعى أيضاً السياط فضربه
عشرين سوطاً ، وأمر به إلى المطبّيق ، فازدردت حيرة ونمجباً ونملاً . فلما
كان بعد شهر قال لي أحد بن طولون : يا أحمد . قممت قائماً فقلت : لبيك
أيها الأمير . قال لي : قد وافي ذلك الفتى من الموضع الذي كنا أنفذناه
إليه ، والساعة يدخل فاخرج للقائه ، فبادرت مسروراً بذلك ،
فلقيته بعين شمس ، وهو راكب على بغل فاربه بسرج ثقيل ، وجنيبة ^(٢)
تجنب له ، ومعه ثلاثة أبل تُقلُّ بحمله إليه ، فسلمت عليه وبدأني فقال :
إني لأعلم تعلق قلبك بأمرني ، فقلت له : ما أحسن أصف ذلك ،
فعرفني حالك . فقال لي : لما نظر إليّ عند دخولي إليه واستدنا في قال
لي : إن قلبي متعلق بما يجري من المتقلّين في المطبّيق ، وقد ندبتك لذلك ،
وقد عملت على أني أظهر سخطاً عليك ، وأمر بك إلى المطبّيق ، فإذا

(١) لي الحديث كل سبب ونسب ينقطع الا سبي ونسي ، النسب بالولادة والسبب بالوفاة وهو
من السبب وهو الجبل الذي يتوصل به الى الماء ثم استبركل ما يتوصل به الى النهر (تاج العروس)

(٢) الجنيبة : الدابة عماد .

حصلت فيه فأثبت ما يجري من واحد واحد ساعة بساعة ، فأني أنفذ إليك رجلاً خفي الشخص يجلس إليك ، تنفذ إليّ معه ما يجري يوماً بيوم ، قتلت له : لما توجهه هذه الحال : فأني ضربني الأمير ولو ضرباً يسيراً كان أصحّ لخبيري ، فقال : الله درك ، فما أخطأت فراستي فيك ، فأمر بضربي كما شاهدت ، وأفتت في المطبق شهراً أنفذ إليه كل يوم بجملاً بما يجري مع شيخ يأتي كالمعلم عليّ ، وأهل المطبق يسألونني عن حالي ، فأقول : لا أدري من سعى بي بما لأعلمه .

ثم أخرجت من المطبق ، فقال لي : قد قبضت على قوم آخر ، وأنا أريد إنفاذهم إلى المطبق ، فتعود إليه على رسمك ، وثابت ما يكون منهم أيضاً ، وتطالعي به فقتلت ، فأنفذ عشرة أنفس ما بين فائد وعامل و كاتب وصاحب ، فجزيت على شاكلي فيهم ، وأخرجت أمس إليه فقال لي : بارك الله عليك وفيك ، وأمر لي بألني دينار وعشرة آلاف درهم ، وما ترى من الخلان^(١) وثياب كثيرة ، وتقدم إلى نسيم بأن يسفرني هذا السفر وينفذني إلى عين شمس ، لأعود منها كاسافر . فركبت فصرت معه إلى منزله ، وقد سررت بسلامته ، وكثر تعجبي من أفعال أحمد بن طولون ، وازداد خوفي ووجلي منه .

(١) الخلان بضم اللام : ما يحمل عليه من الدواب في المبة خاصة .

ومن ذلك ما رواه رهبان دير القصير^(١) قالوا: كان كثيرًا ما يطرقتنا
الأمير أحمد بن طولون، ويخجل في بعض قلايينا^(٢) بفكره، وكان يأنس
براهب منا يقال له أندونة، فشكونا إليه يومًا أمر ابن مدبر صاحب
الخراج بمصر، وقتلناه: إنه يطالبنا بمجزية رؤوسنا، وقد أسقطت عن
أمثالنا على مرّ السنين، فوقع إليه بخطه توقيعه وقال لنا: احذروا أن
تجعلوا توقيعي هذا كالسيف الذي يصول به صاحبه، ولكن استعملوا
الاستكانة عند إيصالكم إياه إليه، والمسألة وحسن التلطف، فمعجبنا
من قوله، وصرنا إلى ابن مدبر وإذا به قد بلغه خبر التوقيع، واستعملنا
ما أمرنا به الأمير، فأخذ التوقيع منا، وبلغ لنا فوق ما نخبه.

ابن طولون
ورهبان القبط

ومن ذلك ما حدث به الفارسي، وكان من ثقات أصحاب
أخباره، وخصيصًا به جدًا قال: دعاني أحمد بن طولون يومًا فقال
لي: ويحك قد خفي عني أمر فلان، رجل كان من أصحابه الأتراك،

تجسس ابن
لون على أحد
أصحابه

(١) التالاب: دير القصير من الطويل لا القصير بالصغير ودير القصير كان في جهات حلوان في السكان
الطل على الصحراء والبل وعلى القرية المروقة كانت ببهران والمروقة اليوم باسم المصرية بين طرا
وحلوان. ودير القصير ما زال إلى اليوم طارًا. قال ابن خضلة في مسالك الأبحار: انه في
اعلى الجبل وفي اعلاه غرة ناهما حمارويه بن طولون تطل من كل جهة، وكان كثير الفتيان لهذا
الدير وإلى جانبه قرية تعرف ببهران. وفي عمل اسبوط اليوم دير القصير ايضاً لكن هذا جيد
وان طولون كان يحنث الى دير قرب السطاط وهو الدير الذي وصفنا.

(٢) القلية كالتلية: شبه الصومعة تكون في كنيسة الصاربي والجمع القلايا وقد جاء ذكرها في
الحديث وهي القلاية عند الصاربي مرب كلاذه وهي من بيوت عبادتهم (قاله الزبيدي في تاج العروس)

وقال لي : من العجب أن يضبط نفسه ، ولا يظهر شيئاً من أمره ، فأبحث لي عن حاله ، والطف في ذلك . فضيت إلى داره فجلست ناحية ، وسألت من قرب من جواره عنه ، ففرفت أنه يركب في كل يوم ، ويُتلق باب داره فلا يُفتح ، ولا يقربه أحد إلى موافاته ، فإذا وافى ونزل أغلق فلم يخرج منه أحد ولم يدخل إليه أحد إلى غد يومه ، فإذا ركب كانت تلك سبيله على هذا دائماً

فاكثرت داراً رأيتها مشرفة على داره وانصرفت . فلما كان غد يومي صرت إليها ومعي حمال ، معه ما أجلس عليه وآكاره وأشربه ليومي ، فدخلت الدار وغلقت علي بابها ، وصعدت إلى سطحها فتأملت ، وإذا فيه موضع أشرف منه فأرى قاعة التركي وبعض مجلسه ، ولم أسمع له حساً فطلعت ركبته ، فلم أزل أتوقع عودته ، حتى عاد من ركبته ، فلما سمعت حركته أشرفت ، فرأيتته وقد دخل مجلسه ، وأقبلت أراعي أمره ، حتى رأيت الطعام يُنقل إليه ، إلى أن فرغ من آكله ، وأدخل إليه الطست وانسل ، ولم أسمع بعد ذلك له حركة ، فطلعت أنه لما آكل نام ، فلم أزل أنتظر ما يكون ، وكان ذلك الوقت صيفاً .

فرأيت القمراش بعد العصر ، وقد كنس اتماعه ورشها ، وأخرج حصراً حساناً ففرشها ، وجعل له مطرحاً^(١) طبرياً ومِسُورَين^(٢) وأربع

(١) الطرح : كل فرش وزناً وسنى ، وطبري ندبة الطبرية من مدن الشام أو إلى طبرستان .

(٢) السورة بكسر الليم مخدة مدورة (دوزي) .

تخاد ومقعد سامان (?) مبطن عن يمينه، ومخاد بلا مساور، وخرج انفراش
فخرجت جارية ففلقت باب القاعة بينهم وبين الغلمان . وخرج التركي
فجلس على المطرح ، وخرجت معه جارية في نهاية الحسن والجمال ،
فجلست على المقعد السامان (?) وجاءتها جاريتهابمعودها ، فوضعت
بين يديها .

وقدم بين يديه صينية فيها ثلاث خرداديات " ، وكوز ماء ،
وقدح نصف ، وجعل بين يدي الجارية صينية فيها خردادي وقدح
لطيف وكوز ماء ومفسل ، وأخذت العود ففتت أحسن غناء وأطيبه
وأخذقه ، وشرب حتى استوفى الثلاث خرداديات ، وشربت الجارية
الخردادي الذي بين يديها ، فأتي بثلاثة آخر وملي خردادي الجارية ،
وغنت وشرب وشربت واستوفاهما . وفي كل واحد منهما نحو الرطلين
لأني رأيتهما كباراً وملثوا له ، وقد خلط في كلامه ، فاستدعى الرطل
فلاؤه ، وغنت وشرب ، فلما شربه قال لها: ويحك الساعة حصلنا على أن
يملك أحمد بن طولون العاصي لمولاه أمير المؤمنين الموفق هذا البلد الذي
ليس في الدنيا أجل منه ، ونحن بين يديه يُديرنا كما يشاء ، وبأمر
فيتناجب ، والله لا صبرت له على هذا . فقالت له الجارية : أيضاً قد

(١) الخردادي على ماني كتاب كنوز القاطنين للأستاذ زكي محمد حسن : ابريق من
البلور الصخري له عنق ضيق وجسم يزداد اتساعاً من اعلى الى اسفل . والخردادي الخمر صرب
خوردادي بالفارسية ، والناب ان هذا الانا . كان خاصاً بوضع الخمر كالباطية . وقال الاستاد
كرنكو : انها خردادية بالنال في الثانية وهي كلمة فارسية لنوع من اواني الصرب كانوا يشربون
فيها ايام الأعياد .

عدت إلى هذا؟ دع عنك مالا نحتاج إلى ذكره، واشرب حتى أغنيك صوتاً ما سمعت مني مثله قط، فقال لها: هات، فننت صوتاً جوت فيه وأحسن كل الإحسان، وشرب فما ضبط نفسه فقال لها: ما أدري أي قتلة أقتل هذا العاصي الملعون. فقالت له: املاً قدحك حتى أغنيك صوتاً أحسن من كل ما غنيته، فلما غنت وشرب زاد الأمر عليه فقال لها: ويحك والله لا صبرت عن هذا العاصي، ولا دخلن إليه غداً وأخذ سيني هذا، ثم جرّ دسيغه ووقف واقفاً وقال: ولا أزال أضربه هكذا وهكذا، وأقبل يضرب به المسورة، ويقول: أشتني منه قلبي هكذا، حتى قطعها قطعة قطعة، فلم تزل ترفق به حتى أخذت السيف منه، وأقبلت تغنيه وتسقيه حتى سكر ونام، وفت موضعي. ولما كان في السحر بكرت إلى أحمد بن طولون وعرفته ماجري، ونبذت الفيظ في وجهه، وقال لي: امض، وأمسك حتى دخل إليه في جملة المسلمين من غدي، فلما أراد الانصراف أمره بالجلوس، فلما لم يبق أحد من المسلمين استدناه إليه ثم قال: يا هذا أسأت إليك قط؟ قال: لا أيها الأمير. قال: أليس أنا أدرّ عليك أرزاقك وجراياتك وأرزاق من معك؟ قال: نعم أيها الأمير. قال: زولا أخليك في الأوقات من صلة وجائزة؟ قال: نعم. قال: فبأي حال استوجبت منك أن تفعل كذا وكذا، وعرفته ما عرفته، فقام التوكي قائماً، ورفع رأسه إلى السماء وقال: رفضته علينا فصبونا،

وما كثر قابتاوارزاقنا فأطعنا، وأعطيته الدنيا كلها فلم ينال، ما قنمت له بهذا كله، حتى صرت له صاحب خبر علينا، فرفعت إليه ما تخرجه حافة النبيذ من الناس إذا هم شربوا، كل هذا تتقرب من قلبه. فضحك أحمد بن طولون حتى استلقى على شدة تزمته^(١)، ثم أمره بالانصراف، وأتبعه بخادم معه خمس مائة دينار، وأمره أن يدفعها إلى الجارية ويقول لها: قد أحسنت في تأديبه فالزمي ذلك، ثم أخرجه بعد شهر إلى طرسوس، وكتب له بأرزاقه هناك، ووصله بخمس مائة دينار، ولم يحتمل أن يكون معه في بلده وبجيت تراه عينه، ويجمل منه ما شق عليه تحمله، ولم ير في مروته أن يسي إليه لجميل فعل جاريته، وما أصلحته من خطابه، ورميه بطرفه إلى السماء

وأما فراسته وصحة إزكانه^(٢)، فما رواه أبو العباس المعروف بالطرسوسي صاحب خبره قال: ما رأيت أصح إزكاناً من أحمد بن طولون ولا أقوى فراسة منه. نظر يوماً شيخاً في جملة من ينظر إليه، وهو راكب سائر في جيشه فقال لبعض حبابه: دونك ذلك الشيخ، قبض عليه، فلما صار في داره أحضره، فأذا به رجل خراساني شديد العجمة، فسأله عن أمره فاعترف أنه صاحب خبر عليه للموفق، وأن معه كتباً إلى جماعة من قواده وأصحابه، وأحضر الكتب فأخذها، وأمر به إلى المطبق، فقال له: أيها الأمير أما وقد أخذتني بحسن فراستك، فقد

اهتداء ابن
طولون
للجواسيس عليه

(١) التزم: الوثار. (٢) الإزكان: العطنة والمدرس وان ظن شيئاً فتعيب فيه.

لزمني نصحك ، لما ملك قلبي من ذكائك عفاك ، واقتصارك بي على الحبس ،
وعفوك عن عقوبة كنت أتوقع التلف معها . فقال له : قل يا مبارك .
قال : معي صاحب خبر آخر فإن أردت أن تحتاط فاحبسنا جميعاً إن
رأيت ذلك ، أيها الأمير ، صواباً . فقال له : بارك الله عليك ، وأين
يكون؟ قال : في موضع يجتمع فيه من ليل إلى ليل ، قال : فخذ معك
من تزيه إياه ، حتى يأتيني به قال : أفضل فأخذ معه بعض حجابيه
ومضى معه ، ولم يزل يتروق موافاة صاحبه حتى وافى في آخر النهار ،
فعرفه معرفة أحمد بن طولون به ، وقبضه عليه ، فسمعه الحاجب ،
وهو يقول له : فما الذي قلت له ؟ فقال : اعترفت بالصدق ، فقال له :
جودت ، الصدق أحمد عاقبة ، وإن سألتني صدقته ، وأحسبك ذكرت
له مكاني معك ، فوجه هذا الرجل معك ليحضرني إليه قال : نعم .
قال : سمماً وطاعة ، امض بنا . ووافيا والحاجب معها إلى أحمد بن
طولون . فعرفه الحاجب ما سمعه منه ، فأعجبه ذلك ، وسأله عن خبره
فصدقه . فقال لهما : قد نجيئنا مني وتخلصتما بصدقكما ، فارجما الآن
إليه وعرفاء بمعرفتنا بكما ، وأخذنا الكتب التي كانت معكما ، وإطلاقي
لكما ، ووصلها ووجه معها من يقيها .

قال أبو العباس فتحيرنا ما شاهدناه منه ، وقلنا : هذا وحى ،
وفطن لما خامر قلوبنا من ذلك ، فقال لنا : قد علمت ما اختلج بأسراركم ،
ما هو وحى ، ولكنه إن كان صحيح ، وذكائك قوي بحمد الله ومنه .

إني رأيت هذا الرجل في وسط الناس وهو مشغول بالنظر إليّ والتأمل لي ، لا يطرف عني بنظر إلى جليسي ولا غيره ، فارتبت به ، فكان كما ظننت . قتل له : وفق الله الأمير وكفاه

معرفة الجواسيس
بالنظر في لباسهم

قال : وانصرف يوماً من الصيد ، فاجتاز على شارع الحمراء فتأمل داراً تبني هناك ، فوقعت عينه على بعض الرقاصين (١) ، فأمر بأخذه فقبض عليه ، ووافوا به إلى الميدان ، فلما جلس أمر بإحضاره ، فلما حضر أمر بإحضار السياط والمعصاين ، فلما شدد صاح : أيها الأمير ، لا تعجل عليّ من قبل أن تسألني ، وتعلم ما عندي ، فقال : صدق حلوه . فلما حلّ قال له : ادن ، فلما دنا ، قال له : عرفني خبرك ، واصلدقني تنج مني . قال : نعم أيها الأمير أنا جاسوس للموفق ، وكانت معي كتب ففرقتها على أصحابها ، فوعدوني بكتب الجواب عنها ، فعملت رقاصاً لبيستر أمري ، وأسمع وأنا في أوساط الناس من أحوال البلد وأخبار الأمير ما أحفظه ، حتى أذكره عند عودتي إن أنفذي ، كما يلزم من نصب لهذا المنصب . فقال له : صدقت ، فعرفني من أصحاب الكتب ، فعرفه بهم واحداً واحداً ، ووكل به من أخرجه عن البلد من وقته ، وقال له : قل له قد أطلقنا الله عز وجل على ما سترته ، وأردت أذيتنا به ، وأظفرنا ونصرنا ، ولم يضرنا فلك ، والحمد لله على ذلك . فلما كان في الليل قبض على

(١) الرقاص : أمير البنا . وهي لغة مصرية .

أولئك القوم أصحاب الكتب كلهم ، فمنهم من غرّقه ، ومنهم من طمّ عليه الحفر .

قال له موسى بن طونيق وكان خصيصاً به : أيها الأمير ، كيف علمت أن هذا الرقاص جاسوس ؟ قال : لمحتة على الاسقالة^(١) وعلى كفته قَصْرَبَةٌ^(٢) الطلين ورأيت نكة أرمني فأنكرت ذلك وقلت : رقاص لا تكون نكته إلا خيطاً أو كتاناً ، فقبضت عليه وكان ما شاهدت منه . قال له : أحسن الله توفيق الأمير .

وحدث موسى بن طونيق قال : رأيت أحمد بن طولون يوماً ، وقد أمر بالقبض على رجل دخل إليه في جملة الأولياء للسلام ، ثم أحضر له السياط والعقابين وقال له : اصدقني وبلك من أرسلك إليّ ، فخبرك عندي منذ البارحة . فقال له : صدق الأمير أيده الله ، أنه صاحب خبر لأبي أحمد الموفق ، فأمر به إلى المطبق .

قال موسى قتلته له : أيها الأمير هذا وحي لا شك فيه . فضحك وقال لي : ويحك لا تكفر بالله ، مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتفع الوحي . ولكن اعلم أنه إذا كان العقل صحيحاً قلّ ما يخطئ ، وإلا فما منزلتي منزلة من يوحى إليه ، ولكنني أزكّن وأستدل فقل ما أخطئ ،

(١) الاسقالة : لها ما يطلق عليه في الشام اسم العقلة وهي اختاب تحم لبثها البازور

والتجارون والمجمون والطينون والدهنون .

(٢) القصرية : كالادباجة توضع فيها الزهور والطين وغير ذلك . وهي لغة دحية

جاسوسان على
ابن طولون

ومع هذا فأني رأيت البارحة في النوم هذا الشخص بعينه، وكأنه يروم الدخول إليّ فيمنع من ذلك، فكأنه يتسلق إلى طاق^(١) في مجلسي ليرى ما أعمل. فكانت عبارة هذه الرؤيا تدل على أنه صاحب خبر لتسلفه عليّ وتجبسه، وكان ما قدرته.

ومن ذلك ما رواه تركان بن عبد الله بن الإمام قال: جلس أحمد بن طولون يوماً في مُسْتَشْرَفٍ له على بعض بساطينه، وأحضر الطعام ومن يواكله من خاصته، فرأى من بعيد سائلاً في ثوب خَلَقٍ، وحال سيئة، وهو جالس يتأمل المُسْتَشْرَفَ ومن فيه، فأخذ رغيماً، وكان خبز الطولونية في الرغيف رطلين زائدين، فجعل عليه دجاجة وفرخاً وفرجاً وشوا اللحم، وقطع فالودج كبيرة، ومن جميع ما كان بين يديه، وغطاه برغيف آخر، وجعل فوقه لوزينجاً مع الفالودج وغطاه برُفقتين، ودفعه إلى بعض الغلمان وأراه إياه وقال له: امض سلمه إليه، وأقبل براعي الغلام في دفعه إياه إليه وما يكون منه، إلى أن دفعه إليه، وعاد فعرفه ذلك، فلم يزل يتأمل السائل ساعة، ثم أمر بإحضاره، فلما مثل بين يديه استنطقه، فأحسن الجواب، ولم يضطرب من هيئته، فقال له: الكتب التي ملك هاتها، واصدقني صدقاً ينجيك من ضرب السوط، فقد توهمت فيك بحسن عبارتك، وثبوت قلبك، وصحة عقلك،

(١) الطاق: ما عطف من الابنية ج طاقات وطيان (فارسي مرب).

فاعترف له أنه صاحب خبر، وأن الكتب معه ما أوصلها ليدبر أمره في إيصالها، فوكل به حتى مضى وأحضرت الكتب .

قال تركان الإمام: فقال له طبارجي [وكان ذا دالة عليه وذا موقع منه] : أيها الأمير إن لم يكن هذا وحيًا فهو سحر ، فقال له : لا والله يا هذا ، ما هو وحي ولا سحر ، ولكنه قياس صحيح ، وتوفيق من الله جل اسمه ، وتفضل منه عليّ : رأيت هذا الرجل على ما هو عليه من سوء الحال فأشفقت ^(١) عليه ، وعلمت أن مثله لا يصل إلى مثل ما بين أيدينا من الطعام ، وأنه يرى في الأسواق ويشم من الروائح ما لا يصل إليه ، وتنتلق نفسه به ، فأردت أن أسره بما أنفذته إليه ، فوجهت إليه بما تشراه إليه نفس الشبعان الواجد فكيف الفقير ؟ فما هتأ له ولا مدّ بدأ إليه ، ولا رأيت من حسن القبول له والشهوة ما قدرته ، فنفر قلبي منه ، وقلت : هذا عينه ملائ في غنى عن هذا ، هذا جاسوس لاشك فيه ، فأحضرته فكان من أمره ما قد شاهدتموه من صحة خطابه ، واستيفاء جوابه ، فازداد إنكاره لأمره لقوة قلبه ، واجتماع له . وأنه ليس عليه من شواهد الفقر ما يدل على فقره ، وبعثه عقلمه على أن اعترف بأنه صاحب خبر ، وصدقني عن

(١) اشفق واشفق : حاذر قال الراغب : الاشفاق عناية مختلطة بخوف لأن المشفق يحب المشفق عليه قال عز وجل : « وهم من الساعة مشفقون » فإذا عدي بمن فني الخوف فيه اظهر ، وإذا عدي بجلي فني الناية فيه اظهر

أمره ، ولأسيء إليه وأثأثره وأطلقه . ففعل ذلك بعد ثلاثة أيام^(١)

النساء
الصالحات
والجاسوسان

وحدث تركان بن الإمام عن أبيه قال : قال لي أبي : ركبت مع الأمير أحمد بن طولون يوماً في السحر ، وكان من عادته أن يركب سحراً في نفر من أصحابه ، ويمتاز بالواضع الشمعة يطالع منها جنائيات أهل الشر في الليل ، فن ظفر به منهم أمر بضرب عنقه ، فلقينسي الطريق صوايح ، فوجه معهن من يخفهن إلى حيث يقصدن ، إلى أن لقينا صوايح أخر فقال لصندل المزاحمي : انزل إلى هؤلاء الصوايح ففتشهن واحدة واحدة ، فأخرج من وسطهن رجلين وأمر بهما إلى المطبق ، وكانا من قد جد في طلبهما فلم يقدر عليهما ، فقال له طبارجي : كيف تبينت ، أيها الأمير ، هذا من هؤلاء خاصة ، وقد لقينا غيرهن ، ولم تفعل هذا بهن ، فقال له : نعم أولئك اللاتي لقينا هن كان صياحن يبيد وحرقة وعلى غير تصنع ، وكان صياح هؤلاء بتشاج وتصنع ، فعلمت أن معهن رجلاً ، لأن من شأن النساء التصنع للرجال ، فكان ما ظننت .

(١) قال المصري في « جمع الجواهر في الملح والتوارد » : وكان أحمد س طولون قد نأبد الرفض وبأيه بالداوة وخلفه ، وكان قد ضبط مصر من الجواسيس ، وكان متيقظاً نهباً ، فأشرف من قصره يوماً فإذا بجماعة قد صرحت عليه ، قال : علي بالنش ومن فيه ، فأخضروه ، قال : تم بامتهارت ، ثم دعا بالسياف وقال : اضربه ، قام البيت من نغمة ، قال له : أنت متجسس من ناحية أحمد . قال : نعم . قال : لو لم اتهم اليك لتنتك وقتت من معك ، وأمر من أخرجهم من عمل مصر ، قيل له : من أين عدت ذلك ؟ قال : رأيت القوم ليس عليهم كتابة من مات له بيت ، ورأيت بطولون بالقتل ونظرت اليه في النش فرأيت رجله فالتفتي ورجل الميت فسخرني ، فصكمت بأنه حي ، فلما خسر رأيت يسارق النفس ضحكت القضية .

الملاعب من
رجال ابن طولون

وحدث شعيب بن صالح قال : كان لأحمد بن طولون رجل يفتق
به على كثير من أسراره^(١) ، يطالعه بها وما غاب عنه منها ، ففرقه جماعة
من الناس بذلك ، فكانوا يهادونه استكفافاً لشره ، وبسط يده
للارتفاق^(٢) إلى أن كسب مالا عظيماً ، وانكشف أمره لأحمد بن
طولون ، وعلم أن قصده الارتفاق في النصيحة . فلما وقف الرجل على
علم أحمد بن طولون به هرب منه خوفاً على نفسه ، فشق ذلك على أحمد
ابن طولون جداً ، لاشتغاله على ما عنده من أسراره ، فرأى أحمد بن
طولون في منامه كأنه حفر قبراً ، واستخرج منه ثعباناً عظيماً ، قبض
عليه بعنقه ، وأخرجه من القبر ، وجعله في جرة عظيمة ، وسد رأسها ،
ثم أصبح فركب على رصمه منسلاً إلى العين انتي بناها بالماقر ، فرأى
جنازة امرأة وخلفها نحو من عشرة أنفس ، وقد أخرجت في ذلك الوقت ،
فاستراب بها ، فقال إن يحملها : أين حفرتم لهذه المرأة ؟ فاضطرب
الجماعة ، وحطها وكشف النطاء ، فوجد الرجل الهارب منه ، وقد رام
الخروج عن البلد ، فأعجزه ذلك وضاعت به الحيل ، فصنع هذا حتى
يصل إلى الصحراء ، فيذهب متنكراً في زي العباد ، ويأخذ طريق
الجيل ، الصحراء الصحراء ، إلى أن يتخلص ، فأمر به إلى المطبق ،
واستصفي جميع ماله ، وصحت روياه التي رآها وزال غمه بها .

(١) في الأصل : اصحابه بدل أسراره ولا سبى لها .

(٢) الالتئاع والكسب ، وفي رواية : دون تجريد النصيحة

وحدث شعيب بن صالح قال : كنت مع أحمد بن طولون يوماً في الصحراء فرأى جمالاً وهو يحمل شيئاً قد أثقله ، وهو تحتة بضرب اضطراباً شديداً ، فقال : لو كان اضطراب هذا الجمال من ثقل الحملة ، مع ما أرى فيه ، لغاص رأسه في عنقه ، وما هذا منه إلا من رعب مما يحمله ، فأوقفه وأمر بحط الحملة عنه ، فحطت وفنشت ، فإذا معه جارية قد قتلت وفُصِّت ، فاستخبر الجمال عن القصة ، فقال له : أربعة نفر في دار ، دفعوا إليّ هذه الحملة ، وأعطوني ديناراً فشرهت نفسي ، لسوء حالي ، إلى الدينار ، فتحملت من حملها مالا أطيعه . فقال له : فحضرت قتلها ؟ قال : لا والله . قال له : أرني الموضع ، وعاد مع الجمال إلى أن أراه الموضع الذي حمل منه ، ووجد القوم بمالم لم يهربوا بعد ، قبض عليهم وأمر بضرب أعناقهم ، وضرب الجمال مائة مةرعة وأطلقه ، وقال له : لو كنت حضرت قتلها لتلتك .

وحدث حماد بن علي الأزدي - وكان أحمد بن طولون قد جعل إليه منع من هرب منه والتفتيش عنه - قال : تغير أحمد بن طولون على نعيم المعروف بأبي التيب فهرب منه فأمر بطلبه وقال لي : لا تطلبه في داره بالفسطاط ، ولا في ضيعته سراطا (١) ، ولا عند أحد من إخوانه . فإنه أضعف قلباً وديناً من أن يقيم في هذه الأماكن ،

ولكن اطلبه في الديارات وعند النصارى ، فإنك تجده في زي راهب ، وقد دخل في جلتهم ، لأنه حاذق بالقبطية فصيح بها . قال حماد : وطلبتة هناك فوجدته كما وصف قبضت عليه ، وجثته به على هيئته ، فلما رآه قال له : إيش هذا الزي ؟ أرتداد عن الإسلام ؟ السيف والنطع . فقال : لا والله ، أيها الأمير ، ما ارتددت عن الإسلام وإنما تسرت بهذا الزي لأخفى ، ولكن أين يتبأ لي استتار منك ولغيري ؟ وأنت كما قال النابغة الذبياني :

فإنك كالليل الذي هو مدركي وإن خلت أن المتأذى عنك واسع
فأوقفه هذا أقول من أن يجري عليه من المكروه ما كان معتقداً
له فيه ، ما كان فيه من الكرم والحياء لمن صدقه ، واستكان بين يديه ،
وأخذ خطه بمائة ألف دينار وسلم الخط إلى محبوب بن رجاء كاتبه ،
وكان [في] محبوب شره ومحبة لأخذ المرافق ، فوعده بمخسة آلاف دينار
وكتب له خطه بها ، فسأله أن ينعم^(١) عليه المال ليؤديه قليلاً قليلاً ،
على حسب ما يتبأ له ويتسع به حيلته ، فكان كلما أحضر ما يؤديه
لم يأخذ به براءة ، واستدعى خطه فحط منه وكتب بياقيه ، وكلما كتب
خطه بالباقي ، صغر الخط ولطفه ، إلى أن حصل له من الأداء ثلاثون
ألف دينار وكتب الخط بسبعين في رقعة صغيرة ، وأقام أياماً ، وهو
يذكر اضطرابه واحتياله بما يؤديه ، ثم ذكر أنه أحضر ما يؤديه ،

(١) نيم المال : إذا اداه نجومياً أي اداه عند اقتضا . كل شهر منها نجماً .

واستدعى من محبوب خطه ليحط منه على الرسم ، فدفعه إليه محبوب على الاسترسال وانتمت والمادة التي قد جرت ، ولارتفاقه منه بخمسة آلاف دينار ، فلما حصل الخط في يده أكله وقال ما بقي عليّ من مصادرتي درهم واحد إلا الخمسة آلاف المرفق التي خطي معك بها ، فقامت على محبوب القيامة . وُرفِع الخبر الى أحمد بن طولون فأمر بإحضارهما ، فلما حضرا قال نعم : قد أدبت ، أيد الله الأمير ، جميع المال الذي أخذ به خطي إلا خمسة آلاف دينار . فذكر له محبوب حيلته وأكله للخط ، فقال أحمد بن طولون لنعيم : احلف برأسي أنك قد أدبت المال ، ولم يبق عليك منه إلا ما ذكرت ، وأن الذي ادعاه محبوب باطل ، ونحن نصدقك ونزيل المطالبة عنك ، فقال : قد أدبت جميع ما أخذ به خطي وسلّم إليّ خطي وحرقتة ، وإنما لما طولبت بخمسة آلاف دينار مرفقاً خطي بها مع محبوب ، ولم يتبها لي أداؤها ، ادعى عليّ بما ادعاه ، فقال له أحمد بن طولون : يمكن أن يكون الأمر كما ذكرت ، ولكن احلف برأسي على ما حكيت ، وقد برئت من المال ، فقال : يعينني الأمير ، أيد الله ، من هذه اليمين ، فأني لست أحلف بها بوجه ولا بسبب . فقال له : لست أعفك منها إلا بالصدق فقال : إذا لم يعفني الأمير ، أيد الله ، فأنا أجل رأسه أن أحلف به إلا صادقاً ، والأمر كما حكاه محبوب ، وما فعلت ما فعلت وحملت نفسي عليه ، إلا من إضافة شديدة غليظة ، وأنه لم يبق لي شيء أرجع

إليه فيما أديته ، وقد كشفت حالي للأمير أبده الله فيرى في عبده
ما يشبه كرمه ورياسته ، فثناه هذا الفعل عنه ، ورق قلبه له ، لأنه
كان إذا صدق لان وانطف وأنعم ، وبلغ منه فوق المحبوب .
فأمر بإطلاقه ، وحط ما كان يقي عليه ، ورد ما أخذ منه ، ورد إليه
عملاً يتصرف فيه .

الجماسوس
الصادق الشريف

وحدث شعيب بن صالح قال : ركب أحمد بن طولون يوماً فمأفك
شارع الحمراء يريد الجزيرة ، فلما توسطه وقف ودعا بطخشي ، فأراه
داراً هناك ، وقال له : قف على هذه الدار توكل بها ، واحذر أن يفوتك
أحد من فيها ، حتى نتصفح وجوههم واحداً واحداً ، فإنك تجد
شيخاً صفتة كذا وكذا ، رأيت الساعة يتطلع من طاق في عُقر^(١)
هذه الدار ، فلما رأي أغلق الطاق ، فخذته وامض به إلى الدار إلى أن
أعود إن شاء الله .

قال طخشي : وسار الأمير ووقفت على الدار ، وأطفت بها الخيل
والرجال ، وأنزل إلى جميع من فيها وأتصفح وجوههم واحداً واحداً ،
فوجدت الشيخ على الصفة التي وصفها لي ، فقبضت عليه ، وصرت به
إلى الميدان ، ورجع الأمير فحين نزل دعا بالشيخ ، فلما مثل بين يديه
قال له : من أين الرجل ؟ قال : من بغداد . قال : وما جاء بك إلى

(١) في الأصل : في عكر هذه الدار

ها هنا ؟ قال : صاحب خبر عليك . قال له : عليّ ؟ قال : نعم ، عليك .
 قال : ومن أنفذك متخبراً^(١) عليّ ؟ قال : الأمير أبو أحمد الموفق .
 قال : وبين تعرف يا شيخ ؟ قال : بالقطان الطالقاني . قال : فضحك
 أحمد بن طولون ، لما أعجبه من صدقه ، وقلة جزعه ، وانحل غيظه . وقال
 له : اجلس فجلس ، فقال له : أبو من ؟ قال : أبو جعفر . فقال له :
 قد سمعت بك يا أبا جعفر ، وكتب إليّ بخبرك ، وقد سررتني بصدقك
 إياي ، وحرست نفسك بذلك مني ، فذ كم وردت البلد ؟ قال :
 منذ سنة . قال له : ويحك ، ولك هذه المدة منذ دخلت البلد ، وأمرك
 مستر عني ؟ قال : نعم ، قال : فكيف ثقف على أخباري ، وهذه
 حالك في الاستتار ؟ فقال : معي عشرة يدورون في البلد ، ويرفعون
 إليّ أخبارك ، وأكتب بها . فقال له : وكيف قدرت على الدخول
 إلى البلد مع ضبطي طرقة ؟ فقال : ركبت البحر من أنطاكية إلى
 تَنيس^(٢) ومنها إلى مصر . فقال : صدقت ، أما هذا فاضطناه ، ولكن
 من الآن .

ثم قال له : يا أبا جعفر إنك هو ذا تحسن وتجمل إليّ وإلى نفسك
 في صدقك إياي ، وقد أمنك الله عز وجل ، وأزال خوفك ، فأصدقني

(١) خرج يشخر الأخبار : يفتنها

(٢) تَنيس : مدينة كانت قرب دمياط تسب إليها الرياح القارئة وهي بجوار المنلة ولم يبق
 منها اليوم الاطلال . بين فيها ابن طولون عدة صهاريج وحوانيت في السوق كبيرة وكانت
 تعرف صهاريج الأبر ، وصفها القديس بأنها جزيرة صغيرة في بحيرة بين بحر الروم والنيل قد بنيت
 لها مدينة وادي مدينة وهي بندان الصنري وجبل الذهب ومتجر الشرق والغرب الخ .

أيضاً عما أسألك عنه ولا تناقني متقرباً إليّ . هل ترى في سيرتي شيئاً تنكره ، أو في تدبيرى سياسى ما ندم ؟ مع تأملك لذلك منذ سنة . قال : لا والله الذي لا إله إلا هو ، وبالله إني لا أكتب بذلك ، وبما هو لك لا عليك ، وإني لأعلم أنه يسوء من أكتبه به ، ولكن الصديق يعثني عليه ، رضي به من رضي ، أو سخط من سخط ، لأنى ما أقول فيما أكتب به إلا حقاً ، لأن أفعالك كلها حسنة جميلة ، مضبوطة محفوظة مستقيمة ، فإن الذي أكتب به من ذلك لما يزيد به حالك في قلوبهم خوفاً ، وهيبتك في نفوسهم عظماً وجزعاً وذعراً . فقال له : حسبي يا أبا جعفر ، أحسن الله إليك .

ولكن يا أبا جعفر كتب إليّ عنك بستر ودين وصدق لهجة وغنى عما حملت نفسك عليه ، فلم رضيت لنفسك بخدمتهم في هذه الحال العظيمة التي يركب صاحبها فيها خطئة لا يدري ما عقابها ؟ وهذا أيضاً مع بعد الطريق ، وتكلف المشقة العظيمة فيها وعظم المخاطرة . فقال : أيها الأمير : أجبرت وخوفت ، فسمعت وأطعت ، ولم يمكني الخلاف ، لأن لي في بلدهم عقاراً وعيالاً وأهلاً وتجاراً ، ولو لا ذلك لا اخترت ، ما نذبت له ، الهرب من بلدهم ، ولما استجبت . إلا أنى اشترط عليهم أنى إن وقعت في يدك ، وسألتني عن شيء صدقتك فيه ، وقد رت أنى أدفع بذلك عني ما دُعيت له ، فلم يثنهم ذلك ، وأذنوا

لي فيما شرطته عليهم من صدوق عما تسألني عنه من قليل وكثير ،
فحمدت الله عز وجل على ما ابتلاني به من ذلك ، وصبرت عليه ،
وعملت على أنها مصيبة من المصائب التي تلحق الناس لا يمكنهم دفعها
عنهم ، وعملت على أنك ، أيها الأمير ، إذا وجدتني لم تستبقي ، فما
خرجت حتى أوصيت كما يوصي من تحضره الوفاة ، إذ كنت لم أجد
بداً من ذلك ، وقد أحلف الله جل اسمه ظني ، وأزال خوفي ، بكرم
طباع الأمير ، أيده الله ، ورأفته ، فلولا ذكاء الأمير ، أيده الله ، وحدة
خاطره ، وقوة حسه ، وصحة ذكائه ، بما وهبه الله الكريمة له من ذلك ، لما ظن
لي ، وقد رأيي أنطلع من طاق ، وما أنكر عند ردي باب الطاق حين
رأيت ، فكان ما ظنّه ووقع له في حقاً . فقال له الأمير : والله يا أبا جعفر
كذلك ، ما أنكرت غير ردك باب الطاق حين رأيتني ، وإن فطنتك
بذلك يا أبا جعفر لحسنة ، ولولا ما فيك من الفضل والذكاء والعقل لما
علمت بذلك ، فهل لك إلى ما أدعوك إليه ؟ فقال : يا أمر الأمير ،
أيده الله ، بما أمثله ، إن شاء الله . فقال له : أدعوك إلى خدمتي كما
خدمتهم مع مجانبة الخلاف علي . فقال له : فييح أيها الأمير أن أدع
قوماً سبقوك إلي ، وخاطوني بأنفسهم ، ووثقوا بي ، فلا يجوز أن أكون
عليهم بعد أن كنت لهم ومعهم ، وإذا لم أصلح لصاحبي الأول لم
أصلح للثاني .

فاجتهد به أحمد بن طولون فلم يُجِدْ فيه في ذلك حيلة ، مع ما فيه

من البذل والعطاء . وقال له : لأن يقتلني الوفاء أيها الأمير أحب إليّ من أن يُجيبني القدر . فزاد بذلك في محله عنده . فقال له : إذا كنت يا أبا جعفر قد آيت فآختر ، إن أحببت انقام عندي من غير خدمة تكرهها ولا تختار التصرف فيها ، فبالرحب والسعة ، وإن أحببت الرجوع إلي صاحبك أطلتلك . فقال له : إذا كان الأمير أيدته الله ، قد خيرني بكرمه فالرجوع إلى الأهل والوطن آثر عندي مما أوثره من التصرف بين أمره ونهيه ، وإن كانت المروءة هي أوجبت عليّ حسن الوفاء لمن وثق بي ، فلن أكون بعد منصرفي عن الأمير ، أيدته الله ، إلا متصرفاً بين أمره ونهيه هناك ، بمجازاة لجليله ، أيدته الله ، الذي شملني ، وإحسانه الذي قد عمي ، فقال له : أحسن الله جزاءك يا أبا جعفر ، وكثر في الناس مثلك .

وأمر سواراً الخادم ، فأخذه إليه على حال تكرمته ، فأقام في داره ثلاثة أيام ، فقام له في كل يوم مائدة حسنة ، ولا يزال أحمد ابن طولون يتبعه^(١) له وهو يأكل من كل ما يستطيعه ، مما يقدم إليه من طعام وحلواء وفاكهة . ويستدعيه ليلاً ، فلا يزال يجادته ويسأله عن أخبار الموفق ، وما يحتاج إلى علمه ، ويؤانسه إلى أن يمضي الليل إلا أقله . فلما كان في اليوم الرابع أحضره فقال له : يا أبا جعفر ، الضيافة ثلاثة ، ولا أشك في تعلق قلبك بمخلفيك ، ويعز عليّ والله

(١) بنس النبي : جزاءه ، ونسب : تجزأ أي ياوله بنس ما على الائمة من طعام تعياً

مفارقتك ، إلا أني لا أحب أذيتك ، وأختار مساعدتك ، وأمر له
ب عشرة آلاف دينار ، وعشرة أسفاط ثياباً ، وخمسة أروس من الدواب ،
وثلاثة غلمان وطيب كثير . فكان مقدار ذلك عشرة آلاف دينار
آخر . فلم يقبل شيئاً من ذلك إلا سفظاً واحداً من الثياب ، وبفسلاً
واحداً ، وديناراً واحداً من المال . وقال : أيد الله الأمير ، أنا والله
من وراء نعمة عظيمة واسعة ، ولي مع ما كنت وصفته للأمير ، أيد
الله ، ضيعة ترد عليّ في كل سنة عشرين ألف درهم ، وفي أخذي من
الأمير ، أيد الله ، ما أمر لي به ، تغنم لا أستحسن فعله ، ويقبح لي
وصفه . وقد أخذت مما أمر به الأمير ، أيد الله ، ما أشرف بلبسي
له ، وأتجمل بر كروي بفلاً من بغاله ، وأنفق يوم أدخل بلدي هذا
الدينار ، والله لا أنفقت يومي غيره تشرفاً به . فإن رأى الأمير ،
أيد الله ، أن يتم سرور عبده ، ويدعه وما اختاره ، ولا ينقض علي
حملي ، فعل وأحسن بها إليّ . فازداد بذلك أيضاً في قلب الأمير أحمد
ابن طولون جلالة ورفعة ، ووصاه بما احتاج إليه وودعه ، وأنفذ معه
من يشيعه ، وكتب له جوازاً وكتباً إلى سائر أعماله ، يأمر أصحابه بها
بتلقيه وتشيعه وخدمته ، وخرج ، وأحمد بن طولون بتأسف ألا يكون
مثله في خدمته ، وقد ملأ قلبه وصدوره بحسن وفائه لصاحبه .

فلما وصل القطان إلى الحضرة لم يدع جميلاً ولا حالاً تصلح ما بين
الموفق وأحمد بن طولون إلا بلغها ، من حسن طاعته ، وحسن سيرته ،

وضبط أمره ، وحزمه ، وجودة تدبيره ، وقوة أمره ، فتفتى ذلك الموفق إلى الرجوع له . ووقف طيفور خليفة أحمد بن طولون هناك على ذلك وعلى انثناء الموفق له ، فكتب إلى أحمد بن طولون بذلك ويقول : أحسن الله جزاء القطان ، وكثر في الناس مثله ، فلقد قويت يدي به منذ ورد إلى الحضرة ، وباجرى منه مع الموفق ويقول في كتابه : ومن العجب أن يحضر مثل هذا الرجل بحضرة الأمير فيغفل الإزامة قبول بره بكل حال . ولم يعلم طيفور بما عمله أحمد بن طولون معه ، فلم تجد فيه حيلة . ويذكر عظم محله عند الموفق ، ونبل منزلته منه ، فكان أحمد بن طولون يقول : ما أسفت على شيء كتأسفي ألا أكون أئزمت القطان قبول خمسين ألف دينار ومثلها أعراضاً ويقول : رزقني الله صاحباً مثله .

ولم يزل أحمد بن طولون يكتبه في مهاتمه وحوادثه وما يحتاج إليه من مخاطبة الموفق ، فيبلغ له في جميعه ما يجبه إلى أن مات أحمد بن طولون . فلما مات بلغ القطان موته فحزن عليه واغتم غماً عظيماً ، وبلغ الموفق ذلك عنه فلم ينكره عليه ، وكان يحضره في كل وقت ويسأله إعادة أخباره عليه ، فيذكر كل ما كان يشاهده منه ومن سيرته ، وحسن سياسته في داره وحاشيته ، وحسن مملكته ، وعظيم هيئته ، وكثرة صدقاته ومعروفه ، ونفقه المستورين وأولاد النعم ، وإجرائه عليهم الرزق ، وما يعمل من الأطعمة في كل يوم جمعة ، وحضور الضعفاء وغير الضعفاء من المستورين ، وإشرافه على ذلك بنفسه حتى يأكلوا ، ويومرون

أن لا يخرج أحد أو يزُلَّ^(١) معه ما يقدر على حمله ، ينصرف به إلى
عِياله ، وما كان يجد في ذلك من اللذة والسرور والفرح ، وأنه جعل
ذلك عوضاً من القصف والشراب وسماع الفناء وما يستعمله مثله من
ذلك . وكما سمعه الموفق يذكر من هذا شيئاً يبكي ويترحم عليه ،
وبيكيان جميعاً ، فلم يكن للموفق أحد يعاضده على الغم بأحمد بن
طولون إلا القطان ، ويستتر ذلك الموفق عن الناس كلهم إلا القطان ،
فكان هذا الفعل من الموفق للفضل الذي كان في الموفق ، فعرف به
فضل أحمد بن طولون ، فإنه ليس لهم في مملكتهم أنصح منه ولا أوثق ،
ولا أضبط ولا آمن ، وإنما كان ذلك الفعل من الموفق من الانحراف
عنه ، غيرة عليه ألا يكون ما يفعله المعتمد له .

ولما تواترت الأخبار بموت أحمد بن طولون وصح ذلك عند سائر
الناس ، لأن الذي كان قبل كان بين مصدق ومكذب ، كان من
الموفق حينئذ ما نأني به مشروحاً مبيناً إن شاء الله .

ومن إنصافه وحسن تأنيبه ، وبطلان كثير مما يشنع به عليه ،
وإقامته له العذر فيما يأتيه ، أن وكيلاً له يعرف بابن مفضل ، صحبه
ولا شيء له ، فقوض أمره كله إليه ، فاستولى عليه ، وكان من بين
الوكلاء حازماً ذكي القلب شهماً بازلاً كافياً بحسن الخدمة ، ولم يكن
يقعد به إلا بجمل كان فيه ، ولجأ في الشيء إذا خوطب فيه بملكه

عيانة وكمل ابن
طولون ومصيره

فلا ينحل عنه ، حتى إنه كان يتبع ما تضره اللجاجة ، فكان هذا
عيبه ، فوصل إليه من الارتفاق ما لم يصل إلى أحد من حاشية أحمد
ابن طولون ولا أهدي إليه ، وكبرت أحوال أحمد بن طولون ،
فكبرت مرافق ابن مفضل واتسعت أحواله .

وكانت نفقات مطابخ أحمد بن طولون وراتبه من ضياع إقطاعه ،
فتقدم إلى ابن مفضل في وقت اختاره ألا يضع يده على شيء من مال
هذه الضياع ، وذكر له أنه يريد مالها لطرسوس . فلما انقضى الشهر
وأتى نفيس الطباخ إلى ابن مفضل يستدعي منه إطلاق النفقات على
الرسم للمطابخ فقال له : قد حظر الأمير عليّ الجهة التي كنت أطلق
لك مالها . فقال له نفيس : فتحتال لي بما نفقه اليوم ، وتستأذن الأمير
الليلة فيما يُستأنف . فقال له : ما عندي حيلة فقال له : إن النهار يمضي .
وقال : حدثنا في شيء مما نحتاج إليه ، مما لا بدّ للأمير منه ، فقال له : كذا
اختار إيش في يدي ؟ قال : فأعطل ؟ قال : ذلك إليك . قال : فأذكر
هذا للأمير ؟ قال : ذاك إليك افعل .

فدخل نفيس إلى أحمد بن طولون فعرفه الخبر ، فأحضر ابن
مفضل فقال له : ويحك ، ما كانت لك حيلة في إقامة نفقات المطابخ
يوماً واحداً ، إلى أن نُطلق لك ، من جهة تختارها ، ما نحتاج إليه ؟
فقال له : لو تهب لي ذلك لما توقفتُ عنه ، وإنه ليمذر عليّ ، ثم قال له :
احلف بالله ثم برأسي أنك ما تملك ذلك ، فحلف ، فدعا سواراً الخادم ،

وكان خادماً جريئاً ، صفيق الوجه ، قاسي القلب فقال له : امض الساعة وأقبض على كل ماله ، واحمل إلي الساعة ما تجده من العين ، واختم على ما سواه . فضى سوار وقبض على كل ما وجد له في داره . فوجد له من العين ثمانين ألف دينار^(١) فحملها إليه ، وختم على ما بقي ، وعاد إليه فعرفه بجميعه ، فأمره ببيعه كله ، فبيع بعشرين ألف دينار سوى ما استهلك وتمزق وتفرق ، وسلم ابن مفضل إلى سوار فكان آخر العهد به .

وحدث شعيب بن صالح قال : شئت نفس أحمد بن طولون استخدام الكتاب ، لما وقف على حال ابن مفضل ، وقبح فعله ، وجرأته على اليمين الكاذبة ، وكان ذلك يشتد عليه جداً ، واحتاج إلى من يتوب منابه ، فسنح له ذكر كاتب كان يكتب الحسين الخادم المعروف بعرق الموت ، كان لما قدم معه إلى مصر شاهده نخف على قلبه وافترس فيه خيراً فتابعته نفسه . وكان هذا الخادم حسن العقل ، راجح الوزن ، يتقلد البريد بمصر ، وكان أحمد بن طولون يعرفه من الحضرة ، ويعلم منه حسن اختيار فيما هو بسبيله ، فتيقن أنه لم يختار من كتابه إلا مختاراً ، وهو رجل يعرف بحسن بن مهاجر فقال إليه وسأل عنه هو ، فأحضره وسأله عن بلده وسبب تعلقه

استخدامه
الصادقين

(١) في رواية ثمانية وسبعون ألف دينار

بحسين الخادم فقال : ولدت بالرقة ، وكان والدي يتوكل الحسين هذا
في ضياع هناك ، فاجتاز به في مسيره إلى مصر ، فطالع ماجرى على يديه
فأحمد أمره فيه ، وتأملي وأناين يديه أكتب فال إليّ ، فقال لوالدي :
خرجت من الحضرة ولم استصحب منها كاتباً ، ما أعلمه منهم من الجراءة
ولطف الحيلة ، وأنهم للعامل الخائن أوفق منهم للتصاح ، وأحب أن
تصحبي ولذلك هذا وتوترني به فأني أقنع به وأرجو إن يحسن تأديبي
له أن يبلغ ما تُعتمده عنه الحدائث ، وتتخرج معي فأبره وأكرمه
عن غيره ” ، فشق ذلك على والدي لفارقتي له ، ولم يتهيأ له مخالفته .
فسلمني إليه وألزم نفسه تأديبي وتوحيبي ، كما يتولاه الوالد من ولده .
حتى إذا هو تبين اضطلاعي بما يستند إليه سلم إليّ ديوان البريد ،
وقال لي : يا بني احفظ ما أوصيك به ، إحذر أن أراك في دار غير
داري ، ولا تسكن إلى أحد سكونك إليّ ، فإن تفويضني إليك
يوجب لي ذلك عليك ، وليكن إيثارك لحسن الذكر أكثر منه
لكسب المال ، وطلبتك للصواب أكثر منه لحسن الذكر ، وإن
شق عليك تحمله ، فإنه أحمد عاقبة فيما تأتيه من غيره ، مما لا مشقة
عليك فيه ، ولا تنزعني إلى إنفاق ما نكسبه ، بابتياح الأعراس
النفسية والملابس الرائجة ، فإنك لا تزيد بذلك إلا في عين ناقص
الفهم والحال ، لأن من قومي تميزه إنما يطالع ما صدر عنك من فضل ،

واستعرضه فيك من طبع ، فأذا غاب عليك إبتارشي بحسن به ظاهره ك
فطالع بينه في حاصلك ، واعلم أنه في يدك متى شئت من غير أن
تعري بك كل حاسد أو باغ . ولانذ كرّن لأحد من حديثي ما يسهل
عليك إذاعته ، فيجترى بذلك على إذاعة ما يقف عليه من سري ،
وأطوّر ما تستعرضه مني طيّ الصحيفة ، واحذر أن يسبقك أحد إلى
مطالعتي بما أنو كفه^(١) . وقد أمرت لك بكذا وكذا ديناراً ، لتأمل
بها زيادة عطيتي على عطية خيانتني ، واشتمل على أمري ، وقابل
ما ابتدأتك به بما يقصي عنك سوء النبي^١ لديك ، وفقك الله وسددك .

فقال له أحمد بن طولون : فمن خدمت بعده ؟ فقال : ما استرحت
إلى سواه ، ومعولي فيما يقيني على جزء مما أفادنيه غنيت به عن سواه ،
فأنا أستغله مع قوم أثق بهم وبموادتهم وحسن معاملاتهم ، فأصرف
الفضل فيما ينوبني ، وأردّ الأصل إلى موضعه . فقال له : وكم صرف
إليك حسين الخادم ، فقال : أربعة آلاف دينار ، وهي كانت أكثر
ما كان في حاصله في ذلك الوقت . فقال له : فما أحب من كاتبني إلا
ما وراك به صاحبك لزيادة عليه ، وقد أمرت لك بمائة ألف دينار ،
فإذا جريت على ما وراك به صاحبك ، فهذا المال قليل من كثير لك
عندي ، وخلع عليه وحمله ، وألزمه خدمته ، فلم ينكر منه أحمد بن
طولون إلا تحامله على الناس له ليحظى بذلك عنده .

(١) نوكت الخبيرة انتظره . وسأل عنه وتوقفه

قال له يوماً: قد صحت عندي نصيحتك ، وأنت غير محتاج أن نتعامل على أحد لتزيد عندي ، وأنت تجني على نفسك بذلك من الأثام واستيحاء الناس مني ، أكثر مما تحوزه لي من الحظ ، واعلم أنك تزرع في قلوب الناس بماتأنيبه حمداً لا تنفيه إلا بام ، بل ثوارته الأعتاب ، فاطلب الشكر من الناس ؛ فليس يكرهه إلا ناقص المعرفة ، جاهل بما يوجبه حسن السياسة ، غير عالم بما في باطن النصيحة ، فيز الناس تمييز عادل : تلق شرارهم بفظنك ، وخيارهم برأفتك .

قال : فسألت نسبياً الخادم عن المائة ألف دينار التي دفعها إليه أحمد ابن طولون فقال : هي المائة ألف من المائة ألف التي أخذها من ابن مفضل ، تركها معزولة بحالها ناحية ، حتى يرى فيها رأيه ، فلما استكتب ابن مهاجر أمرني بدفعها إليه .

صلوات بعض
عمال ابن طولون

قال صالح بن علي : جرى في مجلس لابن عبد كان ذكر محبوب بن رجا وحسن بن مهاجر ، فظن عليها أكثر الحاضرين ، فقال ابن عبد كان : الصدق أجل ما يؤثر ، في كل واحد منهما فضل بين ، وإنما لملي أفضل طريقة : أما محبوب فسرّيع الجواب ، حسن الانتزاع ^(١) ، حلوا المكاتبية ، وأما ابن مهاجر فوقور [النفس] ، مستصفر لنصيحة من ينصحه ، بعيد القور ، لا يؤثر على توفير مال صاحبه ، وعلى ما زين

(١) في رواية : حسن الانتزاع .

حاله عنده شيئاً من أعراض الدنيا ، ولقد اجتمعما وقت المناظرة ، وكل واحد منهما مغيظ على صاحبه ، فقال حسن لمحبوب : أمرني الأمير أن أجلس في حلقك حتى تفصل ما أثبتته من الحساب الذي رفعته . فقال له محبوب من وقته : لو جلست في حلقتي فذفتك في المخرج . فأضحك جميع من حضر ، وانقطع ابن مهاجر ساعة ، ثم تناظرا ، فقال محبوب لحسن : أذت شاب حدث غر ، والصواب لك أن تستنهر خوف الأمير . فقال له حسن : والله ما أخافه . فقام بها محبوب وقعد ، ورفعها أصحاب الأخبار إلى أحمد بن طولون ، فدعا بها وقال : ما هذا الكلام الذي جرى بينكما ؟ فقال له محبوب : ذكر حسن أنه لا يخاف الأمير ، فقال له أحمد : هو ذا نسمع يا حسن ، فقال : كذا قلتُ أيها الأمير ، لأنني قد استغرقت جهدي في نصيحتك ، وقد أمنت جورك ، وليس مع هذين ما يخيفني منك . فقال له : صدقت ، الأمر كما وصفت ، بارك الله عليك وفيك . وذهب حسن بن مهاجر إلى قول الأحوص في عمر بن عبد العزيز :

وأرى المدينة منذ صرّت أميرها أمّن البري بها ونام الأعزل
ولقد أحسن ابن مهاجر في ذلك .

وشبهه بهذا ما روي عن عمر بن الخطاب رحمه الله أنه اجتاز ببعض سكك المدينة ، فرأى صبياناً يلعبون ، فيهم عبد الله بن الزبير ، فهربوا جميعاً غير ابن الزبير ، فقال له عمر : مالك أنت لم تهرب كما

هرب أصحابك ؟ فقال : لم آتِ جرماً فأخافك ، وما بالطريق من ضيق فأوسع لك . فأعجب عمر قوله ، ومضى وهو يقول : لله درك وبارك الله عليك .

صاحبه محبوب
ابن رجاء

قال : وذُكر أيضاً محبوب بن رجاء في مجلس ابن عبد كان فقال قائلاً : إنما كان مقبلاً بأقبال صاحبه ، فلما مات أدير . فقال ابن عبد كان : دعونا من هذا القول ، لقد كان بين الفضل . لقد أمرني أحمد بن طولون يوماً بإنشاء كتاب يقرأ على المنبر فأنشأته ودفعته إلى محبوب ليقراء ، وكان فصيحاً ، فدفعه محبوب إلى غلامه صاحب دوانه ، ليحمله إلى الجامع ، وتركه الغلام في منديل العمل ^(١) . وركب الأمير إلى الجامع وحمل الغلام ثلثاً تقياً ، وهو يقدر أنه الكتاب ، فلما صد محبوب المنبر ناوله الغلامُ الثلثَ النقي ، فلما نشره محبوب علم أن الغلام غلط ونسي ، فاندفع ومضى به يقرأ ، وينشر الثلث ويطوي ليوم من يراه أنه يقرأ منه ، مثل ما كان في الثلث ، وما شذَّ عنه منه شيء ، بألفاظ عذبة حسنة المعنى في الذي قصده ، وأتى على ما كان في نفسه . فلولا أنني الذي أنشأته ، لشككت فيه ، وما فطن به أحد غيري ، بل تبين منه الأمير بعض الاضطراب لذكائه ، وحدة خاطره ، وقوة حسه .

(١) الأتقرب « منديل النمر » والنسر بالتحريك الهك ورج اللحم وما يلق باليد من دسه ، ويقال لمنديل النمر للشوش ، ومنديل النمر هو ما نطلق عليه اليوم « خبطة الأكل » أو « السرقة » .

فلما نزل عن المنبر أمر أن يؤخذ منه الغلام فأخذ ، وما خاطبه حتى صار إلى الدار ، فأحضره وقال له وبجك إنك قد أتيت بثقل ما كان في الكتاب ، ولولا ما فيك من الفضل لافتضحت ، فكيف جرى هذا ؟ فمرفقه غلط الغلام فقال له : إن لم تؤذبه على هذا أبدأ بمنعه من تركه مراعاة أمرك ، جرى عليك بعده أعظم منه ، وأمر بإحضار الغلام فأحضره ، ففرب بين يديه مائة مفرعة . وقال لمحبوب : إن اخترت أن تستبدل به فافعل ، وإن علمت هذا الأدب قد أصلحه فدعه على رسمه . ثم قال ابن عبد كان : وإن كان الرجل يقبل بإقبال صاحبه كان ، فله فضل طبيعة وحسن صناعة .

وعدنا إلى أخباره الموجبة له العذر فيما يأتيه من العقوبة ، فمنها خبر ابن شعرة ، وكان ابن شعرة^(١) هذا يضحك المتوكل على الله ، وكان يفتني أيضاً ، وكان قد انضوى إلى ابن مديبر لصبابة خراجيات^(٢) كانت له بمصر ، فكان لا يعلم من كره أحمد بن طولون لابن مديبر يذكره عنده ، فأحضره ونهاه عن ذلك ، فكانه إنما أغراه بنفسه ، ولم ينته . فأقبل على حملته يتقرب إلى ابن مديبر يذكره كل ما سمعه ، يذكر ثقل وطأته عليه ، ويتبرم بمكانه معه في البلد ، فبلغه أيضاً ذلك فوجه إليه من نهاه فلم ينته ، وبلغه عنه ما يفره مثل ذلك ، فأحضره وقال له : وبجك انت عما يبلغني ، واحذر مني وبلك ، فلن يبلغني عنك

انتقام ابن طولون
من كان ينال منه

(١) في الصفحة التالية ان اسمه الحسن ، وفي المكافأة : الحسين بن شعرة .

(٢) في المكافأة : قد انضوى إليه فعمى به ضياحه وأهلاكه .

بعد هذا شيء أنكره إلا أتيت على نفسك ، فعاد إلى ابن مدبر بعد أن حلف له أن جميع ما يملكه تحيُّف عليه ، فلما عاد إلى ابن مدبر دخل خزانة الكسوة ، ولبس منها مثل ما كان على أحمد بن طولون وخرج إلى ابن مدبر ، فجلس مثل جلوس أحمد بن طولون وحاكاه ، وأعاد ما خاطبه به ، وأقبل ابن مدبر يضحك منه ويمجبه ذلك . وبلغ ذلك أحمد بن طولون . وانفق في الوقت أن السعر بلغ ، واضطرب البلد لذلك . على أن السعر كان إذا تحرك في أيامه كان خمسة أراذب بدينار وأربعة ، وإلا فكان من العشرة إلى ما دونها مما ذكرناه . فركب أحمد بن طولون ليهدي الناس ، ويماقب قوماً من القماحين والدقايق ، وينظر فيما يصلح أمر الناس في البلد . فلما بلغ إلى مسجد عبد الله ازدحم النساء من السطوح ينظرن إليه ، وأشرفن من كل دار ، فاطلمت امرأة من دار ابن شعرة من أعلى مطعمها من بين مِرْكَنِي^(١) ريمان ، وجاءت أخرى لتنظر معها ، فازدحمتا ، فرمت إحداهما أحد المِرْكَنَيْنِ الريمان ، فسقط للمقدور على كفل دابة أحمد بن طولون ولم يشعر به ، فوثب الفرس وتقره من سرجه ، ولولا ثبونه في ظهره لرماه الأرض .

فسأل عن الدار إن هي ، فقيل لحسن بن شعرة ، فأحضره في الوقت ، وشق عنه وضربه في موضعه خمسمائة^(٢) سوط وهدمت داره ، وطيف

(١) المركب كثير : آية كالأجانة تشد بها الجوار أو تزده فيها الإبريد والمخس ساكر وسماكين .

(٢) في المسألة : ثلاثمائة سوط وطاف به وكان ما أوقفه من أجل يتقدم سواته إليه ولم

يطلع الحسين من شعرة بعدها .

به البلد على جبل ، فبلغ ما كان في نفسه منه ، مكافأة على قبيح أفعاله
به مرة بعد مرة ، وهو يحذره فلا يحذر .
وعاد وقد بلغ في أمر السمر ما أحب وأحب أهل البلد ، وكثر
الضحج له بالدعاء على ذلك ، وتصدق في ذلك اليوم بجملة عظيمة ،
شكراً لله على كفايته .

ومن ذلك أنه كان له بسرٌ من رأى صديق من أولاد الموالي قد
برع في الكتابة والأدب ، وحسن الافتنان في العلوم ، وحلاوة
الشاهد . فلما استقلت أحواله بمصر وعظمت ، كتب إليه يستزيره ،
ويذكر له أن الحال التي قد هيأها الله جل ذكره لانتهاه الإيمار كنه
فيها ، وأتى في ذلك ما يأتيه الكرام مع إخوانهم إذا رزقوا حالاً استبدوا
بها دونهم . فأجابه أن السفر يشق عليه ، والبلد بلد شاسع ، لا يكاد
يَعهد السفر إليه ، ويذكر من شوقه إليه أضعاف ما ذكره في كتابه ،
وأن اليسير الذي في يده يُقنعه ويُقنيه عما سواه ، ويشكر له فعله ،
فعمَّ ذلك أحمد بن طولون وساء تأخره عنه ، لما كان بينه وبينه من
المودة والعشرة والأخوة ، فأراد الإفضال عليه والآنس به .
فلما سرفت الحال بينه وبين الموفق ورد كتابه عليه يذكر فيه
أن شوقه إليه قد تزايد ، وأنه لا يطيق الصبر عن زيارته ، وأنه قد
سهل عليه تحمل مشقة السفر ، لما قد استولى على قلبه من محبة النظر
إليه ، ويستأذنه في الرحيل إليه .

- صديق لابن
طولون ينقلب
عليه ويريد قطه

فاستبشر أحمد بن طولون بذلك ، وأذن له فيه ، إلا أن نفسه ،
لقوة ذكائه ، نفرت بعض النفور . وكتب إلى خليفته طيفور بأمره
أن يستكشف له خبره ، ويشرح له صورة أمره بالحضرة ، وإلى من
يتقطع بها ، فكتب إليه أن حاله حسنت في دار السلطان ، ومنزله
قد ظهرت ، وأن بينه وبين الموفق صلة قوية ، وله منه منزلة كبيرة .
ولم يمض إلا مدينة يسيرة ، حتى وافاه خبره ، أنه قد قرب من
البلد ، فأخرج إليه وجوه أصحابه وقواده ، وتلقوه بالعباسة^(١) ، فلما
بلغ منية مال الله^(٢) أقام له الجيش سباطين^(٣) ، في أحسن زبي إلى
الميدان ، ومن الميدان إلى داره ، وأوقف من باب قصره إلى مجلسه
الروم والترك والمستوفدات والعمد الحديد ، ودخل الرجل يشق
هولاً . كلهم حتى وصل إليه ، فكاد عقله يطير بما رأى وشاهد ، مما
لم يظنه ولا قدّره .

فلما قرب منه قام إليه أحمد بن طولون فتلقاه ، وأجلسه معه ،
وأكب عليه يسأله عن أحواله ، وقد أعد له حجرة في قصره وفرش

(١) العباسة قرية بينت باسم العباسة بنت أحمد بن طولون لما خرجت مع قطر الذي ابنة
خارويه منبجة لها إلى آخر أعمال مصر من جهة الشام ونزلت هناك وضربت لساطيها على ما روى
ار خلكان في وفيات الأعيان (وانظر تليقة ص ٥١ من هذا الكتاب) .

(٢) لم تعرف قرية بهذا الاسم في القديم ولا الحديث .

(٣) سباط القوم : صلحهم ، والسباط المائدة السلطانية أو ما يسط على الأرض لوضع الأظنة

وجلس الآسكين .

له فيها، وأعدّ له جميع ما يحتاج إليه من كل شيء حسن جليل له خَطَرٌ
وحسن من قليل وكثير . فلما خليا ساعة وتحادثا دعا بالمامدة فأكلا ،
ولم يزا الا في حديث وموانسة إلى وقت العشاء الآخرة ، فقال له احمد
ابن طولون: أنت قد تعبت وتحتاج إلى راحة فإن نشطت إلى أن تخلو
لذلك في دارك فعلت . فقام الرجل إلى تلك الدار ، وأتبعه غلمانه
وحجبه يسبقونه إليها ، فلم يمض من الليل إلا أيسره حتى أمر خاقان
الطرسوسي بالقبض عليه ، والاحتياط على جميع ما معه ، حتى لا يفوته
منه شيء .

وكان إذا جرى منه شيء في هذا الباب كشف لأصحابه عن
وجه الخبر فيه ، ليزول عن قلوبهم التعلق بما يجري منه . فلما انقضى أمر
الرجل ومضت له ثلاثة أيام ، أقبل على جماعة من وجوه أصحابه^م
وقوادمه فقال : اسمعوا خبري مع هذا الرجل الذي استدعيته لأقضي
حقه وحق الصحبة كانت بيني وبينه والمودة ، والمأعله من حاله
ليشر كني في نعمة الله عندنا ، فأبى وامتنع عليّ ، واستبعد الطريق
إلينا ، فغمني ذلك .

ولمّا كان في هذا الوقت كتب يستدعي ويدكر شوقه إلينا ،
ويسأل الإذن له في مصيره إلينا ، فأذنت له في ذلك ، وآثرت
مشاهدته ، وكتبت إلى خليفتي بالحضرة ليستكشف لي حاله هناك ،
فكتب يدكر أن حاله قد حسنت في دار السلطان ، ومنزلته قد عظمت

عنده ، وخالطته بالموفق قد ظهرت ، فما قدّرت إلا أن الموفق ما بلغه ما بيني وبينه من الإخاء والمودة دسه إليّ ليحسن التسديد بيني وبينه حتى يصلح ما تشمت بيننا .

فلما وافى واجتمعنا ، لم يدع للموفق مثبّة إلا نبشها ، ولا قبيحاً إلا ذكره ، ورأيت صورته قد انقلبت عما كنت أعهد عليه ، فتلطفت بأن استحضرت غلامين له ، رأيتهما مشتغلين على أمره ، فوعدتهما ورغبتهما ، فأحضرتني سفظاً فيه ثمانون كتاباً من الموفق إلى وجوه قوادى وخواص غلاني ، يمدح فيها بأن من فتك بي منهم قلده البلدان الخطيرة ، وأسنى له العطية الجزيلة ، أفألام على ما فعلته في أمره ؟ قالوا : لا والله ، أيد الله الأمير ، والحمد لله على ما وفق الأمير له في أمره ، والعذر للأمير أبده الله ، والذنب لمن جنى على الأمير ، ولم يحفظ المودة ويرع الإخاء ، وقد جازاه الله بما يستوجبه .

معاملته لأرلاد
حبه

ولما مات يارجوخ في سنة ثمان وخمسين خاف ستة بنين وبناتاً ، كان يارجوخ قد تزوجها من موسى بن بغا . وبنو يارجوخ : عيسى وهو الأكبر ، وجعفر طريده ، والفتح طريده ، وثلاثة صفار : صالح ، ورجاء ، ونصر ، لم يبلغوا الحلم . وكان عيسى بن يارجوخ كثير الهبة ، شرس الأخلاق ، وكبير الهمة . فلما مات أبوه لم يلزم الر كوب إلى دار السلطان ، ولا واطب على الخدمة ، وقدّر أن الأمر يجيئه على ما يجبه ، وهو جالس

في داره . فلما ترك الخدمة ولزم منزله اقتصر على رزقه ولم يقبل عملاً ،
ولا ارتفق بزيادة ولا جارية ، فأغاظه ذلك ، فحمل إخوته وأخته ،
وخرج بهم على طريق مكة . ووافق إلى أحمد بن طولون من الحضرة
قبله بأحسن قبول ، ووفر عليه الرزق ، وأجرى على إخوته كلهم
وأخته الأرزاق السنية ، وأقام لهم الوظائف ، وزوج جعفر بن
يارجوخ من ابنته الكبرى فاطمة ، لأن عيسى كانت له امرأة . ولم
يزالوا عنده في أجل حال ، حتى دعت عيسى شراسة أخلاقه إلى
السكر ، وبلغه عنه مقالات قبيحة ، ذكر أنه صنعة أبيه ، فوجه
إليه يعذله على ما يبلغه عنه .

فلما علم عيسى أنه قد علم بمقالته فيه ، سأله أن يطلقه إلى طرسوس
خوفاً منه ، وحياءً من خطئه عليه ، ففعل ووصله بمال جزيل ، وكتب
له جوازاً ، وحفظ فيه فعل أبيه ، ولم يوافق ، ومنعه أن يأخذ معه
إخوته ، وأقرم عنده على حالم ، حتى دعت جعفر أيضاً حماقته التي
كانت فيه ، ولأنه كان بينه وبين العباس منادمة اصاهرة بينهما إلى
أن خرج معه إلى برقة ، فلما كان من أمره ما كان ، عاقب الناس جميعاً ،
وقتل من قتل ، وأعفى جعفر من ذلك ، غير أنه أمره بالخروج عن البلد .

وحدث محمد بن عبد الله الحراساني الدهان قال : نزل عندنا بجارة
الحراسانيين شاب حسن الوجه ، فصيح اللسان ، حافظ للقرآن وسنة

مقتل حراسان
يد من هلك
الحراساني مرضه

النبي صلى الله عليه وسلم ، من أهل بلخ ، فجل في قلوبنا ، وحل منا
محللاً لطيفاً ، فأما في مسجدنا في حارتنا ، ونوزعنا ما يكفيه من
أموالنا ، فكنا نجلس عنده في المسجد كل عشية ، ونأنس بمديته ،
وحسن فصاحته ، وكثرة فوائده . فأنا لجلوس معه يوماً في عشية
من العشايا ، حتى طلع علينا كهل من الحراسانية ، عليه لباد ، وفي يده
خنجر مشهور ، فلما رآه إمامنا قام مبادراً هارباً ، فعدا صاحب
الباد خلفه ، فلاحقه ، فلم يزل يتوجوه "بخنجره حتى قتله ، قبضنا
عليه وسقناه إلى الشرطة ، وهو مقتاد معنا غير متعاص ولا منكر .

فأوقفنا صاحب الشرطة على أمره ، فرفعنا بأجمعنا إلى أحمد بن
طولون ، فلما حضرنا بين يديه ووقف على صورة القضية قال له : ما الذي
حملك على ما أتيت ، فقال : أعز الله الأمير ، كان هذا الرجل جاري
بيخارى ، وكان حسن المجاورة ، ظاهر السر ، لانعلم ما في باطنه ،
فألفته وملت إلى عشرته ، فدخلت يوماً من الأيام إلى منزلي على غفلة
من أهلي ، فوجدته مفترشاً زوجتي ، ففزعت إلى السيف ، وإلى أن
أخذه فهرب مني ، فعدت إلى الامراة قتلتها ، واشتهر أمري في
الجوار ، فأحضرني أهل الامراة إلى السلطان فعرفته قصتي فأطلقني ،
وأمرني بطلب هذا الفاجر ، وأباحني قتله ، فطلبت فلم أجده ، وأخبرت
بمخروجه عن بخارى ، فتركت شغلي ومعاشي ، وما أنا بسبيله بيلدي من
تجارة وأهل ، وخرجت خلفه .

و كنت لا أدخل بلدًا إلا قيل لي ، إذا سألت عنه ، إنه قد دخل
إلينا ورحل ، إلى أن بلغت مصر ، ولي هاهنا مدة أسأل عنه في كل
يوم ، وأدور عليه ، وأصف صفته ، إلى أن عرفت بالصفة ، عرفت
أنه يصلي بقوم في المسجد الذي واقفته فيه ، فأخذت بطائفتي " ،
وشفيت ما في نفسي ، فاصنع بي أيها الأمير الآن ما شئت ، فقد سهل
عليّ القتل بعد ما وصلت إليه .

فألنا أحمد بن طولون عن المقتول لما رآه ما الذي عمل ؟ قتلنا : لا
نظر إليه قام يعدو هارباً منه . فقال له أحمد بن طولون : كثر الله في
الناس مثلك ، انصرف مكواؤا ، فأقام عندنا تلك العشية ، وودعنا من
غدٍ وخرج إلى بلده .

قيل النبيذ وذكاء
ابن طولون

ومن ذلك أن صاحب الخبر رفع إلى أحمد بن طولون أن رجلاً
دعا صديقاً له إلى منزله فقتله ، فأمر به فأحضر إليه مع أولياء الميت ،
فسأل أولياء الميت عنه ، فقالوا : دعاه هذا الرجل إليه ، للصدقة بينهما ،
وجاء ونأ به مقتولاً من منزله ، فلانعلم كيف كانت حاله . فسأله عن
القصة فقال : والله ، أيد الله الأمير ، ما عندي علم من أمره ، وإنه
عندي مثل ناظري ، وعزيز عليّ بما فُجعت به منه ، وإني عليه لشكلان
موجع . ولقد كان أخصّ خلق الله عندي ، وأحبهم إلى قلبي ،

(١) الطائفة : العداوة والنزعة والحمم الطوائف وهي الذحول والأوتار ، وعلان يطلب بي فلان بطائفة
أي جوز كان له فيهم تأريطه بهم قتيله .

ومحبب الأمير ، أيدته الله ، أني أصلحت نبيذاً منذ سنتين ، وأعوزتني الظروف فقيرت^(١) ظروفًا كباراً ، وجعلتها فيها ، وتركت الجرار في الشمس ، ولي في السطح برج حمام فتهدم منه موضع ، ولم يحضرني في الوقت طوب ، وخشيت على الفراعخ من دخول شيء إليها ، فأخذت جرة من تلك الجرار الكبار فسددت بها ما انهدم من البرج وطبقتها ، وعملت على أن أطلب طوباً فأجعله مكانها وأخذتها ، ومضت الأيام ونسيتها بالشغل والعوارض فما ذكرتها ، وانقضى النبيذ وفرغ ، واعتلت علة قطعني عن إصلاح غيره ، فلما وهب الله جل اسمه العاقبة في هذا الوقت صعدت أفتقد الحمام ، فرأيت بعض الطين قد انكشف عن الجرة النبيذ ، فذكرتها فأخرجتها وجعلت عوضها طوباً ، وسررت بها كل السرور ، لأجتمع أنا وأخي هذا على شربها . فخرجت واشتريت لحماً وما أحتاج إليه ، وصفيتها في [إننا] لي ، فرأيت منظرًا ما رأيت أحسن منه ، وعيّبت^(٢) مجلسي كما يجب ، ومضيت إلى أخي فحدثته حديث الجرة ، ففرح بها أيضاً ، وسألته الحضور ، وأن يحضر معه ثلاثة من إخواننا ، وعدت إلى منزلي ، وتناظلت بالطبخ وما أحتاج إليه .

فكان صديقي هذا وأخي أول من وافاني من إخواني ، وأنا مشغول ما فرغت ، فنظر إلى النبيذ فاستحسنه جداً وأعجب به ، وحلف أنه

(١) القار والقبير : شيء أسود يظلي به السحر والابل وهو الزفت ، وقبر الحب والزق إذا طلاما .

وقبر الظرف طلاء . (٢) عيبت : لثه في عبات أي هيات

ما رأى قطُّ مثله ، وشرب منه قدحاً واحداً ، ووضع رأسه فنام ، فلما فرغت من شغلي وحضر إخواني ، أصلحت المائدة وتقدمت إليه لأنبئه فوجدته ميتاً . فورد عليّ ، أيد الله الأمير ، من الأمر ما خشيت معه أن أجنّ ، وحرّت وحرّ القوم ، وبقينا لا ندرى ما نعمل ، ولم أجد بدءاً من حمله إلى منزله ، فحملناه إليهم وعرفناهم خبره .

فقال أحمد بن طولون لأولياء الميت : تشكّون في مودته كانت لميتكم ؟ فقالوا : لا والله ، أيد الله الأمير ، لقد كان به عليه من الإشفاق والمحبة مثل ما نحن له عليه وأفضل ، وما زنتهم في أمره بوجه ولا سبب .

فقال له أحمد بن طولون : ما فعل النبيذ ؟ فقال : هو بحاله ، أيد الله الأمير ، شغلنا هذه المصيبة عنه وعن كل حال . فقال له : أحضري مني شيئاً ، فوجه معه من أتاه منه بقينته ، فنظر أحمد بن طولون إلى لونه وقال : حسن . فاستحضر كبد خروف فأثي به في غصارة^(١) صيني فلأ من النبيذ قدحاً وصبه على الكبد ، وغطاها قليلاً وكشف عنها فأصاها قد تقطعت ونهرأت ، ثم استدعى كبداً أخرى فأثي بها ، فأخذ من النبيذ قدحاً ، فجعل نصفه نبيذاً ونصفه ماء ، وصبه عليها وغطاها أيضاً ، وتركها قليلاً ، ثم كشف عنها فوجدتها تبرق مصقولة حسنة ، فقال للرجل : هكذا كان ينبغي أن يشرب هذا النبيذ منصفاً

وقال لأولياء الميت : مات ميتكم بأجله وعلى حسب ما قضيت موته
فشأنكم بميتكم فا [مضوا وادفنوه] ، يتولاه الله جل اسمه برحمته .
ثم قال لصاحب النيذ : امض واحذر أن تسقي أو تشرب من هذا النيذ
شيئاً صرفاً فإنه قاتل . فقال : والله ، أيد الله الأمير ، لا شربت ولا
أسقيت بهد [يومي] نبيذاً أبداً ما عشت ، فقال له : جودت انصرف مسلماً .

الخطيب الموعود
بالطوبى ومكافاته

ومن ذلك أنه راح في يوم جمعة فلما رقي الخطيب^(١) المنبر وخطب
دعا للمعتمد ولولده ، ونسي أن يدعو لأحمد بن طولون ، ونزل عن المنبر
مرقاة ، فقال سوار الخادم : فأشار إليّ أن إذا فرغ من صلواته وخرج
اضربه خمسمائة سوط ، فذكر الإمام وهو على المرقاة الثانية ، فرجع إلى
أعلى المنبر ، وقال : الحمد لله وصلى الله على محمد . « وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ
مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا » ، اللهم وأصلح الأمير أبا العباس
أحمد بن طولون . وزاد في الدعاء له ، ثم نزل عن المنبر . قال سوار : فنظر
إليّ مولاي وقال لي : اجعلها دنائير . ووقف الخطيب على ما كان منه ،
فحمد الله جل اسمه على سلامته منه ، وهنأ الناس بالسلامة .

ومن ذلك أنه اعتلّ معمر الجوهري فعاده أحمد بن طولون ،
وكانت بينه وبين معمر مودة وخططة ، وميل شديد ومحبة . فإنه
لصده جالس يتوجع له من عاتيه ، ويذكر له غمه به ، وشغل قلبه

(١) في خطب القرظي ان هنا الخطيب كان ابا بقرب البلخي .

بأمره ، ويدعو الله له بالعافية ؛ إذ سمع صائحاً يقول : أنا بالله وبالأمير . فقال للحاجب : ما هذا ؟ فخرج وعاد فقال : امرأة . فقال : هاتها . فدخلت إليه عجوز فلما رأته قالت : أنا بالله وبالأمير . فقال لها : ما قصتك ومن نتظلمين ؟ فقالت : من هذا الذي أنت عنده ، أيها الأمير . فقال لها : وما خبرك معه ؟ فقالت : أنا امرأة من أهل الستر ، ولي نصف دار منها معيشتي ، وفي بقائها عليّ نعتي ، فاشترى هذا الرجل من شريكتي ، وكدني في أن أبيع النصف الذي لي لتكمل له الدار ، فامتنعت لأن في بقائها ستري ، وفي بيعها هتكلي ، فأنا من كده لي ومطالبته إياي بالبيع ، وتخويني منه ، في أمر قد عذبنني وحيرني . فردّ أحمد بن طولون إلى معمر وجهاً مكتهراً لم ير مثله قط ، تكاد أن تطير من عينه النار ، وانقلب في الوقت عن تلك الحال التي كان عليها له إلى غيرها ، كل ذلك مراعاة لحق الله عز وجل . ثم قال له ببسة وانقباض وجفاء خطاب : ما تقول فيما قالت هذه المرأة ؟ قال معمر : جميع ما أملكه صدقة ، إن كنت أعرف شيئاً مما ذكرته . فقالت الامرأة : وكيفك فلان الذي بعثني ويؤذني ، وطلب في الوقت فلم يوجد . فقام أحمد بن طولون وقال له : أنصفها ولا تحوجها الى شكايه بعدها . فبث معمر الرسل يطلبون وكيله حتى أحضر ، فسأله عما حكّت الامرأة قال : نعم صدقت ، النصف من الدار الفلانية اشتريتها من شريكها ، وطلبت منها النصف الذي لماتكمل

الدار بأجمعها لنا فامتنت . فأمره باحضار الكتاب بشراء النصف فأحضره ، فأقر لها في ظهره أن الشراء لها دونه ، ووجه لها ، ووصلها بجملة دنائير . وقال لها : قد أتى الله جل اسمه عليك النصف الذي لك ، وزادك النصف الذي لنا هبة منك ، فأحب أن تمضي وتلقي الأمير ، وتعرفيه ما فعلته في أمرك وتشكريني عنده ، فخرجت إلى الميدان فلقيت أحمد بن طولون ، فعرفته ما كان من معمر فحمد الله على ذلك ^(١١)

تصحیح بعض ال
أبي طولون

ومن عجيب أخباره أنه لما صرف أبا أيوب عن الحراج وقلده أحمد بن إبراهيم الأطرش جعل يتجسس عنه فلا يجد له شاكياً ، ولا به ساعياً ، وكان قد استكتب أبا الجيش علي بن أحمد ، وسنه يومئذ أربعون سنة ، واستخلفه على جميع أمره ، وكان كل الكتاب يومئذ يملقون ، وهم متوافرون ، أنهم ما رأوا ولا شاهدوا أحضر ذمناً منه ، ولا أقوى حفظاً .

فبينما أبو بكر أحمد بن إبراهيم الأطرش يوماً في الديوان يناظر المعاملين ، إذ نظر [إلى] نصراني كان يعرف بنسحق كاتب جرجان ، وكان معتقلاً شيخاً من المتقبلين يعرف بابن جمهور قادي ^(١٢) النصراني عليه ،

(١١) القائل ان مثل هذه الشكايات كان اربابها يرون ان رضا الی اس طولون علی هذا الوجه انه - الی بل ما يتطلون ، والا فان صاحب الدولة الطولوب كان يجلس للظالم وينظر بنفسه في ملامات الناس . روى التبريزي في المخطط انه كان اول من جلس بحضر من الأسماء النظر في الظالم وكان يجلس لذلك يومين في الأسبوع . (١٢) آدی : قوی .

فاغتاط ابن الأَطروش من تسلط النصراني على الشيخ، فأمر برده إلى حبسه . فصاح النصراني : نصيحة الأمير أحمد بن طولون . فماتم كلامه حتى وافى صاحب أحمد بن طولون ، فأخذ أحمد بن إبراهيم الأَطروش والنصراني فأحضرهما بين يدي أحمد بن طولون ، فقال لا يسحق النصراني: ما نصيحتك؟ فقال : أخذ أحمد بن إبراهيم الأَطروش هذا من مال ضياع البلد في هذه الأيام أربعين ألف دينار . فقال لابن الأَطروش: ما تقول فيما ذكره؟ فأنكره وقال : هذا نصراني أحق ما يدري ما يقول ، وإنما لما طالبته بما يجب عليه من الخراج عمل هذا ليدفع به عن نفسه المطالبة . فاغتاط أحمد بن طولون وقال له : أنا أسألك عن الحجة فيما ذكره تقيماً تأتيني بخرافات ، فبقي ابن الأَطروش قد حار وُسقط في يده^(١)

ورُفع في الخبر إليه، لأن الأخبار ما كانت تُغيه في كل ساعة بكل ما يجري من قليل وكثير، فكان في الخبر أن بالباب كاتباً لأحمد بن إبراهيم الأَطروش، يسأل الحجاب إدخاله إلى الأمير، فأمر بإحضاره، فدخل على أحمد بن طولون ، فكان أول ما ابتدأ به بعد السلام على الأمير أن قال : أيد الله الأمير ، جميع ما وجب على صاحبي هذا أحمد بن إبراهيم الأَطروش فهو عليّ دونه بما فوضه إليّ من أمره ، فإن رأى الأمير ، أيد الله ، أن يعفيه من المناظرة لهذا النصراني

(١) سقط في يده واسقط مضروبين : زل واخطأ وتعب

ويجعلها معي ويصني الأمير ، أيده الله ، إلى ما يجري فعل . فعجب
أحمد بن طولون من تأكيده على نفسه فيما يتبرأ فيه الولد من والده ،
فقال له : شأنك وإياه .

والتفت إلى النصراني فقال له : ما نصيحتك ؟ فقال : أخذ صاحبك
من مال ضياع البلد أربعين ألف دينار ، فقال له علي بن أحمد : أخذها
جملة من حاصل مال كان لها مفرداً ، أو أخذها مفرداً من الضياع ؟
فقال له النصراني : أخذها مفرداً من الضياع . قال : فأحضرنا بها عملاً
مفصلاً تبين فيه ما ذكرت شيئاً شيئاً . فقال : ما عندي لها عمل
بتفصيل ، ولكن إذا أحضر الحساب للضياع أخرجت من عرضه
ما اختزله وبثبت اقتطاعه له . فقال علي بن أحمد : الله أكبر . وأخرج
من خفه عملاً وناوله الأمير وقال له : أيد الله الأمير هذه نسخة ما حمل
إلى بيت المال عن هذه الضياع دفعة دفعة ، وأنا أحفظها ظاهراً ، وهو ذا
أقروه وهو يسمع ، فهما عرف منه هذا النصراني شيئاً فيذكره .
ثم اندفع يدك ذلك ضيعة ضيعة ودفعة دفعة . وقد أعجب أحمد بن
طولون ذلك منه ، وأقبل عليه يستزيده حتى أتى على العمل . ثم استماده
إياه ثانية إعجاباً منه ، واستحساناً له ، فأعاده على ترتيب ، لم يقدم
حرفاً ولم يبوخر حرفاً ، ثم قال للنصراني : أخبرني الآن ما الذي زاد
على هذا حتى يكشفه الأمير ، أيده الله ؟ فإن صح عليم صدقك ،
وإن لم يصح وقف على كذبك ، فانتقطع النصراني ، وسكت سكوت

منقطع لا خجة معه ، وارتعد بين يدي أحمد بن طولون فقال له :
يا كلب أردت أن تحملني على الإساءة لرجل ليس في خدمتي أعف منه
.....
.....
لولا أن الإسلام يهدر ما قبله (١١)
عبرة لغيرك ، وأمر بانصرافه ثم قال لعلي بن أحمد : بارك الله عليك
..... منك ، فقد جمعت بين الذكاء والوفاء فلا يدخلن إلي صاحبك
وقتا إلا وأنت معه . وكان لباس علي بن أحمد الدراعة فناء أحمد بن
طولون عنها وأمره بلباس الأقبية والسيف والمنطقة ولبس السواد
يوم السلام .

وحدث يحيى بن بركة الحاسب ، وكان صديق أبي يوسف
يعقوب بن إسحق كاتب أحمد بن طولون قال : صار إلي غلام
أبي يوسف الكاتب ، بعد انصراف أحمد بن طولون من الإسكندرية
إلى القسطنطينية ، يدعوني إليه ويذكر شوقه إلي ، و كنت قبل
فكبتة مواصلاً له ، فلما حبسه أحمد بن طولون [تهيئت] الذهاب إليه
خوفاً على نفسي . فقلت له : ما تركت زيارته إلا خوفاً ، فقال : قد
علم عذرك ، والآن فقد تقدم الأمير إلي الموكل بالمطبخ ، أن يفرد
من جملة المحبوسين ، ويطلق له دخول من قصده للسلام عليه ، من
أصدقائه وأصحابه وحاشيته وذوي عنايته ، وشوقه إليك شديد ،

سجين ابن
طولون يم قفاه
ل الحبس

(١) في الاصل هنا غرض ثلاثة أسطر تينا في التالك منها هذه الكلمات

وقد استبطأ تأخره مع ما جرى من تسهيل أمره ، فضيت مع
الغلام إليه فوجدته في غرفة واسعة نظيفة فسلم عليّ وقال : يا أبا زكرياء ،
قد تفرغت الآن للعرض عليك ، والاقْتباس منك ، فالزمني فلزمته .
فعمل زيج السند هند بأمره ، وعمل صدر آمن أحكام النجوم . وأفت
أقطع إليه في محبسه خمس سنين وكسراً حتى أُطلق . فحدث يحيى بن
براقة قال : لما دخلت سنة أربع وستين ومائتين ^(١)

.
.

. المسلمين وتضمن أروهم ذكر ما اره

في الضيق . لك وقد سلكت في قصيدي ذلك المسلك ، وكتب
إلى أبي عبد الله الواسطي رقعة يشكو بها حاله ، ويسأله التلطف في
قراءة القصيدة عليه في خلوة ، وتبعها بما يحسن أن يأتيه وهي :

الشعر صب على المكروب والعافي	وليس أعجب شيء فيض ملآن
ما للزمان لقد حالت حوادثه	بيني وبين حبيب نازح دان
إن قلت جاء أجايب الطرف من كذب	ملكنتي بين أبواب وحيطان
ودون عرب وعميم في مجالسهم	مواكلين بنا ترك وسودان
إذا تنحنحت قالوا طار صاحبنا	كأنما لي في حبسي جناحان

(١) في الأصل هنا خرق ثلاثة أسطر تينا في التاك منها هذه الكلمات وفي ابن الدابة : لما
دخلت سنة أربع وستين ومائتين تحولت لأبي يوسف سنة محمودة رجا فرجه فيها . فصل قصيدة
طلوية ، وكتب إلى أبي عبد الله الخ .

لكن طيفك يأتيني برغمهم
 طيف ليضاء تنقادُ انقلوبُ لها
 لولا خيالكِ يا مولا مالِكها
 إذا لما عشتُ من همِّ أعالجها
 يا حبذا طيفُ من أهوى ويهواني
 لو خاصمتُ قرأ جاءت بيرهان
 وأنه كلما نومتُ يغشاني
 وأحرقت كبدِي نيرانُ أحزاني
 كأنه حجرٌ من بين كُثبان
 منه سهاوته ^(١) شلت ^(٢) يدُ الباني
 ثم استقلتُ بأحزانٍ وأشجان
 روحُ سوي مخرج مأوى لشيطان
 تنوحُ فرعونُ أو نبيكي لهامان
 مقارب [السود] من مثني ووحدان
 قال : فورد جواب أحمد بن محمد الواسطي عليه يقول : قد قرأت

القصيدة عليه ، وهو منشرح الصدر ، فتدمع لبعضها وضحك لبعضها .
 فقلت : أيد الله الأمير . قد طال حبسه ، وبلغ به غضب الأمير حالاً
 رثى له عدوه منها ، فإن رأى الأمير أبده الله أن ين عليه بالرضا ،
 فقال : ما غضبت عليه ، ولو غضبت لجرى مجرى غيره ممن اصطفت
 ماله وأجريت عليه المكروه ، حتى خفي خبره ، واستتر أثره ، وقد
 أطلقت له من بآنس به ، وهو مشغول بتهلم حساب النجوم وقول الشعر ،
 وقد زال الآن عتبي عليه عن قلبي فقلت له : الحمد لله ، فما يمنع
 الأمير من التطول عليه بإطلاقه والرضا عنه ؟ فقال : كلام ألقاه إلي ،

(١) سهاوة البيت : رواه (٢) شلت بفتح الشين : أي يست

وحدثني به عن أنوشروان ، وهو أنه قال : الملك المتسكن من نفسه لا يقضب سريعا ولا يرضى سريعا ، لأن ذلك من أخلاق النساء ومن قاريهن . فلذلك أطلت حبه . فأمسكت عن إعادة قول عليه ، فأنت يا أبا يوسف في حبس نفسك بما كنت غنياً عنه من هذا القول .

فلما وصل إليه الجواب من أبي عبد الله قال إن حضره من إخوانه : أما ترى إلى فظاظة أبي عبد الله في خطابه لي ، وأنا في مثل هذه الحال ، وذمه إياي فيما كان يجب أن يمدحني به ، ولكن يا أخي المحن تغلب أعيان الحسنات إلى المساوى .

فكاتب أبا بكر^(١) القاضي وسأله كلام أحمد بن طولون في أمره ، ومسألته إطلاقه ، فركب إليه القاضي ، فأذكره بجرمته عليه ، وخدمته له ، وطول صحبته له . واتفق له في تلك الساعة ورود خبر طيه يسره ، فأمر بإطلاقه ، وتخلى سييله .

وكان وقت الحج ، فلما أطلقه [جاءه] مسلماً طيه ، فسأله الإذن له في الحج ، وعرفه أنه اعتقد ذلك إذا من الله عز وجل عليه برضا الأمير ، فأذن له في ذلك ، وأطلق له الذهاب إلى منزله بسر من رأى ، والاجتماع مع أهله وحرمه ، وأطلق له جملة كبيرة من المال وخرج . فلما حج ووصل إلى منزله كف لسانه بالعتاب ، فلم يذكر أحمد ابن طولون بكلمة تُكره ولا يبيح ، فزاد بذلك عند الموفق ، وتقدم به عنده ، وكتب طيفور خليفة أحمد بن طولون إليه بذلك ، وأنه

(١) أي كاتب أبو يوسف أبا بكر

بكثر الشكر بذاك ويطلب الثناء عليه ، فشكر له أحمد بن طولون ذلك ، وصار يكتابه في مهاته وحوادثه ، ولا يقطع مواصلته بصلاته .

قال مؤلف هذا الكتاب : حدث نسيم الخادم قال : كان أحمد بن طولون مولاي على غاية من الميل والمحبة لمعمر الجوهري ، فلما مات معمر الجوهري حزن عليه أحمد بن طولون حزناً عظيماً ، حتى ظهر ذلك منه للناس كلهم ، فلم يتعزَّ به ولم يسلم عنه . فلحزنه عليه كان يبكر كل يوم سحراً إلى قبره ، وأنا معه فيترحم عليه ويقرأ قليلاً ، ويعود إلى قصره مع الصبح . فكنا عند موافاتنا قبره نجد في كل يوم امرأة قد سبقتنا إلى قبر مقابل قبر معمر ، تبكي وتنتحب بجرقة موجهة مؤلمة لقلب من يسمها ، فكانت تزيد في حزن أحمد بن طولون وتبكيه .

امراة تبكى
زوجها لستره
عليها

فلما كثر ذلك عليه منها قال لها يوماً : يا امرأة أتبيتين ها هنا ؟ فقالت : لا أيها الأمير . فعلم أنها قد عرفته . فقالت : وكيف لي لو تهبأ لي المبيت ، حتى أبيت ولا أفارق هذا القبر ، وأدفن فيه مع صاحبه . ولكنني أسهر ليلي ، لا أجد في قلبي ، فإذا قرب الفجر خرجت ، وقد شغل الحزن قلبي عن الخوف من وحشة الطريق . فقال لها أحمد بن طولون : وما هذه الحال العظيمة التي استحق بها هذا القمل منك ؟ فقالت : أيها الأمير إنها حال عظيمة عندي ، لا يجوز لي أن أذكرها . فقال لها : لا بد أن تخبريني ذلك . أبنك هو ؟ قالت : لا . قال : فأخوك ؟ قالت : لا . قال : فزوجك ؟ قالت : نعم . قال : أقسمت

عليك لتخبرني بما استوجب به منك هذا الفعل . فقالت : أيها الأمير ،
إني أحتشم من ذكره ، وأرفع الأمير عن كشفه . قال لها : إزوي
لك ذكره قد أزال حشمتك ، وأقام عذرک .

فقالت : أزوجني أبي لهذا الرجل ، وأنا صبية ، ما بلغت مبالغ
النساء . فلما عقد النكاح سافر سرفراً طال مدة أيسنا منه معها .
فخلاي من النساء من لا خير فيه ، وأنا مع أبي وأمي ، وأفسدوني
واستولوا على عقلي ، وحملوني على أن ساعدتهم فيما كتب عليّ ، مما لم
يكن لي منه محيص ، وصبوت كما تصبو النساء وحملت . فلما تبين
والدای جميعاً ذلك ، ورد عليهما ما يرد مثله من المصائب ، فبينما هما
يركضان في الحيرة في أمری إذ قدم هذا الرجل من سفره ، فطالب
بإدخاله عليه ، فدافعه أبي وأمي ، بما يحتاج إلى إصلاحه لي ، رجاء أن
يزول ما في جوفي ، فلم يدها شيئاً يعمل في طرحه حتى عملاه ، فما رفع
ذلك ، لما قضى الله جل اسمه بكونه .

وقربت ولادتي فوافانا هذا الرجل ، وقد طالت المدافعة له ، فحافظ
بالطلاق أنه يأخذني بعد ثلاثة أيام ، فلم يجد أبي وأمي بدءاً من إدخاله
عليه فدُفعت إليه ، وأنا على حال قد علمها الله جل اسمه غمماً
وقلقاً ، وأبي وأمي في أعظم مما أنا فيه ، فلما أدخلت عليه ، وأخليت معه ،
انصرفت أبي وسائر أهلي ، خوفاً من مشاهدة الفضيحة . فلما حصلت
معه في الكيلة^(١) ، ضربني الطلاق ، وزاد الأمر عليّ ، فوثبت من الكيلة ،

(١) الكيلة : ستر رقيق وهي ما تبرعت اليوم بالأمسية وافية الأثر من الفاموس .

أريد الخروج من البيت إلى أمي ، وليس عندي أنها هربت . فما
بلغت عتبة باب البيت حتى طرحت الولد من بين رجلي إلى الأرض ،
وسقطت ولا عقل لي ، فوثب هذا الرجل بتأمل ، فرأى طفلاً مطروحاً
بيكي ، فصاح بأخته ، فسمعتة وأنا في كربي وغمي ، يقول لها : يا أختي ؛
اقض كل حق لي عليك ، بما تأتبه في أمر هذه المرأة ، وانصرف
عن البيت ، وتركتني مع أخته ، فقامت بي أحسن قيام ، وتولت من
أمرني ما لا يتولى مثله أمي : برفق ، وإشفاق ، وانبساط وجه ، وحسن
خلق ، ومرح ومداعة ، حتى كأن الولد منهم ، وكل ذلك يزيدني
خجلاً واحتشاماً ، إلا أنه قد سكن قلبي بعض السكون .

وبلغ أبي وأمي خبري فلم يقربني أحد منها حياة واحتشاماً ، وبت
ليلتي ، فلما كان من الغد دخل إلي بوجه منبسط طلق ضاحك ، فجلس
عند رأسي ، وسألتني عن خبري ، وقال لي : ألك حاجة ؟ قلت ،
ودموعي تجري : يبيك الله . فبكي لسكائي ، ومضى بنفسه إلى أبي
وأبي ، فحلف عليها حتى جاءني بها وقال لها : لا مهر ب من قضاء الله
عز وجل ، إني ليس في يدي ولا في أيديكما ولا في يدي أحد من عبيده
جل ذكره منه غير الصبر والحمد له ، تبارك وتعالى ، على البأساء
والضراء ، والحمد لله الذي كان هذا من فيض (؟) الله جل اسمه ، له الصبر
عليه والستر عليكم ، واحمدوا الله جل اسمه . فدعيا له وشكراه
واستعبدهما بذلك .

فكان كل يوم يدخل اليّ بكرة وبالعشي ، يسألني عن حالي ،
ويسألني عن شيء أشتهي ويستحلفني على ذلك ، فأبوس يديه وأدعوه
حتى إذا مضى لي أربعون يوماً ، وهي أيام النفاس ، ودخلت الحمام
وصلحت له ، دخل اليّ مستبشراً طيب النفس ، فمازحني وجلس
عندي ، واستحضر أبي وأمي وأنفق نفقة كبيرة واسعة حسنة ، حتى
كانت مقام عرس ثانٍ . فلما انقضى يومنا وبات عندي ، وجرى بيني
وبينه مايجري بين الرجل وزوجته ، وأنا على غاية من الاحتشام والحياء
منه ، وأصبح ، وهبلي دنائير كثيرة ، وقطع لي ثياباً حسناً . فامضى
إلا شهر حتى حلت فولدت غلاماً فسرّ به غاية السرور ، فكأنني انبسطت
قليلاً إليه ، ودعا أيضاً أبي وأمي وحلف عليها أن يلزماني ولا يتقطعا
عني ، وصاغ لي حلماً حسناً ، وما ترك شيئاً من إكرامي وسروري
حتى بلغه لي ، وعاشرتني أخته ولأمي^(١) أحسن عشرة ، وفعلت معنا
أجل فعمل ، فكنا له ولها كالعبيد .

وما زلتُ معه على حال ما فوقها مزيد من الإحسان والحبّة ، حتى
مضت لي عشر سنين ، وكبر ابني ، وحقق القرآن ، وعلمه جميع
الآداب ، وأنجب ، فعظم بذلك سروره وسروري . ثم اعتلّ عليه هذه التي
مات فيها ، فلما أيس من نفسه كتب وصيته ، وأحضر الشهود ليشهدوا
عليه فيها فسمعتهم يقرءون في الوصية : والذي خلفه من الولد ، ولدان
ذكران ، وهما فلان وفلان ، وزوجة ، وهي فلانة ابنة فلان ،

(١) الأولى : وعاشرت أُمي .

يريدني . فلما سمعت ذلك لحق قلبي ما يلحق قلوب النساء من الغيرة ،
ثم فكرت في خيانتني وقبح فعلي ، وجميل فعله ، فأمسكت ، إلا أنني لما
خرج المدول من عنده ، خرجت اليه من وراء مقطع كنت جالسة
خلفه ، قبلت رأسه وبده ، وقلت له : يا سيدي ، لك علي من الإحسان
والإنعام وجميل الفعل ما قد استعبدتني به ، حتى لو وقفت على أن لك
ثلاث نسوة وعدة جوار لملتن لك على رأسي ، فكان ذلك أقل
واجبك علي ، فكيف يكون لك ولد غير ولدي من امرأة غيري أو
جارية ، فلا تعرفني حتى أتولى خدمتها بنفسي ، وكان ذلك بعض ما تستحقه
مني ؟ فقال : كأنك أنكرت ما سمعته في وصيتي من ذكرري ولدبن
ذكرين ، قلت : نعم . فحوّل وجهه عني إلى الحائط فقال لي : ويحك ،
هذا وذاك ، وتشهد مات .

فأحضرتني أخته ذلك الطفل الذي كنت رميته ، ووالله ما قد رته
بعيش ولا سألت عنه ولا فكرت فيه ، فقالت له : يا بني هذه أمك
فبس^(١) رأسها ، فانكسب على رأسي وبكيت وبكى وبكت أخته ،
وإذا بها قد اشترت له دابة ، وأفردته في موضع معها ، وكبير فعلته
مع ابنه أقرآن وجميع ما علمه ابنه من الآداب وأنجب أيضاً ، على أنه
بعض ولد الجيران ، وأحضرت أخاه فقالت له : يا ابن أخي هذا أخوك
فتماثقا ، ووقف كل واحد منهما على صورة الأمر ، وانثقت الحال بينهما .
فتسخمت^(٢) أنا وأخته عليه ، وجززنا شعورنا ، ولزمنا الحزن عليه .

(١) البوس : التجميل (فارسي معرب) (٢) سخم وجهه : سوده ، وتسخم : تسود

فماتت أخته حزناً ، وبقيت أنا وابني وأخوه معي ، وخلف له شيبانيد^١
حاجتنا^(١) . فأنا أكرم قبره ولا أنسى جيل فعله ، ولا يزول من قلبي
حزنه . فقال لها أحمد بن طولون : رحمه الله ورضي عنه ، فإني الدنيا
أكرم من هذا الرجل ولا أجمل فعلاً ، وأحسن الله جزاءك إذ عرفت
له مقدار فعله بك ، وكثر الله في النساء مثلك ، فإن يكن لك حاجة ،
أو نابتك نائبة ، فعرفيني فقد لزمي حتمك ، ووجب عليّ حفظك ،
فدعت له ، وانصرف أحمد بن طولون وقد أبكته وأحزنته .

زلفه لها إلى ابن
طولون ثم خط
عليه

قال : وحمل أبو الفتح محمد بن الفتح أخته خديجة إلى أحمد بن طولون
في آخر سنة خمس وستين ومائتين وكان المتمد قد خفدينها نكاحاً ،
وكانت أختها يومئذ تحت المتمد بالله ، فقلد أحمد بن طولون محمد بن
الفتح ديار مضر . وكان الحسن بن مخلد قد نفاه السلطان إلى الرقة ،
لأنه أساء إلى الأولياء والكتاب ، فكتب إلى أحمد بن طولون يذكر
له رغبته في المقام عنده وفي كنفه . فأنفذ محمد بن الفتح كتابه إليه
بذلك ، فأجابه أحمد بن طولون : أنا وليك ومقام صنيعتك ، لأنه كان
الوزير ، وصوب رأيه فيما انتواه فرحل إليه ، فلما قارب أعمال مصر
منه صاحب البذرة^(٢) ، وكتب إلى أحمد بن طولون يخبره ، وكتب
إليه أيضاً الحسن بن مخلد ، فكتب أحمد بن طولون إلى صاحب

البدركة ، يأمره بحمله مكرماً فحمل إليه . فلما وصل إلى أحمد بن طولون أظهر إكرامه وإعزازة ، والتجمل له والبشر به . ولم يزل عنده على هذه الحال الى أن تأمل أحمد بن طولون منه أنه يرى أن فعله ذلك به ، بأستحقاق له عليه ، وأقبل يتبسّط بين يديه تبسّط المتبوع مع التابع ، ولم يزدّه أيضاً مهابة ، ولا توفية حقه ، فأحفظه ذلك عليه . وكان ينادمه فحضر يوماً محبوب بن رجا مع مجبضة أحمد بن طولون فقال لمحبوب على جهة المداعبة :

فاح ریح الخائم^(١) من سراويل قاسم-

يعرّض بأن أم محبوب بن رجا اسمها قاسم ، وذهب عنه أن اسم أم أحمد بن طولون قاسم . فقال له محبوب بن رجا ، ليذبه أحمد بن طولون عليه : أويذ كر لآمي وقد كانت ماسه (?) أو يقال فيها هذا ؟ إنما المنكر أن يكون الوزير أخيف^(٢) إحدى عينيه زرقاء والأخرى سوداء ، وهذا في الدواب مشوم ، فكيف في الوزراء ؟ فأحفظ أحمد بن طولون قول الحسن بن مخلد وخبأ ذلك له . فلما كان بعد أيام أحضره أحمد ابن طولون لمنادته على الرسم ففتى ، وقد سكر ، بالنبطية^(٣) ، وصفق بيديه ، ثم زاد عليه السكر وملكه فقال :

أيا وبجك كم تصعدُ لقد جرت مدى القرقد
ولو زلت بك النعلا نلاستويات ما محمد

(١) الخامة : الكفاة والجمع خائم (٢) الخيف : الحركة في الفرس وغيره زرة إحدى العينين

وسواد الاخرى (٣) البطية : لغة الأناط وهي الريانية .

فاغتاظ أحمد بن طولون غيظاً شديداً ، وأمر به فُجِعَ برجله الى
الحبس ، فإزال محبوباً حتى خرج أحمد بن طولون الى الشام ، فعمله
معه مقيداً فأت في الطريق ، فدفن في قصر عيسى بن شيخ الحشاشني .

وكان ابن مخلد قد أخبر ابن طولون عن أحمد بن محمد بن مدير ، بما
كان يكتب به أحمد بن محمد بن مدير في أمره الى السلطان ، ودفع
اليه كتباً ، منها ما يقول فيه بخطه : وإنه قد عزم على أن يقيم بمصر خليفة ،
ويصف غدره ، ويذكره بكل قبيح ويشير بعزله ، ويُخيف السلطان
منه ، ويذكر ما قد اختزله من الأموال ، فكتب أحمد بن طولون من
وقته الى سعد القرظاني . وكان من قواده وثقاته ، وهو بالشام مقيم ،
أن يُشخص اليه ابن مدير فأشخصه ، فحبسه في حجرة من داره
مكراً ، ولم يدري ابن مدير ما عرفه به الحسن بن مخلد ، وقرره له عنده ،
فكتب ابن مدير الى أحمد بن طولون رقعة ، وليس عنده صورة الأمر
فيما جرى في أمره ، ولا أن له ذنباً ، وضمن الرقعة آياتاً منها :

أريت^(١) قبيل الصبح في النوم أننا جميعاً على سطح يُنيف بنا السطح
إذا فارس يهوي الى السطح معلناً أخوش كتميزه به السيف والرمح^(٢)
يلوح بالبشرى إليك مبادراً بنصر وتمكين أجدهما النصيح

(١) في تاريخ دمشق : « أريت قبيل الصبح رؤيا كأننا » : وقد صححت من هنا بعض

خطات الناس وحيث جبة لم تصحح .

(٢) الشكة بكسر الشين : السلاح ، زهي لأن بكنا يزهي . ومناه زهاه الإصجاب بنفس .

وعالوا نبيك كبير من الدار عدوة
فلم أر حلاً مثله صدق وافد
مهمت بالشكر العطية إنه
وقل لي فدتك النفس من كل حادث
إلى كم يكون العتب في غير معتب^(١)
بصرح بالبهتان تصریح مازح
أما خلة ترعى ولا طول عشرة
تبين فإن الحق يجلو دجى العمى
ومالي ذنب غير آني محمد^(٢)
فإن كان لي ذنب فملك واسع^(٣)
فقد نالني بالامس مامل^(٤)
وما كنت ذا شعر ولكن جراحة

بعقب كتاب الفتح إذ فرى الفتح
على سرعة ما كان يسبقها للمح
تدوم مع الشكر العطية والنصح
وإن كان للنفس الضئيلة والشح
بتمويه واث شأنه القدر والقدرح
وبارب حنق ساقه المزل والمزح
ولا حرمة الندمان تقضى ولا الملمح
وإن كنت في شك فقد بين الصبح
وفي ز من تكدي الأمانة والنصح
وحكم الكتاب العفووا لكظم والصفح
فأجل فإن أقرح ينكوه القرع
من النعم في صدري وقد تعب الجرح

قال: وكان أحمد بن طولون قد حبس ابن مديبر في حجره مفروشة،
ومعه خادمان يخدمانه، وبوجه إليه أحمد بن طولون في كل يوم مائدة
حسنة عليها من كل شيء، فلما ورد عليه هذا الشعر أغاظه فأحضره إليه وقال
له: تفككك وتفككك بدلان على أنك ما وقفت على علي بما قصدتني به
وكانت السلطان في مرة بعد أخرى بسوء طبعك، وقبح كيدك
وجرأتك على ربك بأيمانك الكدبة، هبك ويمحك نثوم يخشك أنه قد جاز

(١) في تاريخ ابن عساكر دلاً من هذه الشطر: أما كان دور الحس لله ممت

(٢) في ابن العديم: فان كان لي ذنب فملك واسع ومن على الصطر فالعم والصفح

انها تجوز على عالم الغيب والشهادة ، والله لقد أردت قتلك ، لولا اليقين
التي حلفت بهالك ، لما صح عندي من سعيك في أذيتي ، وقصدك
مكرومي ، وحيلتك في سفك دمي ، فأنكر ذلك فقال : وبلك ، تنكر
وهذه كتبك بخطك عندي ؟ ثم أحضره الكتب التي سلمها إليه الحسن
ابن مخلد ، ورماها إليه وقال له : وبلك هذه كتب من يؤمن بالله
واليوم الآخر ، وبخاف عقوبته عز وجل التي يخافها من بني وأساء ؟
والله لولا ما في قلبي من يميني لضربت عنقك الساعة ، وضربتك بالسوط
حتى تموت ، وأمر به فأخرج من بين يديه سحبا . وعمل أحمد بن محمد
الواسطي جواباً لشعر ابن مدبر ، ودخل به إلى أحمد بن طولون قراءه
عليه فأعجبه وأمره بإتقاده إليه ، وقيل : إنه لمحمد بن عبد الغفار^(١)

أحمد كان السطح يا ابن محمد مني فأولو عاليته خسف السطح^(٢)
متى كنت في الأحلام لله صادقاً فتصدق في روثك إذ وضع الصبح

(١) في تاريخ ابن عساكر ان ابن طولون لما قرأ قصيدة ابن مدبر دعا كاتبه ابن حمار
وكان شاعراً اديباً وقال له : اقرأ قراءها ، قال لابن حمار : أليه قال : بالرضا أم بالسخط
قال : بالسخط ، قلب الرمة وكتب في ظهرها هذه الأيات

(٢) أصلها هذه الأيات من تاريخ ابن عساكر واحتضنا روايته ، وفيها زيادة على
الأصل أربع أيات وهي الثالث والرابع والخامس والسادس ولم يرد البيتان الأخيران في
تاريخ ابن عساكر . وعند ابن الداية أنه قيل لرون الأيات الأصلية هي لمحمد بن عبد الغفار
لا لابن مدبر . والجواب عليها لابن حمار لاهل واسطي . وابن حمار او جرار اوجدوا . على اختلاف في
النسخ كان شاعراً منقفاً ذكر ابن عبد ربه في القند الفريد قصيدة قال في مقدمتها : وقد يأتي
من الشعر ما هو خارج عن طبقة الشعراء منفرد في غرائبه وديع صنعه ولطيف تشبيهه كقول
جفر بن جرار كاتب ابن طولون الخ (وارجع ص ١٥٣ ج ٣ من القند الفريد الطبعة الاميرية)

[فَكَرِذِمَتْ كَمَا كَرِهَ مِنْ رَبِّ نِعْمَةٍ
 فَأَصْبَحَ مِمَّا خَوَّلَ اللَّهُ عَارِيًّا
 وَمِنْ عَدْلِنَا أَنْ قَدْ زُوِبَتْ مُضَيَّقًا
 فَلَوْ جَاءَنَا النَّاعِي بِنَعْيِكَ جَاءَنَا
 وَلَكِنْ أَدَامَ اللَّهُ عِزَّ أَمِيرِنَا
 فَمَا زَالَ مَيْمُونُ النَّعِيَةِ مَا جَدًّا
 وَمَا زَالَ فِي الْمِجَاءِ أَوْلَى فَارِسٍ
 فَاسْتَجَادَهَا أَحْمَدُ بْنُ طُولُونَ وَأَنْفَذَتْ إِلَيْهِ ، فَلَمَّا قَرَأَهَا نَدِمَ عَلَى
 مَا كَانَ مِنْ خَطَائِهِ عَلَى نَفْسِهِ حَيْثُ لَمْ يَنْفَعَهُ ، وَلَمْ يَزَلْ فِي حَبْسِ أَحْمَدَ بْنَ
 طُولُونَ حَتَّى عَمِيَ وَمَاتَ .

وكان قد أشرك بين علي بن الحسن بن شعيب المدائني وبين ابن
 الأَطْرُوشِ فِي الْحِجْرَاجِ ، فَوَجَدَتْ لِعَلِيِّ بْنِ شُعَيْبٍ رَقْعَةً إِلَى ابْنِ مَدْبَرٍ يَقُولُ
 فِيهَا بِمَنْطَلِهِ : « قَدْ عَلِمَ اللَّهُ جَلَّ اسْمُهُ زَهْدِي فِي الْعَمَلِ الَّذِي أَتَقَلَّدُهُ ، وَكَرَاهَتِي
 لَهُ ، وَخَوْفِي مِنْهُ . وَأَسْأَلُ اللَّهَ جَلَّ اسْمُهُ أَنْ يَكْفِيكَ مَا أَمْرُكَ . » فَأَمَرَ
 بِهِ أَحْمَدُ بْنُ طُولُونَ إِلَى الْمُطَبِّقِ ، فَمَا زَالَ فِيهِ حَتَّى مَاتَ . وَأَفْرَدَ ابْنَ
 الْأَطْرُوشِ بِالْحِجْرَاجِ .

مقال من تشدد
 ابن طولون مع
 الرعية

وكان أحمد بن إسماعيل بن عمار المعروف بسبع شعرات قد قدم
 إلى أحمد بن طولون من الشام فقلده الأملاك وما خرج عن الحجاج ،

وصرف به الحسن بن سليمان بن ثابت ، وتقدم إلى أحمد بن إسماعيل
بمطالبة الحسن بما دفعه عليّ ابنه ، فطالبه بذلك وضربه فأتى به
الضرب . ونحن نذكر خبره مفرداً إن شاء الله

وكان أحمد بن إسماعيل هذا قد أشار على أحمد بن طولون بمشورة
فتعداها فبسط لسانه فيه على جهة الإشفاق عليه ، وقال : ليس هو من
تمرن في الرياضة . وفيه لجساج لا يؤمن عليه منه ، فبلغ ذلك أحمد بن
طولون فحبسه في المطبق ، ومنع من كان يبسط عليه عائدته حتى مات .
وكل هذه الأحوال التي عددناها فالعذر فيها كلها بين لأحمد بن
طولون ، والذنب لمن يبسط لسانه في مثله ، ويتعدى إلى غير ما هو أهله ،
وكان قد بقيت لأحمد بن طولون بقية كبيرة من خراج البلد على بعض
المتقبلين ذهب عني اسمه فاستتر ، وكان قبل استتاره قد عمد إلى ربيع
له نفيس بني بما عليه من الخراج ، وفضل حبسه على ولده وخرج عن
البلد ، ورُفِع خبره إلى أحمد بن طولون ، فطلب قبيل له : قد هرب وفات
وخرج عن البلد فأحضر بكار بن قتيبة القاضي وقال له : صاحبك يقول
بجمل الحُبس في الدين ، فتحلّ حبس هذا المارِب منا حتى نأخذ مال
السلطان منه ؟ فقال له بكار : لا تفعل ولا تستنّ سنة يستن بها فيك ،
لأن لك أوقافاً على وجوه ، فإن حلت حلوا عنك . فتوقف عن ذلك
وكف عنه ، وشكر لبكار مشورته عليه .^(١)

(١) في الولاية والعتاة : قال ابن طولون لبكار : مر بي على مذبحك ، فسكت ساعة -

وأما رغبته كانت في أبواب البراني كانت له فكانت ظاهرة
بينة واضحة ، بشهوة شديدة ، ونية صحيحة . فمن ذلك بناء الجامع
والبيمارستان^(١) ، وما ضمنه خزائنه من العقاقير النفيسة الخطيرة ،
والدرباكات المعروفة التي ليست إلا في خزائن الملوك والخلفاء . فلم
يكن بعدم في بيمارستانه شيء من الأدوية ولا العقاقير الرئيسة ، مثل
دواء المسك وغيره مما لا يوجد مثله . واشترى له المستغلات النفيسة
التي يني بعضها بجميع حوائجهم ، إذا أبقى الله جل اسمه من بتولاها .
ثم العين التي بالمعافر بناها بنية صحيحة ، ورغبة قوية جميلة ، حتى
إنها ليس لها نظير . ولقد اجتهد الماذرائيون^(٢) وأنفقوا الأموال
الخطيرة لحكوها فأعجزهم ذلك ، لأنها وقعت في موضع جيرانه كلهم

— فتأوده قال : أيها الأمير قد بنيت المسجد الجامع والمارستان والسقايق والصهرج وحسبت على
ذلك ما شاء الله ، فلا تجعل لتبرك على أحياسك سيلاً فسكت أحمد .

(١) روى المقرئ عن جامع السيرة الطولونية أن أحمد بن طولون بنى في سنة إحدى وستين
ومائتين المارستان ولم يكن قبل ذلك بصر مارستان ، ولا فرغ منه حيس عليه دار الدروان
ودوره في الأسكفة والقيسارية وسوق الرقيق ، وشرط في المارستان أن لا يبالغ فيه جندي
ملك ، وعمل سامعين للمارستان إحصاءها للرجال والآخرى للنساء ، حبسها على المارستان وغيره ،
وشرط أنه إذا جني بالليل نزع ثيابه وتخطت نقتة عند أمين المارستان ثم يلبس ثياباً ،
وغيره له ويُبدي عليه ويراح بالأدوية والأغذية والأطباء حتى يبرأ ، فإذا أكل فزوجاً
ورغيفاً أسر بالانصراف وأعطى ماله وثيابه . قال : وكان يرك بنفسه في كل يوم جمة ويتفقد
خزائن المارستان وما فيها والأطباء وينظر إلى المرضى وسائر الأعلام والمحوسبين من الجائنين .

(٢) الماذرائي نسبة إلى مازرايا قرية بالبصرة نسب إليها الماذرائيون كتاب الدولة الطولونية
بصر — قاله باقوت . ويقول الصاي في تاريخ الوزراء : إن أبا علي الحسين بن أحمد المعروف
بأبي زُنْبُور وأبا بكر محمد بن علي الماذرائيين قد دروا أمور بني طولون في المال والرجال ولما
في الكتابة قدم وبالتدبير دوية

محتاجون إليها ، وهي مفتوحة طول النهار لمن كشف وجهه للأخذ منها ،
ولمن كان له غلام أوجارية ، والليل كله للضعفاء والمستورين والمستورات .
فهي لم حياة ومعونة . واتخذ لها المستقل الذي فيه فضل عن الكفاية .

مهندس نصراني
يسمى لابن طولون
هنا وجامعاً

حدث ابن قراطفان أن الذي تولى لأحمد بن طولون بناء هذه
العين رجل نصراني حسن الهندسة حاذق فيها^(١) ، وأنه دخل إلى
أحمد بن طولون عشية من العشايا فقال له : فرغت مما تحتاج إليه فيها
لنر كب إليها نراها . فقال له : بر كب الأمير ، أيده الله ، في غد ،
قد فرغت ، فركب وتقدم النصراني فتأمل منها موضعاً يحتاج إلى
قصرية^(٢) جير وأربع طوبات^(٣) فبادر ففعل ذلك . وأقبل أحمد بن
طولون يتأمل العين ، واستحسن جميع ما شاهده منها . ثم أقبل إلى
الموضع الذي فيه قصرية الجير ليقف ، فلرطوبة الجير أوضع التمرس
يده على الموضع فاصت يده ، وكبا بأحمد بن طولون فرسه . فلبسوه

(١) في تاريخ الأمة القبطية ان اسم هذا المهندس سعيد بن كاتب القراطاني وهو قبطي
تولى بنا . مقياس النيل والصريج وجامع ابن طولون . قلنا : وكان ابن طولون يقرب العلماء من
اي مذهب كان . ذكر السعودي في مروج الذهب أن : حل الى ابن طولون في النيل . كرمياً رجل
مصر من الأقباط في سنة ثيف وسين ومائتين كان بأعلى بلاد مصر من ارض الصعيد وكان ممن
ينشأ اليه بالعلم من لدن حدائه والنظر والاشراف على الآراء والتعل من مذاهب الخلفيين
وغيرهم ، فأخضر له أحمد بن طولون من حشره من أهل الدراية وصرف عنه اليه وأثنى له قسه
في ليلي وأيام كبيرة يسمع كلامه وإيراداته وجواباته فيما يسأل عنه ، وأقام عنده نحو سنة
فأجازوه وأعطاه ثأني قبول شيء من ذلك فرده الى بلده مكرماً

(٢) القصرية : كالأجاية اسم للقصة الكبيرة التي تُفعل فيها الثياب وقد سُرَّ في التنايق .

(٣) الطوبة : هي التبة والبن الطوب الذي لم يشو والآجر او الترميد هو الذي شوي .

ظنه قدّر أن ذلك لمكروه أرادہ النصراني به ، فأمر به وشق عنه
وضربه خمسمائة سوط وأمر به إلى المطبق . وكان المسكين يتوقع
الجائزة فاتفق له اتفاق سوء . وانصرف أحمد بن طولون .

وأقام النصراني في المطبق إلى أن أراد أحمد بن طولون بناء الجامع ،
فقدّر له ثلاثمائة عمود ، وقيل له : ما تجدها أو تنفذ إلى الكنائس في الأرياف
وفي الضياع الخراب ، فتحمل إليك ، فأنكره ولم يختره ، وتمذّب
قلبه بالفكر في أمره ، وبلغ النصراني وهو في المطبق الخبر فكتب
إليه يقول : أنا أبنيه للأمر ، أبده الله ، كما يحب ويختار ، بلا عمود
إلا عمودي القبلية . وأحضره فأدخل إليه ، وقد طال شعره حتى سقط
على وجهه ، فقال له : ما تقول ويحك في بناء الجامع ؟ فقال له : أنا
أصوره للأمر حتى يراه عياناً . بلا عمود إلا عمودي القبلية . فأمر
بأن تحضر له الجلود^(١) فأحضرت ، وصوره له فأعجب به واستحسنه .
فأطلقه وخلع عليه ، وأطلق له النفقة عليه مائة ألف دينار ، فقال له :
أنتق وما احتجت إليه بعد ذلك أطلقناه لك . فوضع النصراني يده
في البناء في الموضع الذي هو فيه وهو جبل يشكر^(٢) فكان ينشر
منه ويسطح وبعده جيراً وبني إلى أن فرغ من جميعه ويصّفه وخلّقه
وفرش فيه الحصر ، وعلق القناديل والسلاسل الطوال الغلاظ الحسان ،

(١) كانوا يرسون مخطط البناء على الجلد

(٢) في حس المحاضرة : ان جبل يشكر هو الذي عليه جامع اس طولون ويقال انه قطعة من

الجبل المقدس وكان يشكر رجلاً سالماً الخ

وحمل إليه صناديق المصاحف وتقل إليه الفقهاء والقراء . وتصدق في ذلك اليوم صدقات عظيمة فيه وعمل طعاماً واسعاً كبيراً ، وحمل إليه . فأطمع سائر من حضر ، وكان يوماً عظيماً نبيلاً جليلاً .

وراح أحمد بن طولون وتزل في الدار التي عملها فيه للإمارة ، وقد فرشت ، وعلقت فيها الستور ، وحمل إلى خزائنها الآلات والأواني التي يحتاج إليها ، وصناديق الشراب فيها من كل نوع من الأشربة وما شاكلها . فنزل فيها أحمد بن طولون ، وجدد طهره ، وأبدل ثيابه وتبخر ، وخرج من بابها إلى المقصورة ، فركع وسجد شكراً لله على ما أعانه عليه من ذلك ويسره له . فلما أراد الانصراف خرج من المقصورة حتى أشرف على القوارة ، وخرج إلى باب الرمح . فصعد النصرافي المنارة ووقف إلى جانب المر كَن النحاس ، وصاح بأحمد بن طولون : أيها الأمير عبدك يريد الجائزة ، ويسأل الأمان ألا يجري عليه مثل ما جرى في المرة الأولى . فقال له أحمد بن طولون : انزل وبلك يا كافر : فقال : وحق رأس الأمير لا تزلت أو تؤمتني . فقال له : انزل فقد أمئك الله ولك الجائزة . فنزل وأمر له بعشرة آلاف دينار ، وخلع عليه وأجرى عليه رزقاً واسعاً .

بعض العمال ابن
طولون الجميلاً

قال : ومن أفعاله الجميلة ما كان يحمله إلى طرسوس وغيرها من المنغور من المال العين والسلاح والكراع والثياب ما لم يحمله إليها أحد قط

ولم يفزيه على أهل طرسوس شيء مما أذكره من فعلهم ، فيقتصر عن ذلك
بجأزة لهم ، لأنه كان يقصد بفعله الله وحده جل اسمه .

ومن ذلك بناؤه حصن يافا لأنها لم يكن لها حصن ، ومات قبل
الفراغ منه وأتمه بعده ابنه أبو الجيش^(١) .

ومنها ما كان يحمله إلى الحرمين من المال العين والخنطة و[الشفوف]
والثياب وكل ما يحتاج إليه أهلها^(٢) .

ومنها نفقده أهل السمر والتجملين وضمفء النواحي ممن يلزم
المساجد ، ويسأل عن النساء المستورات في منازلن ومحالهن ، فيجربهن
بجري الرجال من معرفته ويفضلهن^(٣) .

وحدث أبو جعفر المروزي قال : دعاني أحمد بن طولون يوماً ودفع
إلي رقعة وقال لي : سل عن فيها فهم سجنه حبس القاضي ، وانظر
الدارج الحال منهم المستقل ، وأثبت لي أسماءهم وأحوالهم وأسماء خصومهم .
قال : فضيت فسألت عنهم ، وأثبت أسماءهم وأحوالهم وخصومهم ،

(١) وبني ميناء عسكة لأ رأى نهر صور واستدارة المانظ على مينائها فجمع صناع الكور
وعرض عليهم ذلك . انشاء له أبو بكر البنا . القدسي . جـ . مؤلف كتاب أحسن التقاسم من أجل
كتب الجغرافيا عند العرب

(٢) روى المؤرخون أن الأمير أحمد كان يرسل في كل سنة إلى قراء بغداد مائة ألف دينار
برسم الصدقات ويرسل إليهم في كل سنة بكسوة الشتاء والصبغ مدة ولايته على حر .

(٣) روى ابن طلحة الوزير في القدر الفريد لملك السيد أن ما ذكره عبد الله بن
عبد الكريم ، وكان ظملاً على أحمد بن طولون عارفاً بأبوره ، طالباً برودده وصدوره . قال
ما معناه : إن أحمد كان يرسل من يطرح على الطرفات - أي القضاة - ويقيم لهم الكواشي ؛
ويدر عليهم النفقات ، وغبة في الثواب ، وتحريماً إلى الله تعالى بهذه الأسباب .

وذكر الموجد منهم والمعدم ، وأحضرته العمل بذلك ، فأحضر وكيه
ابن مفضل فقال له : اجتمع مع أبي جعفر المروزي حتى تنظر في أمر
هؤلاء القوم ، وتحضروا خصومهم وترضوهم عنهم ، وثبتنا مبلغ ذلك
وتعرفاني به ، فاجتمعنا وعرضناهم وأرضيناهم عنهم بمصالحة لواحد ، وأن
يدفع إلى آخر ماله كله لتشدده أو لاختلال حاله أيضاً حتى فرغنا من
جميعهم ، فكان مبلغ ما لزمه من ذلك عشرين ألف دينار ، وجنتاه
بالممل فأطلق المالم باستبشار وفرح وسرور وطيب نفس ، وحمد الله
عز وجل ، وأمر بأن ينصرف جميع المحبسين إلى منازلهم ، ففضينا ودفعنا
المال إلى أربابه ، فأكثروا له الدعاء والشكر ، وأطلقنا الجماعة من حبس
القاضي ، وهم مبهتلون إلى الله جل اسمه بالدعاء له . فعدنا إليه فعرفناه
ذلك فقال لنا : من أنا ، لولا توفيق الله عز وجل إياي ؟ وإذ به جل اسمه
ليهمني أن أحنو على الضعيف ، وأسطو على العنيف ، وهكذا وصف
الله عز وجل خُصمه ^(١) فقال : (أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ)
فالحمد لله على ما من به علي من ذلك .

قال مؤلف هذا الكتاب : وللحجاج بن يوسف حكاية مثل هذه
إلا أن الحجاج زكى نفسه ، وأحمد بن طولون استكان لربه .
حدث الحسن بن القاسم الأنباري أن امرأة عارضة الحجاج بن
يوسف فقالت له :

(١) أي عباده الخلس

تَقَى اللهُ يَا حَجَّاجُ فِينَا فَأُونَنَا بَقِيَّةُ شَوْلٍ ^(١) غَابَ عَنْهَا فُحُولُهَا
 وَإِلْتِدَارَ كِنَانِ بْنِ يُوسُفَ رَحْمَةً بِكَفَيْكَ أُمْسَى صَعْبَهَا وَذَلُولُهَا
 قُلْ لَهَا : مَا خَطْبُكَ ؟ قَالَتْ : غَرِبْتُ زَوْجِي مَعَ ابْنِ أَبِي بَكْرَةَ ،
 وَقَدْ طَالَتْ غَيْبَتُهُ وَخَفْنَا بَعْدَهُ الضِّيعَةَ وَالْعَارَ ، فَأَمَرَ بِالْكِتَابِ إِلَى ابْنِ
 أَبِي بَكْرَةَ بِإِقْفَالِ زَوْجِهَا وَكُلِّ مَنْ خَرَجَ مَعَهُ ، فَوَلَّتْ نَقُولُ :
 شَكُونَا إِلَى الْحَجَّاجِ مَا قَدْ أَصَابَنَا فَكَانَ كَرِيماً عَالِماً بِالنَّوَابِ
 بِصِيرَآ بَمَا يَأْتِي حَلِيمَاً عَنِ الْعِدَى غَيُورَا عَلَى الْبَيْضِ الْحَسَانِ الْكَوَاعِبِ
 فَقَالَ لَهَا الْحَجَّاجُ : صَدَقْتَ وَكَذَبْتَ ، أَنَا كَرِيمٌ عَالِمٌ بِالنَّوَابِ ،
 بِصِيرَآ بَمَا يَأْتِي ، غَيُورٌ عَلَى الْبَيْضِ الْحَسَانِ ، وَلَسْتُ بِمَجْلِيمٍ عَلَى الْعِدَى .
 أَنَا كَمَا قُلْتَ حَمِيدٌ الْأَرْقُطُ :

خَلَقَتْ تُشْكَالًا لِلْعَدُوِّ الْجَاهِدِ أَضْرَبُ مِنْهُ مَوْضِعَ الْقِتْلَانِدِ
 بِالسِّيفِ ضَرْبَ الْهِنْدِ كِيَّ الْحَاقِدِ ^(٢)

وحدث أبو جعفر المروزي قال : كان أحمد بن طولون من حفاظ
 القرآن ، [المتقين] حفظه ومن الدارمين الحدائق ، فكان يجب
 حفاظ القرآن وبكثرتهم [مواصلتهم] بصلاته ، ويترقهم سرّاً في
 مواضعهم ، حتى يسمع قراءتهم ، فيقبين منزلة واحد واحد في حفظه ،
 ويصلي خلفه إما الصبح وإما العتمة ، يركب حماراً ومعه غلام واحد ،

عطف ابن
 طولون على
 حفظة الكتاب
 العزيز

(١) الساقية من الأبل ما أن عليها من حملها أو وضهاينة أشهر نيف لبنا والجمع شول

(٢) الهندي : الهندي والسكاف زائدة يقال : سيف هندي وربل هندي

متشكراً لا يعلم به أحد ، ولا يعرفه من يراه ، حتى يصلي خلفه ، ويعود في السحر إن كان صباحاً أو بعد عتمة ، ولا يقطع برحم في كل وقت . فدعا في يوماً وقال لي : أتعرف إماماً يصلي بالنامة ^(١) في موضع كذا وكذا ؟ قلت له : نعم أنا أعرف المسجد ، وما أعرف الرجل ، فقال لي : إنه حسن الصوت جيد الحفظ ، فقدمك خمسين ^(٢) ديناراً وامض إليه ، فأني لا أشك أنه في ضيقة ، فصل خلفه ، فإذا فرغ وخلا ، فوانسه حتى ينبسط إليك ، والطف به حتى يأنس بك ، فإذا أنس فادفع هذه الدنانير إليه ، وسله عن دين إن كان عليه ، فإن ذكره لك فاقضه عنه ، وعرفني ما يكون منك في أمره فأني أراعيه .

قال أبو جعفر : فعجبت من تغلغله في معرفة هؤلاء القوم واحداً واحداً ، وهم في أطراف البلد ، وفي مواضع متفرقة لا يكاد يعرف أكثرها أهل البلد ، ثم علمت أن دينه ورغبته في الخير حملا على ذلك ، مع توفيق الله عز وجل له ، ولن يوفق جل اسمه من عبده إلا برضاه إلا من يختاره ، وله عنده منزلة .

فبكرت في السحر إلى المسجد ، وصليت خلف الرجل ، فسمعت إماماً طيباً حسن الصوت . فلما فرغ من الصلاة وانصرف الناس جلست أحادته ، فلم أزل أوانسه وأذكر له أخبار الصالحين ، وما يصلح أن

(١) كذا في الأصل وابن الداية ولها لناخة

(٢) في ابن الداية : مائة

أحدثه مثله ، حتى أنس وانبسط ، وسألني عن حديثي وعن حالي ،
وقال : قد آتتني فأحب ألا تقطع موانستك ، فقد سررت بك .
فسألته عن أحواله وعن تصرف الزمان به ، فشكا إضاعة وقال : أظظ
ما حلّ بي أي وقت في المحراب أمس أصلي ، فطلت في قراءتي وما
جرى عليّ هذا [قبلاً] قلت : هذا يدل على شغل قلب وغم ،
فقال لي : نعم منزلي خلف قبلة هذا المسجد ، فبثت إلى الصلاة وزوجتي
تُطّان ، فلما وقفت في المحراب سمعت صياحها من شدة الطلق ، ففكرت
أنه ليس لها في البيت دقيق ولا خبز ولا زيت ، ولا معي شيء أنقعه
عليها فطلت . قلت : موضع ياسيدي ، ما تلام على ذلك ،
فأخرجت إليه الدنانير وقلت له : هذه الدنانير من جهة صالحة ترضاها ،
فخذها وتفرج بها ، فتوقف عن أخذها خلفت له أنها من جهة مرضية ،
ليس عليه فيها تبعة ، فأخذها وحمد الله جل اسمه وأثنى عليه ،
وانبسط وجهه بعدما كان كالتعاس وأنا أحدثه ، وكأنه في موضع
آخر مشغول القلب والفكر ، ثم سألته عن دين إن كان عليه فقال :
نعم عليّ دين ، وكان أيضاً قلبي به متعلقاً لتأخيره عن أصحابه ،
والساعة أتبدى بقضائه ، قلت له : كم هو ؟ فقال : خمسة عشر ديناراً .
ندفعتُها إليه وقلت له : اقضها ولا تثلم هذه الدنانير ، واتسع أنت
وعيالك بها . فزاد في حمد الله عز وجل وشكرني ، وسألني من أي
جهة هي ؟ فلم أذكرها له ، كما أمرني أحمد بن طولون .

وعدتُ إليه لأعرفه ما كان ، فأوصلتُ إليه بومي ، فلما كان من غد صرتُ إليه فخبيرته بما جرى بيننا ، فقال لي : صدق ، ولقد وقفت خلفه مراراً فاسمعتُ منه غلطاً إلا أول أمس ، فأني رددتُ عليه في ثلاثة مواضع ، وصليتُ اليوم خلفه فقرأ القراءة التي أعرفها منه . فحمدتُ الله جل اسمه على ما وقفني له في أمره . ثم أمرني بإثبات اسمه في دفتر الذي فيه أسماء المستورين والمستورات الذين يجري عليهم في كل شهر خمسة دنانير على كل رجل وامرأة ، وأجرى عليه مثلهم .

حمار الجيزاوى
التظلم

ومن ذلك ما حدث به سعد الفرغاني قال : ركب أحمد بن طولون يوماً إلى الجيزة ، وكان رسمه إذا قُرب من الجسر أُخطي له . فلما بلغ إليه أمر الناس بأن يسرعوا المجيء عليه وأعجلوا . فلم يبق عليه إلا شيخ ضعيف على حمار هزيل ومعه صبي له ، وقد أقبل من بعض نواحي الجيزة . فلما أعجل الناس وهبَّ ليعجل معهم لم يكن له نهضة ولا حماره ، فسقط عن الحمار . فأقبل أحمد بن طولون ينظر إليه وإلى الصبي معه قد سقطا جميعاً . فقال لي : امنعمهم من إزعاج هذا الشيخ ، وقف عليه وارفق به حتى يركب حماره والحقني به ، فما أشك أنه مظلوم ، وقد وافانا يريد التظلم ، وسأله في طريقك معه إلي عن خبره ، وسبب دخوله إلى مصر ، فإن ذكر ظلامته فأسأله ممن يتظلم ؟

قال سعد : فوقفته عليه حتى عبر أحمد بن طولون ، وعبرت مع الشيخ ،

وقد رددته معي ، فلخوفه انقاد معي ولم يسألني عن رده ، وأقبلت أسير معه قليلاً قليلاً ، على قدر سير حماره ، وساءلته عن خبره وسبب دخوله الفسطاط ، فقال : ما ترك لي وكيل ابن دشومة بذات " الساحل شيئاً أرجع إليه ، وكنت مستوراً فتهتكني ، وكنت غنياً فأفقرني ، حتى صرت بين المزارعين مرحوماً فقيراً ، بعد أن كنت موجداً موسراً . فدخلت مستغيثاً إلى الأمير أيده الله . وكان ابن دشومة يومئذ أميناً على أبي أيوب " في الخراج . فلما لحقنا أحمد بن طولون وكَلت بالشيخ ، ودخلت إليه في مَضْرَبه ، فعرفته جميع ما عرفني به الشيخ ، فوجه من ساعته بمن أحضر إليه ابن دشومة من مصر إلى الجيزة ، ولم يصبر إلى أن يعود ، لقوة رغبته في الثواب والخير ، فأحضر فقال له : ويحك إن الضياع تُشبه البستان ، والمزارعون شجرة ، فإن رفق بهم ، وأحسن القيام بأمرهم ، ورعوا بأصلاحهم ، طلعت الثمرة ونمت وزكت ، وإن لم يفعل ذلك ، هلكت الشجرة وذهب ثمرها . فأحضر كاتبك الساعة الساعة ، ومختار الناحية إلى هاهنا ، ولا تبرحاً حتى تنصف هذا الشيخ من ظلامته ، وتبلغ له ما يمجبه وتعرفني ، فأني هاهنا أراعي ما يكون منك في أمره .

فطار عقل ابن دشومة ، وجعل يتوقع مكرهه أحمد بن طولون ،

(١) بينهم ما ذكره ابن تيمية ان ذات الساحل كانت من عمل الجيزة وهي الى شمال الفسطاط قرية من ام دينار (قاله الاستاذ نيت في تعليقاته على خطط القرزي)
(٢) في ابن الداية : أبي ذؤيب

ووجه بن أحضر صاحبه والمختار بالناحية ، وابن دشومة كما اعتقل ، حتى جمع بينهما وبين الشيخ ، وذكر ما جرى عليه ، فحطوا عنه ما كانوا يطالبونه به ، وأسقطوا عنه ما شكاه من الثبن عليه ، وبلغوا له فوق ما يجه ، وأحمد بن طولون يطالعهن برسله من حيث لا يعلمون ، حتى عرف جميع ما جرى بينهم وبينه ، وأقبل في خلال ذلك ينفذ إلى ابن دشومة خادماً بمد خادم يقول له : أنصف الشيخ ، ابلغ له فوق ما يجه ، ويسكدهم في الفراغ من أمره ، ويعرفهم أن مقامه بالجيزة بسببه ، إلى أن ينصف فيعود إلى القسطنطينية ، فلما فرغوا من أمر الرجل ، دخل إليه ابن دشومة فعرفه أنه قد بلغ له ما أحب ، فأمر بإحضاره ، فلما حضر قال لابن دشومة : اشرح لي قصته وكيف 'ظلم' ، وما عملت في أمره ، فكان ابن دشومة يعيد عليه أمره ، وهو يُرعد خوفاً من بادرة تلحقه منه ، والشيخ واقف يسمع كل ما يجري في أمره . فلما فرغ من شرح ذلك قال له : يا شيخ الأمر كما حكى ؟ قال : نعم أيها الأمير ، جعل الله عليك واقية ، وسترك في الدنيا والآخرة فلما سمع ابن طولون قوله « والآخرة » بكى وخرَّ ساجداً لله ، ثم قال له : زال عنك ما كرهت ، وبلغت ما أحببت ؟ قال : نعم أيها الأمير أحسن الله إليك كما أحسنت إليّ ، فقال : ماشاء الله فقل بك ، ذاك بمنه وكرمه . فقال له : كم عمارتك ؟^(١) قال : خمسون

(١) السارة بالكسر : بابصر به المكان ، والهارية ، بالنم : أجزها

ديناراً قال له : فخطبتها؟ قال : لا . قال : فكم تطيق ؟ قال : ثلاثين
ديناراً . فأمر بأن تجعل عمارته عشرين ديناراً ، ووهب له خمسين
فداناً يزرعها ما أحب معاط (?) وتقوية " في كل سنة ولا تؤخذ
منه التوبة ولا ترجع ، وجعل ذلك كالصدقة وقال له : يا شيخ لولا
أن حط العمارة عنك يحط من منزلتك في بلدك لحطتها . فدعا له ،
فقال : ما فعله الأمير أيده الله في أمري فهو أكثر من الحطية ، وجميعه
صدقة علي وعلى ولدي وعيالي ، فأجاب الله منا فيك صالح الدعاء ،
فأمر بأن نهب له عشرين ديناراً ، وقال له : خذ هذه الدنانير فاشتر
بها حماراً فارهاً لا يرميك على الجسر ، ولا يقف بك إذا عبر الأمير
عليك . وضحك أحمد بن طولون ، وانكب الشيخ ليقبل الأرض
فمنعه من ذلك وقال له : احذر ثم احذر أن تفعل هذا بأحد من المخلوقين ،
فإنه لا يؤثره إلا كل جبار عنيد ، والسجود لله وحده عز وجل .
فانصرف الشيخ على غاية من السرور ، بما تم له من إزالة الظلم والمساحة
في العمارة ، والإفضال عليه ، وهبة الدنانير ، وممازحة أحمد بن طولون له في
الحمار ، فرأيته في انصرافه يبكي فرحاً ، ويدعو لأحمد بن طولون بنية
خالصة ، وحصل له بذلك جاه في بلده ووطنه ومجمله ، ومنزلة وسطوة .

(١) التوبة : إعطاء البذار والميوثات التي يقوى بها الفلاح على صلاحه وهي طابخة مثل التناوي

وحدث نسيم الخادم قال : ركب مولاي في غداة باردة إلى
الصيد قبل
الذهب
التمس^(١) فأصاب بشاطئ النيل صياداً عليه خَلَقٌ لا يواريه منه
شيءٌ ، ومعه صبيٌّ له في مثل حاله وقد ألقي شبكته في البحر ،
فرآه مولاي فرق له وقال لي : يا نسيم ادفع إلى هذا الصياد ثلاثين^(٢)
ديناراً ، فتأخرت حتى دفعتها إليه ، ولحقت به فلم يبعده حتى رجع ،
فوجدنا الصياد ميتاً ملقياً ، والصبي يبكي ويصيح ، فظن مولاي
أن بعض سودانه قتله ، وأخذ الدنانير منه ، فوقف بنفسه عليه ، وسأل
هذا الصبي عن أبيه فقال له : هذا الغلام - وأشار إلي - دفع إلى
أبي شيئاً ، فلم يزل يبوسه حتى وقع ميتاً .

فقال لي مولاي : قتله ، فنزلت وفتشته ، فوجدت الدنانير معه
بها لها . فحرضنا الصبي أن يأخذها فأبى وقال : هذه قتلت أبي وإني
أخذتها قتلتي . فأحضر مولاي فاضي التمس وشيوخه ، وأمرهم بأن
يشتروا للصبي داراً بنجسمائة دينار يكون لها غلّة^(٣) فاشتريت وحبست
عليه ، وكتب اسمه في جملة من كان يجري عليه جرابته في كل
شهر . وقال لي : يا نسيم نحن قتلناه ، الفنى يحتاج إلى تدبير ، وإلا قتل

(١) موضع كان على نيل مصر بين يدي القاهرة (التاج) وهو في موقع جامع أولاد حان في القاهرة
اليوم ولم تكن بولاق موجودة - قاله الأستاذ علي بهجت في تعليقه على قانون ديوان الرسائل
لابن الصبري (٢) في ابن الداية: هجرين . وفي روضة المهين لابن قيم الجوزية أن أحمد بن طولون
سار بصياد في يوم بارد وعنده بي له ، فرق طليهما وأمر غلامه أن يدفع إليه ما ساه من الذهب
نصبه في حجره وهضى فاشتد فرح به فلم يحمل ما ورد عليه من الترحح قضى مكانه . . .

(٣) التلة : الدخل من كراء دار وأجر غلام وغانمة أرض

صاحبه ، كان يحس أن يدفع إليه دينار بعد دينار ، حتى تحصل له هذه الدنانير ، ولا تدفع إليه جملة .

وحدث طاهر الكبير قال : كان لمولاي برج حمام هيتي^(١) فصعد إليه يوماً ، وجلس على كرسي بين يدي البرج يستعرضها ، فأخرجت إليه ما كان عندي من الفراخ ، فنظر إليها وسرحها تدرج بين يديه ، وكان عددها ثمانية . ثم أمرني بردها فرددت سبعة ، وإذا بالثامن قد درج فصار خلفه ، فقال لي : قد بقي واحد . قلت : هو حلف مولاي . فقال لي : خذه ، فددت يدي إليه لا أخذه ، فارتعدت هيبته له أن أمد يدي خلفه ، فبين ذلك مني ، فقال لي : تنح ، فتنحيت فوضع خده على التراب ، في الموضع الذي كانت قدي عليه ، وبكى وأقبل يُمرغ خديه ولحيته في التراب ، ويتضرع إلى الله جل اسمه ، ويسأله العفو عنه ، وإلمامه السكر على نعمه عنده .

الحمام الهدادي
وشكر ابن
طولون للنعمة

وحدث نسيم الخادم قال : ركب مولاي يوماً إلى الأهرام ، فأتاه الحجاب بقوم عليهم ثياب صوف ، وفي أيديهم مساح ومعاول ، فسألهم

البحث عن
الكنوز وتشدد
ابن طولون في
عمار الذهب

(١) كذا في الأصل ، وفي ابن العديم : الهدادي . وفي المحسن لابن سيده : وسنن (أي من الحمام) الهداء ألواد الهدادي وهن اللاتي يدرن ويرضن من سهل إلى سهل حتى يمشن من البد من بلاد الروم وعريش مصر ودون ذلك من مواضع كثيرة مساة وهي محنونة أنساين وربما كان ما لم يرغوا له نسباً يساوين في الرجوع من البد ولا يكون ذلك الا بالتدريج والتوطئة من موضع إلى موضع الخ ما قال .

عماعملون، فقالوا : نحن قوم نطلب المطالب^(١) ، فقال لهم : لا تخرجوا بعد هذا الوقت إلا بمشور^(٢) ، ورجل من قبلي يكون معكم ، فقالوا له : سمعاً وطاعة للأمر، أيده الله . فسألهم عمار^(٣) رفع إليهم من الصفات ، فذكروا له أن في سميت الأهرام^(٤) مطلباً قد عجزوا عنه ، لأنهم يحتاجون في إنثارته إلى جمع كبير ، ونفقات واسعة ، فإن فيه نالاً عظيماً . فنظر مولاي إلى شيخ من أصحابه يعرف بالرافقي من أهل النهر فضمه إليهم ، وتقدم إلى عامل معونة الجيزة في دفع جميع ما يحتاجون إليه من الرجال والنفقات . وانصرف مولاي فأقام القوم مدة يعملون حتى ظهرت لهم العلامات ، فوافانا الرافقي وأعلم مولاي بذلك ، وأن أمره قد قُرب ، فركب وسرنا معه حتى وقف على الموضع ، فلما رآه الناس جدوا في الحفر ، فكشفوا عن حوض كبير عظيم مملوء دنانير ،

(١) الطالب واحداً مطلب ، كقوله كان العمريون يطلقونها على الكنوز ، وقال القرظي : انها

كانت مضمومة لهذا المعنى الى مده . والقوم اللطالية هم الباحثون عن الكنوز

(٢) في ابن الداية والقرظي : إلا بمشورتي

(٣) روى السيوطي في حسن المحاضرة أن احمد بن طولون لما ملك مصر حفر على اجواب

الأهرام فوجدوا في الحفر قطعة سرجان مكتوباً عليها سطور باليوناني فأحضر من يرف ذلك القلم

فاذا هي آيات شمر فترجت وما كان فيها :

ستتبع أقطالي وتبدو عجائبي

تسان وتسع وانتان واربع

ومن بعد هذا جزء تسعين برهة

تدبر ضالي في منحور ظننسا

وفي لية في آخر الدهر تنجم

وسبون من بعد المئين قدلم

وتلقى البرابي صخرها وتهدم

ستبقى وأفتى قلبها ثم تندم

فجمع احمد بن طولون الحكماء وارهم بحساب هذه المدة ثم يقدروا على تعين ذلك فيس

من صنعها .

وعليه غطاء مكتوب عليه بالبنظية^(١) ، فأحضروا من قرأه فكان :
أنا فلان بن فلان الملك الذي ميز الذهب من شؤونه وغشه وأدناسه ،
فن أراد أن يعلم فضل ملكي على ملكه ، فلي نظر إلى فضل عيار ديناري
على عيار ديناره ، فإن مخلص الذهب من التش مخلص في مجاه
وبعد مائة . فقال مولاي : الحمد لله يا نسيم ، ما نهيتني عليه هذه الكتابة
أحب إليّ من المال . ثم أمر لكل رجل كان يعمل فيه بمائة دينار
ووفى الصناع أجرتهم ، وذهب لكل رجل منهم خمسة دنانير ، ودفع
إلى الرافعي منه ثلاثمائة دينار ، وقال لي يا نسيم : خذ لنفسك منه ما شئت
فقلت : ما بأمرني به مولاي . فقال لي : خذ منه ملء كفيك جميعاً ،
وخذ من غيره من بيت المال مثل ذلك مرتين ، فأني أشح على هذا ،
فبسطت كنيّ فملاهما ، فحصل لي منه ألف دينار . وكان عيار الدينار
منه أجود من عيار السندي بن شاهك ومن عيار المعتصم ، ولم يكن
يرى أجود منهما ، فشدد مولاي من ذلك اليوم في العيار ، حتى لحق
ديناره بالعيار المعروف به ، وهو الأحمدي الذي لا يطل بأجود منه^(٢)

(١) اللفظة التي يتكلم بها في بنظية وهي اليونانية . وفي خطط القرظي البربطية بدل البنظية
ويقول الاستاذ ذيفيت في تليفاته على المخطوط المصرية : ان الأترب ان تقرأ باللفظة البرابرية لفة البرابي . والبرابي
جمع براب كلمة بنظية وهي الهياكل لندما . المصريين قاله العلامة كركوفي تليفاته على كتاب الجواهر لليروي
(٢) ذكر القرظي في رساله التوقد الاسلامية هذه القصة وقال : ان الأمير ابا الباس احد
ابن طولون ضرب بصر دنانير عرفت بالاحدية وكان سبب ضربها هذه الحادثة التي وقعت له في
الاهرام والشور على الذهب

اطعام ابن طولون
وعطفه على شيخ
فقير

قال : وأما صدقاته فكانت مشهورة متواترة على أهل الضعف
والمسكنة والمستورين والمتجملين ، وكان راتبها في كل شهر ألفي
دينار ، سوى ما يطرأ عليه من نذر ينذره ، أو شكر على تجديد نعمة
الله عز وجل عنده ، أو على خبر يسره ، فيقابل ذلك بالصدقات الكبيرة ،
فيزيد ذلك على راتبه زيادة عظيمة ، سوى مطابقه التي يقام بها في
كل يوم للصدقات ، في داره وغير داره ، يذبح فيها البقر الكثير ،
والكباش العدا ، ويطعم الناس ، ويفرق على كل من يأخذ في القدور
الفخار مع الخبز على المساكين أربعة أرغفة مع كل قدر ، في رغبين
منها فالودج . وكان من شهوته لذلك ، وصحة نبته فيه ، ورغبته في
الثواب عليه ، يعمل الطعام في داره ، وينادي من أحب أن يحضر
طعام الأمير فيحضر ، وتفتح الأبواب ، ويدخل الناس إلى الميدان ،
ويجلس هو في المجلس الذي ذكرنا مقدماً أنه كان يجلس فيه ، يشرف
على من يدخل داره ويخرج منها ، وينظر إلى المساكين ، ويتأمل
فرحهم مما يأكلون ، فيفرح بذلك ويحمد الله عليه .

فنظر يوماً إلى شيخ مستور ، وقد زلَّ^(١) في خرقة معه زلَّة ، وزاد
فيها حتى لم يكن في الخرقة موضع ، فلما قام لشدة الزحمة وقعت من
يده لضعفه ، فغمز بعض الحجاب بعض العلمان أن يأخذها ، تماجتاً
لا قصداً ، وترد عليه . وتأمل أحمد بن طولون ذلك فأعناظه ، فأمر

(١) زل الطعام : أخذه وتناوله ، والزلَّة : اسم لا تحمله من مائة صدقك أو قريك

برّد الشيخ وإحضار الحاجب ، وقال له : ويحك ما الذي حملك على ما صنعت بهذا الشيخ الضعيف ؟ فقال : والله أيها الأمير ما أردت إلا مداعبته ، فقال له : والله العظيم لا حملها له إلى منزله غيرك . وأمر فأصلح للشيخ مائدة عظيمة ، فيها من كل شيء حار وبارد وحلو ، وأحضره فقال له : يا شيخ كم سنك ؟ قال : ثمانون سنة قال له : لك عيال ؟ قال : نعم خمس بنات عوانق وثلاثة غلمان ، وأمههم ومن يخدمنا ، ومن يقرب منا نواسيه بما أمكننا . فقال : ففي أي شيء تتجر ؟ قال : في الثلث^(١) . قال : وكم بضاعتك منه ، قال : عشرة دنانير . قال له : فلم لا تزوج بناتك ؟ فقال : لا يرغب فيهن إلا لشيء ، ومالنا شيء ، فأمر له بمائة دينار بضاعة له ، وأحضر معمر الجوهري فتقدم إليه بأن يُجهز بنانه بما يصلح لمن من الجهاز والتجمل ويزوجهن ، ودفع إلى الذكور من ولده لكل واحد خمسين ديناراً ، وأثبت أسماء الجميع في دفتر الجرايات . فذكر معمر الجوهري أنه جهزهم بألف دينار ، ففرقه ذلك وسره ، وأطلق المال له ، وحمل الحاجب مع الشيخ تلك الزّالة بين يديه على سرجه ، حتى بلغ إلى منزله ، ووهب له عشرة دنانير تكرماً ورغبة في الثواب .

وحدث إبراهيم بن قراطقان ، وكان على صدقات أحمد بن طولون ، قال : قلت للأمير : أريد الله الأمير إنا نتقف في المواضع التي جرت

ابن طولون يعطى
الصدقات لطلابها

(١) الثلث : شراب يطبخ حتى يذهب نفاؤه ولله شيء . انبه بالمريات او التردد اي السكر

العادة بصدقة الأمير على من فيها من المستورين والمستورات فتخرج
إلينا الكف الناعمة المخضوبة نقشاً أو نظاريف والمعصم الرائع وفي
الاصبع الخاتم الذهب والسوار والفتك^(١) والفراء والثوب الرطبة (?)
قال لي: يا هذا كل من مديده إليك فأعطه، فهذي هي الطبقة المستورة
التي ذكرها الله عز وجل في كتابه فقال: (يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ
مِنَ التَّعَفُّفِ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِخْلَافًا) . فاحذر أن تردّ بدأ امتدت
إليك، وأعط كل من طلب منك

ابن طولون وبنائه
البركات

قال: ومن حسن أفعاله أنه بلغه عن علي بن طَبَّابٍ أنه قد حبس
في مال بقي عليه من ضياعه وعجز عن أدائه . فقال: وكم مقداره؟
فقال له: عشرون ألف دينار . فأمر صاحب الخراج بإسقاطها عنه ،
وكتب له بالعشرين ألف دينار براءة ، ووجه إليه ، فأحضره إليه
وعرفه بإسقاط ما عليه وصرفه إلى منزله، فأكثر الدعاء والشكر . ولم يزل
وسائر أهله وجيرته يدعون له طول حياتهم

شفقه على أهل
مصر وبعده عن
أقاربهم

قال: وأما إسحاق على أهل مصر فكان يزيد على كل إسحاق، حتى
إنه كان يجوز إسحاق الوالد على ولده . يجوظهم، ويراعي أحوالهم ومصالحهم ،
ويدفع كل مكروه عنهم .

حدث سوار الخادم قال: قلت لأمير ليلة وقديبات في قبة الهواء

(١) الفتك بالتحريك: دابة فروتها أطيب أنواع الفراء واشرفها واعدها

خالياً مفكراً، وكانت ليلة قراء - وهذه القبة بنيت للمؤمن وقت موافاته
البلد، ويقال: إن العلاء الطائي بناها على قرية من جبل المقطم، وكانت
تشرف على داره وعلى جميع البلد - : أيها الأمير قدم مضى أكثر الليل ،
ومولاي منتصب، فلوأعطى نفسه حظها من الراحة كان ذلك أعود عليه .
فقال : يا بني ! إنا كلفنا من القيام بأمر هذه البلدة ما كلفناه ، فإن نحن
أعطينا أنفسنا حظها من النوم والراحة ، وأهملنا الفكر في تدبير
أحوالنا، والشغل بما يعود به صلاح أمورنا ، وصيانة أهلنا، ليأمنوا في
سربهم ، ويسكنوا في قلوبهم ضاعوا، فأرى أن أتعب ويناموا ، أصلح
من أن أستريح وبخافوا فيسهروا . فأمسكت عنه .

قال : ولقد أصلح منجنيقات ، لما كان في نفسه من المسير إلى
حصن أنطاكية ، فأراد امتحانها فنصبت في الموضع المعروف إلى
اليوم بالمنجنيقات ، على شاطئ البركة وفوق الجبل الذي يعرف بجبل
يشكر وهو المعروف بالكباش . ولم يكن بين يديه إلى النيل شيء ، وإنما
كان جرفاً (١) يشرف به على الكباش ، فركب مولاي ليجرب بين
يديه ، فنصب في أحدهما حبال ووضع فيه حجر ، ووقف الرجال على
الجبال وجذبوها ، فمر الحجر إلى البستان المعروف ببستان عرق الذي
على خليج أمير المؤمنين ، وإنما سمي هذا الخليج بأمر المؤمنين لأن عمر
ابن الخطاب رحمه الله أمر عمرو بن العاص بحفر خليج يتصل من النيل

(١) المرفق بفتح الميم وضم الكال الذي لا يأخذه السيل .

إلى القلزم ، وتحمل فيه الميرة إلى الحرمين ، فحفره وكان متصلاً
بالقلزم فسمي بذلك ، لأن عمر رحمه الله أول من سمي بأمر المؤمنين^(١) ثم
حذف منجيقاً آخر أيضاً ، وزادوا في رجاله وحباله ، وجعل فيه
حجرآء ، وزادوا في جذبه ، فلما استوفوا جرّه انقطعت الكفة وطارت
في الهواء .

فلقد رأيت مولاي ولم يتكل على حاجب ولا غلام يتقدم ، وإنه
يصبح بنفسه إلى الناس الذين ينظرون ، ويشير مع صياحه إليهم
بكفه إلى الموضع الذي يقدر أن الكفة وقعت فيه بنجوة^(٢)
بصياح شديد . كل هذا إشفاقاً منه على أهل البلد ورأفة بهم .

سكران القلزم
صاحبه من بغداد
ابن طولون

وحدث نسيم قال : خرج مولاي ليلة إلى قبة الهواء ، فسمع في
أطراف المعافر كلباً ينبع فراه ذلك ، فقال للفلان ، وهم قيام بين
يديه : اركبوا الساعة وامضوا ركضاً نحو هذا الكلب فانظروا على
أي شيء يصبح ، فإن وجدت أحدًا فجيئوني به . ففضى الفلان
نحو صوت الكلب حتى أدركوه ، فوجدوا رجلاً قد كان عند
صديق له من جيرانه ، وقد انصرف من عنده يريد منزله ، فوجد
بابه مغلقاً ، وهو قائم عليه يدق ، وقد منع أهله غلبة النوم عن أن

(١) روى السيوطي أن هذا الخليج احتقره عمرو بن العاص في سنة وجرت فيه السفن وأنه
احتقره من حانية القسطنطين وسأته من الخيل إلى القلزم أي البحر الأحمر
(٢) البيا كالنجوة ما ارتفع من الأرض يقال انك من ذلك الأمر بنجوة إذا كنت بعيداً
منه بريئاً سالماً

يسمعوا دقه . وكما دق الرجل نبح الكلب عليه ، فأخذه ، وأردفه
أحدهم خلفه ، وأقبلوا به ركضاً . فلما رأى الرجل ما حلّ به طار
النيذ من رأسه ، وأقبل يستعين بالله . فلما أوقفوه بين يديه كاد
عقله يذهب ، حتى ثبتته الله عز وجل ، فعرّفه الغلمان صورة الأمر ،
فقال له أحمد بن طولون : ما الذي حملك على الخروج في مثل هذا
الوقت ؟ فقال له : أنا أحدث عنه الأمير ، أيده الله : كنت عند
صديق لي من جبرتي ، ومقادي بنا الحديث إلى هذا الوقت ، وكنا
نستعمل الحذر والتحفظ ، قبل أيام الأمير ، أيده الله ، فلما ولينا
واشدت وطأته على أهل الدّعة والفساد ، انقمعوا^(١) من هيئته
وخوفاً من سطوته ، فأمنّا لذلك وصرنا نخرج في مثل هذا الوقت
وقبله وبعده آمنين بركة الأمير أيده الله . فاستحيا منه أحمد بن
طولون لحسن عبارته وبيان قوله ، وتوقف عما كان قد عزم عليه من
التأديب له في الخروج في مثل هذا الوقت . فقال له : قد كنا على
تأديبك على مخاطرتك بنفسك في مثل هذا الوقت ، فأزال ذلك عنا
جميل عذرك ، وحسن عبارتك عن نفسك ، وفصاحة لسانك ، وعلنا
أن ذلك لا يكون إلا في عاقل ، وكفى بالعقل واعظاً . وقد جعلت
العوض من ذلك سرعة ردّك إلى منزلك ، فليست أشك بأن أهلك
لما علموا بأخذنا لك قد قلقوا لذلك ، ثم قال لبعض الغلمان : أردفه

(١) قد : ضرب بالفضة وهي خشيبة يضرب بها الانسان على رأسه والجمع ضامونه كمنه ضربه
بها وقهره وذاله كقته واشموا ذلوا وقهروا

خلفك وردّه إلى منزله . وقام هو فأخذ مضجعه وقدمضى أكثر الليل .

الجبون العالل .
ابن طولون

وحدث نسيم الخادم قال : بينما نحن وقوف ليلة بين يدي مولاي ، وقد طال سهره وفكره ، وكان إذا لحقه مثل هذا ، وطال وقوفنا بين يديه يقول : نفرقوا واقعدوا ، لطمه بما ينالنا من التعب ، ونعانيه من غلبة السهر والنوم ، فنفتنم هذا القول منه ونفترق ، فنستلقي في المواضع التي يبعد نظره عنها .

فبينما نحن ليلة وقد نمنا ، إلا وبه قائم على رؤوسنا ولم نشعر به ، قمنا مبادرين ، فقال لنا : ما سمعتم هذا الصياح ؟ وتأملنا فإذا صوت عال يقول : يا أحمد بن طولون يا أخا عاد . فقال للعلمان : اركبوا واطلبوا صاحب هذا الصوت حيث كان ، حتى تبيثوني به الساعة . وكان كلامه يجي من ناحية الجبل من بين المقابر هناك . فضى العلمان وأبطوا ثم عادوا فقالوا : ما أبقينا موضعاً ، فما رأينا أحداً ، ولا عرفنا خبراً ، وإذا بالصوت ثانية : يا أحمد بن طولون يا أخا ثمود . فمرد فقال : ويحكم اخرجوا فاطلبوه حيث كان ، فخرجوا كخرجتهم الأولى وأبطوا وعادوا ، فقالوا : والله ما أبقينا موضعاً ، ولا نر كنا مكاناً ، حتى طلبناه فما وجدنا أحداً . فقال لهم : ارجعوا قليلاً قليلاً ، وأخفوا سيركم ، واكنوا بين المقابر ، فلا بد من الصياح المرة الثالثة ، فلقربكم منه نقفون على موضعه فتأخذونه ، ثمضوا وعملوا كما أمرهم ، فلم يشعروا به إلا وقد خرج فنادى : يا أحمد بن طولون يا أخا فرعون . فلقربهم

منه عرفوا مكانه فقصده فوجدوه ، وقبضوا عليه ، فإذا به مجنون كان في أيام أحمد بن طولون يكنى أبا نصر ، وكان إذا هاج خاطب ، وإذا سكن نكلم بكلام بليغ . فأتوه به وعرفوه أنه أبو نصر المجنون ، فسكن غيظه وقال : يا أبا نصر ما حملك على أن خاطبتنا بمثل هذا الخطاب ، وهتفت بنا في مثل هذا الوقت . فقال له : لأنك تعظمت وتكبرت وتجبوت ونسيت خلقك من تراب ، ثم من نطفة ، ثم من علقة ثم من مضغة ، ثم جمات المضغة عظاماً ثم كسيت لحمًا ، ثم سواك رجلاً كاملاً . فبكى أحمد بن طولون بكاءً كثيراً . ثم قال له : ما أحسبك يا أبا نصر إلا متنعماً^(١) علينا ؟ ومع هذا فأتوهمك جائعاً فتأكل شيئاً ؟ فقال له : ما تطعمني شيئاً ولا أنتفع بك . فقال له : ما تفشاننا يا أبا نصر ولا تأتيننا ، فضحك وقال : حتى أجيبك ؟ لعن المعروف إن لم يكن ابتداءً ، ثم قال :

ما اعتاض بأذل وجهه بسؤاله عَوْصًا ولو نال الغنى بسؤال
 فقال له : صدقت يا أبا نصر ، هاتوا له شيئاً يأكل ، فأتي له بطبق
 فيه ألوان كثيرة ، وفضلة من جدي ودجاج وفراخ وفالودج ،
 فأقبل يأكل من كل شيء ، وأمن في الفالودج فثقلت معدته فنام ،
 ووضع يده تحت رأسه ، وتمدد بين يدي أحمد بن طولون ، فذهب به
 النوم وهو يتأمله ، حتى علم أنه قد استقبل في نومه ، فقام وقال :

(١) تطع في الكلام تمت وغالى وتأتق وفي عمله تعذق ، ولا بأس بان يقال ما مستطأ بدل متطعاً

دعوه لا تنبهوه ، ووكل به خادماً يراعي أمره ، وقال له : لانكرهه
على شيء يريده ، فإن طلب ماءً أو غيره فأعطه . فمضى أحمد بن
طولون فقام ، وانتبه قبل انتباه المجنون ، وقت ركوبه ، فسأل عنه
فخبر بنومه ، فركب على رصمه ووصى به ، وقال : إن أراد الانصراف
فلا يكلم ولا يُخاطب ، ويترك يذهب كيف شاء . فلما انتبه قام مبادراً
نحو الباب فلم يكلم ، وخرج فمضى . فلما عاد أحمد بن طولون سأل عنه
فخبر بندها به . فتصدق في ذلك اليوم بصدقات كثيرة . وكان
يتعاهده في كل وقت بالطعام والكسوة والبر .

أمره لصاحب
شرطة بالشدة
واللين

وحدث نسيم الخادم قال : قلد مولاي الشرطة السفلانية قائداً من
قواده ، وقال له : ارفق بالرعية ، وانشر العدل عليهم ، واقض
حوادثهم ، وأظهر إكرامهم وصيانتهم ، وتفقد مصالحهم ، فأني أسير
بالليل في محالهم فكل موضع أمر به ، لا يخلو من قارى أو متجدد أو داعٍ
أو ذا كره لله عز وجل ، فوفر علينا دعاءهم لنا ، واحرسنا من أن يكون
دعائهم علينا .

ويقول لمن يقلده الشرطة الفوقانية : تشدد عليهم وأرهبهم منك ،
ولا تَلِنَ لهم واغظظ عليهم ، فأني أسير في محالهم فأمره بوضع
فأسمع فيه الإغناء أو سكران أو معربداً ، قد أخرجته عربته إلى
الوثوب والكفر .

وكان لا يقبل شرطة أسفل إلا الثقات من وجوه قواده . وأما
تشده على قواده وغلانته فمشهور .

حدث ابن قراظسان قال : وجه أحمد بن طولون بقائد من جملة
قواده إلى بعض الأرياف في حمل مال ، وإصلاح حال ، فلما أقام القائد
بالناحية التي نزلها وفرغ مما يحتاج إليه أقبل إليه بعض أقباط الضيعة ،
فسعى إليه راهب في الضيعة لشيء كان يحقده عليه ، فأراد التثني منه ،
والقبض لا يمحسون أكثر من سعاية بعضهم ببعض . قال له : إن هاهنا
راهباً قد وجد كنزاً عظيماً مملوءاً مائلاً . فحمل القائد الشره والطمع
على أن أحضر الراهب فأرهبه وهدده وأخفه ، فأخذ منه خمسمائة دينار ،
وانصرف القائد من الضيعة . فبلغ ذلك من الراهب مبلغاً كسفه وأتى
عليه ، فجعل يبكي ليله ونهاره ، فرآه بعض من وافى الضيعة فسأل عن
حاله فخبّره فرحه ، وقال له : ولم تبكي ، ولنا أمير عادل منصف ؟
ادخل إلى الفسطاط ، واكتب قصة ^(١) ، فإذا ركب أحمد بن
طولون فادفعها إليه ، فإنه يأمرها بقرؤها برداً مالك عليك ، وجسره
على ذلك وسهله عليه .

عقاب قائد
اعدى على
راهب قبلي

فشخص إلى الفسطاط وكتب قصته وأقبل بها إلى الميدان ،
فوقف على بعض أبوابه ، يلتبس ركوب أحمد بن طولون ، فبصر به
حاجب ذلك الباب ، فدعا به وسأله عن خبره فشرح له قصته ، وأنه

(١) القصة بكرة القاف وجمها قصص : ما يكتبه المتشكي المتظلم إلى أمير أو الملك ليرفع ظلامته
وهو ما نطلق عليه اليوم الاستدعاء . وكان الأول ان يقال الاستدعاء من استدعاء استنائه واستنصره .

ينتظر ركوب الأمير ليوصل إليه قصته ، وكان الحاجب صديق القائد الذي يتظلم منه الراهب ، فقال له : بينك وبينه شيء غير هذا ؟ فقال : لا . قال : فأنا أدفع اليك الخمسمائة دينار فامض في حفظ الله ، والرجل صديقي لي ، وأنا أسترجعها منه أو أتركها له ، وأصونه عن الرقيعة به . ففرح الراهب وقال : ما أطلب ياسيدي غير هذا . فأحضر الحاجب خمسمائة دينار ودفعها إليه ، فأخذها ومضى وهو لا يصدق ، وجاء فخرج من ساعته وعاد إلى ضيعته .

فوقف بعض أصحاب الأخبار على ماجرى ، فكتب به إلى أحمد بن طولون ، فأحضر الحاجب فسأله عن الخبر فلم يمكنه ستره ، فأحضر القائد واعتقله ، وأنفذ الحاجب خلف الراهب إلى ضيعته حتى أحضره ، فلما حضر جمع بينه وبين القائد ، وسأله عن المال كيف جرت ، فخبّره بما كان ، فقال له أحمد بن طولون : كان سيالك وملك أن تدعي عليه بثلاثة آلاف دينار ، حتى أخذها لك منه ، وأجعل ذلك تأديباً له ولنغيره . ثم قال للحاجب : والله لولا أنها مكرّمة سارعت إليها ، وجعل رغبت فيه ، وقال الله عز من قائل : (هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ) لعمرت بك المطيق ، ولكن احذر أن تعاود مثلها ، ولا تستبدن بأمر تأتبه دون أن تعرّفنا به ، ولا تطلو عنا خبراً ولا سراً ولا قصة تُرفع . فقال له : أفلني أيها الأمير ، أقالك الله ، فوالله لا أعود إلى مثلها أبداً . قال : فأنصرف إلى موضعتك .

ثم أقبل على أماند فقال له أفي رزقك نقصير عن مؤنتك؟ قال:
لا. قال فأخر عنك استحقاقك تأخيراً يضطرك إلى ما أنتبه؟ قال:
لا. قال فبأي حال استحللت أن تأخذ من هذا البائس الضعيف
ما تقطع به قلبه، وتبكي عينه، وتفقره وأهله؟ ألك حاجة أوجبت
ذلك عليك، أو ضرورة دعتك إليه؟ المطبق. فأخرج من بين
يديه إلى المطبق على موضعه منه، ومعه في نفسه، فخرج وهو آيس
من الحياة، وأمر الراهب بالانصراف.

وحدث أبو كامل شجاع بن أسلم الحاجب قال: لما أطلقني أحمد
ابن طولون الأزمني دار الصناعة^(١)، فدعاني يوماً فقال لي: كل ما
تعمل [لي من العدة] يكتبني فيه بالقليل، مع [تقدم] هيبتي في صدور
الناس إلا المراكب فإن البحر لا يهاني، ولا يخاف سورتي،
وليس يعمل في البحر إلا الوثاق، والجودة في الصنعة، وتقديم
الإحسان. فقدم الخزم في الاحتياط، والاستزادة في الاتفاق على
المراكب لتسلم بعون الله عز وجل وتوفيقه من معرفة البحر.

عناية ابن طولون
بأسطوله

وحدث قال: دخلت أم عقبة الأعرابية يوماً إلى أحمد بن طولون
ومعها ابنتها عقبة، وكان كثيراً ما يأسس بها، ويجب محادثتها لفصاحتها،
وحسن كلامها، وكان يكثر يرها في كل وقت، فسألته التقدّم بـ

اعرابية أبت أن
يكون ابنها
جاسوساً

(١) هي الدار التي تصنع فيها المراكب والسفن، نقلت هذه اللفظة إلى اللغات الأخرى بصيغة
Arsenal ثم أعيدت إليها على الهد التركي باسم « ترسانة ».

نصريف^(١) ابنها فيما يعود عليه نفعه . فقال لابن مهاجر ، وهو بين يديه . انظر له في شغل يعود عليه فيه خير بين عليه ، وكان البريد إليه ، فقلده ابن مهاجر بريد ناحية من النواحي ، وأجرى عليه من الرزق عشرة دنانير في كل شهر ، فحدث ابن مهاجر قال : إني لتقاعد بين يدي أحمد بن طولون بعد ثلاث ، حتى دخلت أم عقبة على الأمير فقالت : أنا شاكرة للأمير أيده الله ، دام لهذا الرجل ، تريدني ، فقال لها : ولم ذاك ؟ فقالت : أمرته في إشغال ولدي فيما يعود عليه نفعه ، فشغله فيما لا يرض^(٢) عن رؤوسنا عاره وسناره ، والجوع الكريم أنفع من الشبع اللثيم ، فقال لها : وما ذاك ؟ قالت : وكلفه بالنسيمة يحميها على المسترسل ، ويهتك بها المستر ، فقد تحاماه الناس وتناذروه^(٣) ، فإذا لم يكن غير هذا تركته ، ولم أنعرض لما فيه مقت الله عز وجل وسب

(١) أمرته (بتشديد الراء) في أعماله وأموره فتصرف بها أي عين فضل عملا ووسده إليه (٢) قبل إيراد هذه القصة ورد في كتاب ابن الداية ما يأتي : وحدثني نسيم قال : تطلعت صبوراً أعرابية تعرف بأمر عليل إلى أحمد بن طولون من تسخير أجال لها ، وكانت ضيقة اللسان ، حسنة البیان ، نتقدم برد أجالها ، وأمر بعض الحجاب أن يلحقه بها إلى داره ، فوافقت فتقدم في إسطمها ، وأن يتقم عليها أبواب منطام ، ودخلت مجلسه ، وهو مع خواص له يقرب ، فصدته بما استحسنه ، وأنتهده ما استطابه ، وهي في ذلك حائرة من صفاء كأس يده ورقة شراب فيه ، فأمر لها بكأس فأخضر ، قالت : أيرسا الأمير هذا شراب ماخالط دمي قط ، قال : خذيه وشمي رائحته ، وانظري إلى لونه ، قالت : كل ما فيه يدعو إليه . فلأعزم عليها شربته ، ثم ضحكته بده ضحكاً لا سبب له . فقالت : أيا الأمير ، وإن الرجل بالخبرة ليقضي نساءه من هذا الشراب ؟ قال : نعم . قالت : زين ووب الكعبة . ضحك وقال لها : ولم ؟ قالت : تحرك علي ، اعزاقه الأمير ، ساكن ما شكوه من ثلاثين سنة ، ولا والله لا عاودته أبداً . فكانت تتفقد أحمد بن طولون في كل وقت فيجزل قائمتها .

(٣) تناذروا قوم أنذر بعضهم بعضاً شرّاً مخفياً وفي الأساس : تناذروا الدود خوفاً منه بعضهم بعضاً

عباده . فضحك أحمد بن طولون ، وأمرني أن أجري العشرة دنانير في كل شهر ، وأُعفيه من البريد ففعلت ، فشكرت ودعت وقالت : هذا الأشبه بك أيها الأمير ، وانصرفت .

وحدث نسيم الخادم قال : ما خلت دار مولاي قط من كاتب خفي الشخص ، موثق عنده ، يعرف بكاتب السر ، يرتصد في سائر يومه مناظرته لمن ناظره ، فيكتب الابتداء والجواب في كل ما يجري ، فإذا انقضى يومه أنفذ جميع ما يثبتته مع خاصة يثق به فيقرأ ذلك ويتدبره ، فإن كان فيه شيء لا يحتاج إلى مداركته بتغيير أو زيادة تقدم في ذلك بما يمثله .

نجس ابن
طولون على
رجال قصره

وحدث نسيم الخادم أيضاً قال : كان لمولاي في مقرنس^(١) سقف مجلس بين يديه ألف بدرة^(٢) ، قدأ حكمت مواضعها ، واستوثقت منها

لصه الغراب
سارق الذهب

(١) في الأصل : مقرنس ، وفي ابن الداية : هي القربس مجلس : وقف مقرنس على هيئة السلم ويقول الأمازيغ زكي محمد حسن في تعليقاته على كتاب التنوير الفرعية والتصوير والعمارة ان كلمة Stalactite تطلق على الحجر الذي ينشأ على شكل عمدة نازلة غير منتظمة وذلك في بعض الكهوف بخل الرشح الذي تتجه مياه عمدة بالاملاح الجيرية ويطلق هذا اللفظ على الأعمدة التي تصبح مقفلة في سقف الكهوف وتطلق كلمة Stalagnite او الاعمدة الصاعدة على الاعمدة التي تنزل من الارض والمقرنس Stalactite في فن العمارة نوع من الزخارف يقلد بها ذلك الحجر الطبيعي ويتكون من اجسام صغيرة بارزة ومدلاة واكثر ما يستعمل في جهات المساجد واسقف القصور .

(٢) البدره : كيس فيه الف او عشرة آلاف درهم او سبعة آلاف دينار

بالخشب العليل ، والنخل الصلب ، والعمل المحكم . وكانت بين يديه
يراهها ولا يراها غيره . ممن يكون بين يديه ، إذا دخل وباب المجلس
مفتوح ، ولم يكن يعلم بذلك ، فلا يراعيه غيره . وغيري فقط . وكان
قد أكد عليّ في مراعاته وجطلته اهتامي . قال : وكان في الدار غراب
شديد الأنا ، وكان مولاي يعجب بصياحه ، وما كان يمضي يوم
إلا ومولاي يدخل ذلك المجلس يتأمل البدر ، فدخل يوماً فرأى
بدره مخلخلة ، فتقدم بانزالتها فأنزلت ، فأمرني بفتحها ووزنها ، فنقصت
عما كان فيها أربعين ^(١) ديناراً . فقال لي : يا نسيم من نظن أنه
أخذها ؟ قلت : ما يدخل هذا المجلس غيرنا أنا ومولاي ، ولكني
أراعي هذه الحال فقال لي : افعل . وشغل ذلك قلبي . فبينما أنا أراعيه
يوماً إذ نظرت ذلك الغراب قد دخل البيت ففر البدره من خياطتها
فأخرج منها ديناراً واحداً ، فمضى به ، فمشيت خلفه حتى أتى به إلى شق
بين بلاطين فالتقاء فيه ، فدخلت إلى مولاي فخبرت به بذلك فعجب منه ،
وقام فأتى الموضع ، ودعا بالمبطين فقلعوا تينك البلاطين ، فوجدنا
الدنانير التي نقصت والدينار الآخر ، لم يذهب من ذلك شيء ، فضحك
مولاي وقال لي : يا بني ، لو كانت هذه الدنانير لمسكين أو متجمل
ما وجدها ، ولكن يا بني القبل محروس . وتصديق ذلك اليوم
صدقة كبيرة .

(١) كنا في ابن الرواية وفي الأصل : فنقصت عما كان فيها ثلاثون من وزنها اربعون ديناراً

وحدثت نعت أم ولد أحمد بن طولون قالت: كنت مولاي زوجة من بنات الموالي تزوجها بمصر ، وكنت من أحسن النساء وأجملهن وجهاً وخلقاً ، يقال لها أسماء ، قالت: قلت له يوماً : يا مولاي لبست خلوتها معك على قدر محلها منك ، وما يقتضيه حسنها وجمالها ومحلها أيضاً . فقال لي : ويحك هي صغيرة الكف قصدة الخلق ، وأكره أن يكون هذا في ولدي منها ، فلماذا أتوقف عنها كثيراً .

عزوف ابن
طولون عن
أحدى زوجاته

وحدث أحمد بن القاسم أخو عبد الله بن القاسم كاتب العباس بن أحمد بن طولون قال : حدثني أخي عبد الله قال : بعث إليّ أحمد بن طولون بعد أن مضى من الليل نصفه ، فوافيته وأنا منه خائف مذعور ، فدخل الحاجب بين يديّ وأنا في أثره ، حتى أدخلني إلى بيت مظلم فقال لي : سلم على الأمير . فقلت : السلام على الأمير ورحمة الله وبركاته . فقال لي من داخل البيت وهو في الظلام : وطيك السلام . لأي شيء يصلح هذا البيت ؟ فقلت : للفكر . فقال : ولم ؟ فقلت : لأنه ليس فيه شيء يشغل الطرف بالنظر فيه ، فقال لي : أحسنت بارك الله عليك ، امض إلى العباس فقل له : يقول لك الأمير اغدُ عليّ ، وامنعه من أن يأكل شيئاً من الطعام ، إلى أن يجيئني فياً كل معي ، واحذر ذلك فقلت : السمع والطاعة لأمر الأمير أیده الله . وانصرفت ففعلت ما أمرني به ، ومنعته من أن يأكل شيئاً .

تأديب ابن
طولون لابنه
العباس

وكان العباس قليل الصبر على الجوع ، فرام أن يأكل شيئاً
يسيراً قبل ذهابه إلى أبيه ، ففتته فركب إليه ، وكان يوم خميس ،
فجلس بين يديه ، وأطال أحمد بن طولون عمداً ، حتى علم أن
العباس قد اشتد جوعه ، فأحضرت المائدة ، ولم يُقدِّم عليها إلا
سُماني^(١) "زيرباجاً"^(٢) فانهمك العباس في أكلها لشدة جوعه ، وامتدت
يده إلى صفار ما كان من البوارد^(٣) على المائدة ، فشيح من ذلك
الطعام ، وأبوه متوقف عن الانبساط في الأكل ، فلما علم بأنه قد
امتلاً من ذلك الطعام ، أمرهم بنقل الطعام ، فأحضر كل لون
طيب ، لا يخلو من أن يكون دجاجاً ثقيلاً وفراخاً مسنة ، ثم
ابن بالبطة السمينة والجدي الرضيع ، والحروف النادر ، وماشاكل
ذلك [ما] يؤكل من جميع الحيوان مشويًا ، فانبسط أبوه في جميع
ذلك فأكل ، وأقبل يضع بين يدي ابنه منه ، فلا يرى فيه حيلة
لاأكله وشبعه .

-
- (١) كذا في ابن الداية ، وفي الاصل : سمان كردناج ، والسمان بالضم : من الطيور القواطع
لا يدري من ابن أبي الواحد والجمع وقيل الواحدة سمانة والجمع سمانيات .
- (٢) الزيرباج : سمانه بالنارسية طيب من كورن . وكان يطلق في القرن الثالث عشر على
طعام مؤلف من سكر ولوز وتخل (قاله دوزي) وفي كتاب الطبخ ان صنعه ان يتخلق اللحم
السمين صفاراً ويحبل في القدر عليه عشرة ١٠ ، وتعلم دارصيني وحسن مقشور ويسير ملح فاذا انطى
تؤخذ رغوة ثم يطرح عليه رطل خل خم رطل سكر واوقية لوز ملو مقترأ او مدقوقاً
ناعماً يضاف بناء ورد وتخل ثم يطرح على اللحم الخ
- (٣) الوارد بقول وأبازير مبردة وفي كتاب الطبخ للبغدادي هي البقول المطبوخة المتنوعة في
الاشياء الحامضة كالخل وما الحصرم والساق وانه التفاح والرياس والاسد

فقال له : إنني أردت تأديبك في يومك هذا بما امتحتك به ، لا لتلق بهمتك على صغار الأمور ، بأن تسهل على نفسك تناول يسيرها ، فيمنعك ذلك من كبارها ، ولا تشتغل بما يقل قدره ، فلا يكون فيك فضل لما يعظم قدره ، وهذا يا بني نظير تشاغلك بالسماني ، وهو من صغار الطير ، ولم لتوقف عما تعلم أنه يحضر مائدة آيبك ، مما هو أجل من السماني وأطيب وأمتع ، فلما حضر ، لم يكن فيك لشي منه فضل ، وقد تتبعته نفسك فما قدرت عليه .

وليس بتصل بي أذك أخذت من رجل على حاجة تقضيها له أقل من خمسمائة دينار ، لا يجد صاحبها مسأ معها ، ولا إجحافاً فيها ، إلا غضبت عليك ، ونلت كاتبك بظليظ العقوبة ، ولا تستدع البر على الحوائج ، ولكن أقمه مقام الهدية التي تفيدها إذا جاءت عفواً ، واحذر أن تقضيها إن تأخرت عنك ، وكافى على الهدية بأحسن منها ، فإن أعظم الفقر فقرك إلى رعيته ، وقد جعلت بما علمته معك اليوم تأديباً ومعانبة وتنبهاً لك على ما فيه رشذك ، وقلك الله وسدرك ، ولا ساء في فيك . فقبل يده ، وقبل منه ، وامثل أمره .

وحدث هارون بن ملول قال : وقف بعض من ينتحل التصوف

من المصريين لآحمد بن طولون ، وقد انصرف يوماً من صلاة

عقوبة متحل
النصوف على
فححه

الجمعة ، فقال له : أيها الأمير على رسلك ، فوقف . فقال له : اتق الله الذي إليه معادك وراقبه ، فقد أرعبت الناس وأخفتمهم خوفاً قد منعمهم من صدقك عن كل ما يجري مما يكرهه الله عز وجل ولا يرضاه ، وأنا لسان جماعتهم إليك . فأمر بالقبض عليه ، فلما نزل أحضر إليه شيوخ البلد ووجوهه ، وكان الناس إذ ذاك متوافرين . فلما اجتمعوا دافى صاحب خبر السر الذي يكتب كل ما يجري ، فدفن إليه رقعة فيما خاطبه به الصوفي ، فأمر كاتبه أحمد بن أمين بقراءتها على الشيوخ قراها عليهم ، وسألهم عما أنكروه من أمره حتى يهتفوا إلى إيفاد الصوفي إليه ، فحلفوا له بالله عز وجل وبالطلاق والصدقة أنهم ما بعثوا إليه أحداً ، ولا أنكروا له فعلاً . فأحضر الصوفي وقال له : زعمت أن أهل البلد نصبوك للقول فيما أنكروه . فقال : نصبني لهذا المظلوم والمهزور من لحقه جور أصحابك . فقال له : لست أعجل عليك ، أخبرني ما الذي اتضح عندك حتى دعاك إلي . فقال : بعض أصحابك منذ ثلاثة أيام أنا أتلف وأبخت عما قد راىني منه ، حتى وقفت على أن امرأة طباله لاسيل له عليها ، تدخل إليه وتبيت عنده كل ليلة ، واشترى رجل من أصحابك أيضاً غلاماً أمر دفنصب له طرة وقرطقه " بأشياء لا يسمح بها إلا قلب فاسق .

قال له أحمد بن طولون : أنت الآن في العاجل قد دلتنا على عورتك ، وأعلمتنا أن التجسس المنهي عنه ، والظن السيء المكروه استعماله ، وقد نهي عنه أيضاً ، من شيمتك ، والله عز وجل ستر على عباده لا ينهاك بما أتمسته ، فأنا أرى أنك إلى التأديب أخرج منك إلى التأزب . وامل دخائلك الردية أوضح من دخائل من فسقته ورميته بما لا يجوز في الدين أن يُقطع مثله على مسلم في الحكم .

قال هارون بن مملوك : فقال رجل من حضر : أيد الله الأمير هذا الرجل أعرفه وقلبي يكرهه لأن قصده أن يترأس لدنيا يصيبها بالكذب على الناس ، وأنا أشهد وجماعة من حضر أن مسكنه الذي ينزله غصب ، وأن طعمته ^(١) إخافة المستورين . فقال جميع من حضر من الشيوخ : صدق أيد الله الأمير . فأمر به فغضب مائة سوط وطيف به البلد على جمل ، ونودي عليه بما قيل فيه ، وحبس في المطبق ^(٢) .

(١) الطعمة بضم الطاء : وجه المكسب

(٢) روى ابن طلحة الوزير في القصد الفريد له قال : ولقد بانني عن أحمد بن طولون قضية يؤثر في النفس الزكية - معها ، ويحسن عند ذوي المعرفة والتوفيق وقتها ، وكان ابن طولون هذا مبسوط القدرة على البلاد المصرية ، نأخذ الحكم فيها ، بهياً مخوناً ، يقوم بسياسة الله ، ويملئ كفاة العدل ، ويأخذ نفسه بالأصاف . مع ما هو عليه من الميروت المفرط ، والتقل المسرف ، وكان يجلس للمظالم ويحضر عليه القاضي بكار بن قتيبة وجماعة من النخباء وأهل العلم مثل الرميم بن سليمان صاحب الامام الشافعي . وكان ابن طولون إذا جلس للمظالم يمكن المظالم من الكلام ويضع كلامه الى آخره ، ويكشف غلامته ، ويجلسه بين يديه تقريباً إليه ، قال أحمد بن محمد بن سلامة -

المبسوط مع ابن
طولون وذهاب
نعمته

وحدث أحمد بن أيمن قال : كان لأحمد بن طولون ساعٍ يسمي
بالكُتَّابِ والمعاملين إليه ، وكان من أبناء قبط مصر يعرف بأبي
النؤيب ، حسن الموضع منه ، وكان قد أجرى عليه وأحسن إليه
بنصحه له ، وكان ربما أكل معه ، وربما جلس يتأدبه بين يديه .
قال : فاجتمعنا يوماً عند أحمد بن طولون ، فقال أحمد بن طولون لكثير
المغني : أنا أشتهي صوتاً ما سمعته منذ خرجت من سر من رأى فقال له :
وما هو أيها الأمير ؟ فقال :

ألا سقيتم بني حزمٍ أسيركمُ نفسي فداؤك من ذي غلَّةٍ صارٍ
فقال له : ما أعرفه يا سيدي ، وما استهواني من تقريب أحمد بن طولون
لي ، وإيناسه لي [دعائي] إلى أن قلت : أنا أحسنه ، ففرح بذلك
فاندفعت ، لما تبينته من سروره ، أغنيه إياه . وكان أحمد بن أيمن

— الطحاوي الفقيه : اعترضت لاضية بالصعد من صباح جدي سلامة فاحتجت إلى الخول
إليه والتظلم مما يجري لي ، وأنا يومئذ شاب إلا أن العلم والفرقة بالمخاضين بسطني على الكلام
والتمكن من الحجة فضاطبة في أمر الفقيه فاحتج عليّ بجميع كثيرة وأجبه عنها بما لزم الرجوع
إليه ، ثم ناظرني مناظرة الحضور بغير انهار ولا سطوة عليّ ، وأنا أيه وأحل حجه إلى أن
وقفت ولم يبق له حجة ، فأسكت عني ساعة ثم قال لي : إلى هذا الموضع انتهى كلامي وكلامك ،
والحجة قد ظهرت لك ، ولكن أجلبنا ثلاثة أيام ، فإن ظهرت لي حجة ، وإلا سلمت الضية إليك .
فقدت متصراً ، فلما خرجت قال ابن طولون بعد خروجي المعاضرين : ما أقيح ما أتهدتكم على
نصي ، أقول لرجل من رعييتي ظهرت لك حجة أجلي ثلاثة أيام إلى أن أطلب حجة ، وأبطل
الحكم الذي قد أوجبه من يميني إذا وجبت لي حجة أن أحضره وأزوجه إياها ، هذا والله الصب
وأتم رسلي إليه بأنني بعد أزلت حجه وأزلت الاعتراض عن الضية . وقد قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : إن الله لا يقدر أمة لا يؤخذ الحق لتعنيفها من قوتها ، وتحمم بالكتاب له ويعرف
الطحاوي الحال من المخاضين ، فذهب إلى الديوان وأخذ الكتاب بإزالة الاعتراض وتسليم الضية ،
وصارت هذه تلى من مناقب أحمد بن طولون وعمله بالعدل وإخائته ميراث القسط ١٥ .

هذا حسن الصوت ، فطرب أحمد بن طولون طرباً شديداً ، حتى صفق يديه . قال أحمد : فعلمني سَخف الطرب ۱۱ رأيتُه من سرور الأمير ، إلى أن قمت فرقصت على إيقاع اللحن ، فزاد سرور أحمد بن طولون بذلك ، وغمرني على أبي التَّوَيْب الساعِي أن أسقط عليه ، فتزالقت ^(١) على البساط وألقيت نفسي عليه ، فأظهر أنه أليم لذلك ، فأخذ يبكي كما يبكي الصبي ، لعاميته وسوء أدبه . فصاح عليه أحمد بن طولون ، فقال له : لم يوجعني ما وقع علي ، أيد الله الأمير ، من جسمه ، وعظم جثته ، وإنما آتاني ما على ظهره من البدر التي اختانها وحصلها من مال الأمير أيدَه الله . فقال له أحمد بن طولون : أمسك ، وارفع هذا إلى الصحو ، ولا تخلط الجدَّ بالهزل . فتبينت غلطي بفرط الانبساط ، فما مضت إلا مدبدة حتى قبض علي أحمد ابن طولون ، وحبسني وأخذ جميع ما كان لي ، وما خرجت من حبسه إلا بعد وفاته ، أطلقتني ابنه أبو الجيش .

وحدث العجيني ^(٢) وكان يتولى شرطة أسفل ، أن رجلاً من التجار ، يعرف بالستر والسلامة ، ابتاع خادماً مما أبيع من تركة وكيل أحمد بن طولون الذي قبض عليه ، المعروف بابن مفضل ، بائتي دينار ، وأنه أخذ جوازاً وخرج بالغلام إلى الشام ، يؤمل في بيعه هناك ربحاً ، فلما بلغ العريش ، وكان بها وال يعرف بحبيب المعرفي قد نصبه أحمد

تاجر آخر أن يموت في السجن مع معامليه

(١) أظهرت اني زلت ابي زلت ابي زلت قديمي . (٢) في ابن الداية : يعقوب بن صالح صاحب العجيني

ابن طولون ليتأمل ما يرد من الكتب ونفيس الأمتعة إلى الفسطاط،
ققرأ الجواز وقال : قد كان يجب أن يحكى في هذا الجواز رحلية هذا
الخدام ، فقال الرجل . أنا اشتريته من الواسطي فقال : لست أطلقه إلا
بعد الاستئثار^(١) فيه . فكتب إلى أحمد بن طولون يخبره ، فكتب إليه
يأمره بإشخاصه إليه ، فأشخص التاجر والغلام . فلما وافى وأدخل مع
الغلام إليه ، قال له : من أين لك هذا الخدام قال : ابتعته من الواسطي
كاتبك مما باعه من تركة ابن مفضل . فقال له : أين كنت عازماً به ؟
قال : أستقري به البلدان حتى أجد فيه ما أومله من الربح ، فقال :
اكتبوا له جوازاً وحلوا فيه الخدام ، وأطلقوا سيبله . فقال : أيها الأمير
فعلى من نفقتي في مجيئي ورجوعي بغير ذنب ولا جنابة وجبت عليّ^(٢)
حتى أشخصت ؟ فقد علم الله جل اسمه ما داخل قلبي من ذلك من النعم
والجزع ، وأنكف نفقة ثانية ؟ فقال له أحمد بن طولون : لا ، ما أنكفك
نفقة ، كم كانت نفقتك في خروجك ورجوعك ؟ قال : عشرة دنانير ،
فأمر بدفعها إليه ، وتحقق بذلك منه أنه من أهل السلامة ، فخرج
ولم يدع له ، فكتب صاحب الخزانة بما سمعه تكلم الله الخقه من
التعب والمشقة في دخوله ورجوعه بما أنكره أحمد بن طولون ، فأمر به
إلى المطبخ ، فلما دخله وجد فيه جماعة من غرمانه الكتاب والقواد
الذين كان قد أيس أن يرى أحداً منهم أبداً ، فسرى بهم وسرى^(٣) عنه بنظرة

(١) الاتئثار : المداورة كاللأثرة والائتثار والتأثر .

(٢) سروت عني الهم وسرى عني وانسرى عني : انكشف

إليهم ، وسرّوا أيضاً هم به ، وأنس بهم وأنسوا به ، وقضوه جملة كبيرة مما كان له عليهم ، واستأنف معاملة ثانية لهم ، وباع رجلاً منهم الخادم بريح جيد ، فوجه به إلى من باعه له بدون ذلك لحاجته إلى الثمن ، وأسلف قوماً من المحبسين دنانير كثيرة ، وابتاع في المطبق رحالات^(١) أبيعت يستغلها ، وأقام مع غرمائه مقام مستوطن طيب النفس ، حامد لله عز وجل على ما قضاه عليه . فذكره أحمد بن طولون يوماً بعد سنة وشهور ، فأمر بإطلاقه .

فحدث بعقوب غلام العجيني قال : دخلت إلى الرجل وأنا مسرور بإطلاقه فبشّرته بذلك ، وقلت له : قم انصرف في حفظ الله ، فقد أمر الأمير بإطلاقك . فقال لي : وكيف أخرج من موضع أكثر مالي فيه ، بل جميع ملكي ؟ ومع هذا فلي فيه مستغل وأسلاف على جماعة وديون ، فزبرته وأنكرت قوله ، فصاح وبكى ، وأقبلنا نجاذبه على الخروج ، وهو يجاذبنا على التمام . فرفع خبره إلى أحمد بن طولون فعجب منه وأمر بإحضاره وقال له : ويحك تختار المقام في المطبق على إطلاق السرب^(٢) . فقال له : أيها الأمير !! صار جميع ملكي في حبسك ، وحصل لي فيه معاملون ، اخترت ذلك ، فإن كان لا بدّ من إخراجي فاتركني حتى أستظف مالي وأبيع مستغلي ، فقال له : وكم تحب أن نقيم كذلك ؟ قال : ثلاثة

(١) الرحال : العناصر الخيرية ، والرجل ما تستعجه من الأثاث وكلاهما يسلبها

(٢) بكسر السين : نفس

أشهر . فقال له : ويحك أجنون أنت ؟ فقال : لا والله إلا صحيح بحمد الله ، ولكن ما تسمح نفسي بترك مالي فيه ، مع ما اتفق لي من المعاش مع من فيه ، فقال له : فما تشفق على نفسك من شدة الحرّ فيه ، والازدحام والضيق . فقال له : أيها الأمير ، القيسارية إذا ازدحم الناس فيها كانت أشدّ حرّاً منه ، ويهون ذلك لكثرة الفائدة ولذة الرّيح ، لا سيما ومعاملتي فيه ثقات ، وأحسن معاملة من التجار ، وأكرم وأوسع صدراً ، وإنه لتسوّئي مفارقتهم . فأمر أحمد بن طولون برده إلى المطبق ، فلم يزل فيه حتى مات . فكان أمره من العجائب .

قال : ووقف رجل ليوسف بن إبراهيم يوماً على باب داره حتى أقبل من الميدان ، فلما همّ بالنزول صاح به : أنا عائد بأهله وبك ، ومستجير من رجل في حاشيتك قريب من قلبك ، أثير^(١) عندك ، فقال له : ومن هو ؟ قال : أذكره لك في سرّ ، وأنهى إليك من خبره ما لا يسمع له الصبر عليه . فأدخله معه الدار وخلا به ، ففتح كفه فأراه كتاباً من موسى بن بُغا إليه ، وقال له : بعث بي إليك قاصداً وحدك بهذا الكتاب ، فصاح به يوسف بن إبراهيم لسمع من حضره : يا هذا ! إن جميع ما ادعيت به ، وذكرت أنه ظلمك فيه مائة دينار ، ونحن نعطيك إياها ، ونزيل ظلامتك وأمر فأحضرت

(١) يقال : فلان أثير أي من خصائي .

مهارة يوسف بن
إبراهيم في
التخلص من ابن
طولون

الدنانير فدفمها إليه وقال له : امض في - انظ الله ، فلم يبق بينك وبينه شيء بعد هذه المائة الدينار من المطالبات ، وأعزنا من ظلمتك وتكثرك . فأخذ الرجل المائة الدينار وخرج ، ولم يأخذ منه يوسف ابن إبراهيم الكتاب ، نوقياً وخوفاً ، ورغبة في السلامة .
فأحضر أحمد بن طولون يوسف بن إبراهيم فقال له : ما الذي كان في كتاب موسى بن بقا إليك ؟ فقال له : والله ما قرأت كتاباً قط ، والذي يجب عليّ من حق طاعتك فقد عملته . فقال له : فلم لم تقبض على الرجل وتجنّني به فقال له : لم يستكفني الأمير ، أيده الله ، هذا فأكفيه وأمثل أمره فيه ، ومن أتى شيئاً من غير أن يندب إليه فساعٍ يتوقع من شره أكثر مما يطلب من خيره ، فاعتقله أياماً ثم صرفه إلى داره مكرماً .

وحدث نسيم الخادم قال : أهدى علي بن ماجور إلى أحمد بن طولون ثلاثة خدم كانوا لآبيه ، فأما أحدهم فما خلا من طرفه في وقت من الأوقات ، من شدة ملازمته لخدمته . فقال له يوماً : أيُّ البلدان أحب إليك أن تكون فيه ؟ فقال له : بلد فيه مولاي الأمير . فقال له : ويحك في داري ثلاثمائة خادم وقد تقدمت عليهم تقدماً قصراً بجماعتهم في عيني ، فأنا أخاف عليك أن تحدث بك حادثة منهم فأغتم بك ولا يمكنني أن استدرك أمرك ، فاختر

الخادم الثلاثة
الأدعياء

لنفسك بلدًا تكون فيه آمن عليك من حال تلحقك ، فقال له : إذا كان الأمر على ما ذكره مولاي الأمير ، فطرسوس . فوصله بجملة دنائير كثيرة وأمر له بخيل وبنال وآلة كثيرة ، وأجرى له رزقًا واسعًا وأنفذه إليها

وأما الثاني فكان من أحسن الناس وجهًا وخلقًا ، فرآه يومًا في خلعة رائعة حسنة ، وقد زاد حسنه وجماله فيها ، فقال له وهو خالٍ : لو لحقتني في شرح شبابي لما أفلتت مني ، فقال له : لو كان مولاي الأمير يستأهني لما أفلتت منه . فضحك وقال : يا نسيم ابعث بهذا الخادم إلى محمد ابن أخي ، فأني لا أرغب في هزله ، فهو يفسده أمر قريب يومه . وكان محمد هذا ابن أخيه موسى ، غفيف القرج ، ولما بعث به إليه ورآه حسنًا بَصًّا^(١) وحبه للسيدة بنت أحمد بن طولون زوجته ، وكان يخدمها جميعًا .

وأما الثالث فإنه سلّم إليه رجلًا آثر الراحة منه وقال له : إن هذا عدوي وعدوكم ، وقدّر عليه أنه سيقتله ، ثم سأله عنه بعد أيام ، فقال له : هو محبوبوس . فقال له : لو كنت تحبني لقتلته . فقال له : يا مولاي لو كنت لك وحدك لقتلته ، ولكني لك ولخالتي وخالقك وما أقدر أن أرضيك بسخطه ، لأنه أقدر عليّ منك . فنفاه إلى أذنة ولم يقطع رزقه عنه .

(١) البص: الرمح المد الرقيق الجاه اللطيف

وحدث سيم أيضاً قال : كان أصحاب الأخبار يرفعون إلى مولاي رقاغا في أقوام تكون سبباً لاصطفائهم وقتلهم ، وكنت حرباً لأصحاب الأخبار باغضاً لهم ، وكنت إذا لقيت الرجل مهم اعنته في وجهه جهراً . وكان مولاي إذا رُفِعَتْ إليه رقعة حفظ معها ، وأمر بقتل صاحبها ، ودفعها إليّ وأمرني بتحريقها ، ولم يثن بغيري في ذلك .

قول ابن
طولون
الخاصة صناعة
ردية

فسمى أصحاب الأخبار في إفساد حالي عنده ، فكافوا إذا رفعوا إليه واحدة وعلموا أنني قد حرقتها ، رُفِعَتْ أخرى إلى مولاي وقالوا له : كيف بقيت هذه الرقعة لم تُحرق ؟ فيوهموه أنني قد أغفلت أمرها ، أو أخذتها لأعلم ما فيها ومن رُفِعَتْ فيه ، فأعلمني مولاي بذلك ، فحلفت له عليه أنني ما أغفلت قط تحريق رقعة دفعها إليّ ، ولكن هؤلاء القوم لما علموا ببغيي لهم ، احتالوا في إسقاط منزلتي من مولاي ، فقال لي : صدقت ، قد علمت ذلك ، وأنها حيلة منهم عليك في الرقاق التي أمرك بتحريقها ، لأن لي فيها علامة وهي إدخال سبابة يميني حتى يتحيف فيها اسم أعرفه من الرقاق التي يعيدونها إليّ سليمة من علامتي . وهذه بابني صناعة ردية ليس يصلح لها غير الشرار ومن ليس فيه خير .

وحدث^(١) سعد الفرغاني قال : ركب أحمد بن طولون يوماً ، فبينما هو

(١) تقدمت هذه القصة في أول الكتاب باختلاف يسير في اللفظ وفي بعض الرواة

كشف ابن
طولون جاسوساً
من نكته

سائر فإذا هو برقاص بعمل في دار فقال : اقبضوا عليه وامضوا به إلى الدار ، فقبض عليه ومضى به إلى الميدان^(١) .

فبقي جماعة أصحاب أحمد بن طولون في حيرة من ذلك ، لا يدرون على ما ينزلون أمر الرقاص . ولما عاد إلى داره أحضره وأحضر السياط والعقابين فاعترف أنه جاسوس للموفق ، وأنه أنفذ معه كتباً إلى جماعة من القواد ، قد أوصل بعضها وبقي بعضها ، وأنه عمل رقاصاً ليخفي أمره ، ويختلط بالناس ، ويسمع منهم الأخبار ، ويسأل عما يحتاج إليه ، فوكل به حتى مضى ، وأحضره ما بقي من الكتب ، فقبض على الجميع وأتى عليهم ، وأطلق الجاسوس وقال له : عدُّ إليه وعرفه أنا قد وقفنا ، والحمد لله ، على ما عمله ، ولم يضرنا الله جل اسمه به ، بل كشف لنا عن نيات أعدائنا ، فاستأصلنا شأفتهم ، بما مكنتنا الله عز وجل به فيهم . ووكل به حتى خرج من المریش .

فقال له طبارجي : أيها الأمير كيف علمت بهذا الرقاص ؟ فقال له : يا هذا إني لمحت تكته وهو يحمل قصريَّة الطين على كتفه [فرأيتها نكة] أرمني فقلت : رقاص بتكة أرمني لا يكون ، فعلمت أنه جاسوس ، فكان من أمره ما قد رأيتم .

(١) في الأصل : الدار ، وقد تكررت

راط ابن طولون
في اهلاك من
نالوا منه

وحدث أحمد بن محمد الكاتب ، و كان من عقلاء الناس وفهائهم ،
وكان فيه دين وخير كثير ، [قال] : أتاني رسول أحمد بن طولون ،
و [قد] مضى من الليل أكثره ، وأنا نائم في فراشي ، ففرع باي قرعاً
عنيقاً ، فأشرفت عليهم عيالي ، فإذا جماعة من العلما بالشمع والماخل ،
فراعهم ذلك وعرفوني فأشرفت عليهم ، فعلمت أنه لم يستدع حضوري
في ذلك الوقت لحير ، فأيست من الحياة ، فدخلت المستراح وانظرت ،
وقطيبت طيب من يفارق الدنيا ، ولبست ثياباً نظافاً ، وقلت :
تكون [مشيئة الله] وودعت أهلي ، وقد كثرت بكواؤهم وضجيجهم ،
ونزلت إليهم فركبت معهم ، فمضوا بي حتى دخلت إلى أحمد
ابن طولون .

فرايت قاعة الدار كلها شمعاً يتقد ، حتى خلت أنه نهار ،
وسرت فيها حتى بلغت المجلس الذي هو فيه ، وبين يديه شمعتان
عظيمتان ، في كل واحدة منها قنطار ، وهما بعيدتان منه ، فسلمت
وأنا أرعد خوفاً ، فرد علي السلام ، فسكن بذلك بعض روعي ،
واستدناي فدنوت . فقال لي : أنت غداً في دعوة فلان ، ومعك
في الدعوة فلان وفلان ، إلى أن أسى لي جميع من كان وقع
الاتفاق على حضوره ، فقلت : نعم أيد الله الأمير ، فقال لي :
امض واحذر أن يفونك شيء مما يجري حتى نبيته وتنصرف به
إلي تعرفيه . فقلت : السمع والطاعة لأمر الأمير أيد الله . فقال

لي : انصرف راشداً ، فانصرفت ، وقد حرت في أمري فقلت :
أبعد هذه السن أركب الآثام ، وما تنجح به الأحدثون ، أسى
يقوم بيني وبينهم مودة وعشرة وأخوة ، وأكون السبب في
قتلهم وإنلاف نعمهم ، إنا لله وإنا إليه راجعون .

ونأملت الحال فإذا بي إن خالفت أمره قتلني ، وأبتمت ولدي
وأرملت زوجتي . فعلت على تحمل ذلك ، ويعلم الله جل اسمه
كرهي له ، وأني غير مختار للمالا أثره ، وأني صابر على ضيق
الحال طلباً للصيانة ، وتجنباً للدخول فيما فيه المأثم ، ثم فكرت في
وقوفه على الدعوة وعلى حالها ، ومعرفة من يحضرها ، فازداد خوفي
منه وحذري ، وحيرتي في أمري ، وعدت إلى منزلي ، وقد بشوا
مني ، فلما رأوني نبأشروا بي ، وحمدوا الله عز وجل على ذلك ،
ورأوني قد رجعت إليهم من الآخرة ، وأنه جل اسمه قد تصدق
بي عليهم ، ووهبني لهم هبة جديدة .

فلما أصبحت ونعالي النهار ، جاءني رقعة صديقي صاحب الدعوة ،
يسألني أن أقدم الوقت في المصير إليه ، فعلت ، وأظهرت أن
بي عسر البول وأخذت معي مكتباً أكتب فيه كل ما يجري ،
وحضرت الجماعة التي أسماهم لي أحمد بن طولون ، فكنت كلما سمعت
شيئاً يجب أن أنبته أريهم أني أقوم إلى المستراح ، فإذا حصلت
فيه كتبت كل ما جرى ونهياً ، لما أحب الله عز وجل إمضاءه ،

أنه لم يكن للقوم مذ وقت حضورهم إلى وقت انصرافهم حديث
إلا ذكر أحمد بن طولون بكل قبيحة وعظيمة ، والابتهاال إلى
الله جل اسمه بالدعاء عليه ، وتمكين الموفق منه ، كل ذلك لأن
بعضهم من بعض والثقة بهم ، ولما في قلب كل واحد منهم منه .
فلم أزل أكتب كل ما يقوله واحد واحد ، وفي قلبي من ذلك
ما قد طلمه الله عز وجل ، إلى بعد العتمة

وانصرفت الجماعة ، وكنت أنا آخر من انصرف ، فجيئت
من تويي إلى أحمد بن طولون كما أمرني ، فأدخلت إليه فأصبت
على تلك الحال ، وهو كالمنتظر لي ، فلما سلمت ردّ عليّ السلام
وقال لي : الساعة انصرفت ؟ قلت : نعم أيها الأمير ، أنا آخر
من انصرف . فقال لي : جوّدت . هات ما معك ، فقلت : هو في
مكتب ، فإن أمر الأمير بنقله نقلته ، فأمر لي بدواة وياض ، فتنحيت
ناحية ، ونقلت جميعه في رقعة ، وقت فدفعتها إليه فقرأها ، فلما
استوفى قراءتها ، قال لي : بارك الله عليك ، خذ ما تحت المصلى^(١) ،
فددت يدي ، وأنا أرعد وأقدّر أنها أفعى ، قد أعدّها لي تضرب
يدي فتأتي على نفسي ، فأصبت رقعة فقال لي : اقرأها ، فقرأتها ،
فإذا فيها جميع ما كتبتّه ، ما غادرت منه حرفاً واحداً ، وإذا به
قد استظهر عليّ ، بأن جعل معي واحداً من القوم الذين كانوا معنا

(١) المصلى كملى : موضع الصلاة .

في الدعوة لا أعرفه ، فعرفت بعد ذلك أنه كان بعض أصحاب صديقي ، وأراد أحمد بن طولون [أن يعرف] أبنا أصدق وأنصح فيما يرويه له فكانت نسختنا واحدة ، فعدت الله جل اسمه ، إذ لم أَدع شيئاً قلّ ولا جلّ حتى كتبتّه ، ونقنت أني لو تركت شيئاً لاستحلّ قتلي . فلما قرأتها قال لي : دعها وامض مصاحباً ، وأمر لي بألف دينار فأخذتها وانصرفت ، وليس لي فِكر ولا عقل إلا في أصدقائي ، وما يكون منهم ، وما أتخوفه عليهم .

فلما كان من غدٍ ركبت إلى صديقي صاحب الدعوة لأعرف خبره ، فلما صرت إلى السكة التي يسكن فيها ، لم أرَ للدار التي كان فيها أثراً ، ورأيت موضعاً رحباً مكنوسة مرشوشة واسعة نظيفة ، لا أعرفها ولا رأيتها قط . وأقبلت أطلب الدار فلا أراها بوجه ولا سبب ، فتحيرت ووقفت أتأمل الرحبة والموضع ، فرآني بعض شيوخ الناحية فتقدم إليّ وقال لي : أراك أعزك الله متحيراً ، فقلت له : نعم ، أعزك الله ، أنا أطلب دار صديق وما أراها ، ولولا معرفتي بهذا الموضع لقلت غلطت موضعها ، فقد حرت من ذلك ، فأخذ بستان الجامي ، وقد مني ناحية وخلا بي ، وقال لي : امض يا حبيبي في حفظ الله ، فرحم الله صديقك ، فقد كان حسن المجاورة لنا ، وقاضياً لحوائجنا وحقوقنا . فقلت له : عرفني ما وقفت عليه لأعده وفرّج عني . فقال : أما خبره فما أدري كيف جرى ، إلا أنه سُعي به

إلى أحمد بن طولون ، وبجماعة كانوا عنده البارحة في دعوة ، فلما كان في أول الليل وافي إلى ها هنا أكثر من خمسمائة رقاد ، وأكثر من ثلثمائة بغل عليها المزابل^(٢) ، فأنزلت الدار إلى الأرض بأسرها ، ونقل جميعها إلى البحر^(٣) ، فما أصبح الصباح حتى صارت رجة كما ترى مكنوسة مرشوشة ، كأنه ما كانت ها هنا قط دار ، وغرق أصحابها والجماعة الذين كانوا معه عنده ، لأنه بلغني من جارٍ لبعضهم أن رُسل أحمد بن طولون كانوا يُخرجون واحداً من منزله فيغرق وتؤخذ نعمته بأسرها ، فاذهب في حفظ الله . فزاد غمي وقلقي ، وعظمت مصيبتني وحزني ، وما انتفعت بنفسي بعدهم .

وحدث^(٤) أحمد بن دعيم ، وكان من خاصة قواد أحمد بن طولون ، وكان حديثه لي بعد أن ترك الديوان ، وحسن انقطاعه إلى الله جل اسمه ، قال : قلدي أحمد بن طولون الصعيد الأوسط في وقت خروج عبد الرحمن العمري^(٥) عليه بالصعيد ، فكتب إليّ يستخبرني عما أقف

أمراني أراد أن
يلقى صاحبه
بماله ودمه

(١) الرقاد بالنتديد ورفيق البناء الذي يحمل تحت إشرافه على ما قال دوزي وفي القاموس المحيط للرهبان بالسكر الرق الأسفل من المناطق والطين الذي يبنى به الجبل بسفه على جنب والرهاس حاملة . والتاب أن الأولى محررة من الثانية

(٢) للزينة وتسم البلاء ملقى الزيل وموضه

(٣) ذكر البيروني أن نهر النيل يجر بالإضافة إلى خليج أو ساقية وليس يجر عند بحر الشام فاه بالإضافة إلى البحر المحيط خليج وقد يقع اسم الهم على نيل مصر بسبب أن أرض مصر كانت بجر أم نفس الماء منها بالانكباس وبقي فيها خلجان سبعة وذلك معروف في كتب الأوائل .

(٤) ذكر أحمد بن يوسف الكتاب هذه القصة في كتاب المكافأة بقوله : حدثني أحمد بن دعيم . ورواية البلوي أطول وأمتع (٥) (انظر ص ٦٤ من هذا الكتاب)

عليه من حاله ، فكتبت إليه أعرّفه ضعف يده ، وانتشار أمره ، وقلة المال . وقبضت على رئيس من رؤساء الأعراب اتهمته بكتابتته ، وأنهيت خبره إليه ، فكتب إليّ بأمرني بحمله إليه ، وابتياح ما قدرت عليه من الثَّجْب ، والشَّخْص [إليه] لأشرح له أمره مشافهة ، فامتثلتُ أمره ، فما مرت إلا مرحلة حتى لحقني وجوه تجار العسل ، ومعهم أعرابي شاب وقالوا لي : جنّاك في أمر هذا الأعرابي المحمول معك إلى الأمير ، أيده الله ، ومعنا من يبذل في إطلاقه خمسمائة دينار . فقلت لهم : قد أنهيت خبره إلى الأمير ، فقال الأعرابي الذي معهم : خذ الخمسمائة دينار واجعلي أنا مكانه ، وأطلقه فيحصل لك المال والرجل ، إذ " لا يعرف الأمير أيهما كتبت بذكره ، قلت : أفضل .

وكان الأعرابي المحمول من عشيرتي ، وكنت مغموماً بأمره ، إلا أنني لم أجد بدءاً من تعريف أحمد بن طولون ما كان منه ، لما كان في قلوب جماعتنا من الخوف منه ، فأحضرت الأعرابي وعرفته ماجرى ، وقات له : قد سرّني الله بخلاصك . فقال : بماذا ؟ فعرفته ماجرى . فقال : بأن تجعل هذا مكاني ، وتحمّله عوضاً مني ، ليجري عليه المكروه دوني ؟ والله لا كان هذا أبداً . ثم قال الأعرابي للشاب الأعرابي : امض لثأذك ، أحسن الله جزاءك ، وانتفت

إليّ فقال لي : يحسن بشيخ مثلي [أن] يتربّع^(١) في المعروف ؟ هذا رجل لقيته ، وقد اكبت عليه خيل^(٢) لتسلبه نفسه وما كان منه ، فطردتها عنه حتى تخلص ، فلما رأي في هذا الوقت وما نزل بي ، أراد أن يخلصني بمصولة في موضع إن سلمت روحه لا يخرج منه آخر الليالي ، ثم يفرّم مالا لعله ينقل عليه ويحجف به ، ليكون له الفضل عليّ ، والله لافعلت ، ثم أقبل إليه فقال : انصرف في حفظ الله ، فلن يضيع عندي فمك ، وقد حصلت لك قبلي مكرمة . فقلت له : قد قضيت يا أخي ما يجب عليك ، كثر الله في الناس مثلك ، فانصرف مصاحباً ، فقد وثق الرجل بالله عز وجل في أمره ، وهو جلّ اسمه يخلصه بحميل هذا الفعل .

فقال لي : لست أفعل ، وعزمت^(٣) على الأول في القبول منه وقلت له : فلست آخذ منه شيئاً وأعينه في خلاصك ، ولن أدع حالاً أبلغ بها خلاصه أيضاً إلا بلفت ، فامتنع وقال : والله لئن خالفتني وأخذته وحصلت بمحضرة الأمير لأعرفنه ، فاصرف الرجل ولا تعرضه للهلكة ، فبقيت قد تحيرت ودهشت من كرمها جميعاً . فقال له الشاب : إذا كان الأمر على هذا فما أصنع في عارفتك التي في عتي ؟ أنشدك الله إلا قبلت المال ، وأزالت عني العار ، فأنت

(١) تربّع طلب الربح وفي الأساس وهو يتربّع ويتربّع أي يطالب الأرباح ويتكسب

(٢) رواية المكافأة : نيل لتسلبه ثياباً .

(٣) عزم عليه أقسم عليه

تعلم أنه عار على الكريم أن يموت وعليه دين من ديون المعروف، فامتنع من قبول المال أيضاً وقال له: إذا رأيت رجلاً قد أحاطت به خيل تريد تسلبه فذنبها عنه، فإذا فعلت ذلك فقد كافأت عارفتي، انصرف في كلاءة الله عز وجل^(١)، فانصرف الأعرابي باكياً متأسفاً على ما قد فاته، مما بذله من نفسه وماله، ولم يزل يقبل رأس الأعرابي ويديه ورجليه ويبيكي ويُبْعول، ويسأله قبول المال وهو ممتنع من ذلك، حتى أبكى جماعتنا، فلما لم يجد فيه حيلة انصرف:

فلما دخلت إلى أحمد بن طولون وشافته بنجر العمري، وذكرت له منه ماسرة، وعرضت عليه النُجْبَ واستحسنها، قلت له: بقي أيها الأمير ما هو أحسن منها قال: ما هو؟ قلت: الأعرابي الذي كتبت بنجره إلى الأمير أبده الله، فأمرت بأشخاصه قال: نعم، وما الذي فعل، وأردت بقولك إنه أحسن مما جئتنا به؟ قلت: كان من خبره كذا وكذا، وشرحت له جميع ما جرى من أوله إلى آخره، وخبر المال الذي بذل لي، ومشورتي عليه بأن يفعل، وصدقته عن جميعه، فأعجبه صدقي، واستحسن فعلهما، وأمرني بإحضار الأعرابي، فأحضرتة. فلما رآه قال له: يا أعرابي قد كنا عزمنا في أمرك على ما يسوؤك ولا يسرك، حتى وقفنا على ما جرى بينك وبين من أراد مكافأتك على جميلك عنده، وقد فتنا عن ذلك الأعرابي

(١) وردت هذه الجملة في كتاب المكافأة كما يلي: إذا رأيت رجلاً أحاطت به خيل فزيع إليه فذنبها عنه قد كافأت عارفتي، انصرف مصاحباً.

بحق عارفتك عنده بإطلاق سبيلك والإحسان إليك . وأمر أن
يخلع عليه ، وأثبتته في ديوانه ، وأسنى له الرزق . وأمرني بإيفاد رسول
قاصد في حمل ذلك الأعرابي إليه ففعلت ، فلما وافى أدخلته إليه ، فقال
له : كثر الله في الناس مثلك يا أعرابي ، وقد قنا عنك بحق عارفتك ،
بما أتيناك في أمر صاحبك ، وبك نجاة الله عز وجل وبجميل فعلك من
مكروهننا ، وأمر فخلع عليه وأثبتته في ديوانه وأجرى له رزقاً
واسعاً . ولم يزل في خاصته ولا يُخلِجها في كل عيد من صلة واسعة
إلى أن مات .

وحدث نسيم الخادم^(١) قال : كان مولاي براعي أمر المحبوس حتى
تمضي له سنة فإذا جازها نسيه ولم يذكره . وكان يقول لي سرّاً : إذا
تبيئت من رجل براءة ساحتها ، فسهل على أمره واستأمر في فيه ، فأني
استعمل التشديد للضرورة ، والقلوب بيد الله عز وجل .

صدق سجين بما
بإخلاصه

قال نسيم : فقال لي موسى بن صالح ، وكان من الثقات عنده ،
وكان على الشرطتين جميعاً : إن في الحبس رجلاً قد زاد على سنتين ،
وهو منقطع إلى الله عز وجل ، لا يسألنا شيئاً من أمره ، وقد
أكبّ على العبادة ، وقد جرى في أمره شيء ، وهو ذا أشرحه لك
فيما بيني وبينك ، اثقتي بك وبدينك ومحبتك للخير ، ولا تستعين بك

(١) في المسكاة : وحدثني موسى بن مصابح المعروف بأبي مصابح ، وكان هذا من الثقات
عند أحد من ضلّول ، أن أحد كاد براعي أمر المحبوس

في أمره ، حتى يخلصه الله عز وجل على يديك ، فيحصل لك بذلك ثواب من الله الكريم جزيل . قلت له : قل . فقال لي : لما رأيت هذا الرجل على هذه الحال قلت له : يا هذا إن الناس يضطربون في أمرهم ، ويسألون الخلاص مما يقاسونه . بكتب رقعة بشفاة من بعثني بأمرهم ، وأراك خارجاً عن جملتهم ، فجزأني خيراً .

فرق له قلبي وكبر في نفسي فخلوت به وقلت له : إني لو استجزت إطلاقك بغير إذن لقلت ، ولكن استمن في أمرك بمن يضطرب^(١) في خلاصك ، فقال لي : ما أعرف في هذا البلد غير أبي طالب الخليج^(٢) ولو تهاى الاجتماع معه لحاطبته بما لا تبلغه الرسالة ، قلت له : والله لأخاطرن فيك بنفسي ، أنا أطلقك سرّاً ، على أن توثقني بأيمان محرّجة أنك تعود إليّ ولا تخفني^(٣) ، فقال لي : إذا كنت عندك بمنزلة من تشك فيه حتى تثوثن منه يمين ، فلا حاجة لي في إطلاقك إياي . قلت : والله لا استحلقتك ثقة بك ، فامض في حفظ الله ، وأحكم معه ما تريد .

وكان ذلك ليلة الجمعة ، وفارقتني على أن يصير إليّ محبسه ليلة الاثنين ، فلما كان في سحر يوم السبت وافاني لما فتحت السجن .

(١) يتحرك

(٢) زاد في المسكافة هذه البارة « وكان هذا الرجل يتولى شرطتي أحمد بن طولون بصر »

(٣) أخفرت الرجل اذا قضت عهده وذمامه وخرقته أجرته وحفظته .

فلما دخل حمد الله جل وعز وأثنى عليه ، وسجد شكراً له جل اسمه .
ثم قال لي ، وقد حرتُ من أمره ، بعثت إلى أبي طالب الخليج
امرأة من أهلنا فهمة ، وطويت عنه إطلاقي ، وسألته أن يلطف ،
في أمري فوعد بذلك ، وقال : أدخل إلى الأمير وأسأله في أمره ،
فاجلسي إلي أن أعود إليك أعرفك ما يجري ، وأرجو أن يمن
الله الكريم بإطلاقه .

وركب عشية الجمعة أمس فأقام عند الأمير إلى قريب من العتمة
وانصرفت إليّ المرأة فقالت : وافى أبو طالب وهو مغموم فقال لي :
كلت الأمير في أمره فقال لي : لقد أذكرتني رجلاً يحتاج إلى عقوبة ،
ثم تقدم إلى رجل من أصحابه في المصير به إليه في غدٍ عند جلوسه
اليوم ، وقال للمرأة : قولي له ارجع يا أخي إلى الله عز وجل ، فليتني
ما تكلمت في أمرك ، وطال عليّ بقية ليلي ، فلقاً بأمرك أن يجيشك رسول
في إحضاري ، فبكرت إليك في هذا الوقت ، خوفاً من حال تلحقك
فتغني فيك ، ورأيت والله جميع ما يوعدي به من المكروه أسهل
عليّ من أن أخفرك وأبطل ظنك .

فما استوفى كلامه حتى وافاني رسول الأمير ، فتسلمه مني ومضى به
إليه فلحقته ، فرأيت الأمير وقد شغل الساعة عنه . فقال : أنا أسألك أن
تدخل الساعة إليه من قبل أن يفرغ شغلته ، فتدعوه به حتى تشرح له
قصته وتسأله في أمره ، فبادرت معه ودخلنا إلى مولاي ، وإذ به قد دعا

بالرجل وهو بين يديه، وقد ذكر له جنابته فاعترف بها واعتذر إليهمها
عذراً قبله منه . فتأملناه فإذا به قد لحقته عليه رقة ورحمة ورأفة ،
ضد ما قدرناه فيه ، فعلمنا أن العناية من الله جل اسمه قد سبقت
عنايتنا ، فغنيينا عن سؤاله في أمره وأمر بإطلاقه وأمر له بجائزة

قال نسيم : ثم قال لي مولاي : تسلمه بانسليم مكرماً . فأخذته الي
وقد لحقني من السرور بإطلاقه ما علمه الله جل اسمه ، وكذلك موسى
ابن صالح ، فوصلته بدنانير كثيرة سوى ما وصل إليه من مولاي ،
وصرفته مع موسى بن صالح ، لأنه اختار انصرافه معه ليبلغ أيضاً في
أمره ما يحبه ، مما توصل به المثوبة من الله جل ثناؤه .

فلما خلوت بمولاي حدثته بقصته من أولها إلى آخرها ، فأحضر
موسى بن صالح وقال له : لله درك فيما أنبتته في أمر الرجل ،
فأحضرني ، فأحضرته ، فلما رآه أكرمه وأدنى مجلسه ، وجعله أخص
أصحابه عنده . ولم يزل يواصله بيده إلى أن مات مولاي رحمه الله .

وحدث نسيم الخادم^(١) قال : حبس مولاي يوسف بن إبراهيم
في موضع في داره لشيء أنكره منه ، وكان إذا حبس رجلاً
في داره أيس منه . وكان ليوسف بن إبراهيم على جماعة من أهل
الستر معروف كبير وتحمل لمؤثمهم . فاجتمعوا وكانوا نحواً من مائة

(١) في السكافة : وحدتنا أحمد بن يوسف قال : حبس أحمد بن طولون يوسف بن إبراهيم الخ

رجل^(١) ، لكل رجل منهم محل في نفسه وقديمه وستره ودينه ، ووافقوا إلى باب الجبل ، فاستأذنوا على أحمد بن طولون ، فأذن لهم فدخلوا إليه ، وعنده محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، وجماعة من شيوخ البلد .

فابتدأوا الكلام بعد السلام بأن قالوا : قد اتفق لنا أيد الله الأمير من حضور هذه الجماعة مجلسه ما رجونا أن يكون ذريعة لنا إلى ما نأمله ، ونحن نرغب إلى مولاي الأمير ، أيد الله ، في أن يسألنا عنا ليقف على منازلنا ، فسألهم عنهم فقالوا : نعرفهم بالستر والصيانة والدين والقديم النبيل ، وقد عرضت على جماعة منهم العدالة فامتنع صيانة وتواضعاً .

فأمرهم بالجلوس فلما جلسوا سألم تعريفه ما قصدوا له فقالوا : ليس لنا أن نسأل الأمير ، أيد الله ، مخالفة ما آثره في يوسف بن إبراهيم لأنه أهدى إلى الصواب فيه ، لكننا نسأله ، أيد الله ، أن يُقدّمنا قبله فيما لعله قد اعتزم عليه في أمره من قتل أو مكروه ، وهو في حلٍ وسعة وأن يفعل في أمره بعد ذلك ما أحب . وقد قضينا حتى عارفته عندنا ، وكافيتنا معروفه لدينا ، بتحمل المكروه فيه ، كما كان يبادر بمعرفه إلينا . فقال لهم : وكيف ذلك ؟ فقالوا : ما أحوجنا أن نفكر معه في شيء نبتاعه لسنتنا من مؤونة وكسوة ، وقليل وكثير ، ولا وقفنا بباب غيره لما غنينا به عن سواه ، وما نوثر ، أيد الله الأمير ،

(١) في المسكأة: وكانوا زهاء ثلاثين رجلاً

البقاء بعده ، ولا السلامة من شيء قد وقع فيه . وتعجبا بالبكاء بين يديه ، فبكت الجماعة الحضور لبكائهم ، ورق قلب أحد بن طولون حتى تدمع^(١) معهم وقال لهم : بارك الله عليكم وأحسن جزاءكم قد كفأتم إحسانه إليكم ، وجلزتم إفضاله عليكم . ثم قال : يوسف ابن إبراهيم ، فأحضر ، فقال لهم : خذوا يد صاحبكم وانصرفوا به معكم ، فقد وهبت جنابته لكم ، فأخذوا يده وخرجوا من عنده ، شاكرين داعين إلى الله جل اسمه في إطالة بقائه ودوام عزه .

ولم يزوالا حول يوسف بن إبراهيم حتى أوصلوه إلى داره ، فشكر لهم فعلهم ، وانصرفوا فرحين بما سهله الله بكرمه لهم من المحنة في أمره . وكان ذلك سبب رضا أحمد بن طولون عن يوسف بن إبراهيم^(٢)

(١) لا تذكروهم في العاجل إلا التروية بيمينه اما تمسح وحدها ظم ترعلينا وقد تكررت في هذا الكتاب
(٢) يوسف بن إبراهيم هذا هو والد أحمد بن يوسف الكاتب المعروف بابن الداية ، وحيد عصره في العلم والبلغة وصاحب كتاب المكافأة ، وحدث لأحمد بن يوسف مع أحمد بن طولون يوم وفاة والده قصة ذكرها في كتابه هذا نصها : وبت أحمد بن طولون في الساعة التي توفي فيها يوسف بن إبراهيم والذي بنجدم ، فنجسوا الدار ، وطلبوا بكتبه ، مقدّرين أن يجدها فيها كتابا بمن ينداد . فصلوا هندوتين وقبضوا عليّ وعلى أخي ، وصاروا بنا إلى داره ، وأدخلنا إليه وهو فيها جالس وبين يديه رجل من أشراف الطالبيين . فأمر بفتح أحد الصندوقين وأدخل خادم يده فوقع على دفتر جرايات على الأشراف وغيرهم . فأخذ الدفتر بيده ، وصفحه ، وكان جيد الاستخراج ، فوجد اسم الطالبي في الجراية ، وقال له وأنا أسع : كانت عليك جراية يوسف بن إبراهيم ؟ قال له : نعم ، أيها الأمير دخلت هذا البلد وأنا مملق فأجرى عليّ في كل سنة مائتي دينار ومائتي أردب قع أسوة ابني الأرقط والقيقي وغيرهما . ثم امتلأت يداي بطول الأمير فاستنيت منها . قال له : نندتك الله ان ظفرت سبأ لي رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وندم الطالبي . قال أحمد بن طولون : يرسم الله يوسف بن إبراهيم . ثم قال لنا : انصرفوا إلى منازلكم لا بأس عليكم ، فأضربنا ظفنا حازة والدنا ، وحضرنا الطوي وقد أحسن مكافأة والدنا في تخليبه .

قاضي رجل عن
مقابلة المعروف
وما عمله همه

قال مؤلف هذا الكتاب : اتصل بأحمد بن طولون عن القاسم بن
شعبة شي أسكره منه ، فقبض عليه وحبسه في داره ، ووكل به من
يمنع أحداً بدخل إليه ، فلا يخرج من عنده إلا غلام يقضي من حوائجه
وحوائج حرمه مالا بدمنه في منزله ، ولم يمتنه بجبس في مطبق ولا غيره ،
وتركه في داره موكلاً به ، وكان ذلك من جميل أفعال أحمد بن
طولون محافظةً لأبيه . وكان يصحبه ويتقلب في نعمته رجل يعرف بابن
أخت بن الزنق ، وكان له عم من الشيوخ الأولين الذين فهم السلامة
والدين . فلما قبض عليه أحمد بن طولون فزع ابن أخت بن الزنق من
مكروه بلحقه من أحمد بن طولون ، وخافه وانقطع عنه ، فبلغ عمه
ذلك فأنكره عليه ، وحثه على المضي إليه ، والتوصل إلى قضاء حاجة
إن كانت له . فاحتج بأنه لا يصل إليه لمنع الموكلين أن يجيئه ، فقال
له [لأن] يقف على مصيرك إليه ومنهمك أحسن من وقوفه على انقطاعك
عنه فقال له : أنا أخاف من مكروه بلحقني فقال له : كما كنت يا بني
نتقلب في نعمته ، تصبر على ما يلحقك في محنته ، فلا تفضحننا بالقعود
عن رجل أحسن إليك ، فلم تكفئه على جميله عندك ، فقال له :
ما أفسر على ذلك . فلما أيس منه قال له : قبحك الله سرقتم معروف
الرجل ، وتركته يقارع محنته . فلم ينجع فيه قوله .

وركب الشيخ حمارة ، وصار إلى دار القاسم بن شعبة ، وجيرانه
بناشدونه الله أن لا يتعرض لأحمد بن طولون فلم يقبل ، وقال : والله

لا تحملت عاراً حمله هذا الرجل الجاهل التبيح الفعل . فلما وقف
بباب القاسم بن شعبة ، وطبها الموكلون ، وقوم من أصحاب الأخبار ،
سلم عليهم ، فقال : كيف حال القائد أبي محمد أيده الله ؟ فقالوا
له : اهض يا شيخ في حفظ الله . فقال : ما أمضي حتى أقضي من
حقه ما يلزمني ، إذ كان قد بعد عنه من يلزمه أمره ، ممن كان في
جلته من أهلي .

فرُفِع خبره إلى أحمد بن طولون فأحضره فقال له : ما كنت
يا شيخ تعمله للقاسم بن شعبة ؟ فقال : والله ما عملت له قط عملاً ،
ولا تصرفت له في حال من الأحوال ، ولا دخلت له داراً ،
ولا سلمت عليه قط ، ولا أعرفه ولا يعرفني ، ولكنه أولاني جيلاني
بعض أقاربي ، فتوقف عن معاصدته في محنته ، وقضاء حقه على ما أولاه ،
توقياً وخوفاً ، فلم تطق نفسي الصبر على ترك مكافأة جيله عنه ،
فانتصبت الساعة لذلك . وال أمير أيده الله أحق وأولى بحسن مكافأة
أبيه فيه ، والصفح له عن ابنه في غلطة إن كان غلطها ، أو زلة إن
كان زلماً ، فقد كان أبوه مشهوراً بحسن الموالاة للأمير أيده الله ،
حيل النصح له طول حياته . فقال أحمد بن طولون : يا شيخ ما في
هذا المجلس أحد يقول فيما اهتديت إليه من إذكارك إياي حق
أبيه ، ولعمري إنه ليقضي عطفي على ولده ، وصفحي عن زلله ، والتجاوز
له عن خطائه ، فأحسن الله جزاءك يا شيخ على جيل فطرك ،

و كثر في الناس مثلك ، فقد نهيتني على قضاء حق أبيه رحمه الله .
ثم أمر بأحضاره ، فلما حضر خلع عليه خلع الرضا وأجازته ، وردته
إلى منزله التي كانت عنده . وقال للشيخ : تسلّمه يا شيخ بارك الله
عليك ، وأحسن إليك ، فسبقه الشيخ إلى داره فنزلها ، ولم يمض إلى
منزله ولم يدخل داره معه ، وحرص به واجتهد فما فعل ، وقال له :
إنما أردت قضاء حقك والقيام فيه بما قعد عنه ابن أخي خوفاً
وجزعاً من الأمير أیده الله ، فله الحمد على ما سهله لي من ذلك ويسره ،
وأستودعك الله ، وانصرف إلى منزله . فلما كان من غدٍ ركب إليه
القاسم بن شعبة يشكر فعله ، وداد إلى أفضل ما كان عليه لابن أخيه
إكراماً للشيخ على ما أتاه في أمره .

رجل سمى بأبيه
لفظه ابن طولون

وحدث نسيم الخادم قال : صار إليّ ثابت بن سليمان - وكان
سليمان هذا يكتب لشقير الخادم ، ثم خدم بعد مولاي - ومعه
رقعة وسألني أن أوصلها إلى مولاي ، فأخذتها منه وقرأتها ، فإذا فيها
يذكر أن شقيراً الخادم أودع أباه أربعمائة ألف دينار . فأوصلتها
إلى مولاي ، وعجبت من سمائه بأبيه ، فلما قرأها استحضره وقال
له : قد قرأت رقعتك ، فالأمر على ما ذكرته من حصول المال عند
أبيك ؟ قال : نعم ، أيد الله الأمير ، وإنما خشيت أن تمتد يد أخي
إليه ، ويتصل خبره بالأمير بعد وقت ، فإلحقني مكرهه ، فقال له :

أمسك الآن عن هذا ، واطوئه عن الناس كلهم ، ولا يعلم أبوك بجيشك إليّ ، حتى أدبر الأمر في ذلك فيما أراه فيه ، وانصرف مكلواً . قال نسيم : فكثير تعجبي من إمساك مولاي عن هذه الجملة العظيمة التي لا يفعل عن مثلها .

فلما مضت سنة مات سليمان فأظهر مولاي غمأ به ، وتفجعاً عليه ، ثم دعا بابنه الرافع لتلك الرقعة ، فردَّ إليه ما كان في يده من أملاكه ، وضمَّ إليه من الرجال من تقوى بهم يده ، وتر كمشراً ثم دعا به يوماً ، وأنا قائم بين يديه ، فقال له : كيف حالُ مُحَنِّفِي أَيْكَ مَعَكَ بَعْدَ أَيْكَ ؟ فقال : الحالُ صالحة ، وما أدعُ حالاً تُؤدِّي إلى مصلحتهم إلا بلفتها ، بقاء الأمير أيده الله . وقد أعزَّ الله جلَّ اسمه جانبي به أدام الله عزه ، فقال له : احمل إليّ تلك الأربعمائة ألف دينار التي لشتمير الحادم عندكم ، فتلجج ولم يمكنه أن يردَّ جواباً ، فأمرني بتسليمه إلى أحمد ابن إسماعيل بن عمار ، وأن أمره بطلبته بها بالسوط ، فامتثلت ذلك وطالبه فبلَّغ^(١) فضربه خمسمائة^(٢) سوط ، وأخذ جميع ملكه وما خلفه أبوه ، فلم يوجد عنده بعض ما تقوله على أبيه ، فأعاد مطالبته ثانية ، وضربه فمات تحت الضرب ، فحرف مولاي خبره فقال : ذلك أردت لسمايته كانت بأبيه - رحمه الله - إليّ ، فلارحمه الله^(٣)

(١) بلغ بشديد الام : جدد (٢) في المكافأة : خمسين سوطاً

(٣) في المكافأة بعد ذكر هذه القصة ما يأتي : قال (أي نسيم الحادم) ضجبت من هلاكه بهذا المقدار من الضرب ، فأخبرت أن هذا الضرب كان يستبرئ القوادس من النساء في وفور حاله -

أخبار العباس بن أحمد بن طولون

مخرج العباس
على أبيه

قال مؤلف هذا الكتاب: لما ضبط أحمد بن طولون أطراف عمله،
بلولوا غلامه وابن جيقويه، ومن ضم إليهما من الرجال، أغذت
السير من الثغر إلى انقسطاط ليبادر أمر العباس ابنه. وكان سبب
خروج العباس إلى الغرب حقه وتقصه، وإنما قدمه أبوه على سائر ولده
لكبر سنه، ولأنه كان أحظاهم عنده، وهو الذي كان له فيه من هوى
الأبوة. ومن الناس من يعنى عن حظ نفسه، ويعيب ولده لخواه فيه،
وإن كان أبوه حازماً لا يظعن عليه، لكنه كما قال الشاعر:

ويُسي بالاحسان ظناً لا كمن هو بابنه وبشعره مفتون

فخانه أمه فيه وأتاه من المقدور ما ليس في خلدّه، وهذا للصغر
الدنيا عند الله عز وجل، ولتذرة محلها، ولينبه أولي الألباب على
مقدارها، وأنها لا تدوم لأحد ولا تصفوه، وإن حسن تديبه،
وصح تمييزه، وقيل هو واحد زمانه.

ولم يزل أحمد بن طولون كذلك مستقيمة أموره كلها، مصححة
أمازيه، يعطى سؤله وإرادته، حتى بلغ الكتاب أجله، فكان أول

— فزارته امرأة كانت ريطة لجلاد بالسوط، ودلم الجلاء بذلك فبكر إليه، ووقف له حتى إذا
خرج، انكب على فخذه وقبله، ثم قال: يا سيدي قد انكأ الله مسأتي، بما بسطه من الرزق
عليك، وظاهره من الاحسان لديك. وكانت مهجتي عندك البارحة، فإن رأيت ان تهبها لي
فكسها عوض، وليس لي عنها سدرل، فصاح في وجهه، واسر باجاده، فلما نبت بالفتاين تقدم
الجلاد فضربه ضرب القتل فأق على نفسه.

انحلال أمره ، وعكس قصته ، وتنقص الأمور عنه ، أمر العباس :
ابنه ، فانه مكست العين عليه من آمن سبلها وأعذب شربها ، وذلك
ولده وقررة عينه ، وأحب الأشياء كلها إلى قلبه ، والمؤمل لسد
مكانه ، و [أن] ينوب منابه فكان كما قال الشاعر :

أُنيت في أمرِي من مَأْمَنِي ولم أكنُ فيه بِمِرْتَابِ
وقد يُوفِّي ويلقَى الرّدى محترسٌ من ضعف أسبابِ

وذلك أنه اشتملت على العباس ابنه طائفة سوء من صنوف
شتى ، فمنهم قواد استخلصهم ، واستحجب كثيراً منهم ، كانوا يخافون
أباه ويحسدونه بالنعمة عليه ، ويتمنون تلفها وزوالها ، ودخول النقص
عليها ، من أي وجه تها له ، فأشاروا على العباس بالخلاف على أبيه
والانحراف عنه . واتفق لهم أنه أرجف بموته ، لما طالت غيبته
بالثغور والشامات .

منهم علي بن ماجور^(١) وعبد الله بن طغيا وأحمد بن صالح الرشيدي ،
وأحمد بن اتقاسم بن أسلم ، و [جعفر] بن حدار^(٢) الكاتب ، وكل هؤلاء
كان لأحمد بن طولون عنده النعمة الجزيلة ، والإحسان التام ،

(١) في قضاء مصر وولائها : علي بن عمرو ، وفي ابن الداية : علي بن الحزور .

(٢) استقلت المصادر فيها ابن حدار بالميم ومنها ابن حدار بالماء ومنها ابن حدار بالماء ومنها

ابن جرير [انظر هامش ص ١٧٧ من هذا الكتاب]

والأشياء الخطيرة ، إلا أن الحاسد لا دواء له ، ولا يقعه إلا أن يأتي على نفس من يحسده .

ومنهم طائفة أخرى مذهبهم النحو والغريب وعلم النجوم والشعر ومايجري مجراه . وانضاف إليهم جعفر بن عبد الله ، وأحمد بن [المؤمل] المعروف بأبي معشر ، ومحمد بن أزهر " المعروف بالمتوفى . وكل هؤلاء حسنوا له التغلب على مصر ، والفتك بأحمد بن محمد الواسطي .

منزلة الواسطي
من ابن طولون
وما عمل العباس
لاهلكه

وكان العباس ممتلى القلب من هبة أبيه ، وكل من أشار عليه لا علم له بسياسة جيش ، ولا تدبير أمر . فرام العباس أن يظهر التغلب من مصر فتمعه الواسطي ، وخاف دخول الخلل في الأعمال ، وكان أبوه أمره قبل خروجه إلى الشام ، واستخلافه إياه في البلد ، ألا يتجاوز ما يُشير عليه به الواسطي وقال له : يا بني إن الواسطي قد عمه أمري ، وعرف ما يصلحه ، فأقبل عليه ، وفوض الأمر إليه ، وتضايفرا على ما يحسن معه الأثر فيما أنتما بسديله . وكانت هذه الطائفة تزري^(١) على الواسطي عند العباس ، وتقع فيه ، وتوحش بينه وبينه ، ويحكمون عنه أن ألفاظه عامية ، وأنه يغلط في كتبه ، ويكثر اللحن فيها - وكان العباس أديباً حسن الأدب ، إلا أن الكمال لله عز وجل -

(١) في ابن الداية والسكدي : سهل عدل أزهر

(٢) تزري عليه : تيب

وقالوا فيه من هذا المعنى ما لا يضع منه ولا يعكس فيه ، لفضله وعقله ،
لولا عى قلب العباس وقلب من أشار عليه . أليس البلد في يده ، وأمره
نافذ فيه ، وفيما يرده من مال وغيره ، متمكن منه مبدول له ؟ ولكن
نعوذ بالله من الخذلان .

وكتب الواسطي إلى أحمد بن طولون كتباً بخطه ، يذكر فيها
ما يلحقه من سوء اعتراض العباس ، ومنعه له من استيفاء الرسوم
السلطانية بمصر ، وأنه مقبوض اليد . ويذكر الطائفة التي استولت
عليه ، وتخطيها في البلد إلى ما ليس من عملها . وكان محبوب بن رجاء
عدو الواسطي ، فكان كلما ورد من الواسطي كتاب إلى أحمد بن
طولون ينفذه إليه ، لموضع كتابته لأحمد بن طولون ، وأخذ كل
كتاب يرد عليه ، وكتب عنه بما يأمره به ، فكان ذلك مما يزيد في
غيط العباس على الواسطي ويجده له .

ولج العباس وجده فيما اعتزم عليه ، فلخوف الواسطي من سوء
العاقبة ، قال له بما جعله له أبوه من اليد في البلد : إن أضربت أيها
الأمير ، عما قد حمت عليه ، وإلا منعتك منه . فأجاب العباس يجواب
قيح . وخاف الواسطي تأنيب أبيه في ستر الأمر عنه ، وأن يلزمه أحمد
ابن طولون الذنب فيما يأتيه العباس ، فكتب إليه يشرح له القصة ، ولم
يستر عنه منها شيئاً ، وبذكر أن جيلته تعجز عن منعه . فأجابه
بوصيه بالمدارة له إلى موافاته ، فاستعمل معه ذلك حتى زاد أمره ،

وعجز عن مداراته ، فاستتر في داره ، ولم يحتمل الامتحان . فركب إليه العباس وهجم عليه وأخرجه مكرهاً ، ووجد عنده الأجوبة من أبيه عن كتبه كانت إليه في أمرها ، فأخذها فلما وقف عليها اشتد خوفه من أبيه ، وساء ظنه به ، فقيد الواسطي وأمين الأسود ، وكان من غلمان أبيه وثقاته ، لأنه أشار عليه بما يشير به الناصح .

مخرج العباس
على أبيه إلى بركة

وأظهر العباس لما قوي في نفسه الخوف من أبيه أنه يريد الخروج إلى الإسكندرية ، فقال له محمد بن أبان ونظراؤه من قواد أبيه : ما يصنع الأمير بالإسكندرية؟ فقال : بلغني أن الروم تطرقها وأحب أن ألقاهم ، لعل الله جل اسمه أن يظفر في بهم . فقالوا له : بعضنا يكفيك هذا ، والصواب ألا تفارق [ما جعلك] الأمير أيده الله عليه ، والمرتبة التي رتبك فيها ، فأنت أيها الأمير العوض منه ، ومقامه في دار مملكته ، فلم يصنع إلى قولهم ، واستخلف أخاه ربيعة على البلد وخرج ، وكتب هؤلاء القواد إلى أبيه يبئنون بينهم وبينه عذراً ، ويعرفونه أنه قد غلبهم على رأيهم ، ولم يتبأ لهم منعه إلا على سبيل النصح ، لقوة يده وما مكنه منه الأمير .

وأخذ العباس كل ما تبأ له من المال والمتاع والسلاح والكرراع ، وأخذ معه الواسطي وأمين الأسود مقيدين وخرج ، فلما صار إلى الإسكندرية أقام بها أياماً ثم تجاوزها إلى بركة .

ما أخذه العباس
من مال مصر
ورجأها

ووافى أحمد بن طولون إلى مصر فوجده قد أخذ من المال التي ألف دينار ، ولم يقنعه ذلك حتى استسلف من التجار ثلاثمائة ألف دينار ، وأمر صاحب الخراج أن يضمها لهم ويكتب لهم بها على العاملين . ففعل ذلك خوفاً منه . وأحضر أحمد بن طولون أباً أيوب وقال له : لم يقنعتك [ما أخذ] من المال حتى استسلفت له من التجار ثلاثمائة ألف دينار . فقال له : خفته ، ولم يكن لي به طاقة ، فلم يقبل ذلك منه ، وألزمه غرمها للتجار من ماله ، فبلغ ذلك منه مبلغاً كشفه وأضر به ، فشكا ذلك إليه فقال له : هذا جزء من عاون عدوي ، وغوى يده بجالي ، فلما انكشف له ما لحقه من ذلك ، علم أنه لو منعه لأجرى عليه المكروه ، فأزال ذلك عنه ، وقبل عذره .

قال : وسعى إليه في ذلك الوقت المعروف بأبي مقاتل ابن أبي ثابت بأبيه لما رأى انحراف أبيه عنه ، وبأخيه المعروف بأبي حفص لتقديم أبيه أخاه عليه فحفظ عليه سعيته بأبيه فقبض عليه وعلى أخيه جميعاً وضربهما بالسوط فماتا ، فأخذ ما كان لهما ، وعطفه ذلك على أبيهما .

استرضاء ابن
طولون ابنه
ولإرسال وفد إليه

قال : وراسل أحمد بن طولون العباس ابنه والطف به ، وأنفذ إليه أبا بكر بن بكار بن قتيبة والصابوني القاضيين وأبا محمد معمر الجوهري وزياردا المحدثي مولى أشهب ، وكان فصيح اللسان ، حسن العبارة ، قوي الفهم . وأمرهم بلائنته وملاطفته ، ووعدته في كتابه

الصفح عما جناه ، وألا يسوءه بمكرهه . وحلف له على ذلك بأيمان
مفظة ، وخرجوا ، فلما وصلوا إليه رحب بهم وأكرمهم ورفع مجلسهم ،
فابتدأ زياد المَعَدِّي فقال : يا سيدي ، سيدنا الأمير أيدى الله بقرأ عليك
السلام ، ويقول لك : يا أقرب الناس إليّ ، وأبرّهم لديّ ، وأعزّم
عليّ ، خفرت ظني بك [أقوى ما كان] أملي فيك ، وأرجى ما كنت
لك ، عن غير إساءة كانت مني إليك ، ولا خطيئة ركبها فيك ،
ولم ترع حسن تربيته لك ، وعظم إشفائي عليك ، وأني رشحتك أنزلتي ،
وقدرت بك حياة ذكري ، وصيانة شملي ، فأرضيت عدوي ،
وأسخطت وليي ، أيا سبحان الله ! أما تخاف العقوبة في العموق ، وقانيها
الله جل اسمه فيك ، وثمره المجازاة على الإساءة ، صرفها الله بكرمه
عنك ؟ فإن رجعت إليّ ، فكأنك لم تذنّب ، وإن تمادى بك الاغترار
شخصت إليك بنفسي ، ولم أكن بأول من خسر سعيه ، وأخلف
تقديره . وبكى زياد وبكى معه من حضر ، فندم العباس ، وبلغ
قوله من قلبه .

فذكر زياد أنه انصرف مع الجماعة إلى دور قد أعدت لهم ، وفرّق
فيما بينهم ، وما يتجاله شك في أنه يرجع معهم إلى أبيه ، لما تبينه منه
من انطافه ، وبلغ كلامه من قلبه . فخلت به تلك الطائفة التي أغوته
حتى خرج ، لحوقها من أبيه ، فثنته عن انطافه . وقال له ابن حدار
الكتّاب : الله الله فينا وفي نفسك ، انظر لنا ولك ، فأنت تعرف أباك

وغدره ، فارحمنا وارحم نفسك . ، فأنت تعرف طبع أهلك وشدة
غدره ، فإنه يرى أن في استئصال شأنتك ، ونقطيع قلبه عليك
فيما يأتيه من أمرك وأمرنا بمدك ، بالسياسة وتوطيد المملكة توجه ،
فخف الله فينا وفيك .

وكان كلام زياد له يشبه معنى ما كتبه [به] أبوه ، وكان فيما ذكره
في كتابه بعد دعاء الصدر : وراجع بك إلى الحال التي يحصل لك
عاجلها ، ويتوفر عليك ثواب آجلها ، ولا حرمك ثواب برّي وطاعتي ،
وصرف عنك وزر عقوبي ومعصيتي . ثم قال له فيه : أحين فقات النعمة
فيك أعين الأعداء ، وبلغت الغاية انقصوى من سرور الأولياء ،
وبلغت السن التي يكون معها انتفاع الوالد بولده ، واستحكمت تقني
بك ، وحسن ظني بالأيام فيك ، واستكفيت على كفايتك وعنايتك
عني ، أنبت ما لا يحسن بك ، ولا يجمل بمثلك ، أستكفي الله جل اسمه
مؤونة من حماك على ذلك ، وغلبك على رأيك ، فقد سعى في دينك
بما نلته ، وعيشك بما كدره ، ودنياك بما نقصها ، وآخرتك بما أفدها ،
ومروءتك بما أزرى بها ، ونعم الله عز وجل عليك بما بدعو إلى تبديلها
وما أنا بأيس من أن يثيبه على عظيم ما ركبه منك ، وجليل ما جناه
عليك في تضييعك حتى ، وما ألبسك من ثوب معصيتي ، وعرضك
إليه من سخط الله جل ثناؤه وغضبه في إسخطي ومخالفتي ، فإنك
إذا ميزته وتبينته لم تجده إلا أحد رجلين : إما رجل أطلعنا الله

عز وجل فيه ، فلزمننا أخذُ جناية جناها منه ، أو رجل طمع في مالك
فاغتنم سُغْلَ قلبك فقال : أفوز بمحظ من دنياه في هذا الرجح الساطع ،
فإن أحسستُ في أمره نقصاً لجأت به إلى حيث لا يعرف خبري ،
ولا يدري أين أمري ، فيز من شئت من خلصائك ونصحاءك ، فقد
ترى أمرك فإنك لا تجده يخرج من هذين القسمين والله المستعان ،
قال زياد : فلما غدونا إليه ، وسلمنا عليه ، وجدناه قد حال عمياً
كنا شاهدناه منه . فقال لي : يا زياد والله إن أبي مانوى لي
خيراً ، فقلت له : يا سيدي كيف يليق " هذا بصدرك ؟ وأنت
تعلم أنه ما طلعت الشمس على أحبِّ إلى أبيك منك ، فالتفت إلي
بكار القاضي فقال له : يا أبا بكره المستشار مومنين ، وأنا أقلدك
أمري ، أسألك بالله هل تأمنه علي ؟ فقال له بكار لما كان عليه من
الدين والورع والزهد : قد حلف أبوك لك ألا يسؤك ، فأما بني لك
بما حلف أو لا يفي ، وما يعلم الغيب إلا الله جل اسمه .

فلا سمع أصحابه قول بكار قالوا له : كيف رأيت ؟ لو تحقق
القاضي ما يثق به منه لما قال هذا . فكتب لنا جواباً للكتاب ،
وشرط فيه شرائط بحجفة ، وأغاظ في خطابه لأبيه ، بإنشاء ابن
حدار الكاتب ، وانصرفنا إلى أبيه ، وعرفناه ما جرى بيننا وبينه .
ولم تزل بينهما مكاتبات ومراجعات .

فشل العباس
وهزيمته في إفريقية
وبرقة وانحصاره
بنفسه

ثم دعت العباس حماقته [إلى] الخروج إلى إفريقية^(١) ، ثقةً بما معه من المال والعدة والعدة ، ورأى أن ذلك يُقيمه ويوصله إليها . وحسن ذلك وأطمعه فيه أصحابه ، ليعمدوا عن أبيه ، وصغروا عنده أمر إبراهيم بن أحمد بن الأغب صاحب إفريقية ، وكتب وجوه البربر فندسرت إليه منهم جماعة كبيرة العدة ، صغيرة العدة ، وفرق فيهم صدراً^(٢) من المال الذي كان معه ، وتخلّف عنه أكابر القبائل ، واعتلّوا عليه بأن بينهم وبين قوم ترات ، ولا يأمنونهم عند خروجهم عن أوطانهم على أموالهم وحرهم ، فرأى أن من حصل معه كاف له .

وكتب إلى إبراهيم بن أحمد بن الأغب يقول : إن المعتد بالله أمير المؤمنين قد قلدني إفريقية ، وأنه أمره بالخروج إليها . وبأمره بإقامة الدعوة له ، ورحل بأكثر من معه وأكثر المال والذخائر ، حتى انتهى إلى حصن يقال له : « لبدة » ففتحها أهله له ، وخرج إليه عامل بن الأغب به ، فتلقاه بأجمل تلقى ، فقابلهم بضد ما استحقوه منه ، وأطلق لأصحابه نهب الحصن ، فتهبوا وقتلوا الرجال وسبوا النساء ، وهتكوا من لم يصلوا إلى سيده ، فهرب أهل الحصن إلى إلياس ابن منصور الزناتي [الثقوسي] رئيس الإياضية^(٣) ، واستأثروا إليه ، وشكوا

(١) تونس (٢) صدر النبي : طائفة من (١١) الإياضية : فرقة من الحوارج تحول بإمامة عبد الله بن إمام وجمعتهم اليوم في تونس وطرابلس وعمان وزنجبار . والحوارج هم الذين خرجوا على علي بن أبي طالب لما رضي بالتمكيم بينه وبين معاوية بن أبي سفيان . وإنشاء الإياضية دولاً في إفريقية وعمان في القرون الأولى للإسلام

ما نالهم منه ، فدخلته حمية الإياضية ، ففضب من ذلك غضباً شديداً ، وكان العباس قد كاتبه يأمره بالسمع والطاعة له ، وإلا رحل إليه ، ووطئ بلده ، وبلد النفوسى بمزل عن الناس ، ممتنع لنجدته وكثرة أهله وقوتهم ، ولم يؤذ النفوسى إلى ابن الأغلب طاعةً قط ، فرد الجواب مع رسوله يقول : قل لهذا القلام إنك أقرب الكافرين مني وأولام بمجاهدني ، وقد ظهر من قبيح فمك ما لا يمكنني معه التخلف عنك وعن جهادك ، وأنا على أثر رسالتي إليك .

وكان ابن الأغلب قد أنفذ إلى محمد بن قره ب عامل طرابلس بمخادم له يعرف ببلاغ ، في جمع من أهل القيروان كثير ، فالتقى مع العباس ، وكان القتال بينهم مناوشة لا مناجزة ، فقاتل العباس فيها قتالاً شديداً بنفسه ، وكان مع نقص عقله من الرجال القتاك ، وكان جيد الشعر . [ومن شعره يفتخر] :

للهِ دَرِي إِذْ أَغْدُو عَلَى فَرَسِي إِلَى الْهِيَاجِ وَنَارِ الْحَرْبِ نَسْتَمِرُّ
وَفِي بَدْيِ صَارِمٍ أَفْرِي أَرْوَسَ بِهِ فِي حَدِّهِ الْمَوْتَ لَا بُقْي وَلَا يَدْرُ
إِنْ كُنْتُ سَائِلَةً عَنِّي وَعَنْ خَبْرِي فَهَذَا أَنَا أَلَيْثُ وَالصَّصَامَةُ الذِّكْرُ
مَنْ آلِ طَوْلُونَ أَصْلِي إِنْ سَأَلْتِ فَا فَوْقِي لِمَفْتَحِرِ بِالْجُودِ مُفْتَحِرُ
وَرِثْتُ مَجْدَ أَبِي عَنْهُ وَوَرَّثَنِي مَجْدًا أَنَا فَبِهِ أَبَاؤُهُ الْفَرُّ

(١) كذا في خطط القرظي وتاريخ ابن حنكار ، وفي الأصل : من آل طولون نالهم إن عدت فالح

لو كنت شاهدة كرتي بليدة^(١) إذ بالسيف أضرب والهامات تبتدِرُ
 يدعون لا أين والعباس يقدمهم كأنهم حمرٌ وألث مقاسرُ
 إذا لما بنت مني ما تسيرُ به عني الأحاديثُ والأنبياءُ والخبرُ
 فلما كان من غد ، فاداه النفوسي في اثني عشر ألف مستنصر مقاتل ،
 وزحف إليه أيضاً بلاغ بمسكروه من خلفه ، فأطبق عليه المسكران ،
 فقتل من أصحابه خلق كثير ، ولولا شجاعته ورُجلته^(٢) لأخذ .
 فدعته الضرورة ، بقتل من قتل من أصحابه ، إلى أن انهزم ، ولحق
 فكاد أن بوثر ، حتى أقبيل يميز الله ولطف الله عز وجل به وبعوونه ،
 وأخذ سواده وذخائره ، وجميع ما كان معه من المتاع والأموال
 والسلاح ، وما حصله معه له من مصر ، وعاد إلى بركة أقيع عودة .
 وكان معه أئمن الأسود مقيداً فتخلص من القتل ، لأنهم علموا بقيده
 أنه حرب له ، وكان قد أطلق الواسطي بضمان جماعة من التجار
 ببرقة إحضاره إياه متى طلبه ، فكان عندهم مكرماً .

وشاع الخبر بمصر أن العباس قتل ، فبين الناس في وجه أحمد
 ابن طولون كآبة شديدة ، وغماً ظاهراً . لأنه وقع بذلك بين شربين :

تألم ابن طولون
 من الحالة التي
 آداء إليها ابنه

(١) في معجم البلدان ان بلدة مدينة بين بركة وإفريقية (تونس) وقيل بين طرابلس وجبل
 نفوسة وهو حسن من بنيان الأول بالحجر والاسبر وحوله آثار عجيبة . وذكر انه كانت فيه
 وقعة بين أبي العباس أحمد بن طولون واهل إفريقية . وذكر ابن فضل الله الدمري في مسالك
 الألبار ان هذه المدينة بركة ما يخال أطرابلس النزية ولها أصبحت خراباً ياباً في عهده
 (٢) رجل بين الرحلة والرجلة والرجولية بضمين والرجولية بالفتح

منها فقد ابته إن صح ، وذهب جميع ما كان معه ، ومنها الترة التي تقع بينه وبين النفوسى وابن الأغب ، إن أمسك عنها انخلت منزلته ، وإن نهض إليها فباؤنفاق الأموال الجليلة العظيمة التي لم تكن في حسابها . فلم يزل مغموماً مهوماً حتى صحت عنده سلامته ، فحمد الله جل اسمه وتصدق بمال كثير .

كتاب العباس
لأبيه

وكان مما أعاظ أحمد بن طولون من مكاتبات ابنه العباس إليه ، حتى استخفه إلى الخروج إلى الإسكندرية بنفسه ، قوله في كتابه من إنشاء جعفر بن حدار : إلى الأمير أبي العباس أحمد بن طولون مولى أمير المؤمنين من عبد الله مولى الله ، بالتمسك بمناجي طاعة الله ، المنحرف عن زرع ظلم المعصية إلى وضوح سر البصيرة ، القابل من الله مواعظته ، والعامل بما أمر به ، إذ يقول جل ثناؤه : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) وقوله عز وجل (فَلَا تَطْعَمُوا مِنْ آغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ) سلام على الأمير ، وعلى من استرجع وادكر ، وفكر وازدجر ، فأنا أحمد إلى الأمير الله لا إله إلا هو ، العاطف بي إلى أرفع سنن الهداية ، والعاذل بي عن ظلم سنن الجهالة ، وأسأله صلاة تامة يخص بها وليه وخيرته من صفوته ورسوله صلى الله عليه وسلم .

أما بعد وفق الله الأمير لمحال رشده ، وجنبه مقايح أمره ، وسخر

له الخلق عن غامض ذكره ، فإن كتاب الأمير ورد على الحائذ منه عن سبيل العظة والتذكير ، إلى سبيل التهديد والتحذير ، فبعد وقت ، وآس وهدد ، وجمع وفرّغ ، يبذل من نفسه باليسير فيها ، ويدعو إلى الصلوة ويحدث غيرها ، ويعرض من ماله الأتقى ، ويصير من خطابه الأثر ، ويعدد من واجب حقه ، ولازم مفترضه ، ما اعترف به مصدقاً لمن اعترف بالطاعة محققاً ، وأذعن به لمن أذعن وحاد عن الشك ، ووقفت منه على ما أطب حاسطاً وحواف عاماً ومهمه (?) فإن استخذأت لاتباع موافقتك ، وتطامنت برعاً عبر محاورتك (?) فلقد اضطررتي الطاعة ، وأنيذتني الحاجة ، إلى إقامة عذر يتضح لك في استجلاب مرضاتك ما تجاوزت عما يدعمني ، فهبت في جواب الأمير مقام الأمير .

إن فهمت ضاع دمي (?) وإن سكت فمثل النار في كبدي وبالله أستعين على بلوغ طاعته ، وإليه الرغبة جل اسمه في استصلاحك ، وتحسينك من زيغ شيطانك ، وأما ما قرعت بذكره ووبخت موضعه في غير كتاب صدر منك في غير جواب ورد ، من انحرافي عن سبيل طاعتك وجنتي عن موالاتك ، والتامسي ابتزاز ملكك ، فوالذي اضطرني إلى مجادلة من أوجب الله عز وجل علي حقه ، فإن حججته أوحشته ، وإن تصرّت عن الحجة تقصت عنده ، ما حلت عن مخايل ظنك ، ولا كتبت بذنوبات إلا تحت طاعتك ، لكنه اكتنفتي أمران واجبان مقرون

حقها بحق الله جل اسمه وحق رسوله صلى الله عليه وسلم . وسمعت
الله جل اسمه وعلايقول : (وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا
بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغْتَهُمَا عَلَى الْآخِرَى فَقَاتِلُوا أَلْتِي تَبَغِي حَتَّى تَبْيَأَ
إِلَى أَمْرِ اللَّهِ)

فكان أكبر ما عندي في نأدية حتك القعود عن نصره من زمني
مشايسته ، ووجبت علي معاوضته ، وقبلت من الله عز وعلا أدبه في
حسن هجرتك . يقول الله عز وجل : (وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ
بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي أُنْدُنِيَ مَعْرُوفًا)
فلو ذهبت إلى ذكر ما أتى الله به عز وجل في كتابه المنزل على نبيه
صلى الله عليه وسلم لطلال به كتابي ، وقامت به عليك حجتي . والآن
فقد خيلت عما قلدي به أمير المؤمنين ، وما قبلت له تكريمته وإنعامه
من جميع أعمال حضرته ، خوفاً من أن أقوم فيها بالحق فأسخطك ،
وانكذبات إلى هذه الناحية هرباً من موجدتك ، وطلباً للقيام بمجده ،
أيها الأمير ، ولا أبين بقيامي فيما جعل إلي ما يخلفك فيه التقيصة ،
إذ كان جبل أمير المؤمنين قد اضطرب في يدك ، فوهت قواه وانحل
مبهمه . وتداكت^(١) عساكره في ذلك ، كما تذاك الأيل اللواقع ،
على الحياض الطوافح ، وسيل من اتبع رضاك أيها الأمير ، وتوقف

(١) تذاك عليه القوم إذا ازدحوا عليه وفي حديث علي رضي الله عنه ثم تذاكتم علي تذاك

الأيل المهجم على جياضها ، أي ازدحمت

عما تكره التصرف فيه ، أن تعرف له ذلك ، ولا تجازي عليه
بمخلاف ما يستوجب .

وأما تخويفك أيها الأمير أيابي بجيالك ورجلك ، وعددك وعدادك ،
فلو نظرت بعين النصفه ، ونطقت بلسان المدله ، لانفراج عن لبك
ربن الشبهه ، وانفتح من سمك ما استد سمعه بالشهوه ، فسعت بمد
وقر ، وعرفت بعد نكر ، أفي لو آثرت ما إليه قصدت من مقاومتك ،
لدفعتك عن محل عزك ، وما انخرقت عن دار ذلك ، ولاقت بها
مظهر الحق . داعياً إلى طاعة الله عز وجل ، وفي جواربي من يجب
صريح الحق إذا استصرخته ، ثم لو كشف لك عن قناعه ، وحسر عن
ذراعه ، لظلمت لوطاته الليوث الفضاب ، ولتضمضت لروعه الصم
الصلاب ، فلو لزمت ما بدر إليه ظنك لغورت مشاربك ، ولدثرت
مسالكك ، ولا متصعب على الراكب مركبه ، ولحيل بينهم وبين
ما يشتهون . لكني آثرت الله عز وجل وما لديه ، فألقت أزمه أورك
سخياً بها ، وسوغتكم مطرحاً لما زاهداً فيها ، وانقطعت إلى ناحيتي هذه
لقلة قدرها ، وبعد حملها ، لأخني شخصي بها لا لما شرطت القول فيه ،
وأطلت الخطب به ، والله جل وعز يجزي الشاكرين .

وأما عرضك أمانك قبل انجذاب الحبل ، فإن الله تبارك وتعالى
يقول : (وَالَّذِينَ اتَّبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا
لِئِنَّ الظَّالِمِينَ) ويقول جل اسمه : (لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ

الْآخِرِ يُرَادُونَ مِنْ حَادِّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ، أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ) ولقد مدح خليله صلى الله عليه وسلم في قطعه رحمه فيما حصر دينه فقال: (وَمَا كَانَ أَسْتَغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنِ مَوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا إِبَاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ) .
والكتاب طويل وإنما اختصرنا منه هذا القول .

فلما ورد كتابه أغاظه وبلغ منه ، وخرج إلى الإسكندرية وأجابه يقول: (١)

كتاب أحمد بن
طولون لابنه
العاصم

إلى الظالم نفسه ، العاصمي لربه ، المثلم لدينه (٢) ، المبخوس من حظّ دينه وآخرته . سلام على كل مُنيب ، مستجيب من قريب .
أما بعد فإنّ مثلك مثل البقرة تُثير المذية بقرّنها ، والنملة يكون حنقها في جناحها ، وستعلم ، هبلك (٣) الهوايل ، أيها الأخرق الجاهل الذي نثني عن الحق عطفه ، واغترّ بضجيج المواكب خلفه ، أيّ مورد هلكة سلكت ، إذ على الله جل اسمه تمرّدت ، فإنه تعالى قد ضرب لك (مثلاً قريّة كانت آمنّة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كلّ مكان فكفرت بأنعم الله ، فأذاقها الله لباس

(١) عارضنا هذه الرسالة على رواية صبح الأعمى وقد جاءت فيه مطوّة ، وقال القشيري :

إنها من قلم ابن عدكان من كتّاب الدولة الطولونية . (٢) في الصبح : الملم بذنبه

(٣) هبلك أمة تهبه هبلاً نكته وهبهم الهبول أي شككهم التكلول وهي بفتح الهاء من النساء

التي لا يبقى لها ولد . والشكل ضم التاء : فقد الولد .

الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَمْنُونَ^(١) . واعلم أن البلاء
 بأذن الله قد أظلك ، والمكروه قد أحاط بك ، والمساكر قد
 أتتك كالسيل في الليل ، نودتك بحرب وويل ، فأني لأقسم ،
 وأرجو ألا أجور وأظلم ، ألا أثني عنك عناءً ، ولا أوتر على شأنك
 شأنًا ، فلا تنوقلُ ذرورةً أو تليجُ بطن واد ، إلا بمتك وطلبتك ، حيث
 يميت وسلكت ، حتى تستمر من عيشك ما استحليت ، وتستدفع من
 البلايا ما استدعيت ، حتى لا دافع ، بون الله ، بدفع عنك ، فتعرف
 من قدر الرخاء ما جهلت ، وتود أنك هلكت ، ولم تأت بما إليه
 عجلت ، ولا رأيَ من أطاف بك من الغواة قبلت . فحينئذ
 يتفرغ^(٢) لك الليل عن صبحه ، ويسفر [لك] الحق عن نصحه ، فتنظر
 بعين لا غشاوة عليها ، وتسمع بأذن لا وقر فيها ، وتعلم أنك كنت
 مستمسكًا بجبل غرور متبادياً ، وسالكًا سبيل ضلال لا تجده
 هادياً ، من عقوق لا ينام طالبه ، وبغي لا يفوت هاربه ، وتقف على
 سوء رويتك ، وعظيم جريرتك ، في تركك قبول الأمان ، وهو لك
 مبذول وأنت عليه محمود ، واليد عنك كافة والسيف عنك مفود ،

(١) في صبح الأضنى هذه الزيادة: وإنا كما تترك إربنا ، وتنبك إلى بيوتنا ، ملأنا في إربناك ،
 وتأميراً لبيتك ، ها طال في النبي أنها لك ، وفي حمرة المهن ارتباكك ، ولم تر الموعظة مستين
 كبدك ، ولا التذكير قيم أودك ، لم تكن لهذه التسمية أهلاً ، ولا لا ضانك إربنا . وضماً وعلا،
 بل لا تكفي بأبي العباس إلا تكهما ، وملأنا بان بهر أفة . نك : نداء غله اسك ، وتكفي
 به دونك ، وتندك كنت نيباً . نيباً : ولم تك نيباً متنبأً ، فانظر ولا نظرك إلى عار
 نسبه تجللت ، وسخط من قبيلا ترضيت . (٢) قرأ : انشور

فتلطف ، والاهف غير نافعك ، إلا أن تكون أجبت إليه سريعاً ، وأقبلت نحوه هرعاً^(١) واعلم أنك لا تقصد موضعاً إلا تلوتك ، ولا تأتي بلداً إلا قفوزك ، ولا تلوذ بماصم لينجيك ، إلا استعنت بالله عليه وعلى ، فما يبجرك إلا أحد رجلين إما لدين أو لدنيا ، فأما الدين فأنت بجحكه مفارق ، لأنك عاق مشاقتي ، وأما الدنيا فما أحسبه بقي معك من حطام ما سرقته ، مما حملت نفسك على الاستبداد به ، مما بقي بمكائرتنا ، مع ما وهبه الله جل اسمه لنا من جليل نعمه التي نستوزعه الشكر عليها ، ونرغب إليه في إدامتها^(٢) . وما دعائي إلى إرفاقتك ، والتسويل

(١) وردت في صبح الأعيى هذه الجملة بعد ذلك : وإن مما زاد في ذنبك عندي ، وأورد به كتابك عليّ بعد توذي إلى السطاط من التصويبات والأعالي ، والعداء بالأباطيل ، من مصيرك بزعمك إلى إصلاح ما ذكرت أنه فسد عليّ حتى ملت إلى الإسكندرية ، فأقت بها طول هذه اليلة ، واستظهاراً عليك بالحجة ، وقطاً لمن عصى أن يتنك ؛ معذرة علم بأن الأناة غير صادة ، ولا أنه خالجي نك ولا عارضني ربي في أنك إنما أردت التزوج والاحتيال للهرب ، والتزوج إلى حض المواضع التي لم تصدك إياها يوديك ، ولعل مصيرك إليها يكفينيك ، ويبلغ إلى أكثر من الإرادة نيك ، لأنك ان تاتوا لا تصدأخ .

(٢) وهما زيادة كبيرة في رواية صبح الأعيى منها : وأما ما بينتاه من مصيرك إينا في حشودك وجودك ، ومن دخل في طانتك ، لإصلاح علنا ، وكافحة أعدائنا ، بأمر أظمروا فيه الصلابة بنا ، فما كان إلا بسبك ، فأصلح أيها الصبي الأخرق أمر تصك قبل إصلاح علنا واحزم في أمرك قبل استهلاك الحزم لنا ، فما أوجنا الله ، وله الحمد ، إلى نصرتك وموآزرتك ، ولا اضطررنا إلى التسكر بك على ثقافتك ومصيتك « وما كنت متخذ الفلانة عندي » .

وليت شعري على من تهول بالجود ، وتخرق بذكر الجيوش ، ومن هؤلاء المسخرون لك ، الباذلون دماءهم وأبوابهم وأديانهم دونك ؟ دون رزق رزقهم إياه ، ولا عطاء سدره عليهم ، فقد علمت إن كان لك تمييز ، أو عندك تحصيل ، كيف كانت حالك في الوصية التي كانت بناحية أطرابلس ، وكيف خذلتك أو لياؤك والرتقة معك حتى هزمت ، فكيف تنتر عن ملك من الجنود الذين لا اسم لهم ملك ، ولا رزق يجري لهم على يدك ؟ فإن كان يدعوهم إلى نصرتك هيبتك والمدارات لك والخوف من سلطانك ، فانهم ليجذبهم أضعاف ذلك منا ، ووجودهم من البذل الكبير ، والعطاء الجزيل ، و-

من خناقك طول هذه المدة إلا أمور، منها استضعاف أمرك واحتقاره،
وقلة الاحتفال به واستصغاره، ومنها أنا جعلنا تركك على ما اخترته
عقوبة لك من إياك إلى أقصى البلاد، مبعداً عن الوطن والأهل والراحة
والمهاد، وقد فارت بلدك، وحرمت أهلك وولدك، ومنها أنا علمنا
يقيناً أن الوحشة دعتك إلى الانحياز حيث انحزت، فأهلناك
ليسكن نفارك، وقلنا إنك تحن إلينا حنين الولد ذي الحسب،
وتتوق إلينا توقان ذي الرحم والنسب^(١)، فلم تسمع من وعاظ ولم تعتد
بمحافظة: وأما الآن، وقد اضطررنا إلى الانزعاج نحوك، لاستعمالك
المواربة والمخادعة فيما يجري عليه تدبيرك، فما أتت بموضع للصيانة،
بل حقيق بالمنة والاهانة، فمليك من ولد عاق لعنة الله ولعنة اللاعنين،
والملائكة والناس أجمعين، لا قبل الله لك صرماً ولا عدلاً، وحاط
بك حيث كنت ولا حاطك حيث توجهت^(٢)، وستعلم أيها المخالف

— صدنا ما لا يجدونه عندك، وإنهم لا حري بخذلك، والليل إيلادونك، ولو كانوا جيباً منك ومقين على
نصرتك، لرجونا أن يمكن الله منك ومنهم، ويجعل دائرة السوء عليك وعليهم، ويجري ناسخ حاد في
العرس، وإعزاز الأسماء، على ما لم يزل يفضّل علينا بأمثاله، ويتطول بأشبهه، فإدعائي إلى...
(١) زادني صبح الأعمى: غادني وقتنا بك ما يظنك إيلاء، وفي تأخينا إياك ما يردك علينا،
ولم يسم منا سماع في خلاء ولا ملائمة انتصاً بك، ولا غضاً منك، ولا قدماً فيك، رقة عليك،
واستقاماً ليد عندك، وتأميلاً لأن يكون الرابع من نقاء، وتك، والوفى بذلك لرشدك وحسبك.
(٢) وهنا جاء في الأصل الذي تله القشندي في صبح الأعمى ما يأتي: فواعة لا تستملن
لنك في دُبر كل صلاة، والدعاء عليك في آناء الليل والنهار، والدنو والآمال، ولا كسين
إلى مصر وأجناد الشامات والثبور وقشرين والمواصم والجزيرة والمجاز ومكة والدينة كتباً تقرأ
على منابرها فيك، بالانك والبراءة منك، والدلالة على عتوك وتطيتك، يتأقلا آخر عن
أول، وبأثرها غاب عن ماض، وتخذل في بطون الصحائف، وتصلها الركباني، ويتحدث بها
في الآفاق، وتصلحن بك وبأعتابك عاراً ما طرد الليل والنهار، واختاب الظلام والأوتار.

القاطع رحمه العاصي ربه ، أي جناية على نفسك جنيت ، وأي كبيرة أتيت ، فنندم إن كانت لك روية ، وفيك فضل إنسانية ، ونود أنك لم تكن ولدت ، ولا في الخلق عرفت ، إلا أن ترجع ^(١) رغباً ، وتسرع خاضعاً إلى ما قبلنا ، فنقيم الاستغفار لك مقام الأمن ، والرقعة مقام النظافة والوهن ، والسلام على من سمع الوعظ فوعاه ، وذُكر بالله فانتقاه .

وسير من الإسكندرية إليه العساكر ، وهم بالنفوذ إليه بعدهم ، حتى وافاه الواسطي ، لأنه تهيأت له الحيلة عند انهزام العباس من انفسوس فتخلص بذلك ، وعمل الحيلة حتى هرب منه إلى أيه ، فوافاه وقد تم عزمه على الاحرق بالعسكر ، فنعمه وقال له : حاله أصغر من ذلك ، وأنا أكفيك أمره مع بعض قوادك ، والصواب أن ترجع إلى بلدك ، ومقر عزك ، قبل منه ، وأنفذ الواسطي مع طبارجي وجماعة من وجوه أصحابه ، وطبارجي مؤتمراً على الجيش ، وعاد أحمد بن طولون إلى مصر ، فلما قرب طبارجي من العباس خرج إليه مدلاً بنفسه ، ونسي هزيمته في أمسه . فلما التقى المسكران استأمن إلى طبارجي جماعة من وجوه أصحاب العباس قبلهم ، وخلع عليهم ، وقامت الحرب بينهم على ساق ، وتعارك الفريقان ، فصبر أصحاب العباس الباقون هنيئة ،

فشل عصاب
العباس

(١) أي صبح الأعتى : إلا أن ترجع من طاعتنا والإسراع إل ما قبلنا خاضعاً ذليلاً كما يترجمه مقيم

حتى دهمهم مالا طاقه لم به ، ثم ولوا منهزمين ، لا يَلَوُونَ على شيء
فذكرت قول البحري :

لَمَّا رَأَوْكَ نَبَدَتْ آرَاؤُهُمْ وَغَدَّ امْصَارِعُ حَدِّهِمْ مَصْرُوعَا
فَدَعَوْتُهُمْ بِظُبَا الصَّفِيحِ ^(١) إِلَى الرَّدَى فَأَتَوْكَ طُرًّا مَهْطِعِينَ خُشُوعَا
حَتَّى ظَفِرَتْ بِعِزِّهِمْ ^(٢) قَتْرَكَتَهُ لِلذَّلِّ جَانِبُهُ وَكَانَ مَنِيْعَا

فقتل منهم وأسر خلقا كثيرا ، وولى العباس منهزما في شرذمة من
غلمانه ، وسرب طبارجي خافه الرجال ، ويادر فكتب إلى أبيه كتاب
الفتح ، وكتب بذلك الواسطي نسخته :

« بسم الله الرحمن الرحيم . كتابي هذا وقت غروب الشمس ، من
يوم الاثنين لسبع بقين من جمادى الآخرة ، وقد وضعت الحرب أوزارها ،
وأظفر الله جل اسمه عبد الأمير ، وجمع أوليائه ، وأيدهم ونصرهم ،
وأحسن معونتهم ، ودمر على الملعون العاق الشاق الفادر العباس ،
وضرب وجهه ، وقتل أكثر الفجرة الذين كانوا معه ، وأمکن من
خلق كثير منهم ، والحمد لله الذي أجرى الأمير أيدى الله على عوائده
عنده ، وجعل أوليائه المنصورين ، وحزبه الغالين ، وأعدائه ومن
عدل عن أمره المتهورين ، حداً يكون قضاء لحقه ، وكفاً لإحسانه ،
وامتراً للمزيد من فضله ، تبارك اسمه وجل ثناؤه .

(١) في ديوان البحري : فدعوتهم بطي السيوف إلى الردى .

(٢) في الديوان يدم بدل بزم وبت مدينة بامك الحربي الذي أسره الأفتنين وقتله المتصم
ويمكن أن تكون يدم والبد السم

و كنت عند نزولنا المنزل المعروف بدي حى (?) قد أكلتُ أمر
 انقدمة والساقه والمينه والمبسة ، ومرنا على تعبثه ، حتى وافينا المنزل
 المعروف بدينار الذي كتبت كتابي هذا منه ، وكان الاعمين قد وافى
 هذا المنزل من أول النهار ، مستعداً بجموعه وحشوده . فلما توافقت
 الفئتان تسرع إلينا مُدلاً بنفسه ، متادياً في غيه ، فحملت ميمته على
 ميسرتنا ، فأعان الله ، جل اسمه وله الحمد ، الأولياء على فلها ، وحملت
 ميسرتنا على ميمته ، وحملت أنا في أثرها من القلب ، محسبين واثقين
 بنصر الله عز وجل ، متوكلين عليه ، فولى القوم منهزمين ، قد ضرب
 الله وجوههم ، ومنح أكتافهم ، وقذف الرعب في قلوبهم ، وأتبعهم
 الأولياء يقتلون فيهم ، ويأسرون منهم ، وقبل ذلك ما استأمن إلينا
 جماعة من مشهورهم ، كتابي يرد على الأمير أيده الله بأسمائهم ، ولم
 يُصِبْ أحداً من الأولياء بحمد الله شيءٌ يكرهه ، ومضى الاعمين
 على وجهه في نفر يسير من غلانه ، فأتبعته بصيراً وانمح وكنجوراً ،
 وهم مدركوه بمشيشة الله وعونه ، وفي غدٍ نكتب إلى الأمير أيده
 الله بشرح القصة ، وبأدرت بكتابي بهذه الجملة ليتعجل الله عز وجل إليه
 السرور بما من الله جل اسمه ، ويمجده على ما أولى من إنعامه .»

قال مؤلف هذا الكتاب . وورد الخبر بأن الطائفة اني أنفذها
 طبارجي خاف العباس لحتته ، ققتل من غلانه جماعة ، وقبضوا عليه

امر العباس وحله
 إلى أبيه مفيداً

أسيراً فأتوا به طابرجي ، ققيده وحمله من وقته إلى أبيه ، وأمر بصيراً وانعج وكنجوراً أن يتقدموا به إليه ، وأنفذ كتاباً بالشرح ، فلما وصل إليه الكتاب ، حمد الله كثيراً وتمثل ، وما تمثل بشعر قط :
 وَبَعَثَ ^(١) مِنْ وَلَدِ الْأَغْرَمِ مَتَيْبٍ ^(٢) صَقْرًا يَلُودُ حَمَامَهُ بِالْعَوَسِجِ ^(٣)
 فَإِذَا طَبِخَتْ بِنَارِهِ أَنْضَجْتَهَا وَإِذَا طَبِخَتْ بِغَيْرِهَا لَمْ تُنْضِجْ
 وَهُوَ الْهَزْبُ ^(٤) إِذَا أَرَادَ فَرِيْسَةً لَمْ يَنْجِهَا مِنْهُ صِيَاحُ الْمُهَيَّبِ ^(٥)
 ومدَّ طابرجي إلى برقة ، فدخلها وأصلح من حالها ما كان فسد ،
 واستخلف فيها خليفة ورجع إلى مصر ، وحمل بين يديه الأسرى
 والرووس ، ودخل إلى البلد على تعبته حسنة وترتيب . فلما وافوا
 بالعباس إلى الجيزة أخرج إليه جميع الجيش ، وذلك في سنة سبع
 وستين ومائتين ، فلما لقوه زفوه ^(٥) بين أيديهم وأدخلوه البلد في قبة

(١) هذه الايات لسمران بن عمام اورددها في العقد الفريد وقال : إن عبد الملك سأل عن عمران ابن عمام قيل له : قتله الحجاج قال : ولم ؟ قال : لم يروبه مع ابن الأخت قال : ما كان ينبغي له أن يقتله بسرف قوله ، وبنت الايات ، وفي البيان والتبيين ان عمران بن عمام الرقي كان من الشعراء الخطباء ، وهو الذي أثار على عبد الملك بمجمع اخيه عبد الرزق والبيعة لهوليد بن عبد الملك في خطبة الشهيرة وقصيده المذكورة وهو الذي لما بلغ عبد الملك بن مروان قتل الحجاج له قال : ولم قتله وله ؟ هلا دعى له قوله فيه ، وذكر الايات الثلاثة والايات في الأصل كثيرة التعريف فأستلحاها من البيان والتبيين والعقد الفريد (٢) متب هو أحد اجداد الحجاج فهو ابو محمد الحجاج بن يوسف بن الحكم بن عثيل بن مسعود بن عامر بن متب بن مالك بن كعب وفي الأصل : متباً صقراً يكون الخ (٣) في البيان والتبيين : الرضج بدل العوسج

(٤) قال في البيان والتبيين : صياح المهيب صياح لطرود الأسد وزجره . وفي الأصل :

وهو المهام إذا يريد فريسة لم ينجا منه محي - ومعج

(٥) زفوه : أسرها به

مكشوفة وهو مقيد ، وعليه فرطق ملحم^(١) ، وعلى رأسه عمامة^(٢) فشقوا به البلد ، حتى إذا وافوا به الثلاثة الأبواب ، أمر أبوه بإتزاله عن القبة ، وأر كب بدلاً بأوكاف ، وساروا به كذلك حتى إذا بلغ إلى باب الميدان أوقف موضعه في الشمس .

وأدخل بصير وانعج وكنجور وأصحابهم فخلع أبوه عليهم ، وأحسن إليهم ، وأخرجوا بين يديه ، وهو يرى ما فعل بهم من الجليل ، وهم مسرورون فرحون ، وأمر به إلى حجرة فاعتقل فيها ، ولم يزل معتقلاً حتى وافى طبارجي .

عودة الحملة إلى مصر وقتل العباس ورجاله بيده وعلو الأمر عن الصين

فلما وافى أمر أحمد بن طولون بإخراج الجيش لتلقيه فخرج بأسره وتلقي ، ودخل ودخلوا بين يديه في أحسن زي وأجل تسمية ، والأسرى بين يديه والرووس ، فشق البلد حتى وصل إلى الميدان ، فلما دخل إلى أحمد بن طولون خلع عليه خلعاً حسناً ، وحمل بين يديه أكياساً كثيرة دنانير ودرام ، وحمله على فرس نادر بسرجه وجامه ، وخيل تُقاد بين يديه ، وانصرف إلى داره في أجل حال

وأمر أحمد بن طولون بالأسرى إلى الحبس ، وبالرووس أن تنصب على القسي ليراها من لم يرها ويشاهدها ، ويشاهد منها كل معروف ، فيأيس منه من أهله من خفي عنهم أمره . وأمر بأن تبنى

(١) انظر طق: القباء ، والملحم: ضرب من الثياب ليست لها من حرير وبذلك يتبين عن الثياب

الدياج (دوزي) (٢) كتبها في ابن الداية ، وفي الاصل: سام .

دكة عظيمة السمك عالية خارج الميدان فبُئيت ، فلما فرغ منها ركب إليها ، وصعد من سلمٍ عمل لها [من] حجارة عظيمة ، ففرش له عليها ، وجلس عليها وحده ، منفرداً من سائر أصحابه ، إلا خواص غلمانه فأول من دعا به قَدَمِ أبو معشر فضربه ثلاثمائة سوط ، وأمر بالعباس فأحضر ، وأوقف بين يديه ، فأمره بأن يقطع يدي أبي معشر ورجليه ، فدفع إليه سيفاً فتقدم فقطع يديه ورجليه ، وألقي من أعلى الدكة إلى الأرض ، فواصل إلى القرار حتى مات ، ثم قدم إليه المعروف بالمتوفى فأمره أيضاً فقطع يديه ورجليه ، ورمى به من أعلى الدكة إلى الأرض ، ثم قدم ابن حدار^(١) الكاتب ، وكان غيظه عليه أشد ، وحنقه عليه أعظم ، لأن كتب العباس إليه كانت بإنشائه ، فأمره فقطع يديه ورجليه ورمى به إلى الأرض .

وكان أحمد بن طولون إذا قرأ كتاباً من العباس إليه ، تمرُّ به اللفظة البشعة فيقول : هذا من كلام أبي معشر ، وهذه اللفظة من كلام الشيخ السوء ابن حدار^(٢) ، وهذا من كلام فلان ، وهذا من كلام فلان ، لأنه كان يعرف كلام كل واحد منهم ومذاهبهم . ثم ضرب أعتاق الباقين من الأسرى ، أعادنا الله من البلاء كله ، إلا رجلين من عليهما بالغو لحرمة كانت لهما به . أحدهما جعفر بن يار جوخ لأنه كان زوج ابنته ، ولأن أباه كان صاحبه ، فأمر بحبسه ، ثم أطلقه على أن يطلق ابنته ،

(١) في بعض المصادر : ابن جبار بالميم بدل الماء .

ويخرج عن بلده فطلقها ، وخرج فمات بنواحي الموصل ، ورجل يعرف
 بابن عبيد ، ذُكر لأحمد بن طولون أنه خلص ابنه العباس من النفوسى
 بالغرب في وقت محاربتة له ، وأنه لولاه ، ودفعه عنه ، وبذله بمجوده
 في محاربتة عنه ، لكان قد أُسر وقتل ، فحفظ له أحمد بن طولون ذلك
 في العباس ، فعفا عنه وأطلقه ، وأحسن إليه واصطنعه .

فلما فرغ العباس من قطع أيدي أصحابه^(١) دعا به أبوه فقال له :
 قبح الله هذا من رأي وعقل ، ويل لك بهذا العقل وبهذا الرأي
 قد درت الرياسة ؟ يا ويلك لم لم تجعل العوض من مبادرتك وتسرعك
 إلى قطع أيدي أصحابك هؤلاء ، استلقاءك بين يدي ، وتضرعك
 إليّ ، ومسألتك إياي الصفح عنهم وعنك ، والعفو عن جميعكم ؟

بع ابن طولون
 ٤ وضربه بيده
 مائة مفرقة

(١) كان العباس من استغذ الناس ، وورث من أبيه استبداده وقسوته ، ولم يرت إدارة
 وسياسة . روى ابن الداية قال : حدثني أحمد بن يعقوب ، وكان يتولى خراج بركة من قبل أحمد
 ابن طولون في الوقت الذي خرج فيه العباس فأقره عليه . قال : ما طاشت ريشاً قط أجراً على
 نفس وثقة من العباس ، ولا أفسى قلباً عند استرحام منه . ولقد انصرف إليا من هزيمة ، وقد
 تضاعف سوء ظنه ، وتدم على تفرجه فيما كان بذله أبوه بركة فأبكى البيون . ولاحظ بركة خدم
 صغار يقتاترون ، فأمر بالترفة ذبا بزم ، سأل كل واحد منهم عما حاوره صاحباه ، فاختلفت
 أقوالهم لعزيم ، وضمنهم عن الاحاطة بما جرى بينهم ، فأمر بأن تُتضر لهم حفرة ، وألقوا
 فيها ، وألقى التراب عليهم وهم اعياء وطم الأرض عليهم . وقال لي : لم يكن في داره إلا خادم
 يعرف بأبي نصر ، ذهب عن اسمه ، وأبني معه ، فجلس إذ خرج خادم معه فطن مندوف فقال
 للخادم : خذ ، فحفي بالنطن مثل اللعاف وقام فأجد حتى رجح اليّ فقال : والله لا تأخرت عنه
 القوة على هذه الأضال السيئة . قلت : وماذا ؟ قال : أنكر على حظي له ما لا يبالي به ،
 فله في هذا العطن ، وأخذ الشمة يده فلم يزل يشعلها في جوانبه حتى استرق الخادم واسترق العطن

فكان ذلك أجل لك ، وأعظم لمهلك ، وأكبر لمزلتك ؟ ونقضي
بذلك حق من حمل نفسه في طلب مرضاتك ، ومساعدتك على خُطية
الملاك فيها ، وقد فارق وطنه وأهله وولده ، وتبعك في هواك ،
فجعت ، يا وبلك ، مجازاته على ما تحمله فيك من المكروه ، قطع
يديه ورجليه بيدك ، ثم إبتام ولده وإرمال غياله ، ولكن ما وقت
لما تأنيه فتصونهم عما حل بهم منك منة طيك ، وعزيز علي أن
يكون هذا وزنك ، ومقدار عقابك .

فلما تفرق اجمع أمر به فبطح ، وضربه يده مائة مقرة ، فكان
يضربه ودموعه تنحدر ، كأنه [هو] المضروب ، وأمر باعتقاله في دارة !

انقل طابع ابن
طولون من الهدل
إلى البجل

قال مؤلف هذا الكتاب : وغلب الحسن بن مهاجر على أحمد بن
طولون ، فحسن له جمع الأموال ، ومنعه من سباحته ، وجربه على
عادات كانت له جميلة ، فقبل رأيه ، وتغيرت سباحته ، واستقصى ابن
مهاجر على الناس ، ومنع كل من كان يبسط عليه عائنته ، ويشبهه
معروفه وفائدته ، وظهر ذلك فأنحرفت عنه القلوب ، وتغيرت له النفوس
كما قالت الحكماء : ترك العادات ذنب محسوب .

حدث أحمد بن محمد الواسطي أحمد بن إبراهيم الأطروش بعد وفاة
أحمد بن طولون ، وقد اجتمعا فتفاوضا أخباره فقال : فارت أحمد بن
طولون رحمه الله وقت رجوعه إلى مصر من الإسكندرية ، ورجوعي

إلى برقة مع طبارجي للقاء العباس، وهو أمير نبيل سمح، واسع الصدر في العطاء والبذل في أبواب الخير، على حسب ما رأيت منه، وعدت من برقة مع طبارجي إليه، وهو أمير ممسك، ضيق الصدر بخيل، مطرَح لما جرت به عادته، فتطيرت يشهد الله له بذلك، لآ في ما رأيت سمحاً قط ولا تُحدِّث به انتقل عن سماحته، ودق نظره في توفير ماله، إلا عند حضور منيته .

تذكر غلام ابن
طولون لولاه

ولما انقضى أمر العباس ابنه، وهو كان ابتداء انحلال أمره، تنسَّكَر عليه لولؤه غلامه، وكان عمده، وعليه كان معوله، لتتم مشيئة الله عز وجل فيه بانقضاء عمره، وزوال ملكه، كما يجري حكمه جلَّ اسمه على سائر خلقه، عند انقضاء المدة، وتكدير المحنة، وتقصيص العيش . وإذا أراد الله أمراً أتى بعضه بتلو بعضاً ليؤدب بذلك المؤمنين . وينبه به الاعتبارين، ويخفف به عن قلوب المتقلبين، كما قال بعضهم^(١) :

إِذَا مَا كَسَاكَ الدَّهْرُ سِرْبًا لِحَاثِ صِحَّةٍ وَلَمْ تَحُلْ مِنْ قُوْتِ بَجْلِ وَيَعْدُبُ^(٢)
فَلَا تَغْبِطَنَّ الْمَكْثَرِينَ^(٣) فَإِنَّهُ عَلَي قَدَرٍ مَا يَكْسُوهُمُ الدَّهْرُ يَسْلُبُ
فلما خلا قلبه من ابنه العباس، واطمان بالظفر، وأمن مما كان يتخوفه، تحدت عليه الفير من جهة أخرى، فتذكر عليه لولؤه غلامه

(١) اليتان لابن الرومي (٢) في رواية : ويرب

(٣) في رواية : فلا تغبطن أهل الكبر، وفي الديوان المترفين

الذي كان أقربهم إلى قلبه محلاً ، وأشدّهم مكرّاً وزُنُفَى ربه صغيراً ، ومدّه كبيراً وكهلاً ، وعلى حسب ذلك سدّه به الثلثة التي خاف منها ، وجعله المحامي والذاب عنها ، فكان دخول الجلل عليه من أوكد احتياطه ، وانحلال مبرمه من أوثق رباطه .

كيس اللهب
وطمع صاحبه

حدث أسامة بن حباب ، وكان مضوماً إلى لؤلؤ ، قال : حمل أحمد بن طولون غلامه لؤلؤاً في خرجته إلى أعماله بديار مصر^(١) ، بما لا يتسمح به لأحد من أولاده ، ولا غيرهم من خاصة أصحابه المخصوصين به ، من مال ومتاع ، وكراع وآلة ، وكل ما يحتاج إليه وما لا يحتاج ، ثم أمر أن ينادى ، ونحن يومئذ معسكرون بمنية^(٢) مال الله ، براءة الذمة من أي رجل من رجال الأمير أبي محمد لؤلؤ دخل إلى المدينة ، وليست معه حجة منه إلا حلّ به غليظ المكره . قال :

نفت لي دابة ، فاستأذنت لؤلؤاً في الدخول إلى القسطنطينية
لأعتاض منها ، فأذن لي ، فأخذت كتابه إلى أحمد بن طولون مولاه ،
ودخلت ليلاً ، فأني لسائر إذ تعثر فرسي بشيء ، فزلت أنظر ،

(١) في تويم البلدان لابي الفداء ان الجزيرة تشتل على ديار ريمة وديار مصر وبن ديار بكر ، وحران مدينة السابئين تمد من ديار مصر ، والريفة المدينة التي على القرات تد كالأظفة من ديار مصر أيضاً ، وكذلك الرها وسروج ، وقال البكري في معجم ما استعجم : ان الجزيرة هي الكور التي تلي الشام وهي المروقة بديار مصر وريفة وبالجزيرة وهي كورة الرفة وكورة الرها وكورة سروج وكورة حران وكورة شمشاط وكورة حسن منصور . وسيت الجزيرة لاتهاين القرات ودجة مثل الجزيرة وقال : ان ديار ريمة تضم عدة كور الخ

(٢) لم تعرف هذه البلدة وقد تقدم ذكرها في ص ١٥١ من هذا الكتاب

فأصبت كيبساً فأخذته وركبت ، ووافيت منزلي فنظرت الكيس
فاذا به مملوءً دنائير ، وكانت لي امرأة سالحة ، فحدثتها بخبره ،
فأحضرت الميزان فوزنت الدنائير ، فكانت سبعمائة دينار ، فقالت لي :
يا هذا لا تشتره نفسك إليه ، فلعلّه لمن لا يملك غيره ، ولكن عرفت
به ، وخذ جعلك منه حلالاً موفراً ، يجعل الله لك فيه البركة ،
فسكنت إلى قولها ، فلما أصبحت ، أخفيت شخصي من أن يراني
أحد ، فيعرف أحمد بن طولون خبري ، فأحتاج أن أقيم الحجة في
دخولي ، فوجهت إلى صديق لي في ابتاع دابة عوضاً من دابتي .

فبينما أنا كذلك إذ سمعت النداء : « من دلّنا على كيس فيه دنائير ،
جعلناه مائة دينار حلالاً طيباً ، وأجره على الله . » فقالت لي زوجتي :
كيف ترى ؟ مائة دينار حلال خير من سبعمائة حرام ، فقلت للغلام :
أدخل المتادي ، فدخل ومعه إنسان من التجار ، سيأه تدل على أنه
خشن الطبع ، فقلت للمتادي : أين صاحب الكيس ؟ فقال : هذا
هو . فقال لي : الكيس عندك ؟ قلت : نعم ، وجدته في الطريق بوضع
كذا وكذا . قال : هاتيه ، فأخرجته إليه ، فلما رآه لطم وجهه وقال : ذهب
مالي ، وصاح : أنا بالله وبالأمر . ثم قال لي : الأمير يدي وبينك ، فخشيت
أن يسمع أصحاب الأخبار ، فيذهبوا بي إلى أحمد بن طولون . فبادرت
بالخروج معه اضطراراً وقلت لزوجتي : رضيت ؟ هذا رأيك الحسن ،

ومشورتك الجميلة ، ولكن ليس العجب إلا مني حيث قبلت منك .
فقال لي : لا تخف فإن الله عز وجل معك .

فحملت الكيس معي ، وأخذت كتاب لؤلؤ إلى أحمد بن طولون
حجة في دخولي . فلما توسطنا الطريق قام إلي أصحاب الأرباع ،
فأرثتهم كتاب لؤلؤ وعرفتهم ذهابي به إلى الأمير . ومضينا حتى
دخلنا إلى أحمد بن طولون فقال لي : ألم تخرج مع لؤلؤ ؟ قلت : نعم
أيد الله الأمير قال : فلم دخلت ؟ فعرفته خبري في دابتي ودفعت
إليه كتاب لؤلؤ فلما قرأه قصصت عليه خبري وخبر الكيس ، وما
كان من الرجل ، فأحضره فقال له : كم كان في كيسك ؟ قال : ألف
دينار . فأمر بإحضار الميزان ووزن الدينارين بين يديه ، فوزنت ،
فكان مبلغها سبعمائة دينار . فأمر بردّها إلى الكيس فقال لي « اقبض
أنت الكيس إليك ، إلى أن يجيئك صاحبه . وقال للرجل : اطلب
أنت كيسك جمع الله عليك . فقال : أيها الأمير الله الله في ، هو
والله كيسي ، فقال له : لو كان كيسك لما ادعيت أكثر منه ، وأمر
بإخراجه فأخرج . وقال لي : امض لشأنك ، فانصرفت بالكيس ،
وابتعت منه الدابة واتسمت . فقالت لي زوجتي : كيف رأيت مشورتني ؟
لو استحقه اتاجر لما حرمه الله إياه ، وجعله رزقاً لك . فتركت بآية
عند زوجتي ، ورجعت إلى لؤلؤ فحدثته بما جرى ، فضحك وأمر لي

بفرس . وكانت هذه الحرجة العظيمة التي بلغ أحمد بن طولون بلؤلؤ
فيها كل مبلغ جليل ، هي التي خفر به فيها واستأمن إلى الموفق .

قال مؤلف هذا الكتاب : كان أحمد بن طولون إذا أنكر على
لؤلؤ شيئاً أوقع بكاتبه محمد بن سليمان ، وقال : هذا منك ليس منه ،
فجعل محمد بن سليمان الخوف من أحمد بن طولون على أن حسن للؤلؤ
حمل جملة من المال في الأعمال ، والاستئذان إلى الموفق ، فنع عامل
الخراج لؤلؤاً من المال ، واستخف برأي محمد بن سليمان ، حتى أخذ
جميع ما أراد من أموال الأعمال ، فلما حصل له المال قال له محمد بن
سليمان : قد علمت ما فعل بابته العباس ، وهو أعزُّ الناس عليه ، وقد
تخلصنا منه ، فإن لم تبادر والإلم نأمنه ، فأجابه إلى ما أشار به عليه .
فكتب محمد بن سليمان إلى الموفق عن لؤلؤ كتاباً يعرفه رغبته
في المصير إليه ، والتصرف تحت أمره ونهيه ، والدخول في طاعته ،
فاستبشر الموفق لذلك ، لما في نفسه من مولاه أحمد بن طولون ، وابتهج
له ، ورأى أن ذلك إحدى الفرص التي ينتهزها ويبادر إليها ، فأجابه
بأحسن جواب ، وأنفذ إليه خلعاً ومحملاتاً .

وكانت مع لؤلؤ طائفة من خواص أحمد بن طولون ، فقدّر فيهم
أنهم يساعدونه على ما اختاره ، فلما تبينوا حاله أنكروا ذلك ولم يساعده .
فكان أكثر ما قدروا عليه ، لما خرج الأمر عن أيديهم ، أن تركوه

استئذان لؤلؤ
للموافق وحفظ
ابن طولون على
كاتب لؤلؤ

وانصرفوا عنه إلى مولاه بجملة خبره . فلما وردوا عليه وشرحوا له حاله ، وما هو عليه ، تكدر عليه مشربه الذي كان يشربه فيه ، ومرّ مذاقه الذي كان يستحليه ، لتكد الدنيا وأيامها ، كما قال ابن الرومي :

تَذَكَّرُ سَاعَةَ الْعَمَلِ فِيهَا وَأَنْتَ وَلَيْدُهَا عَسَلًا وَصَبْرًا
لَتَعْلَمَ أَنَّ هَذَا الدَّهْرَ يُبْسِي وَيُصْبِحُ طَمَعَهُ حُلُومًا وَمَرًّا
وظن أحمد بن طولون أن المخادعة تمكّنه من لؤلؤ ، والملاطفة
تنبيهه ، ولم يعلم أن سبب زوال ملكه يكون على يدي محمد بن
سليمان لما حقد عليه من أفعاله به وحققه منه .

كتاب ابن طولون
للزّور بعده
وبذكره

فكانت أحمد بن طولون لؤلؤاً [وأرسل إليه] كتاباً بلبائه فيه ،
ويذكره تربيته له ، وما يجب من حقه ، وكان من بعض ألفاظه في
مكاتبتة له قوله : «وقفك الله لطاعته ، وراجع بك إلى ما هو أعود
عليك ديناً ودنيا برحمته ، إنه ليس شيء يبلغه والد شفيق ، ومستصلح
رفيق ، من مواصلة وعظ ، وتنبيه على حظ ، أو دلالة على رشد ،
وحض على سلوك قصد ، إلا وقد بلغنا أقصى نهايته [ممكن] ، وأبعد غايته
فيك ، ضناً بك وشحاً عليك ، وتأميلاً لمراجعتك ، وما تركنا شيئاً
ظنناه يؤنس وحشتك ، ويرفع محلك ، ويتجاوز به حق حرمتك ،
إلا وقد أتينا منه ، على ما نرجو أن يكون لروعتك مسكناً ، وانفسك
مؤنساً ومطيباً ، ولك من كل خوف موقباً .

«وليس بمننا ذلك من تكرير القول عليك ، رجاء أن تصادف مواظنا إياك إصفاة إليها وإصاخة لما ، لينعمك الله عز وجل بها نفعاً كبيراً ، ويصرف بها عنك شيئاً كثيراً ، وقد تبينت بما كان من مفارقتك لنا ما قارفته من معصية الله جل اسمه فينا ، وتعرضك لما تعرضته من سخطه بانحرافك عن طاعتنا ، واختيارك لنفسك ما كنت عنه غنياً ، وعليه ثقة أميناً ، فانظر هل نلت بذلك فيما بلغت عاجل دنيا ؟ أو أجل صلاح وجزيل [أجر] ؟ بل قد سميت في فسادهما ، ثم تأمل الحال التي أنت عليها ، والحال التي انتقلت عنها ، في أيها كنت أرخى بالآ ، وآمن سرباً ، وأروحُ بديناً وقلباً ، لتعلم أنك لم تُرَقِّق في ذلك ، ولم تُسدِّد في اختيارك ، لأن الله عز وجل وَكَلَّكَ إلى نفسك ، فاستفزك الشيطان وأضلك .

«لقد تبين لك غرور ما أنت به ، بتبديد شملك بعد اجتماعه ، وانصداع شعبك بعد انشامه ، واتضح لك ما كنت أحذرك وقوعه ، من قلة رضا جماعة الأولياء والموالي بك ، واستنكفهم من رياستك ، إذ زالت عنك شمسة ، فحزمت هيبتك اني ألبسك الله عز وجل بنا ، من تنكرو [هم] لك وانصرفهم عنك ، وما تنتظر الشرذمة الباقية معك إلا إمكان الفرصة بثل ذلك ، محاماة منهم على أديانهم ، ووفاء بأيمانهم ، فكيف بك إذا صرت إلى العراق بحال مع من لا يدفع عنك عدواً ، ولا يصرف عنك سوا ، وقد فارقت العش الذي فيه

درجت ، وموطنك الذي منه خرجت ، ومولاك الذي في حجره ربيت ،
وفي نعمته غذيت ، وصرت إلى من لا يرعى فيك إلا^(١) ولا ذمة ،
ولا يوجب لك حقاً ولا حرمة ، بل يحملك مَفْنَأً ، وفِيئاً^(٢) مقسماً ،
بدينك وبميتك ، لا حرصاً عليك بل ليحتوي على مامعك ويستصفيك .
«وقد كتبت إلى أمير المؤمنين وإلى من لَمَلَّكَ تَقْصِدُهُ ، أعلمهم أن
المال الذي اختزله من أعمالنا ، هو مما أمرتك بجمله إلى باب السلطان
أعزه الله ، ومبلغه ألف ألف دينار . فأني حجة أبلغ لهم من كتابنا إليهم
أن المال لهم ، ومحمول إليهم ، فهل تكون بعد استخفاف ما معك إلا
بين أمرين ؟ إما أن يردوك علينا ، متقرين بك إلينا ، أو نبذل لهم في
ردك إلينا ما لا يروذك عوضاً منه ، فيكون مصيرك إلينا على جهة
اتمهر والأسر ما لا موت أيسر منه ، أفهذه المئزلة خير لك ، أو مراجعتك
الواجب عليك ؟ وإنا بذك إلى ما هو أولى بك ، مما تختاره ويرجع إلى
محصول ، ويؤول إلى معقول ، فيكون مصيرك إلينا بوجه مسفر غير
كاسف ، وقلب مطمئن خير خالف .»

والرسالة طويلة وإنما اقتصرنا على هذا منها .

وكان أحمد بن طولون يأتى به [بصيب] فيما يتخوفه في ظن يظنه
وحس يحده مما قدمت ذكره بالأماني فيه ؟ المتبه على صلاحه ، حتى
إذا بلغ الكتاب أجله انقلبت العين ، وتتابعت المحن .

كشفه الأسرار
من حمام الزاجل

حدث نسيم الخادم قال : كان مولاي إذا خرج إلى تزهة يحب
الولع بقوس البندق^(١) وكانت تزهته حول الجب لا يبعده ، فخرج يوماً
إلى الزهة ونزل في مرج حسن ، وكان قوس البندق بيده ، فمر
به حمام طائر فضربه فسقط ، وأخذناه فإذا في أصل جناحه رقعة
كالكتاب فإذا فيها : « قد استراح مولاي محمد فخذوا حذركم ،
وارفعوا كل شيء ، فقد عصا الأمير لؤلؤ . » فأمر مولاي من وقته
بإحضار خادم كان على مخلني لؤلؤ فأحضر [وقال له] : من منكم له حمام
هدى ؟ ومن لكم عليل في عسكر لؤلؤ ؟ فقال له : ليس في دارنا
يا مولاي حمام هدى ، ولكن لعبيد الله بن سليمان أخي كاتبنا محمد
طيور تسرح ، وقد كان مغموماً بعله أخيه محمد بن سليمان . فأمر
مولاي بالقبض على عبيد الله بن سليمان من ساعته

.. وأسرَّ وجده بلؤلؤ ؛ وأظهر التهاون بأمره ، وفي قلبه منه أحر من
الجمر ، وأظهر أن غمه بالعمد ، لا بان للناس من غمه ، بما يلحق
العمد من الموقف من التقصير في أمره والمهانة ، وما يخافه عليه من
القتل ، وأنه لا يسهه في أيمانه المؤكدة عليه في عنقه بالبيعة أن
يقمض في أمره ، وأنه يريد الخروج لنصرته ، وليفكك من تلاعب
أخيه به ، واستيلائه على الأمور دونه ، وإنما يقصد في خروجه

سمى ابن طولون
لافتاح الخليفة أن
يقصد مصر
وكتابه إليه

(١) البندق : واحدها بندقة والجمع بندق وهي ما يرمى به (عرب)

أن يبلغ كل مبلغ يصل به إلى القبض على لؤلؤ ، فأنفذ إلى المتمد بالله رسولا خفي الشخص ، رث الميتة إلا أنه كامل محصل ، وأنفذ إليه معه سفتجة بمائة ألف دينار ، وكتب معه إليه كتابا هذا منه ، وذلك في سنة ثمان وستين ومائتين :

« قد منعتي الطعام والشراب والنوم خوفا على أمير المؤمنين من مكروه بلحقه ، مع ماله في عنقي من الأيمان الموكدة ، وقد اجتمع عندي مائة ألف عنان أنجاد ، وأنا أرى لسيدي أمير المؤمنين الانجذاب إلى مصر ، فإن أمره يرجع بعد الامتحان إلى نهاية العز . ولا يتبها لأخيه فيه شيء ، مما يخافه عليه منه في كل لحظة . فإن رأى أمير المؤمنين ، أيده الله ذلك صوابا ، فقدمه إن شاء الله وأظهر الخروج لهذه القصة »

فحدث أحمد بن محمد الواسطي قال : قال لي أحمد بن طولون : أليس الرأي عندك أن أخرج بجميع جيشي وعدتي كلها حتى أنتاش أمير المؤمنين من تلاعب أخيه الموفق به وأنقل كرسي الخلافة إلى مصر ؟ فإن بيعته اتى في عنقي تمتضي هذا له مني . فقلت له : ما تبلغ معرفتي وفهمي الكلام في هذا الباب ، ولكن في محبتك من إن أحضرته واستشرته أشار ، أهله ورجحان عقله ، طيبك بالصواب ، فقال : ومن هو هذا ؟ فقلت : محمد ^(١) بن إسماعيل بن عمار . فقال لي : صدقت إنه كذلك ، ولولا تفوري منه لخوفي من غوائله ودهائه ، لما كان بحيث هو ، وكان معي في أجل حال ، فأحضرني ، فوجهت من وقتي

(١) في ابن الدنيا : أحمد .

استصاح ابن طولون رجلا عظيما كان لي حبه

فأحضرته ، فأدخل إليه وهو بحاله التي هو عليها من المطبق ، وعليه
قيص غليظ ؛ ولم يكن يلبسه أحد سواه ، وقد اسودَّ من طول
دُخان السراج ؛ وشعره قد طال ، حتى سقط على وجهه ، المكثه
في المطبق ، فاستدناه فدنا قليلاً ، ثم استدناه ثانية فدنا ، وقال :
ما أرضى راحتي للأمر أبده الله

فقال له : « دعوتك لأستشيرك في أمر أردت أن أفعله ،
لعلني بجمود رأيتك ، وصحة فهمك . فقال له : أين الرأي مني اليوم ، أيها
الأمير ، وهذه حالي ؟ فقال له : أنت أوفى رأياً ، وأذكي قلباً ، من
أن يتخل عليك ما التمسته منك ، أو يعتربك ما يعترني ذوي النقص
فقال : يقول الأمير أيده الله ماشاء ، والله جل اسمه الموفق ، فقال
له : إن أبا أحمد الموفق قد احتوى على أخيه أمير المؤمنين المعتمد
بالله ، ونفذ أمره في كل ما يريد ، وتمكن من إعنائه بن ضم إليه
أمير المؤمنين من الرجال والجيش الذي استداده منه لقتال البصري .
فما حصل ذلك له صارت له عدة على أمير المؤمنين ، وقد خفت حثي
في يميني التي له في عنتي ، إن قعدت عنه ، وقد عزمتم على الخروج
إليه بنفسي وجميع جيشي ، حتى أنصردعوته ، وأنتقله الي ، فأتري ؟ »
فقال : « إن من الخطر العظيم أولاً خروج الأمير بنفسه ، وجميع
جيشه وعدته ، لأن الحرب سجال ، ^(١) والظفر بحسب التوفيق ،

(١) الحرب بينهم سجال ككتاب أوى سجال سجالاً على هؤلاء ، وآخر على هؤلاء . وأصله اني

المسجون بسجين من البشر يكون لكل واحد منها سجال أي ذو ملآن ما . (التاج)

فأخاف أن يلحق الأمير ، وأعيذه بالله ، هزيمة فلا تكون له بعدها
قائمة . ولأن يكون الأمير أيده الله من وراء من يبعث به إلى هذا
الوجه ، وهو مادة له ، أولى من أن ينفذ بنفسه . وبعدهذا فأرى كلام
الأمير كلام من قد لهج من نصرة المعتد ، وما يريد من رد أمره
إليه ، مما لا يراه له المعتد ، ولا يمتدُّ به له ، لأنه رجل مشغول
بلموه ، منهمك في لذاته ، بمنزلة عن حسن تدبير ، وأن يكافئ
على فعل جميل .

« رأيت أيها الأمير لو انتقل إليك ، وقت للأمر حمايته من
أخيه ، وأجابك إلى مادعونه إليه ، أكان له في قصرك دار يسكنها
غير دارك ؟ فأول ما يستعجل الأمير أن يفتقل عن هذه الدار إلى
مالا يقارها ولا يدانها ، بل يضيق بن يحوطه ، بل لا يسع بعضهم ،
ثم يكون الأمير إذا دخلها كبعض الزوار .

« ثم أنت أيها الأمير الآن المتبوع الأمر ، فلا تلبث أن تصير
التابع المأمور ، ولعله أن يكون عنده أثر الناس مله أو مفضن أو
نديم ، لا يمشُرُ ” غلام الأمير ، وليس له منه منفعة في أمر ، ولا
يحمل عنه شيئاً من ثقل ، ولا يزيد على أن يُلبيه ، ويسهل موارد أمورهِ
ومصادرهِ عليه .

« وأقل ما في هذا الباب أن في أنه إذا دخل الأمير للسلام يكون

قائماً ، وذلك النديم أو الملهي جالساً ، اوضعه منه ، ومنبسطاً إليه .
ولعل هذا إذا شاهده الأمير أخرجه إلى أكثر مما خرج إليه أخوه
الموفق فيه ، ثم لا يأمن الأمير أن يسأله بعض غلمانه في ضيعة من
ضياعه ، أو عمل فيه أخص غلمان الأمير ، فلا تمكته مخالفته في كل
ما يستدعي منه ، ثم اعتراضات حاشيته في البلد وأصحابه ، وكذلك في
الأعمال ، وطلبهم ما يشق على الأمير ويعظم ، فلا يتهاى له منهم ، فإن
منع أغضب أمير المؤمنين . ثم الأمير بعد هذا غير آمن من أن تحمله
المحافظة ان يسأله استنزالك عن موضعك ، فيجيبه ليكلفه على حال
قد تقدمت له عنده إلى محبته ، ولا يخالف إرادته .

« وحسبك أيها الأمير ، أن تستدعي رجلاً إلى بلدك ومللك ،
فإذا بلغت غاية التصوى ، وسوغته كل ما كدحت فيه دهرك ،
رأى أن ذلك كله له ومن حاله ، وأن الذي قد بقي معك مما نتجمل
به بين يديه ، له دونك ، وأن إبقاء لك تفضل عليك .

« إن من إقبال الأمير ما يلحق المعتمد من أخيه ، لأنه يجد بذلك
الحجة على خلافه ، وترك الائتثار له ، وإسقاط اسمه والدعوة له
وتأليب^١ الأولياء عليه ، وفي هذا ما يتهاى له بلوغه من معونة أمير
المؤمنين ، وما يثني أخاه عليه فيعود له إلى إرادته ويزول عنه ما يكرهه ،
وما أحب أيها الأمير إظهار هذا الاجتهاد العظيم في قهر الموفق ،

(١) التأليب : التعريض والإيهاد وم عليه أب وإب واحد يعتمدون عليه بالظلم والعداوة

ونصرته لأخيه عليه ، أما بتخوف من مثله لقوة يده وكبر أمره
وتكنته ، والذي أرى ، ولرأي الأمير أيده الله فضله ، ألا يفعل
ما إذا فعله جرى الأمر فيه بينه وبين أمير المؤمنين على ما شرحت له ،
بما يخرج الأمير معه إلى أكثر مما خرج أخوه إليه .
فقال له أحمد بن طولون : حسبك حسبك ، وأمر برده إلى محبسه .

عط ابن طولون
حقوق الكتاب
واحترامهم

قال أحمد بن محمد الواسطي لأحمد بن طولون : أيها الأمير ! كان جزاءه
هذا الرجل على هذا الرأي السديد الصحيح الذي قال فيه الحقّ ومحض
النصيحة ، أن يُردَّ إلى محبسه ؟ قال : نعم ، إني تأملت أمره ، فوجدته
قد نصحتني في دنيائي ، وغشني في ديني وأخرتني . ثم تأملت رأيه وجودته
وصحته ، وما حضره منه بغير فكر ولا استعداد ، وهو على هذه الحال
الصعبة القبيحة المنقضية للحسن ، فضلاً عن غيره ، فكيف لو رأى
نفسه مطلقة ، وهو نافذ الأمر والنهي ، يأكل طيباً ويلبس ليناً ، ويشم
عطراً ، [إذا] لا تستد رأيه ، ولهد غوره ، وتمكن من عدوه ، بقوة
حيلته ، وحزم رأيه . إن أجهد الأمراء من أعطى مقادته للكتاب
العقلاء ، لأنهم أسد الناس رأياً وأقلهم ديناً ، بل يقبل رأيهم من غير
أن يظهر لهم فيه استصابه !

قال أحمد بن محمد الواسطي : فعجبت من قوله ، وازددت حذراً
له وخوفاً منه ، وكان ابن عمار البائس قد ظن بإخراجه إياه إليه ،
ومشاورته له وما محضه من النصيحة في مشورته ، أن في ذلك فرجاً

وخلصه ، وانحلال عقده . فلما رَدَّه إلى الحبس أيس مما كان يتوقعه من الفرج ، وصدع قلبه الغمُّ فمات .

الصراف ابن
طولون إلى الشام
للقاء الخليفة

قال مؤلف هذا الكتاب : وورد كتاب طيفور خليفة أحمد بن طولون من الحضرة ، يذكر وصول رسول أحمد بن طولون ، و كتابه إلى المعتمد ، والمال المستنج^(١) ، وأنه خارج إليه مع المعتمد ، ويذكر في كتابه أن يتأهب لموافاته إليه كما استدعاه ، فقد تمَّ عزمه على المسير إليه ، وأنا بين يديه أخدمه إلى أن يصل إليك إن شاء الله . فلما قرأ أحمد بن طولون كتابه بذلك ، أحضر شيوخ كتابه وقواده وشيوخ البلد ، وأحضر ابنه أبا الجديش فاستخلفه على البلد ، وخلف معه جماعة من شيوخ قواده منهم محمد بن أبا وغيره ، ووصاه باتباع أمرهم ووصام به ، وأكد على الجماعة في مراعاة البلد والرعية ، والمحافظة على ما يكون منه تمام السياسة واستقامة الحال ، وحسن الأحذوثة ، وحذر ابنه من التشاغل بلهو أو بشيء غير ما قلده إياه ، وخرج إلى الشام ، وحمل معه ابنه العباس مقيداً في قبة ، وهو يظنُّ في قوله وفعله أن خروجه لنصرة المعتمد ، والكامن في صدره لولؤ غلامه ، وهو يود أن الأرض طويت له إليه ، أو قذفه بين يديه ، وهو على غاية من السكابة والغم بأمره ، وكان قد استقر عنده أن الموقف

(١) السنتجة كقرمئة ان تطي مالاً لآخر ولآخر مال في بلد المطي فيوبه إياه تمَّ ،

تستجيد أمن الطريق ، وفله السنتجة بالفتح والمال السنتج المرسل إلى بلد آخر سفانج

قد أنفذ إليه الخلع ، وأنها قد وصلت إليه ، ولم يتحقق وصوله هو إليه ، فلما بلغ الرملة صحَّ عنده دخول لؤلؤ العراق ، وذلك في آخر سنة ثمان وستين ومائتين .

وكان محمد بن سليمان كاتب لؤلؤ من أخطر الناس من أحد بن طولون ، وأشدهم فزعاً منه ، لمقدمات كان يعرفها منه . منها أن أحد بن طولون كان يؤذّب الكتاب كثيراً على ذنب الصاحب ، ومنها أنه رأى فيما يرى النائم كأنه يكمنس قصره داخله وخارجه بمكنسة في يده ، فلما انتبه طلبه ليبدأ به ، فاحوف لؤلؤ عليه من حال لهلأتأنيه ولم يعلم بالرويا أخفاه وقال : وجهت به في معي لي وأنا أوجه أحضره ، وأمره بالخروج إلى الشام يتقدمه ^(١) .

(١) روى القاضي التنوخي في الفرج بعد الشدة باسناد ذكره قال : خرج يوماً محمد بن سليمان إلى ظاهر القسطنطينية فالتقى به السير إلى قبة كانت لأحمد بن طولون يقال لها قبة المواء مطلة على النيل وعلى البر ، فجلس فيها وسمه الحسين بن حمدان وجاءه من القواد . ثم قال : الحمد لله الذي يده الأمر كله يغل كما يشاء . فقال له الحسين بن حمدان : لا شك أن تجد يدك الحمد لأمره ، قال : نعم وهو عجيب طريف ، ذكرته الساعة ، وهو أني تزعت إلي مصر وأنا في حال رومة فزيت صغار الأتباع ، فتناق علي الماش بها ، فالتصت بأولاد العالوني ، فأجريت علي دينارين في كل شهر ، وصبرني مترفاً في اصطبله على كراعته ، فكنت هناك من حيث لا يعرف وجهي جيداً ، ولا أقدم على الوقوف بين يديه . فلما كان بين الأيام أخبرني قال : ويحك من أين يركب الأمير ؟ بيني أحمد بن طولون . قلت : واقفه ما رأي قط ، ولا وقت حينه علي إلا في الطريق ، ولا علمي بحمل من يصدى لفتاه . قال : دعاني الساعة وهو في قبة المواء قال : منك رجل أكثر أهل يقال له محمد بن سليمان قلت : ما اعرفه ، قال : بل هو في جيبك ، فأجده عنك ، فأني رأيت البارحة وفي يده مكنسة يكمنس داري بها ، فتوق ويحك ، ولا اعرف إلى أحد من حاشيته ، وأقربني على أسري ، فالتصت أمره . ومضت لهذا الحديث شهر . ثم دعاني ثانية قال : ويحك ، ماذا بليت به منك ، وليت انت به من هذا الأمير ؟ دعاني بعدة من اصحاب الرسائل فوائته ، وأنا في غاية الرجل ، قال : اليس أمرتك به صرف محمد بن سليمان الأوزق —

لغة الصم الذي
اجتهه والعامه
يخطون له

وإنما أراد أحمد بن طولون أن يعمل في أمر محمد بن سليمان ، كما
صنع في أمر صنم كان في عين شمس ^(١) ، وذلك أنه كان بعين شمس صنم

— الأخر؟ قلت: قد عرفتك يا سيدي اني ما استخدمت من هذه ميلة ، ولا وقت لي عليه
عين ، قال لي : كذبت ، وهو منك في اصطبك ، فأخرجه عن البلد الساعة ، فاني رأيت في
النوم ايضاً ، وفي يده مكنسة وهو يركس بها سائر دوري وحجري ، ونسأل الله السكناية . قلت
للؤلؤ : اي ذنب لي يا سيدي في الأسلام ؟ فقال لي : صدقت ، استر إلى ان يتأسى الأمير
ذكرك . وكان يجري عليّ رزقي في كل شهر ، وانا لا اعمل شيئاً .

فلما تفرأمر إعاد لؤلؤ إلى الشام ما توباً نهضت منه ، ونحلت عنه كتابه ، لما علموا من تغير حاله
عند صاحبه ، أذناني وقريني واجري عليّ عشرة دنانير في كل شهر ، وسألني على دابة ، فظمت
خدمته ولفيته واستخدمت إليه فزادني من بره . ولم يتبّه احمد بن طولون من استيعاش لؤلؤ ،
فسكرته بالرجوع إلى مصر ، فشاورني فأشرت عليه بالأخذار إلى نواحي ديار مصر ، وأخذ كل
ما استغنى عنه من المال ، ولم أترك غاية إلا أمتيناهي تهريره وتأليه ، حتى اوردته مدينة السلام .
ثم تقلبت بي الأحوال في خدمة السلطان وخدمة الدول ، وتوفي احمد بن طولون وحسب ابنه
وقتل ابو الجيش وتولى بعده هارون بن خارويه بن احمد عوض إخوته القواد والرجال ، وكان فيهم
لؤلؤ صاحبى ، وكان اسمرهم حالاً ، فلم انصر في صلاح حاله والإحسان إليه ، ومعرفة حقه .
فلم ادن من الشام حتى تقفاني بدر الحماي مطبياً ، وتلاه طننج بن جف مسرداً ، وصرت إلى مصر
فلما شارفها وتب شيبان بن احمد بن طولون ومن معه من جند مصر ، قتلوا هارون ، وتولى شيبان
الأمر اياماً ، واثال إليّ القواد في الأمان ، ولحق بهم شيبان ، ونحلت الرجال وقطعة من
الفرسان ، واظروا الخلاف ، فأوقت بهم واقبهم قتلاً واسراً ، ودخلت القساط سخنة وحويت
الحم والمهيج ، واشتضت الطلونية من البلد الى الحضرة ، حتى لم يبق فيها منهم احد . وصح بذلك
مام احمد بن طولون ، فسيحان الذي ماتنا فضل ، وإياه نسال خير ما تجري به اقداره ، وان
يستم لنا بخير رحمة ١٠ هـ

قلنا: وقد كان محمد بن سليمان الكاتب هـ . هذا اثر عظيم في القضاء على الدولة الطولونية ذكر
التقشندي انه سار بالساكر من العراق من قبل المستنكفي بالله ودخل إلى مصر في سنة اثنتين
وتسعين ومائتين وقد ولي الطولونية عليهم ربيعة بن احمد بن طولون قسطن البلد منه وخرب القطاع
وهدم القصر قصر بني طولون وقلع اساسه ، وخرب موضعه حتى لم يبق له اثر .

(١) يقول البلاذري احمد زكي باشا في تاسوس الجغرافية القديمة : المطرية وعين شمس جتان قريبان
من مصر القاهرة تعرفان عند الفراعنة باسم اود وعند اليونان باسم هيليوپوليس (Héliopolis) .
قلنا : وهما لهدنا حاسرتان زاهرتان .

على مقدار الرجل المعتدل الخلق ، من كذّان^(١) أبيض حسن الصورة ،
يُحِيلُ لِنِ اسْتِعْرَضَهُ أَنَّهُ يَنْطَلِقُ . فَحَدَّثَ إِبْرَاهِيمَ بِنِ كَامِلِ الْمَصُورِ^(٢) أَنَّهُ
وُصِفَ لِأَحْمَدَ بِنِ طُولُونَ فَأَحْبَبَ رُؤْيَتَهُ ، فَقَالَ لَهُ خَادِمٌ لَهُ نَصْرَانِي تَقَى
عِنْدَهُ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِ فِي دَارِهِ ، يُقَالُ لَهُ نَدُوسَةٌ . مَا أَخْتَارَ [أَنْ] يَرَاهُ
الْأَمِيرَ أَبَدَهُ اللَّهُ ، فَقَالَ لَهُ : وَلِمَ ؟ قَالَ : لِأَنَّهُ مَا رَأَى وَالِ قَطٍ إِلَّا
عُزِلَ . فَرَكِبَ إِلَيْهِ فِي سِتَّةِ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ وَمِائَتَيْنِ فَتَأَمَّلَهُ ، فَلَمَّا رَأَى
أَحْضَرَ الْقَطَاعِينَ ، وَأَمْرَمَ أَنْ يَجْتَنُوهُ مِنَ الْأَرْضِ ، فَوَضَعُوا الْقَمُوسَ
عَلَيْهِ ، فَلَمْ يَتْرُكُوا مِنْهُ عَضُوءًا صَحِيحًا عَلَى الْأَرْضِ ، حَتَّى دَرَسَ وَعَفَا
خِيَالَهُ ، وَذَرَى مَا يَبْقَى حَيَالَهُ فِي الصَّحْرَاءِ . ثُمَّ دَعَا بِنْدُوسَةَ خَادِمَهُ
فَقَالَ لَهُ : يَا نَدُوسَةَ مِنْ صَرْفِ [مَنَا] صَاحِبِهِ ؟ فَقَالَ : أَنْتِ أَيُّهَا الْأَمِيرُ ،
صَرْفَ اللَّهُ عَنْكَ كُلَّ مَحْذُورٍ . وَعَاشَ أَحْمَدُ بِنِ طُولُونَ بَعْدَهُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ
سَنَةً [أَمِيرًا] ، وَإِنَّمَا حَمَلَ مُحَمَّدُ بِنِ سَلِيمَانَ الْخَوْفَ مِنْهُ وَالْحَذَرَ عَلَى
أَنَّ حَسَنًا لَصَاحِبَهُ لَوَلَوْ النَّهَابَ عَنْهُ إِلَى الْمَوْفِقِ ، لَتَسَلَّمَ مِنْهُ نَفْسَهُ ،
وَيَأْمَنُ عَلَيْهَا مِنْ مَكْرُوهِهِ .

مواظفة ابن
طولون دمشق
لانتظار الخليفة

قال مؤلف هذا الكتاب : فلما بلغ أحمد بن طولون إلى دمشق ،
وشاع الخبر بمرحلة المعتد إلى مصر ، أقام أحمد بن طولون بدمشق
مترقباً له ، حتى وافاه خبر المعتد مع رسوله الناقد كان إليه بالمال ،
ينجبهه بمرسته إليه ، وقد فصل من الحضرة ، وأنه يسلك على طريق

(١) الكذّان : حجارة رخوة كالدّر . (٢) له ابن الداية : الصري .

البرية إلى مصر ، بن خفّ معه من ثقاته ، فاضطرب أحمد بن طولون لذلك ، وتقدم على مكاتبته بما حرّكه على المسير إليه ، وتبين كل ما ذكره له ابن عمار أنه يكون كله ، فقلق لذلك وتصبّر له ، حتى أتى من إقباله ما لم يكن في حسابه ، وبما جرت به عادة الله جل اسمه عنده .

ورد عليه كتاب طيفور خليفته يقول : قد كنت على المسير إليك مع أمير المؤمنين المعتمد حتى جرى ما أوجب تأخره ، فتأخرت بتأخره ، وأرجو أن تكون الخيرة للأمر أيده الله في ذلك إن شاء الله . وذلك أنه ما قرأ كتابك ، ووقف على ما دعوته إليه من المسير إلى ناحيتك ، سره ذلك وشكره لك ، وأظهر الخروج إلى الزهة ، وأخرج معه أخاه أبا عيسى وإبراهيم بن مدبر وأحمد بن خاقان وخطارمش وتينك^(١) ، وسار على كتبة يريد مصر ، فبلغ أخاه أبا أحمد الموفق خبره ، فكتب إلى إسحاق بن كنداج الحزري يعرفه أن أخاه قد خرج قاصداً إلى أحمد بن طولون ، ومتى تم هذا الأمر استولى أحمد بن طولون على أمره ، فلم يكن لكم ولا لأحد منكم مقدار ، ولم يلتق اثنتان في عسكر الموالي ، إن صح ذهابه وتمّ إلى ابن طولون يتجنب عن وجه العدو ويتمكن^(٢) من الدخول إلى السلطان ، فيكون ذلك سبباً لزال دولة بني العباس . ويناشده الله جل وعزّ في كتابه في تجديد العناية في رده ، ووعده إن ردّ المعتمد أقطعه إقطاعاً

ارجاع المعتمد
من شخص إلى
السام

(١) كذا في الطبري وفي الأصل بلا نقط ، وفي ابن الأثير : تيزك .

(٢) في الأصل : وسكنته وفي الجلة تشوبن

واسعاً ، ووصله بالمال الجزيل ، وزاد في رباسته وعلمه . وذلك في جمادى الأولى سنة تسع وستين ومائتين .

فلما قرأ إسحاق بن كنداج الكتاب حرره على ما استدعاه منه الموفق الحسد لك أيها الأمير ، والطبع فيما وعده به ، ورحل إليه راغباً راهباً في خيل جريدة في أربعة آلاف غلام ، من نصيبين^(١) إلى الموصل ، فسأل عن المعتد ، فقيل له إنه قد رحل عنها في أمس ذلك اليوم . ووجد له مراكب وحرقات وسفينتين . فيها متاعه وحرمه بموضع يعرف بالدواليب ، ووكل بهم ومنع من سيرهم ، وأمر الموكلين ألا يطلقوا لأحد من أسباب المعتد أن يتجاوز الموصل ، وسار حتى لحق المعتد بين الموصل والحديثة ، فضرب مضربه دون مضارب أصحاب المعتد ، وسار إليه فلم يلقه أحد من أصحاب المعتد ، حتى وقف بباب مضربه ، فخرج إليه فحرير الخادم فسلم عليه ، ودخل فاستأذن له ، وأمره بإدخاله إليه ، فدخل إليه ومعه محمد ابنه وحبشي ووصيف ابناً أخيه وطيب بن صفوان وجماعة من وجوه قواده ، فسلم على المعتد ، ووقف بين يديه . فقال له المعتد : يا إسحاق ، لم منعت الحشم من دخول الموصل ؟ - لأن الخبر بلغه ، وكان بين يديه يومئذ أحمد بن خاقان وخطار مش وتبنك - فقال : يا أمير المؤمنين ، وما دخول الحشم الموصل ؟ قال : لأنني آثرت دخولها . قال : لا والله أيد الله أمير المؤمنين ما إلى ذلك

(١) قال ياقوت : إنها مدينة عائرة من بلاد الجزيرة على جادة القوافل من الموصل إلى الشام . وهي

سبيل: أخوك في وجه العدو ، عدوك وعدو دولتك ، يقف على زوالك عن مستترك ، ومدينة آبائك ، فينصرف عن مقاومته ، ويخني بينه وبين دار ملكك ، وبهذا جاء في كتابه . فقال له المعتمد : أفغلامي أنت أم غلامه ؟ فقال : كلنا يا أمير المؤمنين غلمانك ، ما أطعت الله ، فإذا عصيته فلا طاعة لك علينا ، فقال له : وما معصيته ؟ فقال : تخليك عن دار ملكك ودار آبائك ، وتركك أخاك ، وهو يجاهد عنك وعن دولتك ، لعدوك ، فقطعن عن مستترك . وفي هذا عصيان الله عز وجل ، ثم خرج من المضرب ، وخلف أصحابه معه بين يديه .

ووجه إلى المعتمد يقول : إن رأي مولاي أن يبعث إلى أحمد بن خاقان وخطار مش ونيدنك لنتشاور فيما نحن فيه فعل ، فوجه بهم إليه ، ومعهم إبراهيم بن مدبر ، وسار معهم إلى مضربه ، فلما حصلوا فيه قال لهم : علمتم أنه ما جنى أحمل على الإسلام جنابة أعظم من جنابكم ، قالوا : وكيف ؟ وما هذه الجنابة ؟ فقال : أولها إخراجكم الخليفة في عدة يسيرة ، وهذا هارون الشاري " في جمع عظيم ما رآه ، فلو علم به لآسره ، فكان قد حصل الخليفة مأسوراً في يدي الشاري ، فكانت تكون فضيحة ليس أعظم منها ، فلولا تحصنكم الساعة في عسكري لكان هذا ، ولقتلتم وذهب الخليفة . وأحضر القيود وقيد الجماعة ، ووجه قبض على مضاربهم ، بجميع ما كان لهم فيها .

فلما أمسى الليل بعث ابنه محمداً وبإبني أخيه في جماعة ليحفظوا المعتد .
ارجاع الحمد إلى سر من رأى
فلما أصبح دخل على المعتد فسلم عليه وقال له : يا أمير المؤمنين الأمر مضطرب بناحية أخيك لاتزواجك عن مستترك ، وما مقام مولاي هاهنا معنا ؟ فقال له : احلف لي أنك تنحدر معي ولا تسلني .
فحلف له وانحدر به إلى سر من رأى ، فقال المعتد في ذلك :

أصبحت يملكني من كنت أمليكه وصار يأمرني جهراً وبنهائي
وصرت في حجره طفلاً يرور عني أخشاه حقاً كما قد كان يخشاني
فالمدُّ لله شكراً لا شريك له على الذي خصني منه وأولاني^(١)
فلما بلغوا سر من رأى تلقاه أبو العباس بن الموفق وصاعد بن مخلد ،
فسلمه إسحاق إليهما ، وانصرف إلى دار الخليفة ينتظر عودتهم ، فأنزلا
المعتد دار أبي أحمد بن الحصب التي في طرف الجسر ، ومنع من
نزول الجوسق والمشوق^(٢) . ووكلا به قائداً في خمسمائة رجل ،
يتمعون أن يدخل إليه أحد . فقال المعتد للموكل به : ما أنت ؟
قال : أخدم أمير المؤمنين . قال : هذا توكليل ملبح .

(١) قال ابن الأثير في الكامل : وكان (أي المعتد) في خلته محكراً عليه قد تحمك عليه أخوه أبو احمد الموفق وصبق عليه حتى إنه احتاج في بعض الأوقات إلى ثلاثة دنانير فلم يجدها ذلك الوقت فقال :

أليس من العجائب أن مثلي يرى ما قلّ تمتعاً عليه
وتؤخذ يأسه الدنيا جيباً وما من ذلك شيء في يديه
إليه تحصل الأموال طراً ويبيع بهن ما يجي إليه

وكان أول الخلفاء انتقل من سر من رأى . مذ بيت ثم لم يعد إليها أحد منهم

(٢) الجوسق : الصروهي نارية وهو اسم أحد صور الخلالة ، والمشوق : اسم لصر عظيم كان بالجانب الغربي من دجلة قبالة سامراء . عمره المتمد على افة وعمره ضراً آخر يقال له الأحمدي

وهاد أبو العباس بن الموفق ، وصاعد كاتب الموفق إلى إسحاق بن كنداج ، فعلمنا عليه خلعاً حسناً ، وركب من دار الخليفة وعليه تاج ووشاح وسيفان ، ولقب بذي السيفين ، و [كل ذلك غرق بالجوهري^(١) ، وعقد له على مصر مكان أحمد بن طولون ، وأقطع ضياع اقواد الذين كانوا مع المعتد ، ومبلغ مالمائة عشرة آلاف دينار في السنة ، وسلمت إليه نعمهم .

خلع الموفق في
مدينة دمشق
ورؤية علمه

فلما وقف أحمد بن طولون على هذا كله من كتاب صاحبه إليه وتواترت الأخبار أيضاً به ، والكتب إلى سائر الناس ، أقام بدمشق ووجه فأحضر قضاة أعماله ، وفيهم العمري وأبو حازم وبكار بن قتيبة فاستفتاهم في خلع أبي أحمد الموفق ، فكل أفتاه بخلعه إلا بكار^(٢) بن

(١) في الطبري : كل ذلك منسب للجوهري ، قال : غرق الجاهم بالنض وأغرقه : حلاه .
(٢) قال القاضي في تاريخه : كان المعتد قد سار في جمادى الآخرة سنة تسع وستين ومائتين يريد مصر ، بمكانة جرت بينه وبين أحمد بن طولون في ذلك ، وكان ابن طولون بدمشق ، فلما بلغ الموفق ذلك ، وهو في قتال صاحب الزنج ، أخذ إسحاق بن كنداج فرد المعتد وسله إلى صالح بن محمد فأزله فار ابن المنصب بسر من رأى وحجر عليه ، ولقب الموفق 'إسحاق ذا السيفين' ، ودولاه أعمال بن طولون ولقب صاعد بن محمد ذا الرزازين ، وكتب ابن طولون من دمشق أن الموفق نكث يفة المعتد ، وأمر بجمع القضاة والقضاة والأشراف ، وسار إلى دمشق فاجتمعوا وخلع الموفق ، وكان القضاة أفتوا بخلعه إلا بكار بن قتيبة فانه قال : أنت أوردت علي كتاباً من المعتد بأن الموفق ولي عهد ، فأورد علي كتاباً منه بخلعه . قال : هو الآن مطلوب محمود ، وأنا أيضاً أطلب حتى يرد كتابه بإطلاقك فقيد . ومنه : واسترجع منه ما كان دفعه إليه من جوائز ، فوجدتها في منزله بمجواتها ستة عشر كيساً . فيها ستة عشر ألف دينار . وسلم ابن طولون القضاء إلى محمد بن تاذان الجوهري وجعله كالخليفة لكار ، وكان كزار يحدث في الدين من طائفة ، ولم يزل يكار محبوساً ، وابن طولون يخرجها كلما خرج للنظام وأمر بأن يقام بين يديه إلى الزمان مرض ابن طولون فأخرجته إلى دار عند . صلى الجوائز القديم له . وقال ابن -

قتيبة فإنه تلكا في ذلك ، فتغافل عنه أحمد بن طولون ، وحقدها له في نفسه ، وكتب كتاب الخلع على نسخ ، وأفقد إلى كل عمل من أعماله نسخة تقرأ على المنبر في جميع أمصاره وتُخَلد ، فمن جوامع ذلك .
بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أجمع عليه اتقضاء والأولياء ووجوه أهل الأمصار ، حين أحضرهم أحمد بن طولون مولى أمير المؤمنين مجلسه ، بمسكوه في مدينة دمشق سنة تسع وستين ومائتين ، وسألم عما يوجب ما أقدم عليه الناكث أبو أحمد في أمير المؤمنين المعتمد على الله ، من إيقاع الخيل على فض جيوشه ، وتشريد حماته ، بجملهم على السيف مرة وقتلهم بالسهم أخرى ، ثم تخطى ذلك إلى إخافة سيربه ، وحمله على الائتار له في كثير مما بوثره ، مما يضع به من منزلته ، ويتقص من محله ، فلما كثر هذا عليه ، وخافه على نفسه ، أجمع على النفوذ إلى أحمد بن طولون للاعتصام به ، إذ هو ثقة وعمدته ، ومن خالص له على التجربة ، بتوقفه عن مكاره الخلفاء قبله ، وأن أبا أحمد لما رأى ذلك خاف أن يظل مأموراً بعد أن كان آمراً ، وكتب إلى إسحاق بن كنداج في قصده ورده ، فشاخص إليه في جمع كثير ، حتى وافاه بين الموصل والحديثة فردّه ، وأمير المؤمنين يتاشده الله ، ويذكره به ، ويخوفه مروقته عن الدين ، وتقضه ما أكده عليه

— عا كر : قال الطحاوي : وكان الأمير أحمد بن طولون من المرة بمجة بحق بكار بزيقية والليل إلى والتعظيم لقدره على نهاية ، وكان أبي إليه يحضرناره : تبلي على الناس الحديث ، على كثرة من كان يحضر مجامع د وأمر حاجبه ان لا يقطع مستلبه عن الاستتار . عليه ثم يصد إليه إلى المجلس الذي كان يحدث فيه فيقتد مع الناس فيه ويدهم بكار مجلسه وهو حاضر لا يقطع بحضوره إليه .

البيعة ، وإنما قدم عليه وقد فارق الطاعة ، ويرى من الزمة ، ووجب جهاده على الأمة ، فلم يُصنع إلى ذلك ، ولا اُكثرت به ، لما جعل له على ما يأتيه من أمره من الخطام ، فشرهت نفسه إليه ، وإلى ما استباحه من مال من أقام على الطاعة ، ووفى بالعهد والذمة ، حتى أدخله سرّاً من رأى مأسوراً ، وسلمه إلى صاعد بن مخلد فحبسه ووكّل به ، ومنع من جميع أهله وولده وشملّه ، فأصبح مقبوض اليد ، بعيد الناصر ، يخاف على نفسه أثناء ليله ونهاره ، عرضة لسوء القول وقبيح الفعل . فالأمة في حرج من التعرّد عن نصرته ، والأولياء في حث من نقض بيعته ، والسنن دائرة ، والأحكام ضائعة ، والحق منتبذ ، والعدل شارد ، وغير الله عز وجل تنتظر . فرأى كل من حضر خلّمه مما كان أمير المؤمنين بتّه له من ولاية عهده ، والتبري منه ، والجهاد له ، إذ كان قد منع حقوقاً ثلاثة : أولها حق الإمامة ، والثاني حق الأئمة ، والثالث حق النعمة عليه . وأوقع من حضر من الحكم شهادته عليه وفتياه به ، فكتب بذلك عشر نسخ نسقاً واحداً لا يغاير بعضها بعضاً ، وفيها خطوط القضاة ، بما نسخته :

يقول عبيد الله بن محمد العمري القاضي يجندي قنّسرين والمواعصم
والشفور الشامية ، وجندي حمص^(١) [وأنطاكية] : قد قرى عليّ

شهادة القضاة
على كتاب الخلع

(١) في تاريخ ابن عسّار : عبيد الله بن محمد بن عبد العزيز بن عبيد الله بن عمر بن الخطاب أبو بكر العمري القاضي من أهل المدينة ولي القضاء بحمص وقنّسرين وأنطاكية والتور الناصبية وهم دمشق إمام ابن طولون وكان من خلق أبا عبد المؤمن بدمشق

هذا الكتاب ، وهو قولي ، والحق عندي ، والذي أفتيت به ، أما صح عندي من غدر الناكث المعروف بأبي أحمد ، وتعديه وخروجه عن طاعة أمير المؤمنين أيده الله ، وأنه قد استوجب بما كان منه ، مما سمي ، ووصف في هذا الكتاب إسقاط اسمه وخلعه وترك الدعاء له ، وأنه غير مستحق لإمامة المسلمين ، ولا مأمون عليهم ، ولا موثوق به في ذلك ، وأشهدت علي وعلى فتياي من أثبت شهادته في هذا الكتاب . وكتب عيد الله بن محمد القاضي بخطه ، في يوم الخميس لإحدى عشرة ليلة خلت من ذي القعدة سنة تسع وستين ومائتين . وكتب عبد الحميد : يقول عبد الحميد بن عبد العزيز القاضي بدمشق والأردن وفلسطين : قد قرئ علي هذا الكتاب وهو قولي ، والحق عندي ، وهو الذي أفتيت به ، وقد صح عندي غدر الناكث المعروف بأبي أحمد ، وتعديه وخروجه عن طاعة أمير المؤمنين أيده الله ، وأنه قد استوجب بما كان منه إسقاط اسمه وخلعه ، وكتب بخطه . وكتب أحمد بن أبي العلاء قاضي ديار مصر بمثل ما كتبه صاحباه حرفاً بحرف .

وتوقف بكار بن قتيبة في شهادته ، ففضب أحمد بن طولون لأنه لم يشرح كما شرحوا ، ولا شهد كما شهدوا ، وتوقفه كان لوضعه من الورع والدين ، فكتب : شهد بكار بن قتيبة القاضي بمصر والإسكندرية ونواحيهما على ما سمي ووصف في الكتاب من أولها إلى آخرها من

إحسان أمير المؤمنين أبيده الله إلى الناكث أبي أحمد بن جعفر المتوكل على الله وتفضله عليه ، وبما كان من تعديه على أمير المؤمنين ، وأن الناكث أبا أحمد قد استحق بما كان منه خلعه وترك الدعاء له .
وكتب بكار بن قتيبة يده .

وأنفذت النسخ ، فكان الخاطب إذا دعا للمعتد في أعمال أحمد ابن طولون قال بعد ذلك : اللهم استغفنه من أسره وجار عليه وقصده ، يريد الموفق ، ثم يدعو للمفوض ثم لأحمد بن طولون .
وكتب إلى ابنه أبي الجيش يأمره أن يبعث إلى مكة قائداً جليداً في عسكر كثيف ، يمنع من أن يُدعى لأبي أحمد على منابر مكة أو بالوقف أو عرفات ، فأخرج لذلك المعروف بالفنوي وابن السراج في جيش ضخم ، وأقبل من العراق مع الحاج قائد يعرف بابن الناعمودي^(١) ، وكان على مكة يومئذ هارون بن محمد العباسي ، فعاون أهل مكة أهل العراق ، فكانت الهزيمة على المصريين ، فجرى من ابن السراج كلام كتب به أصحاب الأخبار إلى أحمد بن طولون فأنكره ، فلما قدم أمر به إلى الخليفة^(٢) .

قال مؤلف هذا الكتاب : فلما بلغ الموفق ما عمله أحمد بن طولون

تلاعن الموفق
وأحمد بن طولون
من المنابر

(١) كاذ في ابن الأثير ، وفي الطبري الباغودي ، وفي الأصل : ساردي

(٢) يقول المؤرخون إن جعفر بن الناعمودي نزل من أصحاب ابن طولون مائتي رجل وانهمز الباقون وسلبوا وأخذت أولاهم ، وأخذ جعفر من قائدي ابن طولون نحو مائتي آت دينار واصل المصريين - والمجازين والمناجيين - وكان المصريون فرقتا في هؤلاء الألبانوتوم - وقري كتاب في المجد الجامع بلعن ابن طولون ، وسلم الناس وأموال التجار

من إسقاط اسمه وترك الداء له ، أمر بلعنه على المتأخر وخرجت براءة
بلعنه إلى سائر الأمصار جميعاً فكانت نسختها :

« إن الله عز وجل قرن بطاعته طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم
وطاعة أولي الأمر ، انتخبهم لإعزاز دينه ، وإقامة معاليه . قال جل
من قائل : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي
الْأَمْرِ مِنْكُمْ) فإن عدو الله الملبين لجماعة المسلمين ، المعروف
بأحمد بن طولون ، أظهر ما كان منه من معصية وشقاق ، فيما بين
أقاصي المغرب إلى أكناف العراق^(١) ، ومرق من الدين ، وخلف
أمير المؤمنين ، وأخرب ثغور المسلمين ، وقاتل فيها المجاهدين ، بأهل
الفسق الملعدين ، واستباح حريمهم ، وسفك دماءهم ، فلما تبين أمير
المؤمنين أمره ، وعرف كفره ، تبرأ منه إلى الله عز وجل ، ولعنه
لعناً ظاهراً وأمر بلعنه ليلحقه ذلك من خواص الأولياء وعوام الرعية ،
ألهم فالعنه لعناً بفلح حده ، وبقل جنده ، ويتمس حده ، واجعله
مثلاً للغابرين ، إنك لا تصلح عمل المفسدين ، يا رب العالمين . »
وكان أحمد بن طولون لما أسقط اسمه والدعوة له على المتأخر ،
أمر أن يحوا اسمه عن الطرُز التي قد كتبت قبل ذلك ، ولا تُكُتَب

(١) روى السيوطي أنه كان لابن طولون ما بين درجة مالك بن طوق إلى أقصى المغرب .
ورجوة مالك بن طوق كانت بين الرقة وبلاد على شاطئ القرات بينهما وبين بغداد . أنه فرسخ
وبينها وبين دمشق ثمانية أيام ومن حلب خمسة أيام

فَمَا يَسْتَأْنَفُ ، فَلَمْ يَبْقَ بِمَصْرَ وَلَا بَنُو أَحْيَا تَوْبَ عَلَى طَرَاذِهِ اسْمُ الْمَوْفِقِ
إِلَّا تَقْضُ ، فَلَحِقَ النَّاسَ فِي ذَلِكَ مَشَقَّةٌ .

وَعَمَلُ شِعْرَاءِ الشَّامِ فِي حَضْرَةِ الْخَلِيفَةِ أَشْعَارًا كَثِيرَةً ، فَمِنْ ذَلِكَ
مَا قَالَهُ إِسْحَاقُ بْنُ طَرِيفِ الْخَزْزُومِيِّ فِي شِعْرِهِ طَوِيلٌ .

شعراء الشام
محمسون لإفغان
الخليفة من أعينهم

كَيْفَ يَرْجِي لِهَدْمِ مَنْ تَقْضَى الْعَمَلُ دَلْمَ يَرْعَى حُرْمَةَ الْأَجْدَادِ
نَاكثٌ قَدْ أَضَلَّ قَوْمًا أَطَاعُوا عَلَى نَكَثِ يَبْعَةِ وَفْسَادِ
أَيُّ صَوْمٍ لِنِسَاءٍ وَأَيُّ صَلَاةٍ وَإِمَامُ الْهُدَى أُسِيرُ الْأَعَادِي
أَيُّ عَذْرِ لَكُمْ بِمَخْذَلِ إِمَامٍ لِابْسِ ثَوْبِ خَيْفَةٍ وَأَضْطِمَادِ

وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ سَلَامَةَ الشَّيْبَانِيُّ :

هَذَا الْخَلِيفَةُ فِي فِنَاءِ أَعْدَائِهِ مَتَذَلُّ لِمَنْ أَخُو أَسْتَسْلَامِ
مَتَوَقَّعٌ لَلتَّمَلُّ كُلِّ عَشِيَةٍ وَصَبَاحِ يَوْمِ غَدٍ مِنَ الْأَيَّامِ
يَبْكِي عَلَى أَوْلَادِهِ وَعِيَالِهِ كَبِكَاةِ ذَاتِ التُّكُّلِ وَالْأَيَّامِ
غَدَرُوا بِهِ غَدْرَ الْجَعْدِ لِكُلِّ مَا قَدْ كَانَ أَوْلَامٍ مِنَ الْإِنْعَامِ

وَقَالَ مَنصَفُ بْنُ خَلِيفَةِ الْهُذَلِيِّ فِي شِعْرِهِ طَوِيلٌ لَهُ :

أَمْسَى الْخَلِيفَةُ بَعْدَ الْعَزِّ مَأْسُورًا وَأَصْبَحَ الْيَوْمَ مَقْهُورًا وَمَحْزُونًا
لَمْ يَرْعَ ذِمَّتَهُ أَهْلُ الْعِرَاقِ وَلَا حَمَوَهُ حِينَ غَدَا اللَّهُ حَاصِنًا
سَأَلُوا عَلَيْهِ سَيْفَ الْقَدْرِ [مُشْرَعَةً] لَتَتَلَّهُ [وَأَبَانُوا مَا يُسْرُونَا]
يَكْفُونُ وَلِيَّ اللَّهِ دَاهِيَةً وَاللَّهُ يَكْفِرُهُ فِيهَا مَا يُجْبُونَا

خليفة الله مأسورٌ ومضطهدٌ والناسُ في دارٍ لهموما [ببالونا]
وقال النابلسي الضرير من شعر له طويل يخاطب فيه أحمد
ابن طولون :

يا سمي النبي لا نسي الأُمة لك الذب عن حريم النبي
دولة الدين والخلافة عزت بك لا بالطريد عنها النبي
يعني أبا أحمد الموفق لما فناه المهدي فرده المعتد
أبزال أسمه على الرغم من كل مقام أمرئ كريم سني
رام ما لن يناله فلقد خا ف وخاب اعتصامه بالحصي
يعني اعتصامه بيازمان الخادم

ولبعده له و [سحقاً] لإسحاق بن اليهودي دينة الخزري

يعني إسحق بن كنداج في معاضدته له على المعتد

وقال محمد بن بشر العنسي :

يا بني الدين من مرادٍ وقصاً ن وأكفائهم من الأقوام
ضاربوا عن خليفة الله باليهض وقوموا به قيام الكرام
حسب سبة عليكم وعاراً دائماً عيه مدى الأيام
مأصاب الإمام يوم ابن كندا ج وقد [جداً] أمر أهل الشام

الصالح لؤلؤ غلام
ابن طولون
بالموفق

قال مؤلف هذا الكتاب وتواترت الأخبار من الحضرة إلى
أحمد بن طولون ظهور أبي أحمد الموفق على التاجم البصري وأنه

قد شارف انقبض عليه في آخر سنة تسع وستين ومائتين ، فخره
ذلك وأقلقه ، وكان الموفق قد أراد لما كان فيه من الفضل
والعقل ، وجودة التحصيل ، أن يستشف أمر لؤلؤ في مولاه أحمد
ابن طولون ، فقال له : تخرج إليه لتقاتله ، فأمرع الإجابة إلى
ذلك ، فنقصه ذلك عنده ، ووضعه من عينه ، لأن جميع ما
كان يفعله الموفق بأحمد بن طولون ، إنما كان غيره عليه ألا يكون
له كما هو لأخيه . وكان يقف على فضله ومجمله فيتأسف ألا يكون
له ومعه .

فتقدم الموفق بأن يكتب جريدة بأسماء من شخّص مع لؤلؤ ،
وأن تكون عدتهم مائة ألف رجل فارس وراجل . وتقدم سرّاً
إلى الكتاب بأن يدافعوا عن ذلك ، فظن لؤلؤ أن الأمر حقاً ،
فجدد آلته ، واستبدل بدوابه ، وزاد منها في عدتها ، وشمرّ ذيله
لمحاربة مولاه ، والموفق يتأمل من حاله في كل وقت ما قد عمي لؤلؤ
عنه ، ويقدر أنه لا ينتقد عليه قُبْح ما قد عمل على أن يحمل
نفسه عليه .

حدثنا عبد الله بن الفتح عن ابن الداية ، وكانت له من أبي
أحمد الموفق منزلة ، قال : لما تأمل الموفق أمر لؤلؤ ، وما عزم عليه
في أمر مولاه ، نَفَّسه بمد سروره كان لمجيئه إليه ، فتوقف عن

الرجوع عن
اللعن لى بلاد
الشرق وبلاد ابن
طولون

إنفاذه ، وأمر كاتبه صاعد بن مخلد وجماعة من خاصته بكتابة
أحمد بن طولون ، وتوبيخه على المبادرة بخلعه ، وإسقاط اسمه ،
ويقولون : إنه إنما كان يجب أن تفعل ذلك لو رأيت بالخليفة
حادثاً ، فأما ولم يجر إلا منع أمير المؤمنين من فعل شيء أثره ، لو
بلغه لعاد عليه وعلى مملكته ضرر ، فذلك غير منكر بوجوب ما تسرعت
إليه ، لأنه ليس قادحاً في عيّن ، ولا مخرباً عن بيعة ، ولا عادلاً
عن طاعة ، وأنت تعلم أن خواص الملوك يردون أمرهم في كثير
مما يحبونه احتياطاً لم وعليهم ، ولا يخرجون به عن طاعة ، ولا يحتشون
في بيعة ، وأنه قد كان يجب عليك أن تصون نفسك عن سوء
الظن بناءً في أننا نستحيز أن نحدث في أمير المؤمنين حادثة ، نبأ
إلى الله الكريم منها ، ويحلفون أن اللعن الذي خرج عن غير إرادة مني
ولا حجة ولا اختيار ، وأي أكاره لما جرى من ذلك وبشيرون عليه
بأن بكتابني بما يزيل به ما قد وقع بيننا وبينه .

قال : وكتب بما أمرهم به إليه عن أنفسهم ، وحلفوا له على
كراهية الموفق لما جرى من اللعن وغيره ، ويقولون في كتبهم إليه
إن الأحسن بك والأجمل ، ما خصك الله به من الفضل ، والمحل
الجليل ، والمروءة المقرونة بالدين ، أن تكتب إليه تذكر فيه ما أنت
مؤثر له من طاعته ، وما توجه من حقه ورعايته ، وما يشاكل ذلك
مما أنت بجميل فعلك ووافر تحصيلك ، أهدى إليه إن شاء الله .

وَضُمَّتِ الْكُتُبَ مَا لَا زِيَادَةَ عَلَيْهِ مِنْ اسْتِعْطَافِهِ ، وَمَا يَبْعَثُهُ عَلَى
إِجَابَتِهِمْ إِلَى مَا حَبَّوهُ ، وَأَنْفَذَتْ إِلَيْهِ بِذَلِكَ . فَلَمَّا وَصَلَتْ إِلَى
أَحْمَدَ بْنِ طَوْلُونَ الْكُتُبَ عَلِمَ أَنَّهُمْ لَمْ يَكْتُبُوا إِلَّا بِمَا اخْتَارَهُ الْمَوْفِقُ
وَأَمْرَهُمْ بِهِ ، فَسَرَّهُ ذَلِكَ وَأَجَابَ جَمَاعَتَهُمْ يَقُولُ : إِنْ الْمَوْفِقُ أَحَدُ
مَوَالِيهِ ، وَأَنَّهُ إِنَّمَا انْحَرَفَ عَنْهُ لِحَصْرِهِ الْخَلِيفَةَ ، وَأَسْرَهُ إِيَّاهُ ،
وَأَنَّهُ لَوْ خَلَّاهُ مَعَ اخْتِيَارِهِ ، وَأَزَالَ عَنْهُ الْمَوَانِعَ الَّتِي أَلْزَمَهُ إِيَّاهَا ،
وَلَمْ يَحُلْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ ، وَامْتَثَلَ أَمْرَهُ عَلَى رِسْمِهِ كَانَ ، وَلَمْ
يَنْحَرَفْ عَنْ طَاعَتِهِ ، وَلَا عَدَلَ عَنْ مَحَبَّتِهِ وَإِرَادَتِهِ ، لَكَانَ كَبَعْضِ
خُدَمِهِ ، وَأَنْ جَمِيعَ مَا فِي يَدِهِ مِنْ مَالٍ عَمَلَهُ بِمَحْفُوظٍ لِلْخَلِيفَةِ ، وَإِنْ أَقَامَ
عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ حَصْرِهِ إِيَّاهُ فِي يَدِهِ وَتَوَكَّلَهُ بِهِ ، حَارَبَتْ عَنْهُ وَلَوْلَمْ
يَبْقَ مَعِيَ أَحَدٌ ، فَأَرِنِي أَرْجُو أَنْ أَرْزُقَ الشَّهَادَةَ عَلَى حَسَنِ الطَّاعَةِ .

وَكَانَتْ الْكُتُبُ قَدْ وَرَدَتْ عَلَيْهِ سَرًّا فَأَنْفَذَ الْجَوَابَ عَنْهَا سَرًّا .
فَلَمَّا وَصَلَتْ إِلَى الْمَوْفِقِ ، وَوَقَفَ عَلَيْهَا سَرًّا مَا تَضَمَّنَتْهُ ، وَاسْتَحْسَنَ
هَذَا الْفِعْلَ مِنْ أَحْمَدَ بْنِ طَوْلُونَ ، وَأَنَّ ذَلِكَ مِنْهُ إِنَّمَا هُوَ عَنْ إِرَادَةِ
قُوَّةٍ فِي طَاعَتِهِمْ ، وَنِيَّةٍ صَحِيحَةٍ فِي مَوَالِيَتِهِمْ ، وَكَانَ الْمَوْفِقُ كَامِلُ
الْعَقْلِ ، مَتَسَكِّنًا مِنْ نَفْسِهِ ، حَسَنَ الْمَعْرِفَةِ ، ذَكِيَّ الرُّوحِ ، فَسَكَّنَ
ذَلِكَ مِنْهُ مَا كَانَ فِي نَفْسِهِ عَلَى أَحْمَدَ بْنِ طَوْلُونَ ، وَأَمَالَ قَلْبَهُ إِلَيْهِ ،
فِي كَاتِبَتِهِ ، وَأَيْسَ مِنْ أَنَّ أَحْمَدَ بْنَ طَوْلُونَ يَتَخَلَّى عَنِ الْقِيَامِ بِأَمْرِ
الْمُعْتَمَدِ ، فَفَعَلَ لِلْمُعْتَمَدِ كُلِّ مَا اخْتَارَهُ ، وَنَقَلَهُ إِلَى قَصْرِهِ ، وَبَلَغَ لَهُ كُلَّ

ما يجه ، وأزال الموكبين عنه وانشد يد عليه ، فأضرب عن كل
ما قد عزم عليه في أمره ، كل ذلك [رعية] لأحمد بن طولون ،
ولكبره في نفسه وحاله وقوة يده ، وفضله في قلبه ، وامثل كل
ما رسمه في كتبه وزيادة عليه رضاً له ، وراسل الموفق المتعمد يقول له
ما اختار لعنه وإنه لنادم عليه ، وعلى كل ما جرى في أمره ،
وشكر له حسن محافظته عليه ، وحسن طاعته له ، وسأله مكاتبتة
بما يزول به ما بينها . فسر المتعمد هذا من أخيه الموفق

وكتب إلى أحمد بن طولون كتاباً بخطه يسأله الرجوع عما
هو عليه لأبي أحمد الموفق ، ويعرفه ما جرى في أمره ، وما فعله
ورجع عنه ، ويشكره على ما كان منه ، حتى عاد له الأمر كما أحب .
وسأله أن يرد الدعوة له على المنابر ، وإعادة اسمه إلى الطرز ،
ويعود إلى ما كان عليه من استقامة الحال ، وأنفذ الكتاب إليه
مع الحسن بن عطف ، وأنفذ معه كتاب الموفق بخطه ، بإسقاط
اللعن عن أحمد بن طولون ، فلما بلغ الحسن بن عطف الرقة بلغته وفاة
أحمد بن طولون فرجع إلى الحضرة .

وكان قد اتصل بلؤلؤ غلامه أن مولاه قد باع نساءه وأولاده
في سوق الرقيق بمصر ، وقبض على جميع ما كان له في داره ، فبلغ ذلك
منه كل مبلغ ، وأقبل إلى الموفق فبكى بين يديه وقبل الأرض ،

عناية توتو
وتفضيل الخارجي
والربيع عليه

وعرفه ما بلغه عن حرمة وأولاده ، وسأله إنفاذ الجيوش معه على ما كان عزم عليه ، وضمن له أنه المجهود في طاعته ، حتى يأخذ له البلد ، وبسط لسانه في مولاه ، ولم يدع شيئاً يفرى به الموفق وبوحش به قلبه على مولاه حتى نقله ، فوعده الموفق بإفناذ الجيوش معه ، وخلع عليه ، وحمل على دابة من دوابه ، وتقدم ، إلى الكتاب بتجرید الجيوش معه . كل ذلك سخريه به ومدافعة ، إلى أن يرد الجواب مع الحسن بن عطاء ، فيقبض حينئذ على لؤلؤ رضاءاً لأحمد بن طولون لما شاهده من انحرافه عن مولاه ، وقبح فعله بمن رباه وأحسن إليه ، وكان هذا الفعل من الموفق لما فيه من العقل والرياسة والمروءة ، وعمل على أن يوكل به ويرده إلى أحمد بن طولون عند ورود جوابه عليه .

قال مؤلف هذا الكتاب : و [ما] كان فعل لؤلؤ في أمر مولاه كفعل الحارجي في الحجاج بن يوسف ، على أن رأي الخوارج في الحجاج وغيره من الولاة معروف . حدث مروان بن الحكم الأردني قال : أتني الحجاج بن يوسف بخارجي خرج عليه فقال : اضربوا عنق ابن القاعة^(١) ، فقال له الحارجي : بشما أدبك أهلك يا حجاج ، أهد الموت منزلة أصانعتك لها ؟ ما كان يؤمنك أن ألقاك بمثل ما لقيتني به ؟ فقال له الحجاج : صدقت لله درك ، وأطلقه . فرجع الحارجي إلى [أهله] ، فلما كان بعد وقت من الزمان ، عزم الخوارج على قتال

(١) في دهر الأديب : ابن القاعة

الحجاج ، فقالوا لذلك الخارجي : ارجع معنا إلى قتال الحجاج ابن
الفاطمة ، فوالله ما أظنك هو بل الله عز وجل الذي أطلقك ، قال
لم : هيات غلّ يداً مطّليهما ، واسترقّ نفساً معتقها^(١) وأنشأ يقول^(٢) :
أأقاتلُ الحجاجَ عن مَلَكُونِه^(٣) يَدِ نَقْرُهُ بِأَنها مَوْلَانُه
[إني إذا لا أخو الدناءةِ والذي عَفْتُ على عِرْفَانِه جَهْلَانِه]
ماذا أقول إذا وقتت حباله في الصفِّ واحتجبت له فَعَلَاتِه
وتحدّث الأقوامُ أن صنمته غُرِست لدي فحفظت فحَلَاتِه
أقول جارَ عليّ ؟ إني فيكم لَأَحقُّ من جارتِ عليه وُلَاتِه
والله لا خنتُ الأميرَ بِاللَّهْ وجوارحي وسلّاحها آلانُه
أجد الحزبية أن أكون مُصعِراً خَدَيَّ أو مكفورة حسانِه^(٤)

فهذا على أنه خارجي لا عهد له ولا عقد ، شكر الحجاج على ما
فعله في أمره ، وما من به عليه ، فمنعه ذلك من الإساءة إليه والعودة
إلى ما يبكره ، ولولو كفر أيادي مولاة ، وإحسانه إليه ،
وإنعامه عنده ، ولم يشكر شيئاً منها ولا رعاها ، وقد منّ عليه
بالأموال ، وصبر له الجاه العظيم ، بعد أن رباها صغيراً في حجره
كأحد ولده ، وأوطأ عقبه^(٥) الرجال كثيراً . وأمره على من هو خير

(١) في أنثال الليداني : واسترقّ رقبة مستها ، قال : وهو مثل يضرب لمن يستبد بالاحسان إليه .

(٢) صححت هذه الآيات على تاريخ ابن عساكر وعلى زهر الآداب للعصري . وفي ابن
عساكر زيادة بيت غير مفهوم . وقيل إن هذه الآيات لسران بن حطان أحد رؤساء الخوارج البغاة .

(٣) في ابن عساكر وزهر الآداب : عن سلطان

(٤) ليس هذا البيت في ابن عساكر ولا الزهر وهو في الأصل :

احس المراد أن أكون مصعراً خدي أو لعنك كثر أحماسه

(٥) أي كثر أتباعه

منه أمأ وأباً وجلاً ومحلاً، لشتان بين الرجلين، والحديث شجون .
قال المنصور للربيع حاجبه ومولاه، وإنما ملكه كبيراً، وقدمه
واصطفاه رجلاً: يا ربيع، سل حاجتك، فلقد سكت حتى نطقت،
وخفت حتى ثقلت، وقللت حتى كثرت . فقال: والله يا أمير
المؤمنين ما أرهب بملكك، ولا أستقصر عمرك، ولا أغتم مالك،
وإن يومي بفضلك عليّ لأحسن من أمسي، وغدي في تأمليك
أحسن من يومي، فلو جاز أن يشكرك شاكر بعين الخدمة والمناصحة
لما سبقني إلى ذلك أحد . فقال له: صدقت عليّ بذلك أحلك مني
هذا المحل، فسل حاجتك، فأني أقسم عليك لتفعلن، فسأله أشياء
فوقع له بها وبجائزة حسنة .

وما يشك في أن لولواً قد وصل إليه من مال صاحبه أكثر
مما وصل إلى الربيع، لأن المنصور كان رجلاً متقللاً قنوعاً، فكان
في عطائه على قدر ذلك . ثم ازدادت حال الربيع حتى قلده وزارته
بزمومه مناصحته .

مصر لؤلؤ قال: ونزلت حال لؤلؤ عند الموفق بينه وبينه، وأصله الداني،
وفعله الردي، حتى قبض عليه، وأخذ جميع ما كان في يديه،
فلما صيره ظرفاً فارغاً، أطلقه كلباً والفاً^(١)، كل ذلك كان

(١) نوع الكلب في الأناضول وفي الشراة ومنه وي: بلغ كيهب وبالغ وولغ كودت ووريل
ولتاويزم وولوناً وولوناً بحركة شرب ما فيه بأطراف لسانه أو أدخل لسانه فيه فحركه .

من الموفق غيظاً عليه ، لما شاهده منه في أمر مولاه .
ولمّ هدي بلولوث في آخر أيام هارون بن أبي الجيش خارويه ،
وقد دخل إلى الفسطاط فما رأوه إنساناً ، ولا أولوه إحساناً ، ومنعوه
أن يلبس سيفاً ومنطقةً ، فكان يركب يدراعة ، وغلّام واحد
بين يديه ، كأنه من بعض وكلاء الريف ، فكان ما نزل به ثمرة
العقل السخيف ، والفعل القبيح



سبب موت احمد بن طولون

ولكل أجل كتاب

قال مؤلف هذا الكتاب: أول ذلك أن يازمان الخادم ، لما خلا ذرعه بوفاة موسى أخي أحمد بن طولون وإبراهيم بن عبدالوهاب اليتيم ، تمكن من طرسوس وخت له ، [فثار به خلف] ^(١) وكان قد استمال طائفة من مطوّعيها ، فوثّبهم على خليفة طخشي الذي استخافه موسى عليها ، لما حضرته الوفاة فأخرجوه عنها ، واتصل خبره بأحمد ابن طولون ، وهو يومئذ بدمشق ، وخاف التدبير عليه ، فسلك طريقاً متجانفة ، ووجه إلى الخنازير والقناطر بين يمنع منها أن تقع عليه حيلة فيها ، حتى بلغ المصيصة ^(٢) فأقام بها ، وكتب يازمان وراسله بالشيوخ يدعوه إلى الطاعة وترك المشاقفة ، والاتقياد إلى أمره ،

ما جرى لابن
طولون مع يازمان
ورجوعه مهيأ
مخلفاً

(١) تتجلى هذه الحادثة بما أورده الطبري في حوادث: ٢٦٩ قال: وفيها كان وثوب خلف صاحب أحمد ابن طولون في شهر ربيع الاول منها بالثور الشامية وهو طاهل عليها يازمان الخادم مولد الفتح (٥ نطلع) ابن خانان فعليه ، فوثبت جماعة من أهل الثر بخت وخاصوا يازمان ، وهرب خلف ، وتركوا الدعا لابن طولون ولتموه على المنار ، فبلغ ذلك ابن طولون فخرج من مصر حتى صار إلى الشام ، ثم صار إلى الثور الشامية فنزل أذنة ، وسد يازمان وأهل طرسوس أبوابها ، خلا باب الجهاد وباب البحر ، وبتوا الماء فحزى إلى قرب أذنة وما حولها ، فتحصنوا بها ، فأقام ابن طولون بإذنة ثم انصرف ، فرجع إلى انطاكية ثم مضى إلى حمص ثم إلى دمشق فأقام بها .

(٢) المصيصة : من بلاد الثور تسميها الترك اليوم سيس والافرنج (Mopsueste) ويقول الكردي في ميمم ما استجم : المصيصة بكسر أوله وتشديد ثانيه بده ياء ثم صاد أخرى مهلة: نمر من ثور الشام معروف . قال أبو حاتم قال الأصمعي : ولا تمل مصيصة بفتح أوله

ويبدل له الأمان ، ويُخيره بين الخروج منها سالماً مسلماً مرفوراً ،
 ويمت أسباب الشر والحاربة ، أو يقيم عليها غلاماً من غلامه من قبله ،
 فلم يجبه إلى واحد منهما . فدخل إلى أذنة ^(١) ، وكاتبه أيضاً منها
 فلم يجبه ، فزحف إليه فوجده قد تحصن بها ، ونصب منجنيقانه
 وعزاداته ^(٢) على سورها ، فنزل أحمد بن طولون برجها ، وأحاطت
 عساكره بمحيطاتها ، ففجر يازمان عليهم نهر البردان ^(٣) ، وكان ذلك
 في كانون الأول ، وأوان شدة البرد والمطر . فكاد أن يفرق أكثر
 عسكر أحمد بن طولون ، فرحل عنها ليلاً بعد أن غرق المرج وما
 حول مدينة طرسوس ، وغرقت المضارب والحميم ، وكل ما كان في
 العسكر ، فلم يتهأ له مقام ساعة واحدة ، ووافى إلى أذنة فكتب
 إليه كتاباً يقول فيه :

أما والله أيها الناقص الأندل ^(٤) ، لولا [إرادة] إيقائي على ثغور
 المسلمين ، وكراحتي أن أفتح عليها للعدو معرفة تكون سبباً
 لهلاكها ، علمت أن مثلك لا يقاوم غلاماً من غلامي ولا يمشره ، فلما
 انتصرت بما فتحته ففرقت به ما لا يمكن دفعه إلا بما فيه هلاك الثغر

(١) بوزن حسنة بلد من الثغور قرب المصيصة ويقال لها اليوم أطه وهي حاضرة كيليكيا
 (Cilicie) من الكور الكبرى في آسيا الصغرى

(٢) العزادة بالشدية : شيء أصغر من المنجنيق شبيه بالجمع العزادات والمنجنيق ويكثر الميم :
 آلة ترمى بها الحجارة كالمنجنيق والجمع منجنيقات ومجانق ومجانيق

(٣) اسم هذا النهر اليوم قره صو اي النهر الأسود وباللاتينية Cydnus

(٤) الأندل والنذيل الحديس من الناس والمهتر في جميع أسواله والجمع أنذال ونذول ونذلا ونذال

انصرفت كافأً يدي ، محافظاً لله عز وجل ولجماعة ساكني الثغر ،
لا محافظة لك ولا عجزاً عن حملتك الضعيفة والسلاح .
وأصبح أحداث طرسوس في حوا (؟) إلى ما غرق من الآلات
التي زدعتها أهلها لما غرقت بالماء فنهبوها

وانصرف أحمد بن طولون عن يازمان ، بفيظ عظيم ، قد تمكن
في قلبه منه ، إن شفاء أهلك ثغور المسلمين وبلغ منيته ، فرأى أن
كظمه ، وتحمل غيظه لما كان فيه من الدين والخير ، أعود عليه في آخرته .
وطال مقامه بأذنة ، وكان ذلك في عنفوان اشتداد البرد كما
ذكرنا متقدماً ، فمات من سودانه خلق كثير ، لأنهم بقوا بطول
مقامهم عراة في البرد . وتساقت من الدواب مثل ذلك من كثرة
الثلوج ، فلما زاد الأمر عليه رحل إلى المصيصة ، فاجتمع إليه
وجوه قواده وكبار أصحابه فقالوا له : لا تبرح أو يزول هذا البرد ،
وتعود إلى يازمان ويمكنك الله جل اسمه منه . فقال لهم : والله لا يراني
الله عز وجل وأنا أجهز جيشاً لمحاربة طرسوس إذ كانت سكن الإسلام .

فأقام بالمصيصة ثلاثة أيام ، وقد نالت علة من البرد ، فلم يبلغ
أنطاكية حتى زادت علته ، وكان بدوها هبضة : أكل لبن جواميس
فاعتراه بعد الهبضة قذف فأعقبه في كثير ، فكان بدوه سبباً صغيراً
كما قال ابن الربيعي :

بدء علة ابن
طولون ورحله
إلى مصر وما وقع
له مع طبيبه

لا تَحْمَرْنَ سِيَّاً كَمْ جَرَّ شَرًّا سَبَبُ
وتزايدت علة الدَّرب^(١) . وكان طيبه سعيد بن توفيل^(٢) ،
فوجده قد خرج إلى بعض الديارات هناك ، فاغتاظ لذلك عليه ،
وضاق له صدره ، فزاده الغيظ هيماً ، فلما وافاه طيبه سعيد
أغظ له القول ، ومنعه عزة نفسه أن يشكو إليه أمره وما قاله ،
والعلة تزيد قليلاً قليلاً وتستحكم . ثم دخل إليه طيبه في الليلة
الثانية فاشتم منه رائحة نبيذ ، والنبيذ عند النصارى فهو والله دينهم
وعادتهم ، وقال له : لي يومان في هذه العلة وأنت لأم شارب
وتأتيني متنبذاً فقال له : طلبني الأمير أيده الله بالأمس وكنت في
بيعة^(٣) يتبرك مثلي بالصلاة فيها ، ويسافر إليها من البلدان البعيدة^(٤) ،
فلما قربت منها استغنمت ذلك ، فلما جئت لم يخبرني سيدي الأمير بما
جرى بعدي ، فقال له : أفأكان يجب أن تسألني عن حالي ؟ فقال له :
خفت سوء ظن سيدي الأمير ، ولم يجوز أن أسأل أحداً من الحاشية
عمالاً يعلمون صحته ، وشربي النبيذ فأنا آخذ منه الشيء اليسير ،

(١) الدَّرب : فساد المعدة

(٢) ذكر ابن أبي أمية في طبقات الأطباء أن الحسن بن زيوك كان طبيباً بحراً في أيام

أحمد بن طولون يصعبه في الإقامة فإذا سافر صحبه سيد بن توفيل

(٣) القالب أن هذه البيعة هي بيعة القيسان في انطاكية وصفها ابن بطالان في القرن الخامس

وسناً دقيقاً وعمل كلاءه باقوت في مادة انطاكية

(٤) في طبقات الأطباء : قال : يا سيدي طلبني أمس وأنا في بيعة علي . اجرت طادتي ،

وحضرت فلم تطبرني

لأننا نأخذه في قرباننا ديناً ، لا أشربه كما يشربه الناس ، وأنا مشغول
 بخدمة الأمير . فقال له الأمير : فما الحيلة الآن ؟ قال : تمتنع من الغذاء
 الليلة ، فلا تذوق شيئاً قلاً ولا جللاً ، بوجهه ولا سبب ، ولو قيرمت^(١)
 إليه بكل نوع من الشهوة له ، وتتحمل ذلك على كل حال . فقال له :
 ويمحك فأنا والله الساعة جائع شديد الجوع وما أصبر . فقال له :
 الله الله أيها الأمير ، فإن هذا جوع كاذب لبرد معدتك تجده .
 فلما كان في نصف الليل اشتد به الجوع فلم يصبر ، وعاد ذلك الحزم
 فيه نقصاً ، فدعا بشيء فأكله ، وأتى بطبق فيه فراريج [حارة] مشوية
 وخروف وجدي بارد ، فأكل من كل ما رآه ، فلما حصل في معدته
 انقطع عنه الإسهال .

قال نسيم الخادم : فلما وقفت على ذلك خرجت إلى سعيد بن
 توفيل وهو قائم في الدار فقلت له : قد أكل مولاي الساعة من خروف
 وجدي وفراريج وبزماورد^(٢) ودجاج ، فخف عنه القيام وامتنك .

(١) القرم محرمة : شدة شهوة اللحم وكثرة قيل لي الشوق إلى الحبيب

(٢) الزماورد : طعام من البيض واللحم وقول العامة بزماورد أصوب لأن فارسيته بزماورد
 (الأنطاخ الفارسية المرة لادي شير) وفي كتاب الطبخ لمحمد بن الحسن الكاتب البنادي أن
 صنعه أن يؤخذ الشواء الحار الذي قتر وجهه ويقطع ويجعل عليه ورق النعم ويسير من خل خمر
 وليون ملح ولب جوز ويرش عليه يسير ماء ورد ويدق بالساطور دقاً ناعماً ولا يزال يسقي
 خللاً إلى أن يشربه جيداً ويؤخذ الحبز السميد القاسي الملبب فيخرج لبايه ثم يمحي من ذلك الشواء
 حشواً جيداً ويظلم ويبل بالماء ويحش ويرش فيه ماء ورد ثم يرش فيه نمن طري ويبس فيه بعضه
 فوق بعض ويظلى أبدأ بشيء من النعم ويترك ساعة ويستعمل

قَالَ : اللهُ المستعان ، والله أمر هو بالفه . ثم قال لي : ضفت القوة المدافعة بقهر الغذاء لما قليلاً ، وستتحرك حركة شديدة قال : فوالله ما جاء السحر حتى قام أكثر من عشرة مجالس . ورحل عن أنطاكية وعلته نزايد ، إلا أن في قونه احتمالاً لما . ووافى إلى دمشق فأقام بها لتسكن علته .

وكان ابن أبي الساج قد كاتبه ، وعزم على أن يوجه إليه ابنه يكون عنده رهينة بالوفاء ، وإظهار الدعاء له في أعماله بالجزيرة ، فظن أحمد بن طولون أن رأيه فيما أظهره صحيح ، فأتقذ إليه عبد الله ابن الفتح وطبارجي ومعها الخلع والجوائز والحيل ، على أنه إن وفى بما ذكره ، ودخل في طاعته ، سلم إليه المال والخلع وما حمل إليه ، وثبتنا اسم أحمد بن طولون على الجزيرة وأعمالها .

ولما قرب طبارجي من ابن أبي الساج خشي أن يكون ذلك حيلة عليه ، وكان أحمد بن طولون قد تقدم إليهما بالقبض عليه ، فولى هارباً ، فرجع طبارجي وابن الفتح إليه فعرفاه بما فعل فمجب من ذلك . وخاف سعيد بن توفيل عليه من نزايد العلة ، فأشار عليه بالرحيل إلى مصر ، فاستخلف على دمشق ابن دغباش ، وقلد عبد الله بن الفتح الرقة ، وجعل أنعج على السيارة بينهما ، ورحل على عجلة عملت له موطأة ، يجرها الرجال قليلاً قليلاً ، لأنه لم يتهيأ له ركوب بغل ولا قبة ، لثلاثه تحرك على ذلك [علته] ، فسار بهذه الحال حتى بلغ

القرما^(١) ، فشكا إزعاج العجلة أيضاً له ، فركب الماء في المركب
يخبُّ قليلاً قليلاً حتى وافي إلى القسطاط ، وركب من ساحل
القسطاط قبة إلى الميدان .

توبيخه للقاضي
بكار لامتناعه عن
خلع المولى .

فلم يستقر في داره حيناً حتى أحضر بكار بن قتيبة القاضي
فنهله عن امتناعه من التصريح كما صنع غيره في أمر الموفق ، وقال
له : لم توقفت عن خلمه ، وقد حصر الخليفة وأسره وقهره واستبد
بالأمر دونه ، أفضل هذا لا يخلع ؟ ويؤمر على المسلمين لمخالفتهم رب
العالمين ، فقال له بكار : أذنت أوردت عليّ كتاباً من الخليفة المعتمد
بتوليته العهد ، فلوأوردت عليّ كتاباً من الخليفة المعتمد أنه قد [خامه]
خلعته ، وأما بخلكم أذنت له أخامه أنا لا يجوز لي غير ما عملته ، إذ لم يجوز
لي أن أقبل الأمر بنصه . فقال له : صدقت ، أتيتك امرئ بكتاب
منه بتقليده العهد وهو مطاع القول ، وهو اليوم محصور مأسور
مضيق عليه ، قد نكثَ عهدَه من قلده إياه ، ولم يُجازِه على جميل
فعله به ، واستبد بالأمر دونه ، وحصره وقهره ، فوجب بذلك على المسلمين
خلمه . فقال له بكار : ما أقول في هذا شيئاً إلا بحجة أثبتها . فقال
له أحمد بن طولون : أنت شيخ قد خرفت ، ونقص عقلك ، وأعجيبك

(١) القرما : على ساحل بحر الروم وهي فصة الجنار على فرسخ من البحر عاصمة آفة عليا
حسن ولها أسواق حسنة (قاله القديسي) وهي اليوم خراب . وفي سجع ما استعجم : القراءه بنتج
اوله وقانيه ممدود على وزن أفلاه وقد قصر مدينة . مرونة تلقاه مصر . والجنار واحدها الجزائر
رُ (بنتج الجيم وإسكان الفاء) البحر ليست بملوية .

قول الناس « بكار وبكار » فدعاك ذلك إلى أن خرجت عن جملة من شهد بأنه مستحق للخلع ، وخارج عن طاعة أمير المؤمنين من فيه الخير والدين ، ثم أقامه للناس في الميدان ، وأمر بتحريق سواده فحرق ، وحبسه في داره . فكان بكار في كل جمعة يلبس ثيابه وطويلته ^(١) ويخرج إلى باب الدار التي هو معتقل فيها ، يريد الجامع الجامع لصلاة الجمعة ، فيقول له الموكلون : ما إلى الخروج ، أيها اقاضى ، سبيل ، إلا أن نؤمر . فيقول لهم : الله شهيد على أي أرجع إليكم ، فيقولون له : ما إلى ذلك سبيل . فيقول : اللهم اشهد ، اللهم اشهد . ويرجع . فرفع ذلك إلى أحمد بن طولون فأرسل إليه يقول : زعمت أن المحجور عليه يأمر وينهي وبكتيب وسكاتب ، فكيف حال المنوع ؟ فإتريد أنت أيضاً ؟ أوردت علي كتاباً من الخليفة بتقليدك القضاء فأنفذت ذلك لك ، والآن قد منعتك ، فتورد علي كتابه بردك حتى أردك . فأقام في الحبس مذ قدمته الأولى من الشام إلى عودته الثانية منها .

وتفرغ [أحمد بن طولون] لأشياء كانت في نفسه ، فنهاه رثة صاحب دار هرثة ، أوقع به واصطفاه جميع ما ملكه وحبسه ، لأنه كان رُفِعَ إليه أنه قال : توهمنا أننا نخدم إمارة ، ولم ندر أنها خلافة ، إلا إنها خلافة وسخنة مخوفة العاقبة .

عقوبة من
استصغر أمره
وزهده في تجارة
كانوا حسنوها له

(١) أي قلنسوته الطويلة كما صرح بذلك الطبري في حوادث أول سنة ٤٣٨ هـ حيث وصف دخول الطوسي عسكر الموثق فقال : وعليه قباء ديباج وقلنسوة طويلة . وقال الجاحظ في البيان : ظنون كانت القلائس مكتسوفة زادوا في طولها وهدئة رؤوسها . وقال في أخلاق الملوك : كان الحجاج إذا وضع على رأسه طويلة لم يجترئ أحد من خلقه أن يدخل على رأسه عليها .

وإنه اجتاز ببيكار بن قتيبة وقد أقيم للناس فقال له : عز علي ، كفانا الله وإياك ، فما هذا مقامك ، فحبسه في المطبق حتى مات فيه .
وأوقع بزياد المعدني لأنه بلغه عنه أنه سمع حسن بن مهاجر كاتبه^(١) ،
وقد لحن في لفظة ، فضحك منها . وكان أيضاً القواد كلهم ييغضونه
ويبسونه لفصاحته وعجمتهم ، ولأن أحمد بن طولون تقدم إليه أن
ينسب إلى ولائه فقال له : أيها الأمير ! قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : ملعون من أتى إلى غير مواليه . وجماعة من بالمغرب يشهدون
بعقني أشهب لي ، فأمسك عنه . وبلغه أيضاً أنه كان يعيب ألفاظ
أحمد بن طولون ويقول : كان أشهب مولاي أسد رايًا ، وأحق
بالرياسة منه ، فحبسه حتى مات في حبسه .

وقبض على أبي الضحاك محبوب بن رجا وأخذ جميع ما كان له
وحبسه في المطبق ، وقال له : أنت كنت السبب في خروج ابني العباس
إلى الغرب بالاضرب^(٢) بينه وبين الواسطي ، وإنفاذك كتب الواسطي
إلى ابني العباس بما كان يطالعني به من أمره ، وأغريته به ، وملأت
صدره عليه ، لتقتل الواسطي وتنفرد بموضعه

وكان معمر الجوهري قد حسن له التجارة ، فحمل إليه مالا على
أن يشغله له في كتان . فرأى فيما يرى النائم كأنه تمشش^(٣)

(١) في الاصل: كتابه

(٢) التضرب بين القوم : الاغراء

(٣) التمشش : مس اطراف النظم

عظماً ، فدعا بالسأل المفسر ، وكان حاذقاً بالعبارة ^(١) ، قصص عليه
 مارآه فقال له : أسفت نفس الأمير إلى مكسب لا يشبه خطره وبحله ،
 فدعا بإبراهيم بن قراطغان ، وكان من أحد ثقاته ، ويتقده صدقاته ،
 فقال له : امض إلى أبي الحسن معمر ، فخذ منه ثمن الكتان وتصدق
 بجميعه ، فضل ذلك ، وكان مالاً واسعاً .

شكوى طيب
 استبداده وعلم
 جماعه نصالحه

حدث إسحاق بن إبراهيم قال : قلت لسعيد بن نوفيل طيب
 أحمد بن طولون ، وقد صار إليّ بعد قدومه يوم يسلم عليّ ، ويشكو
 إليّ ما عاناه من علة أحمد بن طولون ، وكان يخدم أبي وعمي قبله :
 ويحك ، أنت حاذق في صناعتك فاره ^(٢) فيها ، وليس لك عيب
 إلا أنك مدللٌ بها ، غير خاضع لمن تخدمه بها ، والأمير وإن كان
 فصيح اللسان ، هو أعجمي الطبع ، وليس يعرف أسباب الطب ، ومقدار
 صناعته ، فتدل فيها عليه ^(٣) فيحتمل ذلك لمقدار محل الطب والحاذق
 فيه ، وقد أفسده أيضاً عليك إقباله ، فالطف له وارفق به وداره ،
 وخاطبه من حيث يشاء ، واخدمه كما يختار ، وواظب على أمره ،
 واحتمل شيئاً إن جرى منه ، فإن احتمالك يثنيه عما لعلك تنكره .
 فقال لي : والله ما خدمتني له إلا كخدمة انفار للسور ، والسخلة

(١) تسمية الرّوا يقال صر الرّوا صراً وعبارة وعبّرما فسرهما وأخبر بأمر ما يؤل إليه أسماها
 والسأل هو ابو علي الحسن بن محمد بن أحمد المصري كان في تسمية الرّوا عجباً من العجائب وسمع الحديث
 توفي سنة ٣٠٦ هـ (أنساب السلفي) (٢) حاذق . (٣) وفي رواية : فدير نفسه بها وينقادك

للذئب ، وحذري منه كحذرهن ، وإن قتلي لأحب إلي من
صحبته ، لأنه يُنكر عليّ ما لا ينكر ، ويخالف من علاجه
ما ينفعه ، ويسارع إلى ما أحذره منه ، وأنهاه عنه ، فإذا حدث
ما بكرهه نسبني إلى أني قصرت في علاجه ، وجعل الذئب لي . قفلت
له : فأنت على هذا مرحوم ، أعانك الله بلفظه .

محاولة قائلين
الإعداد على بلاد
تعد من عمل ابن
طولون

فلما اشتدت علة أحمد بن طولون أرجف إسحاق بن كنداج
وابن أبي الساج بوته وأذاعا [ذلك] ، وطعما في الوثوب على أعماله
التي تقرب منها . وبلغ ذلك أحمد بن طولون فكتب إلى أنجع يأمره
بالمصير إلى عبد الله بن الفتح ليعاضده ، وكتب إلى ابن دعباش بأمره
بمعاضدتهما ، إن احتاجا إليه ، ووصاهم بأن تكون كلمتهم واحدة ،
وقلوبهم متفقة ، وأمر بمضاربه فأخرجت إلى منية الأصبح^(١) ،
وأنفذ إلى الشام جيشاً فيه خاقان وبلق ، وأقام في مضاربه نحواً من
شهر ، ونفذت بذلك الأخبار إلى ابن كنداج وابن أبي الساج
فكف ذلك منها طمعها ، ومنعها مما كانا قد عزموا عليه .

وكان أحمد بن طولون إذا جرى ذكر إسحاق بن كنداج يقول :
قال اليهودي كذا ، وفعل اليهودي كذا ، لأن الخزر^(٢) كانوا يهود .

(١) في ياقوت أنها شرق مصر ، منسوبة إلى الأصبح بن عبد العزيز بن مروان أخي عمر بن
عبد العزيز بن مروان . ولم يذكر صاحب المخطط التوفيقية هذه البلدة في حافرها بني وأنس قط
في السلام على ظاهرها .

(٢) في ياقوت وسالجرانية القديمة : أن بحر الخزر نسبة العرب بحر الخزر (ا جنة فتحة) -

محاورة ابن
طولون مع أطبائه
وإصلاحه عليه
الخاص

وأضرَّ بأحمد بن طولون مقامه في مَضْرَبه كَثْرَةُ المَوَاءِ ، فدخل إلى داره وعلته تزبد ، فأحضر الحسن بن زيرك الطيب ، فشكا إليه سعيد ابن توفيل طبيبه . وكان ابن زيرك هذا حادِّقاً أيضاً في صناعته مقدِّماً فيها ، وذكر له تَوَانِيه في علاجه ، فَسَهَّلَ عليه عاتقه ، ووعد به بالسَّلامَة منها عن قرب ، فأنس إلى هذا القول منه وفرح به ، وخفَّ عليه بالراحة في داره والطمانينة ، وبملاطفة النساء له بالغمز مرة ، وبالمُدْوَاءِ أُخْرَى . وَرَفِقُ النِّسَاءِ بالليل يحدث راحة ، وكذلك محادثة الصديق المحب ، أو الصاحب المخلص ، واستماع الأخبار والأحاديث ، من جدِّ وهزل ، تحدث سلامة وراحة قوية ، ومرحاً في القلب . فهذا أجلُّ ما استعمله الطيب .

فلما حصل لأحمد بن طولون هدوؤه في داره ، واجتماع شمله وسكونه ، تبرَّك [بقول الحسن] بن زيرك ، فجعل يخلط فيما يَأْكُلُه مع الحريم ثقة بقول ابن زيرك ، ويسرَّ عن طبيبه وغيره ما يخلط به على نفسه ، ولا يمتنع من شهوة يوترها ، لقوة قلبه بقول ابن زيرك الطيب وما أطمعه فيه . وإنما قصد بذلك أن يكسره عن شكواه إليه طبيبه سعيداً ، فكانت راحته التي وجدها لا أصل لها ، فازدادت عاتقه بتخليطه . وكان قد انتهى على أمِّ أبي العشائر ابنه سمكاً قريضاً^(١) فأحضرته

- باسم من العشائر التي وطنه على - له وهي تسمى المزوج زيادة جيم في آخرها كما هو الشأن في الكلمات الفارسية المربة . مثل ساذج ولوزنج إلى آخره . والمشهور أنهم يهلون الجيم في العلق والكتابة (١) الملك القريض : لغة في القريس وهو الذي طبخ وعمل فيه صباغ (كالخل والزيت) وتزك حتى يجمد

إياه فأكل منه ، فتمتكن في معدته حيناً حتى تدافع الإسهال عليه ، وزاد أمره ، فأحضر أطباء البلد كلهم ، وجعل الذنب لم ، وقال لم : أخطأتم في علاجي ، وأرهبهم وأخافهم . وقال للحسن بن زيرك الطبيب ، وكان قد سقاه دواءً ممسكاً : أحسب أن الذي سقيتني إياه أمس كان غير صواب ، وكذلك ما أسقيتني اليوم أيضاً . فقال : والله ما أسقي الأمير إلا ما أجتهد في الصواب فيه ، وأتولى عجنه وعمله بيدي ، وأعلم أنه علاجه وموافق له ، وكل ما تناوله الأمير أيده الله أمس واليوم فحمود ، زائد في القوة المسككة ، يُنهضها ويقويها في معدتك وكبدك .

وذاق صدر ابن زيرك من خطابه له ، فقال : يحتاج الأمير أيده الله ، إلى إحصار جماعة أطباء البلد كلهم ، في غداة كل يوم ، حتى يجتمعوا على المشاورة ، ويتفقوا في أمره على ما يسقونه ، فلا يتناول إلا ما أشارت به الجماعة ، وانفقت فيه آراؤهم . فضيق هذا القول صدر أحمد بن طولون فقال : والله لئن لم ينجع في دواؤكم وتدابيركم لأضربن أعناقكم بأسركم ، فما أنتم إلا ممخرقون ، وعلى الأعلاء متجننون ، لا يحصل العليل منكم على شيء في الحقيقة .

فانصرف الحسن بن زيرك من بين يديه وهو قلق بكلامه ، [قد فعل] الخوف منه في قلبه ، وعمل فيه الفكر ، وكان شيخاً كبيراً فحبت كبده عليه من انغم الشديد ، وقوي عليه الفكر فاختلف

عقله ، فبقي يومه وليته يهذي بعملة أحمد بن طولون ، ويورد كلامه له ، وما توعد به الجماعة ، فأت من أمد ، وطلبه أحمد بن طولون فعرف موته فازداد غمه وقلقه ، وأمر يجمع الأطباء فجمع له أطباء البلد الموصوفون في التقدم في الصناعة والحذق ، وكانوا إذ ذاك متوافرين ، فكانوا يحضرون في كل يوم بين يديه ، ويحضر طبيبه سعيد بن توفيل خشية ما جعله ابن زبرك في نفسه ، فيتشاورون في أمره ، فإذا انفقوا على صفة لا يشكون فيها جميعاً ، عملت شربة فيها شربتان ، فيشرب أحدهم نصفها بين يديه ، ويسقى النصف الآخر . كل هذا حتى يزول الشك عنده فيهم ، فكان من يشرب منهم ما لا يحتاج إليه جسده ضره وأعقبه علة ، فكانوا يمتلون من ذلك أمراً عظيماً طول عاتبه .

الطبيب المصح
الذي أحضر
للحرم

قال : وكان أحمد بن طولون قد قال لسعيد بن توفيل طبيبه قبل علقته : أريد طبيباً يصلح لخدمة الحرم ، ويكون بين أيديهم في غيبتي وحضورتي . وكان له ابنٌ بارع في صناعته ، قد حذق الطب ، وكان ذكي الروح ، حسن الوجه . فقال له : لعبد الأمير ابن كُبَيْس ، قد برع في الطب ، فإن أمرني بإحضاره أحضرته . قال : أحضره ، فلما أحضره نظر إلى حسنه فقال له : وبلك ! أقول لك طبيب يصلح للحرم ، تجيئني بمن يفتنن ويفسدن ، أنظر لي واحداً مقبلاً ،

لا يهش إليه أحد . فحملت سعيد بن توفيل النفاسة وانغيرت على موضعه
أن يدخل معه فيه غيره ، على أن [أخذ] هاشماً - وكان شاكرية^(١) -
فألبسه دُرَاعَةً^(٢) وخفياً وعمامة ، وقلع ثيابه الوسخة التي كان
يخدم فيها ، وكان مقبجاً جداً ، فأدخله إليه . فلما رآه قال له :
نعم هذا يصلح لمن ، وقد جوّدت فيه ، فألزمه خدمتهن ، وكان
لهائم هذا إقبال قد أزف ونجوم قد طلعت ، لم يعلم بها سعيد بن توفيل ،
ولا أن هلاكه يجري على يديه ، فأدخل إلى الحرم فسألوه عن أشياء
تَنَفَّقَ عندهن : من دواء الشحم وعلاج سواد الشعر وعلاج الحيض
وأشباه ذلك . وكان هاشم خبياً ملمعوناً ، فاجراً ردي الطبع ، فجرى
معهن في ميدانهن كما أردن ، فقال لهنه : أنا أعمل لك كذا وكذا .
وقال لأخرى لما تطلبه منه : أنا أعمل لك في هذا ما لا يعرفه أحد
ولا يحسنه . وعمل لكل واحدة منهن ما أرادت ، فحظي بذلك
عندهن ، حتى ضرب بعضهن بعض المثل ، وكسب منهن كسباً كثيراً
ما كسب صاحبه مثله مع أحمد بن طولون . ولم يكن يحسن غير دق
العقاقير ، وعجن الأدوية بين بدي سعيد ، ونفخ النار تحت الأدوية
المطبوخة ، ولم يكن يمكنه من عمل شيء من الطب ، لأنه لم يكن
وزنه ذلك ولا عمله عنده ، وإنما كان يمسك حماره إذا دخل دار
الأمير أو بغله ، وينام في الإصطبل .

(١) الشاكري : الأجير والمستخدم مررب جاكرو .

(٢) الدراعة : حية من صوف مشقوفة المقدم

وكان جماعة الأطباء قالوا لسعيد لما اصطنع هاشماً وأدخله إلى الأمير والحرم: يا سعيد نَفِيت^(١) على غيرك أن تدخله دار الأمير، وفيهم من لا يشك فيه أنه يصلح لذلك، حذقاً بالصناعة وفعالها، ثم مع هذا كنت تكون آمناً من عليك وعلى حالك، والله ليكون لك من هاشم الذي اخترته يومُ رده إليه طبعه الردي، وأصله الذي حدث جرّيج بن الطباخ المتطبب قال: لقي سعيد بن نوفيل [عمر] بن صخر الطيب فقال له [عمر]: ما الذي نصبت هاشماً له؟ فقال: لخدمة الحرم، لأن الأمير طلب مني طبيباً مقبلاً. وطاب له: قد كان في أبناء الأطباء فيبيع قد حسنت تربيته، وطاب مفرسه، يصلح لهذه الحال، ولكنك استرخصت الصنيعة، والله يا أبا عثمان، لئن قويت يد هاشم ليرجمن فيك إلى دناءة منصبه وخساسة محتده. فتضاحك سعيد من قوله، وقد رَأَى ذلك لا يكون

فلما جمع أحمد بن طولون الأطباء، وانفقوا على ما يعالجونه به، دخلت إليه أم أبي العشائر ابنته فقالت له: قد أدخل مولاي إليه اليوم جميع الأطباء ووقفوا على علاجه، وعمل كل واحد منهم بما عنده من الصواب بما سقوك إياه، وأرجو أن يكون فيه الشفاء بشيئة الله. ولم يُحْضِرْ مولاي هاشماً طبيباً فيمن حضر، والله يا مولاي ما فيهم مثله، لأننا قد شاهدنا منه في خدمته لنا ما حمدناه

فقعة ابن طولون
بدجال وزهده في
إشارة الأطباء

(١) قره به كفتح: من عليه بخبر حسد وعليه العي نقابة لم يره اهلاً له

وتبر كنا بصفاته . فقال لها : - طلباً للفرج ، ولما هو عليه من العلة التي
 يطمع العليل فيها بكل شيء ، وتعلق نفسه بما توعد به فيها من العاقبة - :
 أحضِرْ يديه سرّاً حتى أخاطبه ، وأسمع ما عذره في مشاهدته حالي .
 فأدخلتهُ إليه سرّاً ، بعد أن شجعتَه على كلامه ، وسهلت عليه هيئته ،
 لأنه جبنٌ من دخوله إليه ، مما لم يقدر أنه يراه أبداً . فلما دخل إليه ،
 ومثّل بين يديه ، وأخذ بحمسه ، وتأمّله قليلاً ، لطم وجهه وقال : أغفل أمر
 الأمير أيدته الله حتى بلغ إلى هذه الحال ؟ لأحسن الله جزاء من تولى أمره .
 فكان لطم هاشم وجهه بين يدي الأمير ، وما تكلم به في أستاذه تصديقاً
 لقول من أنكر على [سعيد] تقديمه وإدخاله إياه إلى الحرم ، وتركه
 بحيث لا يستحق ، وكان ما خاطبوه فيه حقاً . فقال له أحمد بن طولون : يا مبارك
 فما الصواب الآن ؟ قال : يتناول الأمير أيدته الله قبيحة صفتها كذا
 وكذا ، وعدد فيها قريباً من مائة عقار ، ولم يعلم أن سبيل هذه
 القويحُ تمسك [عندما] نتناول ثم نعقب ضرراً كبيراً ، لأنها تنعب
 القوى الماسكة ، وكان استعماله ما اتفق عليه الأطباء مع سعيد وسقوه
 إياه لو دام عليه أحد عاقبة وأذنع ، فامتنع من شرب ذلك يومه ،
 وتناول القبيحة التي أشار بها هاشم ، وعملها له بين يديه ، فلما
 تناولها أمسكت وحبست قيامه وقوي قلبه لذلك ، وحسن موقع
 هاشم من قلبه ، وظن أن البرء قد تمّ له ، فقال له : ويحك يا هاشم
 إن سعيد بن توفيل قد حما في منذ شهر من لقمة عصيدة ^(١) اشتيتها

(١) العصيدة ؛ دقيق 'بك' بالس ويطبخ

ومنعني منها لعنه الله ، وأنا والله أشتهيها . فقال له : أيها الأمير قد
أخطأ سعيد ، العصيدة مقوية ، ولها أثر حميد . فأمر أحمد بن طولون
بإصلاحها فأصلحت ، وجيء منها إليه بجام^(١) واسع ، فأكل منه أ كثره ،
وطابت نفسه ببلوغ شهوته ونام ، وكان يشتهي النوم فيتعذر عليه ،
فأثقلت معدته ووجد خفأ في انقطاع الإسهال ، وطاب له النوم بعد
الأكل ، وظن أن ذلك صلاحه وعافيته ، وطوى ذلك عن طبيبه
سعيد ، ولم يوقفه على شيء منه .

فتبارك الله الخالق البارئ المتفرد بالكمال والبقاء ، بينما كان له
العقل الصحيح ، والرأي السديد ، والفراصة المضيئة ، والحدس الصادق
الذي ما كان يخطئ في أيام إقباله ، وما كان يُلزمه نفسه ويتفقد
منها ومن غيرها ؛ وشدة حذره وتوقيه . . . حتى انقلبت العين في
هذا كله دفعة واحدة ، وصار هو عدو نفسه يطعمها سرّاً من طبيبه
السمك القرص ، مع ما يطمه الناس كلهم فيه ، والعصيدة الثقيلة المتخمة
المؤذية في حال الصحة فكيف مع العلة ؟ ثم يخادع نفسه ويسخر منها ،
ويكتم طبيبه وغيره حاله في ذلك ، حتى [كأن] له في معدته بسوء فعله
عدواً قاتلاً ، ويفضل مثل هاشم على مثل طبيبه سعيد بن توفيل وغيره
من حذّاق الأطباء ، إلا أنه إذا أراد الله عز وجل أمراً سلب كل
ذي لبّ له ، حتى تتم مشيئته .

(١) الجام : كلمة فارسية وفي القاموس : إنا . من فضاء وجهه اجزوم بالهيز وأهجوم وجامانوسوم

مخارجه مع ابن
توفيل وحربه لما
وقله

فلما أكل العصيدة ونام انتبه من نومه ، فأحضر سعيد بن توفيل فقال له : يا سعيد ما تقول في العصيدة ؟ قال : ثقيلة على الأعضاء ، وأعضاء الأمير تحتاج إلى التخفيف لا التثقل . فقال له : دعنا من مخارجتك ، قد أكلتها بحمد الله ، ولم أرَ إلا خيراً . فأمسك سعيد حيرة في أمره . وجاءه في الوقت بسفرجل من الشام وفاكهة ، فقال لسعيد : ما تقول في السفرجل ؟ فقال : مصّ منه شيئاً يسيراً على خلوة من المعدة فإنه صالح . فلما خرج سعيد من عنده أكل سفرجلتين كبيرتين ، فعصر السفرجل العصيدة فتدافع الإسهال جداً ، فدعا بسعيد بن توفيل فقال له : يا ابن الفاعلة ، ألم تزعم أن السفرجل صالح ؟ ما صلاحه وقد عاودني الإسهال ؟ فقام سعيد ينظر إلى النجوم^(١) فرجع إليه فقال : هذه العصيدة التي أحمد الأمير أمرها وذكر أنني ممخوق ، وأني غلظت في منعه منها ، لم تزل قائمة متحيرة في الأحشاء لا تطيق عبوراً ، ولا تطيق المعدة هضمها لضعف قوتها حتى عصرها السفرجل ، ولم أطلق [لك أن تأكل] السفرجل ، إنما قلت تمصّ منه يسيراً ، وكان سعيد قد أخبره الطلحان أنه أكل سفرجلتين ، فقال له في خطابه : أكل الأمير السفرجل للشبع ، لم يأكله للعلاج . فقال له : يا ابن الفاعلة أخذت تمازني وأنت صحيح سوي ، وأنا عليل مدنف^(٢) . السوط فأحضر ، فغضب بن يديه مائتي سوط ،

(١) النجوم : يخرج من البطن من ربح أو غائط

(٢) دنف الرجل : حمل من المرض ودخان الموت .

وحمل على جبل وطيف به البلد ، ونودي عليه : هذا جزاء من ائتمن .
فخان . ونهبت داره فمات بعد يومين .

قال مؤلف هذا الكتاب : وكان أحمد بن طولون يحدّر سعيداً
قديماً من قتله له ، وكان قد وقع له لثمن المشيئة في سعيد أيضاً أنه قد
أغفل علاجه في بدء العلة ، حتى تزايدت طيه وعظم أمرها ، ولم يكن
الأمركا ظنه أحمد بن طولون به ، ولا كان الخطأ إلا منه على نفسه ،
والذنب له دون غيره . وكان سعيد بن نوفيل من يوم أكل السمك
قد أيس منه ، وعرف نسيب الخادم بذلك ، وكان غلاماً قلاقلاً محصلاً .
حدث نسيب الخادم أن مولاه أحمد بن طولون طلب سعيد بن
نوفيل يوماً من الأيام قبيل له : مضى يستعرض ضيعة ذُكرت له يشترها ،
فأمسك ، فلما حضر قال له : وبلك يا سعيد ، اجعل صحتي ضيعتك
التي تشتريها لتستغلها ، وواصل مراعاة خدمتي ، واحرص على صحتي
ولا تغفل ذلك ، واعلم أنك تسبقني إلى الموت ، إن كان موتي على
فراشي ، وأني لا أمكرك من الاستمتاع بالحياة بعدي . فقال بعض
العلماء حين سمع هذا القول : ما سمعت حثاً لم تطيب على مبالغة في نصح
أشد من هذا .

قال مؤلف هذا الكتاب : وفي إفاقة من عاتيه ، أطلق محبوب بن
رجاء من محبسه ، ورد إليه جميع ما كان أخذ منه ، فوجد محبوب
اطلاق ابن رجاء
من محبسه ورد
ماله عليه

ماله مختوماً بخاتمه بحاله . . . دنانير ، ما عرض له ولا نظر إليه .

طلب ابن طولون
دعاء الرحمة له

فلما رأى أحمد بن طولون اشتداد العلة أحضر خواصه من وجوه
قواده وابن مهاجر والواسطي ، وقال لهم : استهدوا لنا الدعاء من الناس كافة ،
وسلوهم الخروج إلى الجبل ، والتضرع إلى الله جل اسمه بالمسألة له في
عاقبته لنا ، فشاع هذا القول منه في الناس ، فخرج المسلمون بالمصاحف
إلى سفح الجبل ، وتضرعوا إلى الله في أمره بنيات خالصة لمحبتهم له ،
وشكروهم لجليل أفعاله ، وكثرة معرفته وإحسانه ، وصيانتهم عن كل
حال يكرهونها منه ، أو من أحد من حاشيته ، مع أمتهم ورخص
أسعارهم ، براعاة ذلك وحرصه عليه ومحبته له .

فلما رأى اليهود والنصارى ذلك من المسلمين خرج القريقان ، النصارى
معهم الإنجيل ، واليهود معهم التوراة ، وفي أيديهم حزم الآس ، وفي
أيدي شمامستهم البخور ، يبخرون يبخورهم الذي يتبركون به ،
واجتمعت الجماعة كلها في سفح الجبل ، وانزل كل فريق منهم على
حدة ، يدعون الله عز وجل ، ويتضرعون إليه في أن ين عليه بعاقبته .
فكان يوماً عظيماً ، وارتفعت لهم ضجة عظيمة هائلة حتى سمها في
قصره ، فبكى لذلك ، وتضرع معهم إلى الله جل اسمه ، والنية قد قربت ،
كما قال بعضهم :

وإذا النية أنشبت أظفارها ألفت كل نعمة لا تنفم

قال : ومن شيم النصارى أن يتضرعوا بمثل هذا الفعل في الاجتماع والخروج ، إذا قدم البلد وال جديد ، وكذلك رأيانهم قد عملوا في قدوم بولس إلى البلد ، خرج النصارى إليه ، وفي أيدي شمامستهم الزبور وغيره . . ومعهم الجمار يبخرون من باب المدينة إلى أن دخل إلى داره وخرجت إليه أيضاً اليهود ، وفي أيدي أحبارهم وشيوخهم الآس ، وفي أيدي بعضهم كتبهم يقرءونها بين يديه ، فكان لم ذلك اليوم ضجيج في البلد .

وحدث نسيم الخادم قال : دعاني مولاي ، وقد مضت قطعة من الليل ، قبل وفاته بشهر واحد ، فقال لي : ادخل إلى بكار بن قتيبة فإن أصبته يصلي ، فانتظر وراغه من ركوعه وسجوده ، فإذا سلم قتل له عني : أنت تعلم ميلي إليك قديماً ، وإكرامي لك مبتدئاً ، وأنه لم يفسد محلك عندي إلا أمر الخلع ، وأن شهادتك فيه كانت مباحنة لشهادة غيرك ، مخالفة لها . وقد شاع في عسكري أنك نعمت هذا الخلع علي ، والله ما انحرفت عن الناكث لإساءة كانت منه إليّ اعتدتها له ، ولا أردت بخله إلا الله عز وجل ، لأنه أمر الخليفة ، ومنعه ما يجري له . والصواب أن تحضر مجلسي في جمع من أوليائي وأولياء أمير المؤمنين ، فتتبرأ من الناكث براية ندل على صدق نيتك لأمر المؤمنين ، وترجع إلى عمك ، وترجع لك

رسوله إلى
القاضي بكار وما
كان منه

إلى ما كنا عليه من الإي كرام والموالاة ، والحال التي كانت بيننا ،
وإن امتنعت من هذا فلا لوم علينا فيما آتينا في أمرك ، مما لم نؤثره
ولا نختاره والله فيك .

قال نسيم الخادم : ففتحت باب الحجرة التي كان فيها بكار
معتقلاً ، ودخلت فوجدته قائماً يصلي ، فقلت من حيث يسمع :
رسول الأمير ، لأنه كان ثقيل السمع ، فوالله ما حركه ذلك
ولا فكر فيه ، ولا أوجز من صلاته ، ولم يزل يقرأ حتى فرغ من
حزبه ، ثم ركع وسجد وجلس قليلاً ، وقام وقرأ طويلاً ، ثم
ركع وسجد وجلس يسيراً ، ثم سلم ، فقلت له : ر [رسول الأمير] ،
فقال : وما يريد الأمير ؟ فقصصت عليه الرسالة فقال : قل
له : يعزُّ عليّ أن يكون حرصك على ما تفارقه أكثر من ميلك
إلى ما لا بدّ لك منه ، وقد أعنّني وآذبتني ، لأنك تكلفني الشهادة
بالبلاغات التي لا يهـلها الحكماء ، فحُف الله في أمري فأني شيخ
فانٍ ، وأنت عليل مدنّف ، ولعل التقاءنا بين يدي الله عز وجل
قريب ، وقد والله نصحت لك والسلام . وقام إلى صلاته .

قال نسيم : فخرجت من عنده وقد أبكى قلبي ، وأبكى عيني ،
فدخلت إلى مولاي فأعدت عليه قوله ، فبكى وبقي يقول : شيخ
فانٍ ، وعليل مدنّف ، ولعل التقاءنا بين يدي الله عز وجل قريب .
وأقبل يكرّر ذلك ثم قال لي : انظر أعرف المضمومين إليك ،

فوكله به في دار نكتمها له ، وأطلق له دخول ابني أخته إليه ومن أحب . فاكترت له داراً في نواحي الموقف ، وولت به رشيماً أبا سعد الفرغاني ، لأنه كان شيخاً فيه دين وخير ، فلم يزل معتقلاً فيها إلى أن مات مولاي ، فأطلقه أبو الجيش يوم موته واستحله لأبيه ، فكانت هذه الفعلة من أبي الجيش أحد أفعاله الحسان ، فأقام بعد مولاي عشرين يوماً ومات فلحق به .

جاسوس الموقف
على ابن طولون

حدث شعيب بن صالح قال : أرجف الناس بوفاة أحمد بن طولون قبل أن يموت بشهور ، وعلل الخوف أبدأً تطول على أصحابها . فدخل إليه يوماً جماعة من أصحاب أخباره ، ومعهم رجل من أهل المدائن فقالوا له : هذا صاحب خبز الموقف . فقال له أحمد بن طولون ليس [بنجيك] مني ولا يخلصك غير صدقك إياي ، فاصدقني تنج فقال له : نعم أنا صاحب الموقف ، أنفذني إليك قاصداً لأعرف له صحة أمرك في علتك لا غير ، لما أرجف بك عنده . فقال : [لقد سلم] الله روعي وجسمي ، وأنا صحيح العقل والتمييز لم أمت ، بمن الله وطوله ، وأوليائي متمسكون بطاعتي ، والدليل على ذلك إتيانهم إياي بك ، أرجع إليه فقد أمّنتك الله جل اسمه وعمره ذلك ، وقل له : إني لم أنحرف عنك وأخالف عليك كرهاً لك ، ولا كان ذلك مني إلا طاعة لأمير المؤمنين وما أكدته عليّ بيعة ،

فإن رجعت عما أتيت في أمره كنت لك كما أنا له متصرفاً بين
أمركما ونهيكما وطاعتكما . واحذر أن تقم ، ووكل به حتى أخرج
عن البلد من وقته .

قال مؤلف هذا الكتاب : فورد علينا الخبر أنه لما وصل إلى
الموفق رسوله هذا ، فأدى إليه رسالة أحمد بن طولون ، بكى غماً منه
بعلمه ، وقال : صدق والله في قوله . ونذر الله عز وجل في عاقبته
نذراً من صيام وصدقات .

وحدث شبيب بن صالح قال : دخلت يوماً إلى نسيم الخادم أسلم
عليه ، فرأيت عنده شيخاً من أهل الدينور^(١) حسن الظاهر ،
وذلك بعد وفاة أحمد بن طولون بمديدة يسيرة ، فرأيتهُ متمكناً من نفسه
حسن الإيالة^(٢) . فقال لي نسيم : تريد أن تقف على أن مولاي قد
ختم له بخير ؟ سل هذا الشيخ يحدثك بخبره معه فأني حضرته ، قال :
فتوجه الشيخ على أحمد بن طولون ، فسالته عن ذلك فقال لي : كنت
يوماً جالساً في الموقف ، في دكان بعض أهل سوق الجهاز ، وإلى جانبي
رجل حسن الهيئة ، فذكر أحمد بن طولون في علمه وغلظها ، فقال
رجل من حضر معناني الدكان : قد مات ، فقلت ، وما أعرف لي غلظة
غيرها : (فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ) ،

كم الألفواه عن
الكلم لي ابن
طولون إلى آخر
أيامه

(١) الدينور : مدينة من أعمال الجبل قرب قزمسين وغرب نهر زور وهمذان

(٢) تفرأية وإيالة وكلتاهما لاتصم النى

فقام ذلك الرجل من جازني ، فما بعدَ حتى عاد ومعه خمسة رجاله وقال لهم
يده: خذوه . فطرح ردائي على وجهي [وساقني] سوقاً عنيفاً حتى
أدخلت الميدان ، ففرضت على حسن بن مهاجر ، فقال لي : يا كلب بطرت
بعيشك بالأمن ، ولو شُفقت بالخوف لترك الفضول ، فحسنت من
كلامه قد وشي بي^(١) . ثم كتب رقعة ووجه بها مع خادم إلى الأمير ،
فأبطلت حتى خرج ، فخاطبه بما لا أقف عليه ، فقام وأدخلني معه ،
فمجبجت في سرتي إلى الله جل اسمه ، وسألته حسن الدفاع عني ،
ومثّلت بين يدي الأمير ، وقد زاد اضطرابي ، وأنا مستعين بالله على
ما أتخوفه منه ، فسلمت فردّ عليّ السلام بأصبعه ، ورأيت عليه
أثر البكاء . فقال لابن مهاجر : ترفق قليلاً قليلاً ، سل هذا
الرجل هل سبقت منا إليه إساءة ؟ فردّ عليّ ابن مهاجر قوله .
فقلت : لا والله أيد الله الأمير . فخاطبني هو وقال لي : فما أخذك
ويحك بإطلاق لسانك بما لا يجوز لك في ولانك ؟ فقلت : أعزّ الله
الأمير إماماً لا يُضبط من القدر الذي يجري بالمحبوب والمكروه ،
وخوّر يلحق الطباع الضعيفة فيمنعها من حسن التحرز . فقال لابن
مهاجر : قد أحسن الاحتجاج لنفسه ، وما يسهل علي إصلاحه في تقويمه
بفسادي في معادي ، على شدة حاجتي في هذا الوقت إلى عفوري ،
ثم التفت إليّ فقال لي : حدثني فلان عن فلان عن وهب بن منبه

(١) في الأصل هكذا : « مد راي » بلا قط

قال : أوحى الله عز وجل إلى نبي من أنبياء بني إسرائيل : مرُ عامة أمتك ألا تتأسى بالملوك في ارتكاب الكبائر ، فإن للملوك كباثر من الأفعال الجليلة لا يصل إليها عامتهم ، تمحص بها آفاتهم ، ويمحسب بها صدرهم^(١) . ثم قال لنسيم : ادفع إليه خمسين ديناراً واصرفه مصوناً . قال الدّينوري : [حفظت الحد] بث ونسيت إسناده لفرط ما لحقني من الخوف والهيبة ، فقد بقي في نفسي منه جرح لا يندمل ، وغم لا يزول إلا بعد وجوده ، وقد أحفيت^(٢) الطلب له وأنا كذلك إلى أن أجده بعون الله ، فرحم الله أحمد بن طولون ، فأمر لي وقت إلا وأنا أترحم عليه ، وأستغفر الله جل اسمه له .

قال : وكان أحمد بن طولون كثير الاستقصاء في مال الجيش ، فلما اشتدت علته تقدم إلى ابن مهاجر في إطلاق رزق سنة للجيش في بيعة أبي الجيش بعده ، فظن ابن مهاجر أن ذلك من اختلاط العلة ، فأهمل العمل به ، فلما كان من غد يومه سأله عما صنع في ذلك . فقال له : ماخرج الحساب من أيدي الكتاب بعد . فقال له : أظننت ويحك تخليطاً بي من العلة ؟ ما أنا كذلك والحمد لله كثيرآ ، بل أنا بضده ، وإنما لمثل هذا الوقت جمعت الأموال ، وإنما أردت أن يعلم الجيش أنه قد حصل لهم مالا يسمح ببعضه من

إطلاقه رزق سنة
لجيشه

(١) في الأصل : ومحسوبا صدرم

(٢) أخى السؤال : ردده والإحفا . مثل الإلحاف وهو الإلحاح

بجاربهم وبكأثرهم ، فتكون أيديهم وقلوبهم قوية ، فسكن ابن
مهاجر إلى هذا القول ، وأطلق المال للرجال ، فعظمت مِنته عندهم ،
وكثر شكرهم .

غدر الواسطي
بعد وفاة ولي
نعمته

قال مؤلف هذا الكتاب : فلما اشتدت بأحمد بن طولون علة
دعا بأحمد بن محمد الواسطي وقال له : يا بني ! مثل هذا اليوم وهذه
الحال ربيتك واصطفيتك ، وقد طمت حسن موقعك مني ، وأني
فضلتك على الولد وكل أحد ، فلا تخف الظن بك ، واعلم أن
الوفاء أحسن لباس ، وأفضل مقبل ، والله يشكره عز وجل لمن
استعمله . حرمي هن أمهاتك وأخواتك قال : والواسطي يلطم وجهه
ويبكي ، وأحمد بن طولون يبكي معه ، وهو يخلف له أنه لو تعرض
للقتل لما قصر فيما عاد بمصلحة شمله ويقول : وأرجو أن ييب الله
للأمير العافية ، ولا يرينا فيه سوءاً أبداً ، ويقدمنا جميعاً بين يديه ،
وكل ذلك [وهو] يعج بالبكاء .

فحدث نسيم الخادم ، [قال : فلما خرج] الواسطي من
حضرة مولاي قال لي : يا نسيم والله ما أخاف على حرمي إلا
منه ، وعلى جميع مُخَلَّفِي ، لأنه قوي الحيلة ، فاسد الدين ، ولولا أنه
وقت استكانة إلى الله عز وجل وخضوع ، ما كنت آمن على مُخَلَّفِي
منه . قال : فلما كان من غدر الواسطي بأبي الجيش ما كان ، وذهابه

إلى المعتضد ، ومعاونته إياه على أبي الجيش ، ذكرت قول مولاي
رحمه الله ، وفراسته فيه ، فناصر الله عز وجل أبا الجيش بغدده ، وبقي
شريداً طريداً مطرّحاً بأنطاكية ، مذموم الأثر والسيرة ، فذكر
إحسان مولاي إليه ، ولم يكافئه على جميل فعله به ، وكل أوزار
احتقبها فيه ، فتصوره الناس بالقدر وقلة الوفاء . ومات بعد مولاي ببسيرة .

قال نسيم : فلما كان من غد خطاب مولاي للواسطي وما وصاه
به ، أحضره وأحضر محمد بن أباطبارجي وجماعة من وجوه خاصته
وقواده ووجوه دولته وكتابه فأحضر أبا الجيش فقال له : يا بني
سأني لم أدفع الحنث في يمين البيعة إلا بما كنت أحمله إلى أمير المؤمنين
المتعمد خاصة ، وهو مائة ألف دينار في كل سنة . ذكر لي فيما كتبتني
به أنها تكفيه . فكان حملي هذا المسال يقينا الحنث في يمين البيعة
بيعته ، فلا تؤخرها عنه ولا تقطعها ، ولو أعتك الحروب وواصلتك ،
فلا تغفل حملها وما يقاومها ، فإنك تدفع بها حنث هذا الجيش
بأسره في يمين البيعة ، وتشرح بها صدورهم في قتال من قصدك ، من
قهر الخليفة ومنعه أمره وتصرفه في إنفاذ حكمه ، وجميع أمره ، والله
بكرمه يكفيه

وصية ابن طولون
لابنه أبي الجيش

[قال أبو جعفر] محمد بن عبد كان : إن أبا الجيش لم يزل يحمل هذا
المال إلى المعتمد حتى تقلد إسماعيل بن بلبل الوزارة فأوقع الصلح
بينه وبين الموفق .

قال : فلما فرغ أحمد بن طولون من وصية ابنه في حمل المال الى
المعتمد أقبل على وجوه قواده وغلاناه فقال لهم : قد وطأت لكم المهاد
بهذه الدولة ، وخلفت لكم من عدتها ما يكفيكم ، فاطرحوا الأحقاد
بينكم ، وأسقطوا التحاسد ، واتركوا الاستئثار ، ولتكن كلمتكم
واحدة ، وجماعتكم كرجل واحد ، ولا تغفروا بمخاريق أهل العراق ،
ومواعيد من يطلب سيئاتكم ، فليس يرأسكم أبداً مثلي ، ولا أحنى بني
ومن ولدي عليكم ، فلا تخفروا ذمتي ، واحفظوا صحبتي وتريتي لا أكثركم ،
وإثاري وإحساني وتفضلي لجماعتكم ، وهم يحلفون له ويبكون بأجمعهم

ثم عطف على أبي الجبش فقال له : يا بني لا تعدلن عن مشورتني
عليك ، فلن تجد أبداً أنصح لك مني ، قد خلفت دخل بلدك يزيد
على ما ينوبك بجماعتك وسائر مؤونتك ، فلا تطلقن فيه بدأيجور ، فيختل
أمرك بخزابه ، ولا تقبل بنصيحة من يتنصح لك بما يؤول الى خراب
بلدك ، والإجحاف بمعامليك فيه ، فإنه عدو مبين من حيث لا تعلم ،
فانبذه عنك ، ولا تقربه منك ، وقد خلفت لك رعيتك لا يطلبون منك
إلا لين الجانب ، والأمن من المخاوف ، ولم أكن أمنهم لين جانبي
بخلا به عليهم ، ولكنني آثرتك على نفسي بمنعي لهم لين جانبي ، والأمن
من مخافتني ، فاستعمل أنت ذلك معهم فتملك قلوبهم ، ويبادروا
الى طاعتك ، ويهشوا الى التصرف بين أمرك ونهيك ، في صغير

وصية لأبي
الجبش أيضا

أمرك وكبيره ، ولم أترك لك عدواً أخافه عليك ، واعلم يا بني
أن كل سرف يؤول الى اختلال وتلف ، فاقصد في . . .
مهاتك ، ولا تمد يدك الى المسال الخزون عند خير الخادم [واجعله]
ذخيرة املكك وأقمه مقام جارحة من جوارحك لا تبذلها إلا في
شدة تخاف معها فساد سائر جسدك ، أو عند ما تقدر بإخراجها صلاح
سائر جسدك ، وكان خير الخادم هذا خادم المثل كل
ثم قال له : واسلك يا بني سبيلي واقتف آثاري في سائر من خلفت
يأنسوا بناحتك ، ويمسحوا طاعتك ، ولا يملوا الى عدو يخالفك ،
ولا تقبلن مقال السعاة فيما تقوى به سوقهم عندك ، فكل شر وسوء
يؤول الى اضمحلال وزوال ، ويهلك في ذلك من سلكه .

لروة ابن طولون

قال مؤلف هذا الكتاب : وكانت الودبعة التي عند خير الخادم
ألف بدره ،^(١) وكانت عند نسيم فنقلها الى خير ، وكان يكتفي بأبي
صالح . وكان أحمد بن طولون قد قرن به أبا الجيش يودبه ، وكان
نقة ، أمونا ديناً ، كان يعرف بخير الطويل ، ولما فرغ أحمد بن طولون
من وصيته لأبي الجيش قال له : يا بني وفي حاصلي ألف ألف دينار .
وسبعمائة ألف دينار ، وهو غير الودبعة ، يكون ذلك لقطاع جيشك ،
وما عسى أن يعرض لك عند مقاومة من يقصدك ، ومادة الحراج بعد
ذلك فقير منقطعة عنك ، هذا يا بني ما تملكه الدولة ، والذي أملكه

(١) البدره : عشرة آلاف درهم .

أنا خاصة من دخل أقطاعي وابتاعني ، ما يحصل لي منه في كل سنة في بيت مالي مائتا ألف وخمسون ألف دينار ، فاقسمها في ولدي وانظر إليهم بعيني ، وتقدمه فواتهم ، وسدّ خللهم ، وكفهم عن الفاقة إلى غيرك ، وبصرهم رشدهم ، وامنعهم من سرف الاينفاق ، فإنك أبوهم بعدي ، جبر الله جماعتكم ، [وأحسن الخلافة] عليكم ، وأنا أكرر عليك القول يا بني لثلاث نسي . ليس المال الذي عند خير الخادم لي [فتشتركو] بقسته بينكم . فلا تظن أن كل ما قويت يدك على أخذه هو لك ، فصنعه وامنع نفسك منه ، واستشعر فيه ما وصيتك ، فإن انتقادت لك الأمور لم يضرك بقاؤه لك ، وإن عارضتك الحوادث كان عدة لك ، فلا تفرنك وجميع مخاني وحاشيتي السلامة ، فتنسوا ما في نفوس أهل العراق عليكم ، فأنتم شجائي حلوقهم ، فلا تأمنوهم ، ولا تناموا^(١) عن الحزم فيهم ، فإن أحسستم بضعف عنهم ، فابذلوا جميع ما تملكونه في السلامة بينهم ، ولا تضعوا أيديكم في أيديهم ، فأني أعرف ذنبي لهم ، والله أسأل رداية جماعتكم . ثم بكى وبكت الجماعة ، حتى ارتجت الدار لبكائهم . فلما اشتغل بهذه الوصية لم انقطع عنه الإسهال ، فأمل أصحابه عاقبته وبره ، وذو المعرفة أيس منه

عاقبته بسور
فصره وهو
مرهض

حدث نسيم الخادم قال : لما استحكر إياس مولاي من السلامة كان يُجمل كل ليلة في حِمْمَةٍ^(٢) يطوف في الميدان ، فلا يرى فيه ثلثة

(١) في الأصل : طار ما ونوم فلا تمارن

(٢) الحمة بالكسر : سرك للنساء . كالمردح إلا أنها لا تيب أي لا تنسل لها فنة .

يخاف أن تفتح ، أو تفتح في هيج ، فيقتحم منها قوم يدخلون منها إلى القصر [إلا] ويأمر بسدها ، حتى سد كل ثلمة كانت فيه ، ثم يدعو بثقائه فينعي إليهم نفسه ، ويسألهم حسن المكافأة بعده بالطاعة لولده ، ويقتضيم ذلك بسالفه عندهم .

فلما دخل ذو القعدة من سنة سبعين ومائتين دعا بابنه العباس ، فأطلقه من قيده وخلع عليه ، وقلده جميع الأعمال الخارجة عن أعمال مصر من الشامات والثغور . وقال له : أنا أوصيك يا بني بتقوى الله عز وجل ومكافأة أخيك والإمساك عن الاستطالة عليه ، بزيادة سنك على سنه ، فلا تترك أن يقصدك من العراق مدخلاً بينكما يتأتى [منه لكما ، ولا] تسمع ممن يطلب صلاح نفسه بفساد ما بينكما ، ولا تضمرن لأخيك غير ما تظهره ، فإن القلوب مجنونة . واعلم أن جوار أخيك لك أصلح من جوار غيره ، ولا تضمر له خلافاً فتبسطا ما بينكما ، ويجد عدوكا بذلك سبباً إلى هلاككما ، وقد تقدمت بإزاحة علل رجالك ، فاحرص أن يكون خروجك إلى عملك قبل وفاتي ، فإن الراغب عنك كثير أكثر من المائل إليك ، وأخاف أن تتلوم^(١) على الطمع في موضعي وتورث ، فتذهب نفسك ، بصرارك الله رشداً ووقفك ، ووقاك ما أخافه عليك وأحاذره فيك بمنه

وصيته لآبائه
العباس

إسرائيل على
الأخيرة وموته

ثم شكاً بعد ذلك ظلمة في بصره، ثم لم يبصر شيئاً، وجعل يخفت^(١)
وتضعف قوته، وينحل جسمه، إلا أن عقله ثابت لم يتغير منه
شيء، والدليل على ذلك وصيته هذه، ورأيه فيها الرأي التام الذي
لا يكون بأسدً منه ولا أقوى ولا أبلغ، إلا ما حرمه الله جل اسمه إياه
من التوفيق في علته، حتى تنفذ مشيئته نباك وتعالى، فلم يحم نفسه من
مأ كورل، ولا وقاها ضاراً، كما أراد الله عز وجل فلم يملك دفعاً .
حدثت نعت أم أبي العشائر ابنه قانت :

كنت جالسة بين يديه، والعصابة في يدي، وقد أيسر
منه، وأنا انتظره أن تقبض روحه فأشدّ لحية، ولسانه ضعيف،
إلا أنه طلق إذا تكلم، ففتح عينيه ثم غلقها ثم فتحها، ونظر إليّ
نظر من رجع بصره إليه، فحدث الله على ذلك . ثم قال بصوت
قوي، ولسان طلق ذرّب^(٢) :

يا رب ارحم من مهل مفرار نفسه، فأبأره علمك عنه

ثم تشهد أحسن شهادة وأتمها، وقضى في آخر تشهده، وإن ذلك بعد
ذهاب [طائفة] من ليلة الأحد لعشر ليال خلون من ذي القعدة سنة
سبعين ومائتين فحوات وجهه إلى القبلة وأخذنا في أمره

ترتيب جنازة
حمد بن طولون

قال مؤلف هذا الكتاب : حدثنا شيخ من صالح أهل المعافاة .
قال : جاءني بعض إخواني من كبار المتزهدين الأختيار يعرف بالرامي .

وكان من أحسن الصوفية فقال: لا تتخلف عن جئزة هذا الرجل .
فقلت له : وما في ذلك من الفائدة ؟ فقال لي : كل الفائدة . قلت :
ما هي ؟ قال : ترى انحلال ما عقده الدنيا من الأمور الجسيمة وتبدؤه ،
فيكون عليك ما عاصاك منها ، ويزول عنك التهيّب لما انساق منها ، ويصغر
في عينك ما اكتنزه المفرور ورحل عنه ، ونعلم أن جميع أحوالها إلى
زوال . فقلت : نعم صدقت .

ومضيت فرأيت جمعاً عظيماً هائلاً ، وحالاً كبيرة تعجز الصفة
عن ذكرها ، حتى ظننت أنه ما بقي في البلد أحد من رجل ولا امرأة ،
وكل فرق شتى ، كل فرقة على حديثها رجالاً ونساء ، فتأملت فإذا كل
صنف من غلانه أيضاً فرقاً ، وقواده فرقاً ، وكتابه فرقاً ، وسائر أصحابه
ومن يلوزبه ويخدمه فرقاً فرقاً ، ومن كان فضله عليه وجراياته وصدقاته
فرقاً فرقاً . وقد تميز أيضاً النساء من حاشيته وهن أيضاً فرق فرق :
حرمه منفرد في خلق عظيم ، لا يخالطن أحد من حشهن ، وحشهن
ناحية لا يخالطن غيرهن ، ونساء قواده ، ونساء غلانه ، ونساء كتابه ،
ونساء أصحابه ، كل صنف منهن على حدة لا يخالطن غيرهن ، ونساء
القطائع فرق فرق ، وكل الجماعة عليهم من الكتابة أمر عظيم ، وكل
منهم مسلم لأمر الله عز وجل .

ثم أقبل من النساء السودانيات اللاتي كان فضله عليهن ، وجراياته
القمع والدرام في كل شهر ، خلق عظيم لا يحصيه [ولا] يقوم بمعرفة

مبلغه إلا الله جل اسمه ، صائمات صارخات ، فارتجت الأرض لمن ،
وعظمت الحال في قلوب من شاهدين ، ثم أقبل بعدهن [من] صالحى
من يسكن المعافر من فيه الدين والورع والخير نساء ورجال قد كان
له على جماعتهم المعروف الواسع . ولو لم يكن إلا العين الماء اني صارت
حياة لهم ، وصيانة ومرقفاً إلى اليوم وإلى القيامة ، إن أراد الله جل اسمه
ذلك ووقاها من الغير ، فأقبلوا مبتهلين إلى الله جل اسمه يسألونه
الرحمة له والمغفرة والتجاوز عنه ، بخشوع وتضرع واستكانة وبكائه .
فشاهدت من ذلك ما هالني وذكر جميع من حضر أنه ما رأى
مثله لموت خليفة من الخلفاء ولا غيره من عظم قدره . ثم أقبلوا به مفرداً
على سرير ، مدرجاً في ثوب وشي سعدي كפורي ، وأبو الجليش
خلفه وحده راكب ، لموضع خلافته والإمارة ، والعالم من صغير
و كبير ، وشريف وقاض وعدل ، وكل من في البلد يمشون ، وبين يديه
من غلانه ، وخلفه من كل صنف ، ومن قواده وسائر من بقي من
أصحابه مالا يحميه إلا الله جل وعز ، فأنوابه إلى المصلى الذي كان بناه ،
فتقدم ابنه أبو الجليش فصلى عليه ، وصلى الناس بأجمعهم ، وعدلوا به
إلى قبره وواروه في لحده ، وخلّوه وحيداً فريداً ، أقرب الناس منه
وأحبهم إليه من حفاطيه التراب ، وانصرف عنه كل ذلك الجمع
العظيم ، وذهبوا حتى كأنه لم يكن منهم أحد . فتبارك الله أحسن
المخالفين ، ومالك يوم الدين ، [سبحانه لا يموت ولا يزول و] كل
نفس ذائقة الموت .

ماتم اقامته
الواقعية

قال مؤلف هذا الكتاب : لما انصرفت من جنازته ^(١) اجتزت
بمنزل الواقعية ، وكانت من عقلاء النساء ، حسنة الدين ، كريمة
الطبع ، وكان أحمد بن طولون محسناً إليها عارفاً بحملها ، فاستأذنت عليها
فأذنت لي ، فدخلت فوجدتها قد أقامت له مأتماً سرّاً ، هي وجواريسها
وخواصها ، يندبته ويضربن بالعيدان على هذا البيت ، ويرقصن على
إيقاعه ، ولا يزدن عليه شيئاً غيره ، وهن يبكين أحرّ بكاءً وأحزنه
باعين بكّي خالداً ألفاً وبدعي واحداً

فما سمعت والله أحر منه ، ولا آلم للقلب ، ولا أشجى من أصواتهن به
حتى أبكينني بكاءً عظيماً ، وانصرفت من عندها حزبتاً كئيباً . فلما
كان بعد أيام صرت إليها لأعرف خبرها فأصبتها بحال حزن عظيمة ،
فلسيتها وعزيتها ، فجعلت تمدثني بأحاديث أحمد بن طولون ، وتصف لي
أحواله ، وتشكو وجدها به إلى أن قالت لي :

إعلم أنه لما جرى على المعتد من الموفق ماجرى ، من سوء الاعتراض
والقدح في السلطان ، بلغ ذلك منه مبلغاً عظيماً فألف كلاماً بالتركية
وقال لي : أريد أن ألقيه على [إحدى] جواريك ، وتلحّيه أنت
لها ، وتفنيه حتى أسمه منها . فأحضرت جوارياً فاخترت منهن ربيعة
فألقاه عليها ، فوالله ما سمعت أرق منه ولا أشجى ، فلحنته لها فكان

ابن طولون
بالتركية

(١) وهذا أيضاً نكح في إلام المزاب بمنزل الواقعية لانه لا وضع كتابه كان قد تم انقراض
الدولة الطولونية ووض عليها أكثر من ثلاثين سنة فزات الواقعية وزارحت هو فيها رى
ابن الداية مؤرخ الطولونيين الأول

صوته عليها إلى أن اعتلّ، وتعلمه أيضاً جواربه، فإكان يسمعه أحد
إلا أبكاه، وأوجع قلبه. فسألته أن تسمعيه، وكانت فصحة
بالتركية، فقالت لي: ليس تفهمه لأنه كلام بالتركية مؤلف،
ولكنني إذا أنت سمعته فسرته لك بالعربية، ثم أحضرت رويعة جاريها
ففتته بلحن شجي، وإيقاع حسن، فأبكاني وآلم قلبي، وما سمعت
[صوتاً] من المناجات أحرقت منه القلوب، وفسرته لي فكان:

غلب الضبابُ على الشمسِ حتى صار النهارُ ليلاً
وضمعت الشمسُ وانطلقت السماءُ بما لا يحسنُ منها
فبكأ الرأسُ من قهر البدر وصاح: ما خوفي اقطعوني
وأرجموني بالله من الملعونة، بأسيد الملوك طراً،
بالعين تراك تطلع، وإسان يخاطبك بقطع. إن سيني
قد خرج من غمده، وليس يرجع حتى ترجع إلى بيتك،
وقد أوترت قوسي ولبس أحطه حتى تكفي أعاديك

ثم قالت لي: قد سمعت حسنه بالتركية، وهو بالعربية فيه
كلام - كما رأيت - غير مستحسن، إلا عند من يعرفه بالتركية،
فودعتها وانصرفت.

قال مؤلف هذا الكتاب: مات أحمد بن طولون، وعمره يومئذ
خمسون سنة، لأنني صرت إلى^(١) نعت أم ولده يوماً للسلام عليها،

(١) ما نخل من اجتمع إلى نعت إلا أحمد بن يوسف الكاتب، والمؤلف لم تذكر له جملة باليت
لطولوني ولا أدركت متناً

فأصبت بين يديها رقاعاً ، قد أخرجتها لشيء تطلبه فيسا ، فوجدت
رقعتين فقالت لي : هاتان الرقعتان بخط الماضي رحمه الله ، وبكت ،
فسألتهما أن تربني إياهما ففعلت ، فقرأت إحداهما فإذا فيها : دخلت
إلى مصر متقلداً معونتها يوم الأربعاء لتسع بقين من شهر رمضان سنة
أربع وخمسين ومائتين ، وقد مضى من عمري أربع وثلاثون سنة
ويوم واحد .

وقرأت الرقعة الأخرى فإذا فيها رؤوس أربعة أصوات ، كان
يقترحها على من بغنيه ، لا يختار من الأغاني غيرها .

الأصوات التي
كان ابن طولون
يختارها

أحدها

متى تجتمع القلب الذكي وصارماً وأنفاً حياً تجذبك المظالمُ
والصوت الثاني

رب من أنضجت غيضاً صدره فتمني لي موتاً لم يطع
والصوت الثالث

طلعت عليك طوابع الوخطِ فرضيتن رضا على سُخطِ
والصوت الرابع

قد حصت البيضة رأسي فما أطعممُ عُصصاً غير تهجاعِ
أسعى على جبل بني مسالكِ كل امرئ في شأنه ساعِ
فبكيك وبكت ساعة ، وجلست عندها طويلاً ، فلما أردت
الانصراف قالت لي : أنا آس بمحادثتك ، لعلني بغمك على الماضي
رحمه الله ، فأحب ألا تُفني . فكنت أصير إليها في كل وقت

أولاد أحمد بن
طلون

قال : وخلف من الولد ثلاثة وثلاثين ولداً منهم سبعة عشر ذكراً
وست عشرة أنثى . فأما الذكور فأبو الفضل العباس ، وهو أكبر
ولده ، وأبو الجيش خمارويه بعده ، وأبو العشار مضر ، وأبو
المكرم ربيعة ، وأبو المقانب شيبان ، وأبو ناهض عياض ، وأبو معدّ
عدنان ، وأبو الكراديس خزرج ، وأبو حبشون عدي ، وأبو
شجاع كندة ، وأبو منصور أغلب ، وأبو لهجة مبصرة ، وأبو البقاء
هدى ، وأبو القموض غسان ، وأبو الفرج مبارك ، وأبو عبد الله
محمد ، وأبو الفتح مظفر .

والبنات : فاطمة ، وإيس ، وسملب (؟) ، وصفية . وخديجة ،
وميمونة ، ومرم ، وعائشة ، وأم الهدى ، ومومنة ، وعزيزة ،
وزينب ، وسمانة ، وسارة ، وغريرة .

بركة أحمد بن
طلون

وخلف من المال العين ما قد ذكرناه متقدماً ، ومن الثمن أربعة
وعشرين ألف غلام ، وأطبقت جريدة مواله على سبعة آلاف رجل ،
وخلف من الخيل الأيدانية سبعة آلاف رأس ، ومن الجمال ثلاثة آلاف
جمل ، ومن البغال ألف بغل ، ومن الخيل لركابه ثلاثمائة وخمسين فرساً .
وخلف من المراكب الحرية مائتي مراكب حربي كبار بآلتها .
وكان خراج البلد يومئذ مع ما يضاف إليه من مال الضياع التي

كانت للأمرء بالحضرة أربعة آلاف ألف وثلاثمائة ألف دينار^(١).
وخلف من الأمتعة والفرش والآلة والأواني وآلات السفر
ملا يحصى كثرة، ولا يعد ولا يحده، ولا يدرك كثرة واتساعاً.
فأما نفقائه المشهورة المعروفة فمأربنا ولا رأى أحد قبلها مثلها
لأحد قبله، ولا يرى بعده، كل ذلك كان منه طلباً للشواب
والجزاء من الله جل اسمه.

نفاقه على
مصانه وصداقاه

منهما أنفق على الجامع^(٢) وهو مائة ألف دينار وعشرون ألف دينار،
وعلى البيمارستان^(٣) ومستغله ستون ألف دينار، وعلى العين التي بالمعافر

(١) قل ابن عباس عن ابن وصيف ثاب أن أحمد بن طولون لما تولى على مصر أخذ في أسباب عمارة قراها وعمارة جسورها وقاطرها وسفر خلجانها وسد زرعها - فاستغلت أحوال الديار المصرية في أيامه بعد ما كانت قد ثلاثى أسرها إلى الخراب وانحطت خراجها في أيام من تقدمه من العال. فلما حلت العمارة والعدل عم الرخاء سائر أعمال الديار المصرية حتى بيع في أيامه كل عشرة أراذيل دينار وعلى هذا قسم في جميع البضائع ووصل خراج مصر في أيامه مع وجود هذا الرخاء أربعة آلاف الف دينار وثلاثمائة ألف دينار غير المكوس. ونقل القرظي في المخطط أن طولون لما تسلّم مصر من ابن مدير كانت قد خربت أرضها حتى بقي خراجها ثمانمائة ألف دينار فاستقصى أحمد بن طولون في العمارة وبالغ فيها فارتفع خراجها إلى أربعة آلاف ألف دينار وثلاثمائة ألف دينار (٢) في تاريخ سعيد بن بطريق أن أحمد بن طولون لما فتح أطراف مصر رجع إلى مصر دعى فيها المسجد الجامع الحلال على البركة دعى البيمارستان ودعى مصنفاً يجري فيه الماء من البركة المعروفة بالمبش إلى المعافر (٣) في مجموعة الحكم النسوية لياقوت النصفى أن أحمد بن طولون أراد أن يكتب وثائق أحياء التي حبسها على المسجد العتيق والبيمارستان فتولى كتابة ذلك أبو حازم قاضي دمشق فلما مات الوثائق أخضر عليها الشروط لينظروا هل فيها شيء يفسدها فنظروا فقالوا ليس فيها شيء فنظر أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطعاوي التقي وهو يومئذ نائب قال: فيها غلطه فطلبوا منه يابه فأبى، فأخضره أحمد بن طولون وقال له: إن كنت لم تذكر الخط لرسلي فأذكره لي قال: ما أفضل قال: ولم؟ قال لأن أما حازم رجل عالم، وعسى أن يكون الصواب منه وقد خفي على فأعجب ذلك ابن طولون وأجازوه. وقال له: تخرج إلى أبي حازم وتواتقه على ما ينبغي فخرج إليه فاعترف أبو حازم بانقطاع، فلما رجع الطعاوي إلى مصر وسفر مجلس ابن طولون سأله قال: كان الصواب مع أبي حازم وقد رجعت إلى قوله وستر ما كان يسهل تزايد في قصر ابن طولون ونفقه وشره.

مائة ألف وأربعمائة ألف دينار . وأنفق على حصن الجزيرة مائتي ألف دينار ، وأنفق في بناء الميدان مائة وخمسين ألف دينار ، وأنفق على مرممات الثغور وعلى حصن يافا مائتي ألف دينار ، وكانت قائمة صدقاته في كل شهر ألف دينار ، وكان ما يجريه على جماعة من أهل المسجد وأبناء الستر والتجملين وأولاد النعم ، سوى ما [يجري من مال] السلطان عليهم من الرزق الراتب في كل شهر ، خمسمائة دينار . وما كان يحمله للصدقات في الثغور في كل شهر خمسمائة دينار . وكان راتب مطبخه وعلوفة دوابه في كل يوم ألف دينار ، وما كان يقيه من الأتزال والوظائف في كل يوم خمسمائة دينار . وكانت له وظائف خبز ولحم على قوم مستورين نساء ورجال في كل شهر ألفا دينار .

وكانت لذته وشهوته كلها فيما يصنع في كل جمعة من الأطعمة الواسعة العظيمة لكل صنف من الحلواء ، وتنصب الموائد ، ويحضر الناس من كل نوع من فقير ومستور ومتجمل ومحتاج ، ومن يتقرب إليه بأن يراه وقد أكل طعامه ، فيقره ذلك من قلبه ، وهو جالس في مستشرف له ينظر إليهم ، ويفرح بما يراه منهم ، فساعة يسجد شكر الله ، وساعة يقف فيصلي ركعتين ، وساعة يدعو الله ، وساعة يبكي ، ويطلب الناس بأن يزلوا ، ولا يخرج أحد إلا ومعه الزلة الكبيرة العظيمة ، فإذا انصرفوا حمد الله وشكروه .

ووجه باين قراطغان ، وهو كان صاحب صدقاته إلى العاقر ، ومعه حاملو الخبز والقدر اللحم المطبوخة والقالودج والحبيص ، وخبزه المعروف

في كل رغيـف رطلان يسى أبو الوفا والدرهم^(١) حتى يفرق ذلك
بالمعافر على المستورات ، ومن لم يكن في طاقته الحضور لطعامه .

معامات رويت
لابن طولون بغير
بنياته

قال : حدثنا محمد بن الحسن اليائي ، وكان من الصالحين ، شديد
التقشف ، وقد جرى ذكر أحمد بن طولون بعد وفاته قال : رأيت
أحمد بن طولون في منامي ، وكأنه في روضة خضراء وعليه لبسة حسنة
رائعة ، وقد حسنت صورته وهو جالس يده تحت خده ، وعليه
[حلة] عظيمة . قلت [ما فعل الله] بك ؟ فقال : غفر لي وأمري
إلى الجنة . قلت له : بماذا ؟ فقال لي : إنه لما فارقت روحي جسدي
سائقني سائق عفيف في موضع لا أعرفه فاجتزت بهمهم ، وقد فغرت
فاها وخرج لسانها ، فعدلت عن الطريق التي يسوقني السائق فيها ،
خوفاً أن تحرقني ، فابتدرت إلي امرأة حسنة الوجه ، عظيمة الخلق
فقلت : لا بأس عليك يا أحمد ، قد وهبك ربك لي ، ثم مشت بيني
وبين النار ، فكنت أخاف من عظيم النار أن تَسْلِيَّ وإياها فتحرقنا
جميعاً ، إلا أني قد أمنت على نفسي بها ، ثم بدرت إلي امرأة أخرى
مثلها في حسنها وعظم خلقها ، فقلت لي : أبشر يا أحمد برضا ربك
عنك ، وصاحت هي وصاحبها على النار فعدت واتقطع لسانها
وبعدت عنا ، قلت للامراة الأولى : من أنت ؟ قالت لي : أنا أم
الجهاد بطرسوس ، الشاكرة لمبرتك لنا في الشدائد ، وغفوك عن أهل

(١) كفا ، وكتب « بسى » بالألف ، ولعل البارة هكذا : سياتوف الدرهم .

الثغور في الجرائم ، فقلت للآخرى : من أنت ؟ فقالت : أنا الصدقات التي كنت تبذلها ميمناً وشمالاً وصباحاً ومساءً ، وانصرفتا عني ، وهما تقولان لي : لا تنس شهادة أن لا إله إلا الله لعهد رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم نوذي بالسائق : أدخله من باب المغفرة فأدخلت إلى هذا الموضوع . فقلت له : فما هذه الكتابة التي أراها بك ، فقال : استحياء من الله وربي عز وجل لما اقترفته من الآثام ، وارتكبته من الأمور العظام . . فانتهيت من نومي وأنا أترحم عليه ، ولكأنه بين يدي يخاطبني ، لما شاهدته منه وما تداخل قلبي من خطابه .

قال مؤلف هذا الكتاب : وحدثنا الحسن بن علي العباداني (١) ، وكان من أهل عبادان ، وهو من أهل التصدد والزهد والورع ، دخل إلى مصر وسكن المعافر ، وله هناك مسجد معروف ، قال : رأيت في منامي كأنني في الرحبة التي فيها العين التي بناها أحمد بن طولون للمعافر ، وكأني قائلاً بقول لي : الأمير في المسجد - وأوماً بيده إلى مسجد الأقدام - فسلمت عليه ، فقلت له : نعم . فدخلت المسجد فإذا أنا بأحمد بن طولون ، فسلمت عليه فرد علي السلام ، فبينما أنا كذلك إذا بنار من وراء المسجد عظيمة . فقال لي : ألا ترى هذه النار ؟ فقلت : نعم . فقال لي - وأوماً بيده إلى العين التي بناها - : لولا هذه لا كنت في هذه النار . فانتهيت وقد سررت بهذه الرؤيا له .

وحدث محبوب بن رجا قال : رأيت أحمد بن طولون في منامي بحال حسنة . فسألته عما لقي ، فقال لي : غفر لي . فقلت له : مع عظيم

ما ارتكبت؟ فقال: خفف ذلك عني أن أكثر من أسأت إليه
كان مستحقاً من ربه ما نزل به مني، فكنت عقوبة بعثها الله عز وجل
مني عليه. ثم قال: إنما البلاء ظلم من لا ذنب له ولا ناصر. قتل له:
فستفرك في الجنة؟ فقال: ما استقر بعد أحد في جنة ولا نار، ولكنه
تلوح لنا دلالات المغفرة من طيب النفس، وأمن السرّب.

قال: ومن الدليل على أنه خفف عنه كما ذكر، ما تحدث به كامل
ابن سعيد متطبب سعيد الصغير، وكان سعيد هذا من أجلاء قواد
الموفق، قال: قال لي سعيد يوماً، وقد دخلت إليه فرأيتُه مغموماً،
فسألته عن حاله فقال لي: شربت أمس نبيذاً فسكرت وعربدت
على غلام لي فضربته بالمقارع حتى مات تحت الضرب، فلما كان في
السحر من يومي هذا، رأيت في نومي كأن آتياً أتاني فقال لي: أنا
رسول رب العالمين يقول لك: غضبت على عبد من عبيدي ملكك
رقه، فضربته بغير حجة حتى مات، وعزتي وجلالي [لا أعجلن لك]
العقوبة في الدنيا. قال: قتل له: يوقيك الله ويصونك، هذه أضغاث
أحلام، فأظهر ندماً عظيماً، وغماً شديداً، وتصدق في يومه بمشرة
الاف درهم دية الغلام وانصرفت. فلما كان من غدٍ صرت إليه،
فقال لي: ويحك رأيت البارحة أشد مमारأيت قبلها، قتل له وما هو؟
قال: جاء في ذلك الشخص بعينه البارحة في منامي فقال لي: يقول لك
رب العزة: تقتل عبيدي وتصانعي عنه، هيئات! وانتبهت من قوله
مرعوباً وجلاً خائفاً. فقال كامل بن سعيد المتطبب: فما مضى لقوله

إلا أيام يسيره حتى أنفذه الموفق رسولا إلى أحمد بن طولون في حمل
مال ، وكتب إليه طيفور خليفته بالحضرة يعرفه أن الموفق حمّله
رسائل إلى وجوه فوادك في تضريبهم عليك ، وإفساد قلوبهم لك ،
فاحذره ، ووصل كتاب طيفور إليه قبل وصول سعيد ، فحين وصل
إليه ووقعت عينه عليه لم ينهنه^(١) حتى قال له : يا ابن كذا وكذا ،
فرغت من تضريبك الرجال بسر من رأى - وكان أحمد بن طولون
يعرفه بذلك - وصرت إلى بلدي حتى تضرب علي رجالي ، ونفسد
نياتهم بالقشور والمحال ، السمدة ، فأحضرت فقال : دماغه ، فلم تزل عند
تأخذ دماغه حتى مات ، فجر برجله بين يديه ، فصحت رؤياه التي رآها .
قال مؤلف هذا الكتاب : وبهذا الخبر صحت رؤيا محبوب بن
رجاء في قوله إنه لما رآه في منامه قال له : خفف عني أن أكره من
أسأت إليه كان مستحق ذلك من ربه ، فخطني عقوبة له ، بعثها الله عز
وجل عليه مني . قال : وكان بين قتله سعيد الفلام وبين مسيره [إلى ابن
طولون وال]ا [قتصاص منه . فكان الوقت الذي بلغ الكتاب
فيه أجله .

وحدث عبد الله بن الفتح - وكان من أصحاب سيباط الطويل - قال :
رأيت في منامي كأن سيباط الطويل متعلق بأحمد بن طولون على باب المسجد
الجامع الذي بناه بصر ، وهو يصيح بأعلى صوته : يا رسول الله ! أعني
على أحمد بن طولون فإنه قتلني ، واصطنع مالي ، واستباح أهلي وولدي .

(١) نهنه عن الأمر تنهه : كنه وزجره فكف وأصلها نهنه

قال مؤلف هذا الكتاب: [كان أحمد بن طولون] يقول كثيراً:
ينبغي للرئيس أن يجعل اقتصاده على نفسه ، وتسمحه على شمله
وقاصديه ، فإنه يملكهم بذلك ملكاً لا يزول به عن قلوبهم ،
ولا تفسد معه سرائرهم في نصحه وموالاته وحسن طاعته ، وهذه
كانت صورته رحمه الله .

قال: وحدثنا عبد الله بن القتح أن نحريراً الخادم غلام المتمد
حدثه أنه لما ورد الخبر بوفاة أحمد بن طولون على المتمد بكى حتى
خيف على عينيه ، وعج حتى رحمه جماعة خاصته وشمله ، وحرم شرب
النبيذ . وكان ليلة إلى أحمد بن طولون ومحبته ، إذا قعد للشرب جعلت
بين يديه صينية فيها خردادي^(١) وقدح وكوز ومغسل ، كل ذلك بلور
على اسم أحمد بن طولون ، فإذا شرب ندماءه ملاً الغلام من الخردادي
الذي في تلك الصينية قدحاً ومضى به ، ولا يزال يفعل ذلك إلى أن
ينصرف الندماء ، وكلما فرغ الخردادي ملئ إلى أن يسكر المتمد .

فلما مات وحزن عليه وامتنع من الشرب وأقام كذلك مدة
طويلة لم يزل ندماءه يتلطفون له ويخاطبونه بما يسليه ، ويسهل أمره
عليه ، وبما ونهم على ذلك أقرب الناس منه ، وعياله وولده وخاصة
حتى نصب مجلسه . فلما قعد صينية أحمد بن طولون من مجلسه ، كانت

وقع نهي ابن
طولون لـ المتمد
وحزنه عليه

على رسمها فيه، عاود البكاء عليه والنحيب، وخرج إلى أكثر مما كان
خرج إليه في الابتداء، ورفع المجلس والنيذ من بين يديه، ولم يزل
على ذلك أيضاً مدة طويلة، ورناء فقال :

إلى الله أشكو أسيَّ عراني كوقع الأسلِّ
على رجلٍ أروعٍ ترى فيه فضلَ الرجلِ
شبابُ خبا وقدهُ وعارضُ غيبِ أفلِ
شكتُ دولتي فقدهُ وقد كانَ زينَ الدولِ
إذا أمه انماصدو ن جأهم جميع الأملِ

[قلت لعبد الله] بن الفتح : ما توهمت أن المعتد بقيم شعر آلاني
أنشدت أشعاراً لم أرضها فقال : كان يمزح بأشعار^(١) فاذا شاء جود .

وحدث علي بن يحيى بن أبي منصور ، وكان خاصاً بالموفق ومقدماتاً
عنده قال : رأيت الموفق في الساعة التي ورد عليه فيها وفاة أحمد
ابن طولون ، وقد استرجع ووجم ، وظهر منه عليه كآبة ، لم أرها
ظهرت منه قط لموت قريب ، ولا ولي حيم متصل . فقلت له : ما توهمت
أنه يرد عليك شيء أسرث من نعي أحمد بن طولون ، فإ هذا الغم
العظيم الذي قد جرى ، وجرى في غير موقعه ؟ فقال لي : دعنا من
هذا واقم نبي ما أقوله لك : كان هذا الرجل مخالفي ، والخلاف

وقع نبي ابن
طولون في الموفق
وقدمه لصفاته
الغر

(١) في الاصل : اما . عاره . « بلا تظ »

يزيد وينقص ، وأعظمه خلاف استباح فيه مخالفتي ما اندرته (؟) وخطبي عليه ، وأسهره خلاف أحسن فيه مخالفتي بتدبير ما احتازه منه فأدى إلى عمارته ، وكان خلاف أحمد بن طولون لي أحب من طاعة من يطيعني ويستبيح أموالي ، ويخرب بلداني ، فخلاف من يحسن تدبير ماني بديه ، أحب إليّ من موالاته من يحتوي على من وكنه إليه ، وتؤدّم العاقبة فيه بسوء تدبيره ، وقبح أفعاله . وكان هذا الرجل رحمه الله يدبر ما قلده ، كما يدبر الملك ملكه ، ويمحوه حياطته لنفسه ، ثم لم يخرج عن طاعة ، ولا أجرى عن حال مذمومة : رعيتهمشاكرون ، ومعاملوه حامدون ، وبه متبركون ، وأعماله عامرة ، وأمواها على يديه راحية ، وأصحابه مغتبطون به ، حسن السياسة ، جميل الفعل ، كثير المعروف ، فلما قلده أخي نواحيه ، خزاجها ومعاونها ، ضبط جميع ذلك ضبط جزل محتاط ، فتزايدت أفعاله الجليلة فيها ، على ما كان منه متقدماً ، ثم أقدمني أخي من مكته على كره مني لتلك ، وكان مقامي بها أحب إليّ وأروح لنفسي . . . هذا لما عابنته وما كابدته فلما قدمت إليه رأيت أمور [الدولة] مضطربة على غابة من الاضطراب والانحلال ، حتى إنه كاد الأمر أن يخرج عن أيدينا بقلة ضبطه لأمر دولته ، وسلوكه مالا يحب فيها . فاجتهدت في جمع شتات هذه الدولة ، ورأيت أمير المؤمنين أخي المؤكّد لي البيعة رجلاً لاهياً ، مقبلاً

على لذاته ، مشتغلاً بأفراحه ، لا يشغله عن ذلك شيء من أمر دولته ، ولا يفكر فيه ، قد ألقى أموره إلى من استبد بها دونه ، واجترأ عليها واشتغل بمصالح نفسه وما عاد لهيبه ، ولا يفكر في عاقبة ، ولا يتخوف من حادثة .

فتعطرت^(١) لبقاء هذه الدولة بما ضبّتها به ، وصنّها عما كانت قد أشرفت عليه من الزوال . وتأمّلت أمر ظلمانه كلهم ، فما أحدث أمر أحد منهم ، وتأمّلت أمر أحمد بن طولون رحمه الله ، فوجدته قد حمل إلى إمامه المنفرد باصطناعه ، مذ تقلد هذا البلاد ، ما كنت أَرْضَى أَنْ يَحْمِلَ إِلَيَّ بَعْضُهُ لِإِصْلَاحِ مَا أَنَا بِسَبِيلِهِ ، وَلِضَيْقِ الْأَمْرِ وَتَعَذُّرِ الْأَمْوَالِ عَلَيَّ ، فِيمَا أَعَانِيهِ وَدَفَعْتُ إِلَيْهِ ، وَنَظَرْتُ فِي مَا إِذَا تَأَمَّلَهُ الْمُتَأَمِّلُ الْمُنْصَفُ عِلْمُ أَنَّ عَذْرَهُ فِي خَلْعِي ، أَوْجِبُ مِنْ عَذْرِي فِي لَعْنِهِ ، وَمَا خَرَجَ إِلَيْهِ فِي أَمْرِي مِنْ انْحِرَافِهِ عَنِّي ، أَوْجِبُ مِمَّا خَرَجَتْ إِلَيْهِ فِي أَمْرِهِ وَفِي انْحِرَافِي عَنْهُ ، وَإِنْ كُنْتُ أَظْهَرُ ذَلِكَ بِلِسَانِي وَقَلْبِي يَنْكُرُهُ ، وَيَعْلَمُ خَطَائِي فِيهِ ، وَعَذْرُهُ فِيمَا يَأْتِيهِ ، وَأَتَمَّتْنَا هَوْلَاءُ فَنَهْمُ فَإِذَا قِيَامًا يَبْتَنُوا بَيْنَ النَّاسِ . هَذَا الْمَهْتَدِي أَشْرَتْ عَلَيْهِ أَنْ يَدْرَحَ (?) فِي سِيرَةِ أَيْهِ ، وَأَعْلَمْتُهُ أَنَّ الزَّمَانَ الَّذِي فَسَدَ بِمَا أَوْجِبُهُ مَا أَجْرَى إِلَيْهِ مِنْ سُوءِ التَّدْبِيرِ بِمَا يَكُونُ فِيهِ الْمَشَقَّةُ الْمَجْحَفَةُ د غشيمة

اني إنما أردت وقصدت الطمن على تدييره
ورأيه ، وقد علم الله جل اسمه أني قد نصحته فضرَبَ بيدي
وبين الناس ، وعمل في أمري ما شاهدوه ، وتغاني عن حضرته ،
وركب خطأه وصوّه تدييره ، فلم يزل يركض فيه حتى قتل أبقح
قتلة ، فثبتت به عدوه ، واغتم به وليه ، وغم نفسه لاستبداده
برأيه ، وإن كان كل ما يجري من الله جل اسمه ، وقضاؤه ينفذ
كما يشاء بسلب كل ذي لب له حتى تتم مشيئته ، إلا أن مخالفة
رسول الله صلى الله عليه وسلم في ترك المشاورة خطأ ، فأقت ، طول
ما أقت ، هادئ القلب ، آمن السرب ، طيب النفس ، غير مفكر
إلا فيما عاد بأجري ، وحمدته في عاقبتني ، إلى أن ردّني أخي .
ولأحد بن طولون رحمه الله أولاد عداد ، وموَالٍ وعدد جم ،
لم يروا غير رياستهم ، ولم يكن في جماعتهم من قلبه ممثلي من هيتنا
غيره ، لأنه ربي في خدمتنا ، وشاهد قوة أمرنا وأحوالنا ، فامتلا
من ذلك قلبه ، وكبرت سطوتنا في عينه ، وخلف الآن أموالاً
جمة عظيمة ، لا يحوط جميعها من قليل وكثير إحصاء بحص ، ولا
ضبط محتاط مكفي ، وإذا اجتمع لمن يقوم مقامه من ولده قلة التهيّب
لنا ، إذ لم يشاهد من أحوالنا ما قدمنا ذكره من مشاهدة أبيه من أمرنا ،
مع كثرة المال والأعراض والمدة الجليلة العظيمة والمدة الكريمة
الوافرة القوية ، بالحال الجليلة والجمال والمال والشجاعة والإقدام ،

حسب ما اختصم أبوم ، وانتخبهم واختارهم ، وملاً أعينهم بما
لا نتسح نحن بمثله لكثير من أصحابنا فكيف غيره ، فهم على ولده بذلك
يحتاطون وفي
بمالين أحدهما المحافظة لما أتاه أبوم فيهم من الجليل و . .
عليه من عظم الأحوال ، وثانيه لأنهم تيقنوا أنهم لا يجدون مثله ولا مثل
ولده أبداً ، فلهذه الأحوال تعظم علينا نكايتهم معاراً ، ويبعد
علينا في ذلك مرامهم ، ويظراً علينا منهم ما لعلنا أن تقصر عنه ، وعن
بلوغ المراد به ، لأن الأنصار مع المال حيث كان ، ولا سيما أنصار
من أنصار ، فإن بأيدينا من يقوم منهم كان خليقاً بالقلبة ، وإذا كان
النصر لم قدحت فينا عليه لنا قدحاً عظيماً وهدت منا ركننا كبيراً ،
وكننا مع ذلك قد اضطررناه إلى إتلاف الأموال التي تحتاج إليها المملكة
للمجاهدة عدواً إن تحرك ، فإن كان النصر لنا عليه لم نجد بداً من أن
نستخلف على بلدنا ونواحيه من هم كانوا لنا وللأعمال أصلح وأجود
وأوثق وأحسن تدبيراً وأجمل حالاً وسياسة فيما تقلده .

وكان بقية المتقلد بعد أحمد بن طولون رحمه الله وبعد تركته
تحصيل الأموال وجمعها لنفسه واستنثاره بها وبجميع ما تنبسط يده
إليه دوننا ، ثم بعد ذلك تخريبه بلداننا ، وإطلاقه نهبا ، وإخافة
سرب أهلها ، ودون فائدة للسلطان ، ولا عائدة علينا ، إلا ما تنبسط
به الألس بالدعاء علينا والوزن لملد عناقنا ، وهو غير مفكر في

ذلك وليس وكده إلا ما عاد لهيبه . ثم أقبل يترحم على أحمد بن طولون
ويبكي على قدده .

فقال علي بن يحيى بن أبي منصور : قفلت للدوق : ثبت الله
عزم سيدي وسدد رأبه ، وعوضه منه وحرس له ما منعه به ،
فهذا والله الرأى السديد ، والفهم الرشيد ، ولولا ما خصه .
قد قام الآن

سيدي أيدته الله عندما تبيتته مما بينته لي الأمير أيدته الله وشرحه
من حال هذا الرجل رحمه الله ، وكشف منه ما كان عني مغطى
وعن سائر الناس الذين لا يملكون مقدار ما علمه الأمير مد الله في
عمره ، وبلغه أفضل آماله في دنياه وآخرته ، والله بكرمه عينه
ما خوله ، ومن به من رباسته ، ويجعله عماداً لها بمنه وقدرته .

قال مؤلف هذا الكتاب : وجدت ثبتاً^(١) لابن مهاجر بما حمله أحمد
ابن طولون إلى المتمد وفرق في جماعة من حاشيته لأربع سنين ،
أولاهن سنة إحدى وستين ومائتين وأخراهن سنة خمس وستين ومائتين ،
مما كانت به السفائح تنفذ إليه سرّاً مع من يثق به ، ويأمنه على سره
وماله ، ولا يعلم بذلك أحد من بكره علمه به من أصحابهم وغيرهم
مما بلغه ألفاً ومائتا ألف دينار .

قال : وكانت نفقات أحمد بن طولون رحمه الله جداً إلا هزلاً كماها
فما قبره من الله عز وجل [و] من صالحه كل بلد نقله يرغب في دعائهم

(١) التت عمركة القهر الذي يجمع فيه المحدث سردياته وأخباره كما أنه أحد من الحج

ما حله ابن
طولون إلى
المتمد

لرخاء العلم في
بلاد ابن طولون

ويستجلبه بكل نوع ، ويحنو على رعيته ويستجلب به دعاءهم .
وكان وكده وشغله واهتمامه بإسعاد بلده ، وسائر ما بعد من
بلدانه ، يسعى فيما يرخص الله جل اسمه به أسعاهم ، وجميع ما يباع في
بلده وسائر بلدانه ، فكان الرخص به عاماً ، في كل بلد من سائر
الأطعمة . وكان السبيل به آمناً ، والأرزاق يبركته دارة ، والنعمة من
الله جل وعلا منه ارادته (؟) جل اسمه على سائر الناس مترادفة متكافئة .

فت سيرة أحمد بن طولون



استدراك

كتب إلينا من بمبي العلامة ايفانوف Ivanov يقول إن البلوي قد يكون من الاثني عشرية أو أنه كان من إحدى فرق الإسماعيلية التي نظر إليها فيما بعد أنها لا تمد في أهل السنة ومثل البلوي كثيرون من أدخلوا في جملة الإسماعيلية .

وكتب إلينا العلامة أبو عبد الله الزنجاني في طهران يقول : إن كل ما ورد في كتب رجال الشيعة بشأن البلوي ينتهي إلى نصين : أحدهما ما ورد في فهرست ابن النديم في بحثه عن الإسماعيلية والدعاة إلى مذهبهم وذكر مصنفهم ، وأظن أنه وقع اضطراب في عبارة كتاب الفهرست فإنه بعد أن ذكر الحلاج وأخباره وأسماء كتبه تعرض لذكر رجال لا نسبة بينهم وبين الباطنية . فقد ذكر عبد الله ابن بكير وهو من القطبية وأجمت الشيعة على تصحيح حديثه للوثوق به . وذكر الحصين بن غنارق وهو واقفي . وذكر أبا القاسم علي بن أحمد الكوفي وهو مرعي بالفلو والتخليط وذكر داود بن كورة القمي وهو إماسي . ثم ذكر البلوي ولم يشر إلى دعوته للباطنية . وذكر بعده محمد بن أحمد القمي وهو من معاريف الشيعة الإمامية . فلولا قرائن أخرى لما أمكن عدده من رجال الباطنية لأن صاحب الفهرست خلط رجال الفرق المختلفة بعضهم ببعض . والنص الآخر هو نص ابن الغضائري وقد نقله ابن المطهر الحلي الشهير

بالعلامة تلميذ نصير الدين الطوسي الحكيم الفلكي وزير هلاكو .
وفيه أن البلوي مصري كذاب وضاع للحديث لا يلتفت إلى حديثه
ولا يصبأ به . اه

هذا ما قاله السيد الزنجاني ، وبه يثبت ما أشرنا إليه في مدخل
الكتاب من أن أهل السنة والشيعه متفقون على رمي البلوي بالوضع
واتهامه بالكذب ، والله أعلم بما دعا إلى إصاق هذه التهمة به ويبلغ
هذه الروايات من الصحة .

أما إسماعيلية البلوي فما برحت موضع الشك بعد الذي أورده
صديقنا الزنجاني .

خاتمة اللطاف

ومن الواجب ، ونحن نودع البلوي الذي أطر بنا بنعمته وفنه في
تأليف هذه السيرة ، أن نشكر لأصدقائنا الأساتذة عبد القادر
المبارك ، و خليل مردم بك ، وبوسف المش ، على معاونتهم لنا في حل
بعض مشكلات تجلت في الكتاب يجهد الناسخ . ونخص بالشناء
حضرات أصحاب المكتبة العربية لفضلهم بنشر الكتاب على هذه
الصورة الأنيقة . وأكبر الفضل لأحدهم صديقنا الأستاذ أحمد عبيد ،
فإنه أعاد النظر في الكتاب من أوله إلى آخره ، ودقق فيه تدقيقاً بليغاً ،
فرد بذلك معظم نصوص المخطوط إلى نصابها من الصواب . جزاهم الله
عن الآداب أفضل الجزاء .

فهرس

سيرة أحمد بن طولون

- ١- فهرس مراجع التصحيح والتعليق
- ٢- أسماء الرجال والنساء والأئم والجماعات
- ٣- البلدان والبحار والأنهار والأماكن
- ٤- الموضوعات

فهرس مرابع الصحيح والنيلس

<p>٢٨ زهر الآداب الحصري</p> <p>٢٩ مسج الأعدى لثقتندي</p> <p>٣٠ طبقات الأبطال لابن أبي أمية</p> <p>٣١ طبقات المناجاة لابن أبي عمير</p> <p>٣٢ الطيخ لمحمد بن الحسن الكاتب البندادي</p> <p>٣٣ القند الفريد لابن طلحة الوزير</p> <p>٣٤ القند الفريد لابن عبد ربه</p> <p>٣٥ الترح جد الشدة للتحفي</p> <p>٣٦ التهرست لابن التديم</p> <p>٣٧ الطوسي</p> <p>٣٨ قاموس الجفرافية القديمة لاحمد زكي</p> <p>٣٩ القاموس المحيط لقبيرزادبادي</p> <p>٤٠ الكامل لابن الاثير</p> <p>٤١ الكامل للبريد</p> <p>٤٢ كنوز الفاطميين لزي محمد حسن</p> <p>٤٣ لسان العرب لابن منظور</p> <p>٤٤ لسان الميزان لابن حجر</p> <p>٤٥ المحصن لابن سيده</p> <p>٤٦ مروج الذهب للمسعودي</p> <p>٤٧ مسالك الابصار لاس فضل الله العمري</p> <p>٤٨ المشبه لذهبي</p> <p>٤٩ معجم البلدان لياقوت</p> <p>٥٠ معجم ما استعجم لبكري</p> <p>٥١ المغرب في حلى المغرب لأحمد بن يوسف</p> <p>الكاتب المعروف بابن الداية قطعة منه</p> <p>في سيرة أحمد بن طولون</p> <p>٥٢ للكفاة لأحمد بن يوسف الكاتب</p> <p>٥٣ منتهى المقال او رجال أبي علي</p>	<p>١ احسن التقاسم للمتدي البشاري</p> <p>٢ أخبار الحكماء لقتظي</p> <p>٣ الاذكياء لابن الجوزي</p> <p>٤ أسرار الحكماء لياقوت المستصفي</p> <p>٥ الانفاظ الفارسية المربة لادي شير</p> <p>٦ الانساب لسماني</p> <p>٧ البيان والامراب عما بأرض مصر من</p> <p>الأهراب للمقرزي</p> <p>٨ البيان والبيان للجاحظ</p> <p>٩ التاج في أخلاق الملوك للنسوب للجاحظ</p> <p>١٠ تاج العروس للزبيدي</p> <p>١١ تاريخ الامة التبطة لجنبة التاريخ القبلي</p> <p>١٢ تاريخ الرسل والملوك لابن جرير الطبري</p> <p>١٣ تاريخ سيد بن بطريق</p> <p>١٤ تاريخ التضامني</p> <p>١٥ التاريخ الكبير لابن عساکر</p> <p>١٦ تاريخ مصر لابن وليمس</p> <p>١٧ تاريخ الزوزاء لقصايي</p> <p>١٨ = البقوي</p> <p>١٩ تويم البلدان لأبي القدا</p> <p>٢٠ تنقيح المقال لمامقاني</p> <p>٢١ نوار القلوب لثعالي</p> <p>٢٢ الجواهر في الجواهر لبيروني</p> <p>٢٣ جمع الجواهر في الملح والوادد الحصري</p> <p>٢٤ حسن الماضرة لسيوطي</p> <p>٢٥ الحراج لابي يوسف</p> <p>٢٦ خطط القرزي</p> <p>٢٧ روضة المجهن لابن قيم الجوزية</p>
-----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------	---------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------

٥٨ : الوافي بلونيات لاسندي	٥٦ : مورد الطاقة لابن تفرج يردى
٥٩ : وفيات الأعيان لابن خلكان	٥٥ : ميزان الاعتدال للذهبي
٦٠ : الولاة والقضاة لسكندي	٥٦ : النجوم الزاهرة لابن تفرج يردى
	٥٧ : التقود الاسلامية للقرنيزي

وغير ذلك من الدواوين الشعرية كديوان البحري وديوان ابن الرومي

Encyclopédie de l'Islam.

معدة الاسلام (مادة الطولونية وأحمد بن طولون ، والتطامع ، والقاهرة)

Dozy : Supplément aux dictionnaires arabes.

ملحق بالمعجم العربية لـدوذي

Dozy: Dictionnaire détaillé des noms des vêtements chez les Arabes.

المعجم المنصل في أسماء الثياب عند العرب لـدوذي

Zaky Mohamed Hassan: Les Tulunides.

الطولونيين لـزكي محمد حسن

احمد بن محمد الواسطي (ابو عبدالله)

٤٨٤٤٢٤٤١٤٣٩٤٢٣١٧

٤١٠٦٤١٠١٤٩٣٤٩١٤٥٧

٤١٦٦٤١٦٥٤١١٤٤١١٣

٤٢٤٦٤٢١٩٤١٧٧٤١٦٧

٤٢٦٤٤٣٥٥٤٢٤٨٤٢٤٧

٢٣١٨٤٢٨٥٤٢٨١٤٢٧١٤٢٦٥

٣٣٨٤٣٣٧٤٣٣٠

احمد (أو جعفر) المدائني (صاحب موسى

بن يقطين) ٨٨

احمد بن وصيف ٩٣

احمد بن يحيى السراج ٥١

احمد بن يعقوب ٢٧٠

احمد بن يوسف الكاتب (ابن الفايه)

٤٦١٣٤٧١١٤١٠٤٢٨٤٢٧٤٦

٤٤٦٤٣٥٤٣٣٤٢٣١٤١٣

٤٨٨٤٨٤٤٢٨٢٤٢٧٥٤٢٦٠٤٤٧

١٧٧٤١٧٦٤٢١١٠٤١٠٦٤٨٩

٤١٩٤١٩٣٤١٩٠٤١٨٧

٢١٣٤٢١١٤٢١٠٤٢٠٩٤١٩٥

٢٤٥٤٢٣٩٤٢٣٧٤٢٣٠٤٢١٨

٤٢٨٩٤٢٨١٤٢٧٠٤٢٦٨٤٢٤٦

٢٤٧٤٢٤٦

الأخشف بن قيس ٢٧١

الأحوص ١٤٦

ادي شهر ٣١٤

احمد بن دعيم ٢٣٥٦٤٢٣٠٤٧

احمد زكي باننا ٢٨٨

احمد بن شعاع (ابو تراب) ٦٠

احمد بن صالح الرشيدي ٢٤٥

احمد بن عبد العزيز الحريري ٣٥٦

احمد بن عبدالله بن ابراهيم ٦٣

احمد عبيد ٣٦٦

احمد بن ابي العلاء (قاضي مصر) ٢٩٧

احمد بن عيسى بن شيخ الشيباني ٤٥٠

٢٥٦٤٥١

احمد بن عيسى الصفدي ٨١٤٤٦

احمد بن القاسم ٧

احمد بن القاسم بن اسلم ٢٤٥

احمد بن المؤمل (المعروف بأبي هاشم)

٢٦٩٤٢٤٦

احمد بن محمد بن خافان ٣٥

احمد بن محمد بن - سلامة (الطحاوي)

٢٣٥٠٤٢٩٥٤٢١٧٤٢١٦

احمد بن محمد بن عبدالله بن ابراهيم

ابن طباطبا (بيضا الكبير) ٦٢

احمد بن محمد الكاتب ٢٢٦

احمد بن محمد الكوفي (ابو العباس) ٣٣

احمد بن محمد بن مدبر ٤٣٤٤٤٢٤٣

٥٠٩٤٥٨٤٥٦١٥٠٤٤٦٤٤٥

٤٩٤١٤٨٤١١٨٤٦٠

٣٥٠٤١٧٢٤١٧٦٤١٧٥

- الأصبغ بن عبدالمزيز بن مروان ٢٢٠
 الاصمعي ٣٧٠٤٣٧
 ابن أبي أصيبعة ٣١٢
 الاطروش = احمد بن ابراهيم
 الاعراب ٣٢٤٣٨٤١٠٤١٠٥٤١٠٥
 ابو الأقر ١٠٦٤١٠٥٤١٠٥
 ابن الاغلب = ابراهيم بن احمد
 أغلب بن احمد بن طولون ابو منصور
 ٣٤٩
 الافشين ٢٦٥
 الياس بن منصور الزناتي النفوسي ٢٥٣
 ٢٧٠٤٢٦٤٤٢٥٦٤٢٥٥٤٢٥٤
 اماجور التركي (ماجور الافرنجي) ٥٢
 الامامية ٢٤٤٢٥٤٢٦٥
 أندونة الزاهب ١١٨
 اندونة الكتائب ٨٩
 انهج ٢٦٦٤٢٦٧٤٢٦٨٤٢٢٠
 انوشروان ١٦٧
 الامس ٢٢
 ابن اباس ٢٥٠
 ابتاخ ٣٣
 ايقانوف ٣٦٥
 ابن الاود ١٠١٤٢٤٨٤٢٥٥
 ابو ايوب (ابو دؤب) ١٦١٤٧٢
 ٢٤٩٤١٩٠
- أوخوز بن بولغ بن طرخان ٢٩٠
 ابن الأرقط ٢٣٩
 أسامة بن حباب ٢٧٣
 اسحق بن ابراهيم ٣١٩٤٧
 اسحق بن دينار ٤٦٤٢٤٨
 اسحق بن طريف الخزومي ٣٠٠
 اسحق كاتب جرجان (النصراني) ١٦١٤١٦٣
 اسحق بن كداج الخزري (ذوالسيفين)
 ٢٩٠٤٢٩١٤٢٩٤٤٢٩٥٤٢٩٥٤
 ٢٣٠٤٢٣٠٤
 بنو اسرائيل ٣٣٦
 اسرائيل بن فروخ ٧٠
 الاسلام ١٣١٤٢٦٣٤٤٢٩٢٤٣١٢
 اسماء زوجة احمد بن طولون ٢١٢
 اسماعيل بن بلبل ٣٣٨
 اسماعيل بن جعفر الصادق ٥
 اسماعيل بن عبدالله الروزي (ابو نصر)
 ٥١٤٢٥٠
 الاسماعيلية (السمعية) ٤٤٢٦٤٥٤٤٢٦٤٥٤
 ٣٦٥
 الاسود = يمين الاسود
 ابو الأسود = الظريف
 بن الاشمت ٢٦٧
 اشناس --
 اشهب ٢٤٩٤٢١٨

٣١٠٤٢٧٣

ملاخ (خادم ابن الأقطب) ٢٥٥٤٢٥٤

البلوي - عبد الله بن محمد بن عمر

بلي ٣

بهم بن الحسين ٦٣

بولس ٣٣١

البيروني ٢٣٠٤١٩٦٤٦٠

- ت -

ابو تراب - أحمد بن شعاع

الترك - الاتراك

توكان بن عبد الله بن الامام ١٢٦

١٢٨٤١٢٧

التركان ٣٧

ان تفري يودي ١١٢٤٩٣٤٧٤

بعل (?) بنت احمد بن طولون ٣٤٩

تسكين بن منصور الخزري مولى المعتضد

١٠٣٤١٠٢

تنوح ٩٦

التوحي (القاضي) ٢٨٧٤١٥

تديك (بديك) ٢٩٢٤٢٩١٤٢٩

- ث -

ثابت بن سليمان ٢٤٢

الطالبي ٥

ثمود ٢٠٣

- ب -

باهك الخرمي ٢٦٥

الباطنية ٣٦٥

باكبك ٤٤٢٤٣٣٤٢٧٤١٩

٤٦٤٤٥٤٤٣

البحثة ٦٦٤٦٤

البحثري ٢٦٥٤٢٤

بدر الخبيبي (?) ٨١

بدر الحامي ٢٨٨

البرابية ١٩٦

برائة الحاسب ٧

البرنطية (البربطية) ١٩٦

بشر بن غياث المريسي ٦٥

بصير ٢١٨٤٢٦٧٤٢٦٦

ابن بطلان ٣١٣

بغا (أبو موسى) ٩٣٤٣٣

بكار بن قتيبة (أبو بكر) ٥١٤٩

٤٢٤٩٤٢١٦٤١٧٩٤١٦٧

٢٩٧٤٢٩٥٤٢٩٤٤٢٥٢

٤٣١٨٤٣١٧٤٣١٦٤٢٩٨

٣٣٣٤٣٣١ (ابن اخته) ٣٣٣

ابو بكر البناء القديمي ١٨٤

ابن ابي بكر ١٨٦

السكوي ٤١٠٤٦٣٤٣٧٤٣٦

ابن حباب الجوهرى ٦٠
حباسة بن يوسف ١٠٢
حبـية اخت احمد بن طولون ٣٣
حبشي (ابن اخي اسحاق بن كنداج)
١٩٣٤٢٩١
الحجاج بن يوسف الثقفي ٣٩٤٢٣٠
٤٠ ٤١٨٥ ٤١٨٦ ٤٣٠٦
٣١٧٤٢٠٧
ابن حجر ٥
ابن حدار = جعفر بن حدار
حدري الجوهرى ٦٠
بنو حزم ٢١٧
الحسن بن زيوك (الطبيب) ٣١٣
٢٢٣٤٢٢٢
حسن بن شعرة ١٤٨ ١٤٩
الحسن بن سليمان بن ثابت ١٧٩
الحسن بن عطاق ٣٠٥ ٣٠٦
الحسن بن علي العباداني ٣٥٣
الحسن بن قاسم الانباري ١٨٥
الحسن بن محمد بن احمد المصري العسال
(أبو علي) ٣١٩
الحسن بن مخلد بن الجراح ٤٣ ٥٧٤٤٣
١٧٣ ١٧٤ ١٧٥ ١٧٧
حسن بن مـاحر ١٤٢ ١٤٥
١٤٦ ٢٠٩ ٢٧١ ٣١٨
٣٦٣ ٣٣٧ ٣٣٠ ٣٠٥٤٣٠

- ج -

الملاحظ ٣١٧
جباب الجوهرى ٦٠
ابن الجراح = الحسن بن مخلد
علي بن مـوى
جرج بن الطباخ اللطيب ٣٢٥
ابن جرير = الطبري
جعفر بن حدار (أو جرار) الكاتب
١٧٧ ٢٤٥ ٢٥٠ ٢٥٢ ٢٥٢
٢٦٩٤٢٥٦
جعفر الصادق ٢٥
جعفر بن عبد الغفار ١٠٦
جعفر بن عبدالله ٢٤٦
جعفر بن المعتد (المتروض الى الله) ٢٧٧
٢٩٨ ٤٨٥ ٤٨٣ ٤٨١ ٤٧٨
جعفر بن يار جوخ ١٥٣ ١٥٤ ١٥٤ ٢٦٩
الجلل الشاعر ٦٩
ابن جهود ١٦١
الجزادي ١٨٩
ابو الجيش = خمارويه
ابن جينويه = احمد بن جينويه
- ح -
ابو حاتم ٢٧ ٣١٠
ابو حازم (قاضي دمشق) ٣٥٠

خلف (صاحب احمد بن طولون) ٣١٠	الحسن بن واقع ٤٢٤٧
ان خلكان ١٥١	الحسين بن احمد المازرائي للمعروف بان
ابن الخليج ١٠٤	زنبور (ابو علي) ١٨٠
الخليج = ابو طالب	الحسين بن حمدان ٢٨٧
خليل مردوم بك ٣٦٦	حسين الخادم (المعروف بعرق الموت)
خاروبه بن احمد بن طولون (ابو الجيش)	١٤٤٤ ١٤٣٤ ٤٢٤٥ ١٤٥٠
٤١١٨ ٤٦٠٤ ٤٧٤ ٣٢٤ ٢٦٤ ١٣	المصري ٣٠٧٤ ١٣٨
٤٣٠٩ ٤٢٩٨ ٤٢٨٦ ٤٢١٨ ٤١٨٤	الحسين بن بخارق الروافقي ٣٦٥
٤٣٣٨ ٤ ٣٣٢ ٤ ٣٣٦ ٤ ٣٣٣	ابو حفص بن ابي ثابت ٢٤٩
٣٥٦ ٤ ٣٤٩٤ ٣٤٥ ٤ ٣٤٠ ٤ ٣٣٩	الحلاج ٣٦٥ ٤ ٦
الطوارج ٤ ٢٩٢ ٤ ٢٥٣ ٤ ١٩٤ ٤ ٥	حماد بن علي الأزدي ١٣١ ٤ ١٣٠
٣٠٧ ٤ ٣٠٦	حمدان (أو احمد) بن خاقان ١٠٦
خبر الخادم (ابو صالح الطويل) ٦٣٤٠	الحنابلة ٧٣
٣٤١	حميد الأرقط ١٨٦

- د -

الدارقطني ٥
داود بن كورة القمي الإمامي ٣٦٥
ابن الدابة = احمد بن يوسف للكاتب
ابن دشومة = عبد الله بن دشومة
دعباش ٧٠
ابن دعباش = أحمد بن دعباش
دبل بن علي الخزاعي ٩٥
دعتاج الحاجب ٥٥
دوزي ٢٦٨ ٤ ٢٣٠ ٤ ٢١٣ ٤ ١١٩

- خ -

خاقان الطرسومي ٣٢٠ ٤ ١٥٢
خديجة بنت احمد بن طولون ٣٤٩
خديجة أخت محمد بن التتخ ١٧٣
الخزرج ٣٢٠
الخزرج ٣٢١ ٤ ٣٢
خزرج بن احمد بن طولون ابو الكراديس
٣٤٩
ابن الخصب = ابو احمد بن الخصب
خطاروش ٢٩٢ ٤ ٢٩١ ٤ ٢٩٠

ابوزرعة البصري ٩٣
زكي محمد حسن ٢٠٠٤٠٢٠
الزنادقة المانوية ٦٣
ابن زنبور = الحسين بن أحمد
الزنج ٢٩٤٤٨٤٤١٩
الزنجاني (ابو عبد الله) ٣٦٦٤ ٣٦٥
ابن اخت بن الزنف ٢٤٠
زياد المديني (مولي اشهب) ٢٤٩
٣١٨٤٢٥٢٤٢٥١٤٢٥٠
ابن زيرك = الحسن بن زيرك
زينب بنت احمد بن طولون ٣٤٩
- م -
ابن ابي الساج ٣٢٠٤ ٣١٥
سارة بنت احمد بن طولون ٣٤٩
سبم شمراث = احمد بن اسماعيل
ابن السراج ٢٩٨
سعد الفرغاني ١٨٩٤ ١٧٥٤٧
٣٣٣٤٢٢٤
سعيد بن بطريق ٣٥٠
سعيد (الحاجب) ٤١
سعيد بن زويل (ابو عثمان الطيب) ٣١٣
٣٢١٤ ٣١٩٤ ٣١٥٤ ٣١٤
٣٢٢٣ ٣٢٤٤ ٣٢٥٤ ٣٢٢٦
٣٢٢٧ ٣٢٢٨ ٣٢٢٩

- ذ -
القهي ٥
ابو القلوب الساعي ٢١٨٤ ٢١٧
- ر -
الراغب (الأصفهاني) ١٢٧
الرائفي ١٩٦٤ ١٩٥
ابن الربيعي ٣١٢
الريم (حاجب المنصور) ٣٠٨
الربيع بن ساجان (صاحب الشافعي) ٢١٦
ربيعة بن احمد بن طولون (ابو المكرم)
٣٤٩٤٢٨٨٤٢٤٨
رجاء بن يارجوخ ١٥٣
الرشيد = هارون
رشيق اخو سعد الفرغاني ٣٣٣
الرماني ٣٤٣
أبو روح = سكن
الروم ٩٠٤٥٣٤ ٣٧٤ ٣٦٤٢٨
٢٤٨٤١٥١٤١٣٤٤ ١٠٩٤ ٩٨
ابن الرومي ٢٧٧٤ ٢٧٢
روبة ٣٤٧٤ ٣٤٦
ابو ريشة = سليمان بن ثابت
- ز -
زبيدة ٧٨
الزيددي ١١٨

شجاع بن اسلم الحاجب (ابو كامل) ٢٠٨	سميد الصنفر (من قواد الموفق) ٢٣٥٤ ٣٥٥
الشرافة - الخوارج	سميد الغلام ٣٥٥
شعبة ابن خركام البياضي ٦٦ ٦٧ ٧٢ ٤٧٠ ٤٦٩ ٤٦٨	سميد بن كاتب الغرطاني القبطي ١٨١ سكن (ابو روح) ٦٩٥ ٦٨٤ ٦٧ سلامة (جد الطحاوي) ٢١٧
ابن شعرة - حسن بن شعرة	سليم (بعض الشهود) ٨٠
شعيب بن صالح ٤٧ ١٢٩ ٤١٣ ٣٣٤ ٤٣٣٣ ٤١٤٢ ٤١٣٣	سليمان (كاتب شقير الخادم) ٤٢٤٢ ٢٤٣
شعير الخادم (صاحب البريد) ٤٤٣ ٢٤٣٤ ٢٤٢٤ ٨٨٤ ٥٨٠ ٥٦٢ ٤٥	سليمان بن ثابت (المعروف بأبي ريشة) ٧٣ سيانة اخت احمد بن طولون ٣٣
شمس الدين سامي ٥٢	سيانة بنت احمد بن طولون ٣٤٩ السمعاني ٣١٩
شيبان بن احمد بن طولون (ابو الخائب) ٣٤٩٤ ٢٨٨	السنة ٣٦٦ ٤٣٦٥ ٤٠٥ السندي بن شاهك ١٩٦
للشعبة ٣٦٦ ٣٦٥ ٤٦٣ ٤٥٥	سهل التاجر ٣٥٦ سوار الخادم ٤١٤٢ ٤١٤١ ٤١٣٧ ١٥٩
- ص -	ابن سيده ١٩٤ سبا الطويل ٢٩٥ ٤٥٩٤ ٤٩٠ ٤٨٩ ٣٥٦٤ ٢٣٥٥ ٤٩٧٤ ٩٦
الصابنة (الصائون) ٢٧٣	السيوطي ٢٩٩ ٤٢-١٤١٩٥ ٤٦٩
الصابوني القاضي ٢٤٩	- ش -
الصابي ١٨٠	الثعفي ٥
صاعد بن مخلد (ذوالوزارتين) ٢٩٣ ٣٠٣ ٤٢٩٦ ٤٢٩٤	
صالح بن احمد بن حنبل ٧٣	
صالح بن علي ١٤٥	
صالح بن محمد ٢٩٤	
صالح بن يارجوخ ١٥٣	
ابو صعبة (ضحية) ٤٤ ٤٤٣	

الطرصوسي (أبو العباس) ١٠٠٠٩٨
 ١٢٣، ١٢٤
 طنج بن جف ٢٨٨
 طرغفر ٣٣
 ابن طلحة الوزير ٨٠، ١٨٤، ٢١٦
 الطومسي (نصير الدين) ٤، ٣٦٦
 طولون ٣٣، ٣٤
 آل طولون ٦، ١٦، ٢٥٤
 ابن طولون الصالحى = محمد بن علي
 الطويل = خير الخادم
 الطويل = سببا
 طيب بن صفوان ٢٩١
 طيفور التبركي (خليفة ابن طولون بالخضرة)
 ٦٠، ٦١، ١٠٩، ١٣٩،
 ١٥١، ١٦٧، ٢٨٦، ٣٥٥، ٣٩٠
 - ع -
 ناد ٣٠٣
 عائشة بنت أحمد بن طولون ٣٤٩
 العباس بن أحمد بن طولون (أبو الفضل)
 ٢٣، ٢٥، ٣٥، ٥١، ٩١، ١٠١
 ٦، ١٠٦، ١٥٤، ٢١٢، ٢١٣، ٢٢١
 ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٧
 ٢٤٨، ٢٥٠، ٢٥٣، ٢٥٤
 ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٦٤، ٢٦٥
 ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٩، ٢٧٠

الصندي ٧٣
 صفية بنت أحمد بن طولون ٣٤٩
 الصقالبة ٩٠
 الصليبيون ٣٧
 مندل المزاحمي ١٢٨
 صنم عين شمس ٢٨٨
 الصوفي (أو ابن الصوفي) = ابراهيم
 ابن محمد
 الصولي ١٥

- ط -

ابو طالب الخليج (صاحب شرطي ابن
 طولون) ٢٣٥، ٢٣٦
 الطالبيون ٦٣، ٦٢
 الطائفاني = القطان
 طاهر بن الحسين ٣٣
 طاهر الكبير الخادم ١٩٤، ٤٧
 طبارجي ١٢٧، ١٢٨، ٢٥٤، ٢٦٤
 ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٧٢
 ٣٣٨، ٣١٥
 ابن طباطبا = أحمد بن محمد بن عبدالله
 الطبري ٥٠، ٢٩٨، ٣١٠، ٣١٧
 الطحاوي = أحمد بن محمد بن سلامة
 طخشي بن بابرده ٩١، ١٠٩، ١٣٣
 ٣١٠

١٩١٤٣١٩٠٤٧٧٤٧٦	٤٣١٨٤٣٨٦٤٢٧٦٤٢٧٢
عبدالله بن رشيد بن كلوس ١٠٩	٣٤٩٤٣٤٢
عبدالله بن الزبير ١٤٦	أبو العباس بن خاقان ٣٣
عبدالله بن طفيا ٢٤٥	العباس بن علي ٦٣
عبدالله بن عبد الكريم ١٨٤	أبو العباس بن الموفق ٢٩٤٤٢٩٣
عبدالله بن الفتح ٤٣٢٠٤٣١٥	العباسيون (بنو العباس) ٢١٤١٩
٣٥٨٤٣٥٥	٢٩٠٤١٠١٤٣٦٤٢٧٤٢٦٤٢٢
عبدالله بن محمد بن محمد بن محفوظ	العباسة بنت احمد بن طولون ٤١٥١
البليوي (ابو محمد) ٤٥٤٢٤٤٣	٣٤٩
٤٠١١٤٤١٠٤٩٤٨٤٧٤٦	عبد الحميد بن عبدالعزيز القاضي ٢٩٧
٤٢٠٤٢١٨٤٢١٥٤١٣٤٤١٢	عبد الحميد بن عبدالله بن عبدالعزيز بن
٤٣٦٦٤٣٦٥٤٢٣٠٤٢٣	عبدالله بن عمر بن الخطاب (ابو
عبد الملك بن صالح ٢٣	عبد الرحمن العمري) ٤٦٥٤٦٤
عبد الملك بن مروان ٢٦٧	٢٣٣٤٢٣٠٤٠٦٧٤٤٦٦
بنو عبيد ٧	ابن عبدويه ١٧٧
ابن عبيد ٢٧٠	عبد الرحمن بن سلامة الشيباني ٣٠٠
عبدالله بن خاقان ٩١	عبد الرحمن صاحب القرب ١٠٣٤١٠٢
عبيدالله بن سليمان ٢٨٠	عبد الرحمن العمري (صوابه ابو
عبيدالله بن سليمان بن وهب ٨٧٤٧٩	عبد الرحمن = عبد الحميد بن عبد الله)
عبيدالله بن محمد العمري القاضي (بن	عبد العزيز (بن مروان) ٢٦٧
عبد العزيز بن عبدالله بن عمر بن	عبد القادر المبارك ٣٦٦
الخطاب = ابو بكر) ٤٢٩٤	ابن عبد كان = محمد بن عبد كان
٢٩٧٤٢٩٦	عبدالله بن اياض ٢٥٣
عبيدالله بن يحيى (الوزير) ٣٩٤٢٣٥	عبدالله بن بكير ٣٦٥
كتاب الجوهري ٦٠	عبدالله بن دشومة ٤٧٥٤٧٤٤٢٣

علي بهجت ١٩٣	المغازية (الغزوة) ٣٧
علي ابن الحزور ٢٤٥	المجم ٣٥٤٣٤
علي بن الحسن بن شعيب المهابي ١٧٨ ^٢	المجيب ٢١٨ ^٢
علي بن ابي طالب رضي الله عنه ٥٥	عدنان بن احمد بن طولون (ابو محمد) ٣٤٩
٢٥٨٤٢٥٣	عدي بن احمد بن طولون (ابو جشون) ٣٤٩
علي بن طباطبا ١٩٩	العرب ١٨٤٤٣٦٤٣٥٤٣٢٤٢٠
علي بن عبيد بن الجراح (الوزير) ٤٣٤٧	عوق الموت = حسين الخادم
علي بن ماجور ٢٤٥٤٢٢٢٤٩٥٤٩٢	عزيزة بنت احمد بن طولون ٣٤٩
علي بن محمد الملوحي البصري التاجم	ابن عساكر ١٠٣٤١٧٦٤١٧٧ ^٢
٣١٧٤٣٠١٤٢٨٢٤٨١٤٣٤	٣٠٧٤٢٩٦٤٢٩٤٤٢٥٤ ^٢
علي بن مهاجر ٧	امال المقدس = الحسن بن محمد بن احمد
علي بن يحيى بن ابي منصور ٣٦٣٣٥٨	ام ابي الدثائر = نمت
ابن عمار = احمد ومحمد بن اسماعيل	عقبه ٢٠٨
عمر بن الخطاب رضي الله عنه ٥٥٤٣	ام عقبه الأعرابية ٢٠٩٤٢٠٨
٢٠١٤٢٠٠٤١٤٧٤١٤٦٤٧١	ابن المتقي ٢٣٩
٢٩٦	ام عقيل الأعرابية ٢٠٩
عمر بن صخر الطيب ٣٢٥	البلاء الطائي ٢٠٠
عمر بن عبد العزيز ٣٢٠٤١٤٦	الملوحي البصري او ملوحي البصرة = علي
عمر بن العاص ٢٠١٤٢٠٠	ابن محمد
عمران بن حطان ٣٠٧	علي بن احمد (ابو الجيش) ١٦١
عمران بن عاصم العرفي ٢٦٧ ^٢	١٦٤٤١٦٣ ^٢
العدي = عبد الحميد بن عبد الله	علي بن احمد الكوفي (او القاسم)
العدي = عبيد الله بن محمد	٣٦٥
٥ = ابن فضل الله	علي بن اسحق ٩٥
ابو عوانة ٥	علي بن امور ٢٤٥

٧٣	ابن الفراء	عياض بن احمد بن طولون (أبو ناهض)
٢٨٨	الفراغة	٣٤٩
٢٠٢٤٥٦	فرعون	ابو عيسى (اخو المعتد) ٢٩٠
٢٥٥٤١١٨	ابن فضل الله العمري	عيسى بن ابراهيم بن نوح (ابو نوح) ٤٣
٣٦٥	الفتحية	عيسى بن شيخ ٢٥٤
١٩٦٤١٩٠	فيث	عيسى بن شيخ الخشاشي ١٧٥
- ق -		عيسى الكرخي ٩٣
١٧٤	قاسم	عيسى بن يارجوخ ١٥٤٤١٥٣
١٧٤٤٣٣	قاسم (ام احمد بن طولون)	- غ -
١٧٤	قاسم (ام محبوب بن وجاه)	غريرة بنت أحمد بن طولون ٣٤٩
	القاسم بن شعبة (ابو محمد التائب)	حسان بن أحمد بن طولون (ابو المفوض)
٢٤٢٤٢٤١٤٢٤٠		٣٤٩
	القبط (الأقباط ، الأمة التبعية)	ابن الفضائري ٣٦٥٤٤
٢٠٦٤١٨١		القطريف (ابو الاسود) ٧١٤٧٠
٤٤٤٤٠	قيصة (ام المتمر)	الننوي ٢٩٨
٤٢	ابو قبيل (وقيل) للملاحمي	- ف -
٣٠١٤٣	قحطان	الفارسي ١١٨٤٧
	ابن قراطان = ابراهيم بن قراطان	فاطمة بنت احمد بن طولون ٣٥
٤٠	قريش	٣٤٩٤١٥٤
٩٦	القصبص	الفاطميون ١٢٠٤٥٧٤٧
٩٦	(القصبصيون)	الفتح (أو قلع) بن خاتان ٣١٠
٣	قضاء	الفتح بن يارجوخ ١٥٣
٢٩٤٤٨٦٤٨١	القضاعي	فخلة بنت أحمد بن المديبر ٦٠
١٣٤	القطان الطالقاني (ابو جعفر)	ابو النداء ٢٧٣

- م -

ماجور (الانرجي) ٤٥٨ ٤٥٥٢

٩٣ ٤٩٢ ٤٩١ ٤٨٦ ٤٨٥

الماذرائي = الحسين بن احمد

للماذرائيون ١٨٠٤٧٠

بنو مالك ٣٤٨

مؤمنة بنت احمد بن طولون ٣٤٩

للمأمون ٢٠٠ ٤٧٨ ٤٣٣

مؤنس الخادم ١٠٣ ٤١٠٢

للمانية = الزنادقة

ميارك بن احمد بن طولون (ابو الفرج)

٣٤٩

المتوكل على الله ٨٠٤٤٥ ٤٤٠ ٤٣٣

٣٤٠ ٤١٤٨

المجنون (ابو نصر) ٢٠٤

محبوب بن رجا (أبو الضحاك) ٤٩٢

٤٧٣٢ ٤١٣١ ٤١١٣ ٤١١٢

٤١٤٨ ٤١٤٧ ٤١٤٦ ٤١٤٥

٤٢٢٢٩ ٤٣١٨ ٤٢٤٧ ٤١٧٤

٣٥٥ ٤٣٥٣

محمد (رسول الله) صلى الله عليه وسلم

٤٢٩٩٤٥٨ ٤١٣٥٤١٠٨ ٤٣١٤٥

٣٦١ ٣٥٦ ٣٥٥ ٣٥٢ ٣١٨

محمد بن أبان (الناقد) ٣٢٨ ٤٢٨٦ ٤٢٤٨

محمد بن أناناش ١٠٣

٤١٣٨ ٤١٣٧ ٤١٣٦ ٤١٣٥

٤١٤٠ ٤١٣٩

قطر الندى ابنة خماروية ١٥١

القفتي ٤٢

القلقشندي ٢٨٨ ٤٢٦٣ ٤٢٦٠

قيش ٤٠

ابن قيم الجوزية ١٩٣

- ك -

الكاظم = موسى الكاظم

كامل بن سعيد المتطبب ٢٥٤

كرنكو ١٩٦ ٤١٢٠ ٤٦٣ ٤١٦

الكريزي = محمد بن عبيد الله

كنجور ٢٦٨ ٤٢٦٧ ٤٢٦٦

كندة بن احمد بن طولون (ابوشجاع)

٣٤٩

الكندي ٢٤٦ ٤٩٢ ٤٨٦ ٤٦٣

كثير اللقي ٢١٧

- ل -

لميس بنت احمد بن طولون ٣٤٩

لؤلؤ غلام بن طولون (ابو محمد) ٤٢٥

٤٢٤٤ ٤١٠١ ٤٢٧٢ ٤٧١ ٤٢٧٠

٤٢٢٧٦ ٤٢٧٥ ٤٢٧٣ ٤٢٧٢

٤٢٨٦ ٤٢٨١ ٤٢٨٠ ٤٢٧٧

٤٢٣٠٦ ٣٠٢ ٤٢٨٨ ٤٢٨٧

٣٠٩ ٤٢٠٨ ٤٣٠٧

محمد بن احمد بن طولون (ابو عبدالله) ٣٤٩	محمد بن علي بن احمد بن طولون الصالحى
محمد بن احمد القمي الامامى ٣٦٥	المشقى ١٣
محمد بن احمد بن مودود (ابو جعفر) ١١٢	محمد بن علي بن محمد (؟) الارمنى ٨٩
محمد بن ازهر (وقيل ابن سهل) الماروف	محمد بن طي الماذرائى (ابو بكر) ١٨٠
بالمتوفى ٢٦٩٠٢٤٦	محمد بن الفتح (ابو الفتح) ١٧٣
محمد بن اسحاق بن كنداج ٢٩٣٠٢٩١	محمد بن لمروخ (أولرج) الفرغانى ٧٠
محمد بن اسماعيل بن عمار ٢٨١٠٩	محمد بن قزح (عادل طرابلس) ٢٥٤
٢٩٠٢٢٨٥	محمد كرد علي ٣٠
محمد بن بشر الضبي ٣٠١	محمد بن محمد الجذوى ٧٣
محمد بن الحسن الكاتب البغدادي ٢١٣	محمد بن موسى بن طولون (ابو جعفر)
٣١٤	٢٢٣٠٤٤٧
محمد بن الحسن الباني ٣٥٢	محمد بن هارون التظلي ٨٩
محمد بن دلود ٨٦٠٢٤	محمد بن هلال ٥٩٠٤٣
محمد بن زبيدة (الأمين) ٧٨	ابن مدير = ابراهيم بن مدير
محمد بن سليمان (كاتب لؤلؤ) ٥٥٣	ابن مدير = احمد بن محمد
٢٧٦٠٢٨٠٢٨٧٠٢٨٨	مراد (قبيلة) ٣٠١
محمد بن شاذان الجوهري ٢٩٤	سروان بن الحكم الأردني ٣٠٦
محمد بن عبد الغفار ١٧٧	الروزي = اسماعيل بن عبدالله
محمد بن هيدكان (ابو جعفر) ١٠٩٤٧	الروزي (ابو جعفر) ١٨٤٤٧
١١٠٠١١٢٠١٤٥٠١٤٧	١٨٧٠١٨٦٠١٨٥
١٤٨٠٤٢٦٠٣٨٣	سرم ٩٣
محمد بن عبدالله (أوعبيدالله) الطراساني	مريم بنت احمد بن طولون ٣٤٩
الدعان ١٥٤٤٧	مسار الشاري ٨٩
محمد بن عبدالله بن عبد الحكم ٢٣٨	المستعين بالله ٣٦٠٣٧٠٢٣٨٠٢٣٩
محمد بن عبيدالله الكريزي ٥١٤٠٥٠	١٤٠٠٤١٠٤٤٨٠٩٣

مصم الجوهري (ابو محمد أو أبو الحسن)	المنكفي بالله ٢٨٨
٤١٦١٤٢١٠٢١٥٩٤٦١٤٦٠	المعدي ١٨١
٣١٩٤٣١٨٠٢٤٩٤١٩٨٤١٦٨	مسلمة بن عبد الملك ٧١
ابن أبي المغيث (أو المغيث) ٦٤	المصريون ٢٩٨٤١٩٦٤١٩٥٤٢١
ابن مفضل (وكيل أحمد بن طولون) ١٤٠	ابو مصلح = موسى بن مصلح
٤١٨٥٤١٤٥٤١٤٢٤١٤١	مضربن أحمد بن طولون (أبو العشار) ٣٤٩
٢١٩٤٢١٨	ابن المطهر الحلبي (الملازمة) ٣٦٥
المفوض إلى الله = جعفر بن المعتد	مظفر بن أحمد بن طولون (أبو الفتح) ٣٤٩
ابو مقاتل بن أبي ثابت ٢٤٩	معاوية بن أبي صفيان ٢٥٣
المقتدر بالله ١٠٣٤١٠٢٤٢٧	معتب بن مالك (من أجداد الحجاج) ٢٦٧
المقدمي ٣١٦٤١٣٤	المعز ٤٥٤٤٤٤٢٤٠٤٣٩
المقريزي ٧٥٤٦٤٤٥٧٤٥١٤١٢	المعتمد بالله ٢٦٥٤١٩٦٤٣٣٤٣٢
٤١٨٠٤١٦١٤١٥٩٤٨٣٤٧٦	المتصد بالله ٣٣٨٤١٠٣٤٥٠
٣٥٠٤٢٥٤٤١٩٦٤١٩٥٤١٩٠	المتصدق على الله ٢٥١٤٢٧٤٢٦٤٧
المكتبة العربية (أصحابها) ٣٦٦	٧٦٤٢٧٤٤٢٧٣٤٧٢٤٦٣٤٥٩
المكتفي ٥٠	٤٢٨١٤٢٨٠٤٢٧٩٤٢٧٨٤٢٧٧
المكفوف الملاحمي = أبو قبيل	٤٢٢٨٠٤١٤٠٤١٠٩٤٩١٤٨٩
ملك الروم ١٠٩٤٣٧٤٢٦	٢٢٨٦٤٢٨٤٢٢٨٣٤٢٨٢٤٢٨١
الماليك التركمان ٣٧	٤٢٧٩٣٤٢٩١٤٢٩٠٤٢٨٩
المنشوف = محمد بن أزهري	٤٢٩٨٤٢٩٥٤٢٩٤٤٢٩٣
منصف بن خليفة الهذلي ٣٠٠	٤٢٣١٦٤٢٣٠٥٤٢٣٠٤٤٢٣٠١
منصور بن شيبغ ٥٢	٤٢٣٥٧٤٢٣٤٦٤٢٣٣٩٤٢٣٣٨
ابن مهاجر = حسن بن مهاجر	٣٦٣٤٢٥٨
	ابو معشر = أحمد بن المؤمل

٤٢٩٧ ٤٢٩٦ ٤٢٩٥ ٤٢٩٤
 ٤٣٠٣ ٤٣٠١ ٤٣٠٠ ٤٢٩٨
 ٤٣٠٨ ٤٣٠٦ ٤٣٠٥ ٤٣٠٤
 ٤٣٣٣ ٤٣٣١ ٤٣١٧ ٤٣١٦
 ٤٣٥٥ ٤٣٤٦ ٤٣٣٨ ٤٣٣٤
 ٣٦٣ ٤٣٥٨
 مياس (أم أبي الجيوش وقد اهدى بن
 طولون) ٣٩
 الميداني ٣٠٧
 ميسرة بن احمد بن طولون (ابو طهجة)
 ٣٤٩
 ميمونة بنت احمد بن طولون ٣٤٩

- ن -

الناطقة القدياني ١٣١
 النابلسي الضرير ٣٠١
 الناجم البصري = علي بن محمد
 ابن الناعمودي (جعفر القائد) ٢٩٨
 النجاشي (صاحب كتاب الرجال) ٤
 نحرير الخادم ٨٠ ٣٥٧ ٤٢٩١
 نفوسة ٢٨٩
 نسيم الخادم ١٢٥ ٤١١٧ ٤١١١ ٤٧
 ٢٠١٤ ١٩٦٤ ١٩٤٤ ٤١٩٣ ٤١٦٨
 ٢١١٤ ٢١٠٤ ٢٠٩٤ ٢٠٥٤ ٢٠٣
 ٢٣٧٤ ٢٣٤٤ ٢٢٢٤ ٢٢١٤ ٢٢٢٢
 ٤٣١٤ ٤٣٨٠ ٤٢٤٣ ٤٢٤٢

المهدي بالله ٣٣ ٤٤٥ ٤٣٣ ٤٧٧ ٤٥١
 ٣٦٠ ٤٣٠١
 المهدي الفاطمي ١٠٣
 موسى بن أنانث ١٠٣ ٤١٠٤
 ١٠٦ ١٠٥
 موسى بن بنا ٧٧ ٤٧٩ ٤٨٥ ٤٨٦
 ٤١٥٣ ٤٩١ ٤٨٩ ٤٨٨ ٤٨٧
 ٢٢٢ ٤٢٢١
 موسى بن صالح ٢٣٧ ٤٢٣٤
 موسى بن طولون (ابو شمران) ٢٣٤٧
 ٤٦٣ ٤٤٩ ٤٤٨ ٤٤٧ ٤٤٦
 ٣١٠ ٤٩١
 موسى بن طونيق ١٢٥
 موسى الكاظم ٥
 موسى بن مصلح (المعروف بابي مصلح)
 ٢٣٤
 الموفق (ابو احمد بن جعفر المتوكل) (الناكث)
 ٢٦٤٩ ٢٧٧ ٤٦١ ٤٣٤ ٤٢٨ ٤٢٧٤ ٤٢٦٤
 ٤٨٤ ٤٨٣ ٤٨١ ٤٨٠ ٤٧٩ ٤٧٨
 ٤١٠٩ ٤١٠٨ ٤٩١ ٤٩٠ ٤٨٩
 ٤١٢٨ ٤١٣٥ ٤١٣٢ ٤١٢٠
 ٤٧١٤ ٤٦١٣٩ ٤٦٣٨ ٤٦٣٧ ٤٦٣٤
 ٤٢٧٦ ٤١٦٧ ٤١٥٣ ٤١٥١
 ٤٢٨٤ ٤٢٨٢ ٤٢٨١ ٤٢٨٠
 ٢٩٣ ٤١٩١ ٤٢٩٠ ٤٢٨٩ ٤٢٨٦

هدى بن احمد بن طولون (ابو البقاء) ٣٤٩	٣٣٤ ٣٣٢ ٣٣١ ٣٢٩
ام الهدى بنت احمد بن طولون ٣٤٩	٣٤١ ٣٣٨ ٣٣٧ ٣٣٦
هرثة ٣١٧	ابن النديم ٣٦٥ ٤٤
هشام بن عبد الملك ٧١	ابو نصر خادم العباس بن احمد بن طولون
هلاكو ٣٦٦	٢٧٠
- و -	النصرانية ٤
الوائقي ٣٣	نعمت ام ابي العشار ولد احمد بن طولون
الوائقية ٣٤٦	١١٠٤٧ ٣٤٣ ٣٣٥ ٣١٢ ٤٢١٠٤٧
الواسطي - احمد بن محمد الواسطي	٣٤٧ ٣٤٦
وصيف ٤٣٤٣٣	نميم (المروف بأبي القذوب أو الذئب)
وصيف بن اخي اسحاق بن كنداج	١٣٢ ٤١٣٠ ٤٧٣
٢٩٣ ٢٩١	الثقومي = الياس بن منصور الزناتي
ابن وصيف شاه ٣٥٠	نفس الطباخ ١٤١
وصيف اللاني (مولى القصبين) ٩٦	نوح بن اسد (عامل بخاري) ٣٣
الزيد بن عبد الملك ٢٦٧	- ه -
وهب بن منبه ٣٣٥	هارون بن أبي الجيش خماروبه بن احمد
- ي -	٣٠٩ ٢٨٨ ٤٥٣
يارجوخ ٤٦ ٤٥ ٣٥ ٢٧	هارون الرشيد ٣٣ ٣٦ ٤٤ ٧٧
١٥٣ ٥٥٩ ٥٥٨ ٥٧ ٤٤٧	٧٩ ٤٧٨
يازمان الخادم ٣١٠ ٣٠١ ٣١٢ ٣١١ ٣١٢	هارون الشاري ٢٩٢
ياقوت (الرومي) ٣٢٠ ٤١٨٠	هارون بن محمد العباسي (والي مكة) ٢٩٨
ياقوت المستعصي ٣٥٠	هارون بن ملول ٢١٦ ٤٧١ ٤٤٧
يجي بن وراقه الحاسب (أبو زكريا)	بنو هاشم ٤١
١٦٥ ٤١٦٤	هاشم (طبيب الحرم) ٣٢٤ ٣٣٥
	٣٣٦

٣٢٠٤٦٨	بلبيق الطرسوسي (القائد)	يزبك الخورغاني ٧٠
٤٤	ابو يوسف (الامام)	ابن يزداد (القائد) ٦٣
	يوسف بن ابراهيم (والد ابن الداية)	يشكر ١٨٢
٦٢٣٩٤٢٣٨٤٢٢٣٧٤٢٢٢٤٢٢٢١	يوسف بن ابراهيم التنوخي (المعروف بالقصيص) ٩٦	يعقوب بن اسحق (ابو يوسف الكاتب) ٤٢ ٤٤٦ ٤٤٧ ٤٤٨ ٤٤٩
	يوسف المش ٣٦٦	١٦٧٤١٦٥٤١٦٤
	أبو يوسف الكاتب = يعقوب بن اسحق	يعقوب بن صالح (صاحب المجيني) أو غلامه (٢٢٠ ٤٢١٨٤٧)
١٩٦	اليونانية	اليقوبي ٤٤٣ ٤٦٢ ٤٦٤ ٤٦٤ بلبخ ٣٤

فهرس أسماء البلدان والبحار والديار والاماكن

أفلاكية ٤٩٥٠٢٩٤٠٢٨٩٠٣٦	- ١ -
٣١٠٠٢٩٩٦٠٢٠٠٠١٣٤٠٩٦	آسيا الصغرى ٣١١
٣٥٠٠٣١٥٠٢٣٣٠٣١٢	الاسدي (قصر) ٢٩٣
الأحرام ١٩٦٠١٩٥٠١٠٢	إخميم ٦٣
اون ٢٨٨	أذنة ٣١٠٠٢٢٣٠٢٧٠٢٦٠٢٥٠
- ب -	٣١٢٠٢٣١١
باب البحر ٣٠٠	الأردن ٢٩٧٠٢٦٠٢٥٠٠
باب الجبل ٥٤	إربينية ٥٢٠٢٠١
باب الجهاد ٣١٠	الاسا كفة ١٨٠
باب الخاصة ٥٤٠٥٣	أسفل الأرض = الوجه البحري
باب الدرهمون ٥٥٠٥٤	الاسكندرونة ٣٦
باب الساج ٥٥	الاسكندرية ٤٨٠٤٧٠٢٤٦٠٤٢٠٤١٠٢٠٢٦٧٠٢٢٤٠٥٠
باب السباع ٥٦٠٥٥	٢٦٢٠٢٦٠٢٥٦٠٢٤٨
باب الشرطة ٥٣	٢٩٧٠٢٧١٠٢٦٤
باب الصلاة ٥٥	إسقى (استا) ٦٣
باب الصولجة ٥٦٠٥٤	أسوان ٦٥٠٢٦٣
باب فارس ٩٦٠٩٥	اسبوط ١١٨٠٢٦٤٠٥٧
باب الميدان ٥٤	أطنه ٣١١
ياضع ٦٤	الأشمونين (اشمون) ٦٤
البحر الاحمر = بحر القلزم	إفريقية ٢٥٣٠٢٧
بحر الخزر ٣٢٠	أنشاص ١٠٢
بحر الروم ٣١٦	

بولاق ١٩٣	بحر القلزم ٢٠١٤٦٥
ياس ٣٦	البحر المالح ٦٤
بيمة القسيان ٣١٣	البحر المحيط ٢٣٠
البيارستان (للارستان) ٢٣٥٠٤١٨٠	بحيرة الاسكندرية ٦٧
- ن -	بخاري ١٥٥٤٣٣
تكربت ٣٦	الدرس (?) ٦٢
تنور فرعون ٥٦	بُذ ٢٦٥
تَينيس ١٣٤٠٥٧	البردان (نهر) ٣١١
تونس ٢٥٣	ورقة ٤٦٢٤٤٦٢٥٤٢٣٤٢١
- ث -	٢٧٠٢٤٨٤١٥٤٤١٠٢٤٢٧٠
الثغور (الثغر) ٣٥٢٢٨٤٢١٤١٩	٢٧٢٤٢٧٠٤٢٦٧٤٢٥٥
٣٦٤٣٧٤٤٢٤٧٤٢٣٤٧٤	وركة الحبش ٣٥٠
٤٩٧٤٩٢٤٩١٤٩٠٤٨٩	بستان عرق ٢٠٠
٢٤٥٤٢٤٤٤١٩٥٤١٨٣٤٩٩	البصرة ١٨٠٤٨٤٤٢٧
٤٣١١٤٣١٠٤٢٩٦٤٢٦٣	بغداد (دار السلام) ٤٢٣٤٢١٤١٨
٢٥٣٤٣٥١٤٣٤٢	٤٥١٤٣٦٤٣٣٤٢٦٤٢٥
- ج -	٤١٨٤٤١٨٠٤١٣٤٤٦٠٤٥٩
الجامع (جامع ابن طولون) ٤١٨٠	٢٩٩٤٢٨٨٤٢٣٩
٣٥٥٤٣٥٠	بغراس ٣٦
جامع لولاد عنان ١٩٣	بلاد البجة ٦٤
الجب ٢٨٠	بليس ١٠٢٤٥١
الجيل (في بلاد فارس) ٣٣٤	بانخ ١٥٥
جبل نفوسة ٢٥٥	البلاد المصرية = مصر
جبل يشكرو ٢٠٠٤١٨٢	ببي ٣٦٥

١٥١٤١٤٣٤١٤٣٤١٠٨٤١٠٧

٣٠١٤٣٨٩٤٣٨٨٤١٥٤١٥٣

٣٥٠٤٣٠٥

حلب ٢٩٩

حلقا ٦٥

حلوان ١١٨

حمامان للبارستان ١٨٠

حصص ٣١٠٤٢٩٦٤٩٣

حوض ابي قديرة (حارة) ٥٣

- خ -

خليج لمر المؤمنين ٢٠٠

- د -

دار ابي احمد بن الخصب ٢٩٤٤٢٩٣

دار الديوان ١٨٠

دار السلام = بغداد

دار الكتب الظاهرية ١٣

دار هرثمة ٣١٧

ديبج ٥٧

ديبج ٥٧

دجلة ٢٩٣٤٢٧٣٤٨٩٤٣٦

الدر ٦٥

دمشق ١٣ ٦٠٤٥٢٤٣٠٤٢٨٤

١٧٥٤١١٣٤١٠٣٤٩٣٤٩٢

٤٢٩٦٤٢٩٥٤٢٩٤٢٨٩

جرجا ٦٣

الجزيرة (جزيرة ابن عمر) ٣٦٤٣٦٤٣١٤٣١

٣١٥٤٢٩١٤٢٧٣٤٢٦٣٤١٠١

الجزيرة (جزيرة مصر) ٣٥١٢٨٧٤٢٨٦

الجفار ٣١٦

الجوسق ٢٩٣

الجزيرة ١٠٣٤١٠٢٤٢٨٦٤٧٣

٤١٩١٤١٩٠٤١٨٩٤١٣٣

٢٦٧٤١٩٥

- ح -

الحبش ٦٤

الحبشة ٦٤

الحجاز ٢٦٣٤٤٤٣

الحديثة ٢٩٥٤٢٩١

حوران ٢٧٣٤١٠٣٤١٠١

الحرمان ١٨٤٤٢١

الحرية (الخرية) ٦٤

حصن أنطاكية ٢٠٠

حصن بركة ٧٠

حصن الجزيرة ٣٥١٤٢٨٧٤٢٨٦

حصن الفرما ٣١٦

حصن منصور ٢٧٣

حصن يافا ٣٥١٤١٨٤

الحفصة ٨٦٤٦٠٤٥٩٤٥٧٤٢٣

رحبة مالك بن طوق ٢٩٩	٣٥٠٤٣١٥٤٣١٠٢٩٩٤٢٩٧
الزفة ١٠١٤٨٧٤١٧٣٤٢٧٣	ديباط ١٣٤٤٥٧
٣١٥٤٣٠٥٤٢٩٩	دهلك ٦٤
الزفتان ٨٦	الغواليب ٢٩١
الزفة ٢٨٧٤٩٢	دور الماذرائين ٧٠
الزها ٢٧٣	ديار بكر ٢٧٣
- ز -	ديار ربيعة ٢٧٣
الزقازيق ١٠٢	الديار المصرية = مصر
زنجيار ٢٥٣	ديار مضر ٢٨٨٤٢٧٣٤١٧٣
- س -	الدماريس (?) ١٠٢
سر من رأى (ساريا) ٣٦٤٣٣	دي حبي (?) ٢٦٦
٤١٤٢٤٢٠٤٦٠٤١٥٠٤١٦٧	دير القصر ١١٨
٣٥٥٤٢٩٦٤٢٩٣٤٢١٧	دينار (منزل) ٢٦٦
سروج ٢٧٣	ام دينار ١٩٠
السقاية ١٨٠	الدينور ٣٣٤
ابو سفيل (عمرة) ٦٥	ديوان الانشاء ١١٢
السنبلون ٥٧	ديوان التصنع ١١٢
سواكن ٦٤	- ذ -
سوق الجباز ٣٣٤	ذات الساحل ١٩٠
سوق الثواب ٥٥٤٥٣	- ر -
سوق الرقيق ١٨٠	رأس ابو فاطمة ٦٥
سوق الطباخين ٥٤	الرافدان ١٩ = دجلة والفرات
سوق الصيارين ٥٣	الرافدة ٢٧٣

الصبريخ ١٨٠
صور ١٨٤
- ط -
طبرستان ١١٩
طبرية ١١٩
طرا ١١٨
طرابلس (أطرابلس) ٢٥٣٤٢٣
٢٦٢٤٢٥٥٤٢٥٤
طرشوس ٤٢٣٧٤٢٦٤٢٥٤١٩
٤٧٤٤٣٨٤٦٣٤٤٩٤٣٨
٢٩٨٤٩٧٤٢٩١٤٩٠٤٨٩٤٨٧
٤١٨٣٤١٥٤٤١٤١٤٢٢٤٢٩٩
٤٣١١٤٢٣١٠٤٢٢٣٤١٨٤
٣٥٢٤٣١٢
طهران ٣٦٥
- ع -
عبادان ٣٥٣
العباسة ١٥١٤٥١
عدن ٦٥
العراق ٤٣٨٤٣٣٤٧٦٤٨٤٤١٠١
٤٢٨٨٤٢٨٧٤٢٧٨٤١٠٧٤١٠٦
٤٣٤١٤٣٠٠٤٢٩٩٤٢٩٨
٣٥٦٤٣٤٢

سوق الفاييين ٢٥٤
سراساط (؟) ١٣٠
سيس (Mopsueste) ٣١٠
- ش -
شارع الحمراء ١٣٣٤١٢٤
الشام (الشام) ٢١٤٢٠٤١٥٤٢٣
٤١١٩٤١٠٣٤٢٩٢٤٧٤٤٣٤٢٦
٢٦٣٤٢٤٦٤٢٣٠٤١٧٨٤١٥١
٤٣٠٠٤٢٨٨٤٢٨٧٤٢٨٦
٣١٧٤٣٠١
الشامات ٢٤٥٤٢٥٤٢٥٠٤٤٢
٣٤٢٤٢٦٣
الشرق ١٠٢
الشرقية (مديرية) ١٠٢٤٥١
شمشاط ٢٧٣
شهران (فربة) ١١٨
شهرزور ٣٣٤
- ص -
الصالحية ٥١
صالحية دمشق ١٣
الصعيد (اعلى الارض) ٦٢٤٤٦
٢١٧٤٢٨٧٤٢٧٤٢٥٤٢٦٣
الصعيد الاوسط ٢٣٠
صهاريج الامهر ١٣٤

٢١٠٢٤١٠١٤٩١٤٩٠٤٢٨٦
 ٤١٣٤٤١٢٨٤١١٨٤١١٣٤٢١٠٣
 ٤١٥١٤١٤٨٤١٤٣٤١٤٢
 ٤١٧٥٤١٧٣٤١٦١٤١٥٦
 ٤١٩٠٤١٨٩٤١٨٤٤١٨٠
 ٤١٩٩٤١٩٦٤١٩٥٤١٩٤
 ٤٢٣٥٤٢٣٠٤٢١٧٤٢١٦
 ٤٢٤٩٤٢٤٧٤٢٤٦٤٢٤٥
 ٤٢٧١٤٢٦٧٤٢٦٣٤٢٥٥
 ٤٢٨٩٤٢٨٨٤٢٨٧٤٢٨١
 ٤٣٠٥٤٣٠٠٤٢٩٧٤٢٩٠
 ٤٣١٦٤٣١٥٤٣١٣٤٣١٠
 ٣٥٠٤٣٥٣٤٣٥٠٤٣٤٢٤٣٢٠
 المصيصة ٣١٠٤٣١٠٤٣١٢
 المطربة ٢٨٨
 المطاير ٤١٢٩٤١٨٠٤٣٤٣٤٣٠
 ٣٥٣٤٣٥٢٤٣٥١٤٣٥٠٤٣٤٥٠
 المشوق (قصر) ٢٩٣
 المرة (معة الثمان) ٩٦
 المصرة ١١٨
 المغرب = الغرب
 المنس ١٩٣
 للقطم (جبل) ٢٠٠٤٥٤
 مكة (المكرمة) ١٥٤٤٦٥
 ٣٥٩٤٢٩٨٤٢٦٣

- ل -
 لؤلؤة ٢٩٠
 لينة ٢٥٥٤٢٥٣

- م -

مأذرايا ١٨٠
 المارستان = الجارستان
 المدرسة العمرية ١٣
 المدينة (التورة) ٢٩٦٤٢٦٣٤٦٣
 مدينة السلام = بغداد
 مرسين ٣٧
 مرعش ٣٦
 مريس (مريسة) ٦٥
 مسجد الأقدام ٣٥٣
 مسجد عبده ١٤٩
 مشقول ١٠٢
 مشقول السوق ١٠٢
 مشقول الطواحين ١٠٢
 مشقول القاضي ١٠٢
 مصر ٤٢٠٤١٩٤١٥٤١٤٧٤٢٣
 ٤٢١٤٢٢٤٢٥٤٢٢٤٢١
 ٤٢٣٤٢٣٤٢٣٤٢٣٤٢٣٤٢٣
 ٤٥٢٤٥١٤٥٢٠٤٤٨٤٤٢٧
 ٤٧٣٤٦١٤٦٠٤٥٩٤٥٨
 ٤٨١٤٧٥٤٧٤٤٧٣٤٦٥

٤١٠٣٤٨٦٤٦٥٤٦٣٤٢٧٤٩ النيل	التامة (الناخعة) ؟ ١٨٧
٤٢٠٠٤١٩٣٤١٣٤٤١١٨	المنزلة ١٣٤
٢٨٧٤٢٣٠٤٢٠١	منية الأصبح ٣٢٠
- ٥ -	منية مال الله ٢٧٣٤١٥١
٤٤ مَرَاة	الموصل ٢٩٥٤٢٩١٤٢٧٠٤٨٩
٣٣٤ مَمْدَان	الموقف (بصر) ٣٣٤
٢٨٨ هَلِيُوبُولِيْس	الموقف (بجكة) ٢٩٨
- و -	الميدان ٤١٢٤٤٨٠٤٥٨٤٥٤٤٧٠
٦٣ الراحات	٤٢٣١٤٢٠٦٤١٦١٤١٥١
٢٧ وادي النيل	٤٣١٦٤٢٦٩٤٢٦٨٤٢٢٥
٧٣٤٤٠٤٢٣٩٤٢٤ واسط (القصب)	٣٥١٤٣٤١٤٣٣٥٤٣١٧
٣ الوجه (في الحجاز)	- ن -
٨٧ الوجه البحري	النهر الأسود - اليردان
- ي -	نصيبين ٢٩١
٣٥١٤١٨٤ يافا	النوبة ٦٥٤٥٣

فهرس الموضوعات

٥٤	نصر اس طولون	٣	مدخل الكتاب - المؤلف وتأليفه
٥٦	الوثايات باس طولون الى بندا	١٣	اصل المخطوط
٥٧	ارسله الهدايا الى ارباب المسكنة في الحضرة	١٦	راموز طرة الاصل المخطوط
٥٨	اغلاق باس طولون لاحد اعنائه بالحر والجر	١٧	راموز الصفحة الاخرة
٥٨	حسن جلك في ارضنا - حكومة بندا	١٨	احد س طولون بتصوير البري
٦٠	حسن حيلة وكيه في دار السلام	٣١	فائمة الكتاب
٦٢	خارج على اس طولون بين برقة والاسكندرية	≈	سبب التأليف
≈	خارج آخر في الصعيد	٣٢	طريقة المؤلف في تأليفه
٦٤	ثائر آخر في بلاد البجة	≈	تمة الباسيين بالازراك
٦٧	خارجي في الصعيد	٣٣	مصر على عهد الباسيين
٧٠	هياج اهل برقة	≈	أصل طولون والد احمد
٧٢	قلدياس طولون المراج والمونة بمصر والتنور	٣٤	أولية أحمد بن طولون
٧٣	مدح وفد مصر لاس طولون	٣٦	فراق الخليفة بالطرائف الرومية
≈	تدييره المراج واسقاطه للماون	٣٧	ظهور احمد س طولون بالشجاعة والتجدة
٧٦	عنود ابن طولون على كثر	٣٨	عجة الخليفة ل احمد بن طولون
٧٧	مصير ابن دشومة	٣٩	خلم المستين وتسلية لاس طولون
≈	اقسام الدولة الباسية شطرن	٤٠	امتناع اس طولون من قتل المستين
٧٨	ضغف الخليفة وتناظره لبداته	٤١	كيف قتل المستين
≈	استطراد في فضل المأمون على الأوير	٤٢	مبدأ سادة اس طولون بتوليته مصر
٧٩	ارتناك الموقف وامانته	٤٣	عمال مصر عند دخول اس طولون
٨٠	رسول الموقف الى ابن طولون ونحذير المستنله	≈	دهاء ابن طولون وما عمله لظهوره بمظهر الظنة
≈	كتاب احمد بن طولون الى الموقف يهدده	٤٦	تمتية ابن طولون في اماره مصر
٨١	وتبعده	≈	طلب موسى بن طولون ولاية الاسكندرية
≈	ارسال الموقف العمال الضرب على ايدي	٤٨	اغتيال ابن طولون بولاية مصر
٨٥	ابن طولون واستعداد هذا وتحصنه	≈	مطالبة موسى بن طولون بوعد اخيه وضربه
٨٨	قتنا ابن طولون على اعدائه	٤٨	مقارع يد احمد
٨٩	انطاق من عيتم بندا لحفظ التنور التامة	٥٠	توثب ابن شيخ على فلسطين والأردن
٩١	قليد التنور لاس طولون	٥١	مبدأ قوة ابن طولون بالاكتار من الجند
٩١	هلاك اعداء اس طولون	≈	نابا النظام والقصور والسواق واستعداد
		٥٢	السران

١٤٥	صقات بنى عمال ابن طولون	٩٢	استبانه امراء الشام
١٤٧	ضاحه محبوب بن رجا	٩٤	مناوشت سها الطويل وطيفة ابن طولون
١٤٨	انتقام ابن طولون عمى كان يثالثه	٩٥	مقتل سها الطويل
١٥٠	صديق لاس طولون ينقلب عليه ويرهقه		دخول ابن طولون طرسوس ورجوعه عنها
١٥٣	مماكله لاولاد حيه	٩٧	لاسياب سياية
١٥٤	قتل خراساني بيد من هتك الخراساني عرته	٩٨	احساء لاهل طرسوس واجتماعه بيض النساك
١٥٦	قتيل التيز وذكاه ابن طولون	١٠٠	طرفة في ضبط المجالس ونقل الكلام
١٥٩	الخطيب الموهود بالقوية ومكاناته	١٠١	مثال من حزمه والتظهير بينه وبين غيره
١٦١	كشف علامة اسماء	١٠٣	القبض على موسى بن تامش وهو في صميم حيشه
١٦٦	صبيحة نصراني لابن طولون	١٠٦	تضليل المصريين في الاستخدام على الرماطين
١٦٨	سجين ابن طولون يتم تناقته في الحبس		وكيل ابن طولون في بغداد وحيله في
١٧٣	امرأة تبيكي زوجها لسكره عليها	١٠٧	الاتعاج بالعدو
١٧٣	وزير لجأ الى ابن طولون ثم شط عليه	١٠٩	ملك الروم يطلب الهدية
١٧٥	القضاء على ابن مدير	١١٠	مزوف ابن طولون عن النساء
١٧٨	مثال من تشدد ابن طولون مع الزمية	١١١	بني اخلاق ابن طولون وعادته في ادارته
١٨٠	بني صدقات ابن طولون ومصانعه وآثاره	١١٢	تدقيقه في الاسائل الصادرة عنه
١٨١	هندس صراييفي لابن طولون حيناً وجامعاً	١١٣	شدة ابن طولون على اقرب الناس اليه
١٨٣	حسن افعال ابن طولون الجميلة	١١٤	توفر ابن طولون على كشف اسرار صحابته
١٨٦	حطاب ابن طولون على خبطة الكتاب المنزلي	١١٥	غرام ابن طولون بالتجسس على الناس
١٨٩	حار الجيزاوي المتظام	١١٨	ابن طولون ورجان القبط
١٩٣	الصيدا قتييل الذهب	١١٩	بمخس ابن طولون على احد اصحابه
١٩٤	الحمام الهدادي وشكر ابن طولون لثمة	١٢٢	اعتناء ابن طولون للجواميس عليه
١٩٤	العت من الكنوز وتشدد ابن طولون	١٢٤	معرفة الجواميس بالنظر في لباسهم
١٩٤	في حيار الذهب	١٢٥	جاسوسان على ابن طولون
١٩٧	اطعام ابن طولون وعطفه على شيخ قدير	١٢٨	النساء الصائغات والجاسوسان
١٩٨	ابن طولون يطلي الصدقات لطالها	١٢٩	الملاحب من رجال ابن طولون
١٩٩	وابناء البيوتات	١٣٠	كشف ابن طولون لقتيلة
٢٠١	نقته على اهل مصر وبعده عن اذام	١٣٣	اهتداؤه لمن يفر منه
٢٠١	سكران اذنته ضاحته من بطش ابن طولون	١٣٣	الجاسوس السادق الشريف
٢٠٣	الجنون الناقل مع ابن طولون	١٤٠	خيانة وكيل ابن طولون ومصيره
٢٠٥	امرء لصاحب شرارته بالشدة واللين	١٤٢	استخدامه الصادقين

- ٢٥٥ تأليفين طولون من المائة التي اداء اليها ابه
٢٥٦ كتاب الباس لايه
٢٦٠ كتاب احمد بن طولون لابنه الباس
٢٦٤ فنل صبيان الباس
٢٦٦ أسر الباس وجمه الى ابيه مقيداً
عودة الخلة الى مصر ونقل البلس رجاله
٢٦٨ يديه وهو الأمير عن اثنين
تخرج ابن طولون لابنه وضره يديه
٢٧٠ مائة قرعة
٢٧١ انتقال طبايع ابن طولون من البلبل الى البطل
٢٧٢ تكرر غلام ابن طولون لمولاه
٢٧٣ كبس الذهب وطمع صاحبه
استقمان لؤلؤ للموقف ومنشط ابن طولون
على كاتب لؤلؤ
٢٧٦ كتاب ابن طولون لؤلؤ يديه ويذكره
٢٨٠ كشته الاسرار من تمام الزايل
سمي ابن طولون لانتفاع الخليفة ان
٢٨٠ يقصد مصر وكتابه اليه
استصاح ابن طولون رجلاً عظيماً كان
في جيبه
٢٨١ لمخط ابن طولون حقوق الكتب واستخارم
٢٨٥ اصراف ابن طولون الى الشام لقتال الخليفة
٢٨٦ قصة الصم الذي هاجمه والامة يشدون به
٢٨٨ موافقة ابن طولون دمشق لانتظار الخليفة
٢٨٩ ارجاع المعتد من شخوصه الى الشام
٢٩٠ رجوع المعتد الى سر من رأى
٢٩٣ خلم الموقف في مدينة دمشق ووثيقة خلمه
٢٩٤ شهادة القضاء على كتاب الخلم
٢٩٦ تلاعن الموقف واحمد بن طولون من المنابر
٢٩٨ شراء الشام يحمون لاقاذا الخليفة
من اخيه
٣٠٠
٢٠٦ صواب قائم اعتدى على راهب قبطي
٢٠٨ حاية ابن طولون بأسطوله
أمر اية ابنته ان يكون ابناً جاسوساً
٢١٠ نجس ابن طولون على رجال قصره
قصة التراب سارق الذهب
٢١٢ عزوف ابن طولون عن احدى زوجاته
تأديب ابن طولون لابنه الباس
٢١٤ حقبة منتحل التصوف على قصة
المبسط مع ابن طولون وذهاب نمته
٢١٧ تاجر أكثر أن يموت في السجن مع سامليه
٢١٨ هارة يوسف بن ابراهيم في القطن من
ابن طولون
٢٢١ الخدم الثلاثة الأذكيا
٢٢٢ قول ابن طولون: الجاسوسية صناعة رديئة
٢٢٤ كشف ابن طولون جاسوساً من تكه
٢٢٦ افراط ابن طولون في اطلاقه من نالوا منه
أمراني اراد ان يفتدي صاحبه بالهودنة
٢٣٠ صدق سجين نجياً باخلاصه
٢٣٤ شفاة جماعة في منعم عليهم
٢٣٧ تناهي رجل من خفاة للمروق وما عمله
٢٤٠ رجل سمي بأبيه قتله ابن طولون
٢٤٢ (اخبار الباس بن احمد بن طولون)
٢٤٤ خروج الباس على ابيه
٢٤٥ جماعة الباس بن احمد بن طولون
محنة الواسطي من ابن طولون وما عمل
الباس لاهلاكه
٢٤٦ خروج الباس على ابيه الى برة
٢٤٨ ما أخذ الباس من مال مصر ورجاله
٢٤٩ استرضاء ابن طولون ابته وارساله ونذاليه
٢٥٣ فنل الباس وهزيمته في إفريقية وبيرة
واستخاره بنفسه

٣٣٧	عذر الواسطي بد وقاة ولي نعمة	٣٠١	التحاق لؤلؤ غلام ابن طولون بالمرض
٣٣٨	وصية ابن طولون لابن ابي الميثن	٣٠٢	الرجوع عن اليمن في بلاد الشرق وبلاد
٣٣٩	وصية لقواده وظلماء		ابن طولون
٣٣٩	وصية لابي الميثن أيضاً	٣٠٥	خيانة لؤلؤ وتمثيل الحارثي والبيع عليه
٣٤٠	زودة ابن طولون	٣٠٨	مسير لؤلؤ
٣٤١	عنايته بسور قصره وهو مريض		(سبب موت احمد بن طولون)
٣٤٢	وصية لايه العباس		ما جرى لابن طولون مع بازمان
٣٤٣	إشرافه على الآخرة وموته	٣١٠	ووجوهه منيظاً محققاً
٣	ترتيب جنازة احمد بن طولون		بده عة ابن طولون ورجعه الى مصر
٣٤٤	مآثر امامته الواجبة	٣١٢	وما وقع له مع طيبيه
٣	شعر ابن طولون بالتركية	٣١٦	توبيخه لقتاضي بكار لامتناعه من خلع الموق
٣٤٧	مبلغ مته		ضوية من اسعصر اسمه وزعمه في تجارة
٣٤٨	الأصوات التي كان ابن طولون يتكلمها	٣١٧	كانوا حسوتها له
٣٤٩	لولاد احمد بن طولون		شكوى طيبيه من استبداده وصدم
٣	تركة	٣١٩	سببها نضاجه
٣٥٠	تقائه على صانعه وسدائه		محاولة قائمين الاحتواء على بلاد تند
٣٥٢	منامات رؤيت لابن طولون تبشر بنجاحه	٣٢٠	من عمل ابن طولون
٣٥٦	لباسه واتصاده		معاورته ابن طولون مع اطباءه واهلاكه
٣٥٧	وقع نهي ابن طولون في المشدوح عليه	٣٢١	طيبيه الخناس
	في الموق وتقديره	٣٢٣	الطيب المتبحر الذي اختير للعرم
٣٥٨	لصفاته الفخر		قتله ابن طولون بجبال وزعمه في
٣٦٣	ما حله ابن طولون الى اللشد	٣٢٥	انذاره الاطباء
٣	الرخاء العام في بلاد ابن طولون	٣٢٨	معاورته مع ابن توفيل وضره اياه وقتله
٣٦٥	استدراك	٣٢٩	اطلاق ابن رجا من محبته ورد ما له عليه
٣٦٦	خانته اللطاف	٣٣٠	طلب ابن طولون دماء الوعية له
٣٦٧	فهارس سيرة احمد بن طولون	٣٣١	رسوله الى القاضي بكار وما كان منه
٣٦٨	فهرس مراجع التصحيح والتعليق	٣٣٣	جاسوس الموق على ابن طولون
٣٧٠	أسماء الرجال والنساء والأسم والجملات		كم الاقواء من التكلم في ابن طولون
٣٨٨	البلدان والبحار والاهوار والاماكن	٣٣٤	الى آخر ايامه
٣٩٦	الموضوعات	٣٣٦	احلته رزق سنة لميته

تصحيات

هذا وقد ورد في الصفحة الـ ١٢٨ هذه العبارة « ولا أسيء إليه وأناثره » وهي كذلك في الاصل إلا أنها من غير قطع ، وقد رجح عندنا أن تكون هكذا :
« ولا أسيء إليه وأن أبرّه » .
